

تراثنا

النجوم الزاهرة
في
ملوك مصر والقاهرة

تأليف

جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي

٨١٣ - ٨٧٤ هـ

الجزء السابع

طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب

وزارة الثقافة والارشاد القومي
المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله وصحّابه والمسلمين

الجزء السابع^(١)

من كتاب النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة

ذكر ولاية الملك المعز أَيْبَك التُّرْكُمَانِيّ على مصر

هو السلطان الملك المعز عَزَّ الدِّين أَيْبَك بن عبد الله الصالحى النّجْمى المعروف بالتُّرْكُمَانِيّ، أوّل ملوك الترك بالديار المصرية . وقد ذكرهم بعض الناس فى أبيات موالياً إلى يومنا هذا، وهم الملوك الذين مَسَّهم الرّق، غير أولادهم، فقال :

أَيْبَكُ قَطْرٌ يَعْقُبُ بَيْرَسَ^(٢) إِذَا الدِّين * بعدو قَلَاوُون بعدو كَتَبْنَا لَاجِينَ
بَيْرَسٌ مِنْ بَرْقُوقٍ بعدو شَيْخ ذَوَاتِ بَيْن * طَطَّرَ رَسْبَاى جَقْمَقٍ صَاحِبَ التَّمْكِين

قلت : هذا قبل أن يتسلطن الملك الأشرف إينال. العالائى ، فلمّا ملك إينال قلت أنا :

(١) يلاحظ أنه ابتداء من سنة ٥٦٧ هـ التى تسلطن فيها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب على مصر إلى سنة ٧٤٥ هـ التى تسلطن فيها الملك الكامل شعبان على مصر وجد مصدر آخر لهذه السنين ، نقل عن نسخة بالمكتبة الأهلية بباريس ، وهى محفوظة بالدار تحت رقم ٥٦١٦ تاريخ ، وهذا غير المصدر الذى رجعت عليه الأجزاء السابقة ، وهو النسخة المصورة عن نسخة مكتبة أياصوفيا بالأستانة ، والمحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٣٤٣ تاريخ . وقد تقدّمت الإشارة إلى ذلك فى المقدمة .

(٢) هذا بَيْرَس العالائى البندقدارى ، وأما الثانى فهو بَيْرَس الهاشكير المنصورى .

أَيْتِكَ قُطِرَ يَعْقُبُو بَيْرَسَ ذُو الْإِكْجَالِ + بعدو قلاوون بعدو كَتَغَا الْمُفْضَالِ
 لَاجِينَ بَيْرَسَ بِرُقُوقَ شَيْخِ ذُو الْإِفْضَالِ * طَطَّرَ بَرْسَبَايَ جَقْمَقَ ذُو الْعِلَالِ إِيْنَالِ
 وقد خرجنا عن المقصود . ولنعد إلى ذكر الملك المَعَزَّيَّاتِ المذكور ، فنقول :

أصله من مماليك السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب ، اشتراه في حياة
 والده الملك الكامل محمد ، وتنقلت به الأحوال عنده . ولازم أستاذَه الملك الصالح
 في الشرق حتى جعله جاشنكيره^(١) ، ولهذا لما أمره كان يحمل رَنَكَه صورة خَوَانِجَا .
 واستمر على ذلك إلى أن قُتِلَ المعظم توران شاه وملكت شجرة الدر بعده ؛ اتفق
 الأمراء على سلطنة الملك المَعَزَّيَّاتِ هذا وسلطنوه بعد أن بقيت الديار المصرية
 بلا سلاطين مدة ، وتَشَوَّف إلى السلطنة عدَّة أمراء ، نجف من شرهم ؛ ومال الناس
 إلى أَيْتِكَ المذكور ، وهو من أوسط الأمراء ، [و] لم يكن من أعيانهم ؛ غير أنه كان
 معروفاً بالسَّادَاتِ وملازمة الصلاة ، ولا يشرب الخمر ؛ وعنده كرم وسعة صدرٍ ولين
 جانبٍ . وقالوا أيضاً : هذا متى أردنا صرفه أمكننا ذلك لعدم شوْكَته . وكونه من
 أوسط الأمراء . فبايعوه وسلطنوه وأجلسوه في دَسْتِ الْمُلْكِ في أواخر شهر
 ربيع الآخر سنة ثمانٍ وأربعين وستمائة . وحملت الفاشية بين يديه ، وركب^(٢)

(١) الجاشنكير : هو الذي يتصدى لذوق المأكول والمشروب قبل السلطان أو الأمير خوفاً من
 أن يفس عليه فيه سم ونحوه . وهو مركب من لفظين فارسيين : أحدهما « جاشنا » بجم في أوله قرية
 في اللفظ من الشين ومعناه الذوق ولذلك يقولون في الذي يذوق الطعام والشراب الشيشي ، والثاني « كير »
 وهو بمعنى المتعاطى لذلك ، ويكون المعنى الذي يذوق (عن صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٦٠) .

(٢) الرنك : كلمة فارسية معناها التمام ، وخوانجيا : كلمة فارسية أيضاً معناها الخوان أو المائدة
 الصغيرة ، والمقصود من هذه العبارة هو أن الملك الصالح أيوب لما جعل المَعَزَّيَّاتِ جاشنكيراً عمل شعاره
 صورة مائدة لكي يتفق مع وظيفته وهي الإشراف على مائدة الملك . (٣) المقصود بها هنا قطعة
 من الجلد المطرز على شكل وسادة مخروزة بالذهب ، يحالها الناظر جميعها مصنوعة من الذهب ، وتحمل
 بين يدي السلطان عند الركوب في المواكب الحفلة كالأياديين والأعياد ونحوها ؛ يحملها الركابدار راسماً لها
 على يديه بلفظاً يميناً وشمالاً . وهي من خواص الدولة الأيوبية (صبح الأعشى ج ٤ ص ٧) .

بشعار السلطنة، وأول من حمل الغاشية بين يديه الأمير حسام الدين بن أبي علي^(١)،
 ثم تداولها أكابر الأمراء واحداً بعد واحد . وتم أمره في السلطنة وخُطب له على
 المنابر، ونُودي في القاهرة ومصر بسلطنته ، إلى أن كان الخامس من جمادى
 الأولى بعد سلطنته بخمسة أيام نارت المماليك البحرية الصالحية وقالوا : لابد لنا من
 سلطان يكون من بني أيوب يجتمع الكل على طاعته ؛ وكان الذي قام بهذا الأمر
 الأمير فارس الدين أقطاي الجندار^(٢)، والأمير ركن الدين بيبرس البندقداري^(٣)، والأمير
 سيف الدين بلبان الرشيدى^(٤)، والأمير شمس الدين سنقر الرومى^(٥) ؛ وآتفقوا على أن
 يكون الملك المعز أيك هذا أتابكاً عليهم ، وأختاروا أن يقيموا صبياً عليهم من بني
 أيوب يكون له اسم السلطنة ، وهم يدبرونه كيف شاءوا وبأكلون الدنيا به !

كل ذلك والملك المعز سامع مطيع . فوقع الاتفاق على الملك الأشرف
 مظفر الدين موسى ابن الملك الناصر يوسف ابن الملك المسعود أقسيس ابن السلطان
 الملك الكامل محمد ابن السلطان الملك العادل أبي بكر ابن الأمير نجم الدين أيوب ؛
 وكان هذا الصبي عند عمته القطيبات^(٦) ، وتقدير عمره عشر سنين ، فأحضره

(١) لعله : « بشعار السلطنة » . (٢) هو حسام الدين محمد بن أبي علي الهذلي نائب

السلطنة بمصر . وبيد ذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٥٨ هـ . (٣) الجندار : هو الذي
 يتصدى لإلباس السلطان أو الأمير ثيابه ، وأصله : جامادار لحذفت الألف بعد الجيم وبعد الميم استقلالا
 وقيل « جندار » . وهو في الأصل مركب من لفظين فارسيين : أحدهما « جاما » . ومعناه الثوب ،
 والثاني دار ومعناه ممسك ، فيكون المعنى ممسك الثوب (صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٥٩) .

(٤) ضبط بالقلم في تاريخ سلاطين المماليك (فتح الباء واللام) . وفي كترير : (Belban) .

(٥) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢ من الجزء الرابع من هذه الطبعة . (٦) في الأصل :
 « عند عمته بالقضية » . وتصحيحه عن المنهل الصافي وتاريخ الواصلين وما ساق ذكره المؤلف في هذه الترجمة .
 وعمته من بنات الملك العادل الكبير ابن أيوب المعروف بالقطيبات نسبة إلى شقيقته الملك الفضل
 قطب الدين ابن الملك العادل (راجع تاريخ الواصلين في حوادث سنة ٦٤٨ هـ) .

(٧) في خط المقيزي (ج ٢ ص ٢٣٧) والسلوك : « وعمره نحو ست سنين » .

وسلطنوه وخطبوا له ، وجعلوا الملك المعزَّ أَيْتَكَ التُّرْكَايَ أتابكَه ، وتمَّ ذلك . فكان التوقيع يخرجُ وصورته : « رُسِمَ بالأمرِ العالى المولوى السلطانى الملكى الأشرفى والمَلِكى المعزَّى » . واستمرَّ الحال على ذلك مدةً ، والمعز هو المستولى بالتدبير ويُعلم على التواقيع ، والأشرف المذكور صورة

وبيناهم في ذلك ورد الخبرُ عليهم بخروج السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب الشام وحب ، خرج من دِمَشْق إلى المِزَّة يريد الديارَ المصرية لِيَمْلِكَهَا لما بلغه قُتلُ آبن عمه الملك المعظم تُوْران شاه . فاجتمع الامراءُ عند الملك المعزَّ أَيْتَكَ وأجمعوا على قتاله وتأهبوا لذلك ، وجهَّزوا العساكرَ ونهَّبوا للخروج من مصر .

وأما الملك الناصر فإنه سار من دِمَشْق نحو الديار المصرية بإشارة الأمير شمس الدين لؤلؤ [الأمينى] ، فإنه أَلَحَّ عليه في ذلك إلحاحاً كان فيه سبباً لحضور منبته ، وكان لؤلؤ المذكور يستهزئُ بالعساكر المصرية ، ويستخف بالممالك ، ويقول : آخذها بمائتي قناع ، وكانت تأتبه كتبٌ من مصر من الأصاغر فيظنها من الأعيان ، ودخلوا الرَّمْلَ ودَنَوْا من البلاد ، وتقدَّم عسكرُ الشام ومعهم الأمير جمال الدين بن يَغْمُور نائب الشام وسيفُ الدين المِشْد وجماعةٌ ، وأنفرد شمس الدين لؤلؤ ، والأمير ضياء الدين البَقِيمَرى ، وخرجت العساكرُ المصرية إليهم ، وألْتَقَوْا معهم وتقاتلوا فانهزم المصريون ونُهِبَتْ أُنْقَالُهُمْ ، ووصلت طائفةٌ منهم من البحْرية على وجوههم إلى الصعيد ،

(١) هو الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز محمد بن الظاهر غازي بن صلاح الدين يوسف بن أيوب صاحب حلب . (٢) المزة (مزة كلب) : قرية كبيرة غناء في وسط بساتين دمشق ، بينها وبين دمشق نصف فرسخ (عن معجم البلدان لياقوت) . (٣) زيادة عن السلوك (ص ٣٨٠) . (٤) يريد ما تقي امرأة . (٥) هو جمال الدين موسى بن يغمور بن جلدك بن سليمان بن عبد الله أبو الفتح الأمير . سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٥٦٦٣ .

- وكانوا قد أساءوا إلى المصريين ونهبوهم وأرتكبوا معهم كل قبيح ، فخافوا منهم فتوجهوا إلى الصعيد . وخطب في ذلك النهار بالقاهرة ومصر والقلة للملك الناصر صلاح الدين يوسف المذكور وفي جميع البلاد . وأيقن كل أحد بزوال دولة الملك الميز آيتك . وبات في تلك الليلة جمال الدين بن يغمور بالعباسة ، وأخى الختام للملك الناصر صلاح الدين يوسف ، وهياً له الإقامة . كل ذلك والملك الناصر ما عنده خبر بما وقع من القتال والكثرة ، وهو واقف بسناجقه وأصحابه ينتظر ما يرد عليه من أمر جيشه .

- وأما أمر المصريين فإنه لما وقعت الهزيمة عليهم ساق الملك الميز آيتك وأقطاي الجندار المعروف بـ «أقطيا» في ثلثمائة فارس طالبيين الشام هارين ، فمروا في طريقهم بشمس الدين لؤلؤ المتقدم ذكره والضياء القيومي ، فساق شمس الدين لؤلؤ عليهم ١٠ حملوا عليه فكسروه وأسروه وقتلوا ضياء الدين القيومي ، وحبس شمس الدين لؤلؤ إلى بين يدي الملك الميز آيتك ، فقال الأمير حسام الدين بن أبي طي : لا تقتلوه لناخذ به الشام ، فقال أقطاي الجندار : هذا الذي يأخذ مصرتنا بمائتي قناع ! وجعلنا تخانيث ، كيف تركه ! وضربوا عنقه ، وساقوا على حمية إلى جهة ، فاعترضوا طلب السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف فوقع المصاف بينهم ، ١٥

(١) عبارة عقد الجبلان : « وخطب ذلك اليوم (حادي عشر ذي القعدة سنة ٦٤٨ هـ) للملك الناصر يوسف صاحب حلب بالقلة وجامع مصر ، وأما بالقاهرة فلم نغم بحمامها جمعة وتوقفوا لينتقوا » . وفي المجلد الثاني في ترجمة الميز آيتك : « ولم يبق إلا تملك الناصر ويخطب له في قلعة الجبل » .

(٢) في الأصل : « ومات » . والنصيب عن حيون التواريخ لابن شاكر ونزعة الأنام في تاريخ الإسلام لابن دقاق والسلوك . (٣) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٠٩ من الجزء الثالث من هذه الطبعة . ٢٠

(٤) لما تكلم صاحب صبح الأعشى في (ج ٤ ص ٨) في الفصل الذي عقده لتكرار رسوم الملك وآلاته على الأعلام ، قال : ومنها أيات صفراء تسمى السناجق . وفي عهد الحكم الثاني بمصر كانوا يستعملون كلمة سنجق وجمعها سناجق لكل من يتولى رئاسة جماعة من الجند المكلفين بحفظ الأمن العام في الأقاليم .

نغامر على الملك الناصر جماعة من المماليك العززية من ممالك أبيه، وجاءوا إلى الملك المعز أيك التركاني، وقالوا له : إلى أين تتوجه ؟ هذا السلطان واقف في طلبه ليس له علم بكسرتهم، فعطفوا على الطلب، وتقدمتهم العززية فكسروا سناجق السلطان وصناديقه ونهبوا ماله، ورموه بالنشاب، فأخذه نوفل الزبيدي وجماعة من مماليكه وأصحابه وعادوا به إلى الشام، وأسر المصريون الملك المعظم [توران شاه] ابن السلطان صلاح الدين بعد أن جرحوه وجرحوا ولده تاج الملوك، وأخذوا الملك الأشرف صاحب حصص، والملك الزاهر عمه، والملك الصالح إسماعيل صاحب الوقائع مع الملك الصالح نجم الدين أيوب، وجماعة كثيرة من أعيان الحلبيين، ومات تاج الملوك من جراحته فجعل إلى بيت المقدس ودفن به، وضرب الشريف المرتضى في وجهه بالسيف ضربة هائلة عرّضاً وأرادوا قتله، فقال : أنا رجل شريف وأبن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتركوه، وتمزق عساكر ديمشق كل ممزق، ومشوا في الرمل أياماً .

وأما المصريون فإنهم لما وقعت لهم هذه النصرة عادوا إلى القاهرة بالأسارى، وسناجق الناصر مقلوبة وطبوله مشققة، ومعهم الخيول والأموال والعدد وشقوا القاهرة، فلما وصلت المماليك الصالحية النجمية إلى تربة أستاذهم الملك الصالح نجم الدين أيوب بين القصرين أخذوا الملك الصالح إسماعيل الذي أسروه في الوقعة،

(١) في الأصل : «نوفل البدوي» . وتصحيحه عن المنهل الصافي والسلوك . وهو الأمير ناصر الدين سيد عرب زبيد، كان ذا حرمة ورجاحة ومكانة . توفي سنة ٦٧٥ هـ (عن المنهل الصافي) .

(٢) زيادة عن السلوك . وهو الملك المعظم نجر الدين أبو المفاخر توران شاه ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب . وسيد كره المؤلف في حوادث سنة ٦٥٨ هـ . (٣) هو الملك الأشرف

مظفر الدين موسى بن المنصور إبراهيم بن شيركوه بن محمد بن أسد الدين شيركوه الكبير . وسيد كره المؤلف في حوادث سنة ٦٦٢ هـ .

(٤) في الأصل : « من جراحة كانت به » . وما أشتاء عن عيون التواريخ .

وكان عدو أستاذهم الملك الصالح المذكور، ووقفوا به عند الثربة، وقالوا: يا خوند، أين عينك ترى عدوك أسيراً بأيدينا! ثم سحبه ومضوا به إلى الحبس، فحبسوه هو وأولاده أياماً ثم غيبوه إلى يومنا هذا، ولم يُسمع عنه خبرٌ إلا ما تحدث به العوام بياتلافه .

- وأما عساكر الناصر الذين كانوا بالعباسة (أعنى الذين كسروا الملك المعز أَيْبَكُ أَوَّلًا) فإن المعز لما تم له النصر وهزم الناصر رد إلى المذكورين في عودته إلى القاهرة، ومال عليهم بمن معه قتلاً وأسرًا حتى بدد شملهم، ورحل إلى القاهرة بمن معه من الأسارى وغيرهم . ولما دخل الملك المعز أَيْبَكُ هذا إلى القاهرة ومعه الممالك الصالحة مالوا على المصريين قتلاً ونهباً ونهبوا أموالهم وسبوا حريمهم وفعلوا بهم ما لم يفعله الفرنج بالمسلمين .

- قلت : وسبب ذلك أنه لما بلغهم كثرة المعز فرحوا وتباشروا بزوال الممالك من الديار المصرية ، وأسرعوا أيضاً بالخطبة ^(١) لملك صلاح الدين يوسف صاحب الشام المقدم ذكره . وكان وزير الملك الصالح إسماعيل المقدم ذكره معتقلاً بقلعة الجبل هو وناصر الدين [إسماعيل] ^(٢) بن يغمور نائب الشام وسيف الدين القيمري ^(٣) والخوارزمي صهر الملك الناصر يوسف ، فخرجوا من الحب وعصوا بقلعة الجبل ، فلم يوافقهم سيف الدين القيمري بل جاء وقعد على باب الدار التي فيها أعيان الملك المعز أَيْبَكُ وحماها من النهب ، ولم يدع أحداً يقربها ، وأما الباقون فصاحوا :

(١) في أحد الأصول : « لما ملك الناصر صلاح الدين ... الخ » .
 (٢) هو أمين الدولة السامري أبو الحسن بن غزال المسلماني . سيذكره المؤلف في حوادث هذه السنة .
 (٣) سبق الكلام عليها في الحاشية رقم ١ ص ٥٤ من الجزء السادس من هذه الطبعة .
 (٤) زيادة عن السلوك (ص ٣٧٨) .
 (٥) سبق الكلام عليه في الحاشية رقم ٢ ص ٢٥٠ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

« الملك الناصر يامنصور ! » . فلما جاء الترك فتحوا باب القلعة ودخلوها ، وأخذوا من كان عصى فيها ، وشتقوا وزير الصالح وأبن يَمُور والخوارزمي متقابلين ، وشتقوا أيضا بُجَيْر الدين بن حمدان ، وكان شاباً حسناً ، وكان تَعْدَى على بعض الممالك وأخذ خيله .

وأما الملك الناصر يوسف فإنه سار حتى وصل إلى غَزّة وأقام ينتظر أصحابه ، فوصل إليه منهم مَنْ سَلِمَ من عسكر الشام وعسكر المَوْصِل ومَضَوْا إلى الشام .

وأما العساكر المصرية فإنَّ الملك المِعِزَّ أَيْتَك المذکور لما دخل إلى مصر بعد هذه الواقعة عَظُم أمرُهُ وثبتت قواعِدُ مُلْكِهِ وَرَحِمَتْ قَدَمُهُ . ثم وقع له فصول مع الملك الناصر يوسف المذکور يطول شرحها . محصل ذلك : أنه لما كانت سنة إحدى وخمسين وستمائة وقع الاتفاق بينه وبين الملك الناصر المذکور على أن يكون لِلْعِزِّ وَخُشْدَاشِيَتِهِ الممالك الصالحية البحرية الديار المصرية وَغَزّة والقُدُس ، وما بقى بعد ذلك من البلاد الشامية تكون للناصر صلاح الدين يوسف . وأُفْرِج الملك المِعِزُّ عن الملك المعظَّم توران شاه أبن الملك الناصر صلاح الدين يوسف المذکور وعن أخيه نُصْرَة الدين وعن الملك الأشرف صاحب مَحْص وغيرهم من الاعتقال ، وتوجهوا إلى الشام .

ولما فرغ الملك المِعِزُّ من ذلك أخذ ينظر في أمره مع فارس الدين أقطاي الجمدار فإنه كان أمرُهُ قد زاد في العظمة وألْتَفَت عليه الممالك البحرية ، وصار أقطاي المذکور

(١) خُشْدَاشِيَة : جمع خُشْدَاش وهو عرب اللفظ الفارسي «خوجاناش» أى الرميل في الخدمة .
والخُشْدَاشِيَة — فى اصطلاح عصر المماليك بمصر — : الأمراء الذين نشأوا ممالك عند سيد واحد
فثبتت بينهم رابطة الزمالة القديمة (راجع هامش السلوك رقم ٣ صفحتى ٣٨٨ ، ٣٨٩) .

يركب بالشاويش وغيره من شعار الملك، وحدثته نفسه بالملك، وكان أصحابه يسمونه «الملك الجوّاد» فيما بينهم. كلّ ذلك والمُعزّ سامع مطيع، حتّى خطب أقطاي بنت الملك المظفر تقيّ الدين محمود صاحب حمّاة وكان أخوها الملك المنصور هو يومئذ صاحب حمّاة بعد موت أبيه. وتحدّث أقطاي مع الملك المُعزّ أَيْك أنه يريد يُسْكِنُها في قلعة الجبل لكونها من بنات الملوك، ولا يليق سكناها بالبلد، فاستشعر الملك المُعزّ منه بما عَزَم عليه، وأخذ يدبر أمره وعَمِل على قتله فلم يقدر على ذلك. فكتب الملك المُعزّ السلطان صلاح الدين يوسف واستشاره في الفتن به، فلم يُجِبْه في ذلك بشيء، مع أنه كان يُؤثّر ذلك، لكنّه علم أنه مقتول على كلّ حال، فترك الجواب. ثم سیر فارسُ الدّين أقطاي الجمدار المذكور جماعة لإحضار بنت صاحب حمّاة إليه، فخرجت من حمّاة ووصلت إلى دِمَشقَ بِجَعْلٍ عَظِيمٍ في عِدّة مَحْفَاقٍ مَغْشَاةٍ ١٠ بالأطلس وغيره من فاخر الثياب وعليها الخيل والجواهر، ثم خرجت بمن معها من دِمَشقَ متوجّهة إلى الديار المصرية.

وأما الملك المُعزّ فإنه لما أبطل عليه جوابُ الملك الناصر صلاح الدين في أمر أقطاي وتحقّق أن بنت صاحب حمّاة في الطريق بقي متحيّراً، إن منعه من سُكْنَى القلعة حصلت المبينة الكلية، وإن سكّنه قويّت أسبابه بها ولا يعود يمتكّن من إخراجها، ١٠ ويترتب على ذلك استقلال الأمير فارس الدين أقطاي بالملك فَعَمِل على معالجته؛

(١) في صبح الأعشى في الكلام على هيئة السلطان في أسفاره ج ٤ ص ٤٨ : «وصاحت الجارية بين يديه» والظاهر أنهم الذين يركبون في مقدمة مركب الملك أثناء سفره. (٢) هو الملك المنصور محمد آين الملك المظفر محمود الذي ولد حمّاة بعد موت أبيه سنة ٦٤٢ هـ وعمره حينئذ عشرين (عن تاريخ أبي الفدا إسماعيل في حوادث سنة ٦٤٢ هـ).

(٣) جمع مخفة وهي الحوادج المنطاة بالقماش التي يحمل على ظهور الجمال حيث يجلس فيها المسافرون.

فدخل أقطاي عليه على عادته ، وقد رتب له الملك المِعْزُ جماعةً للفتك به ، منهم :
الأمير سيف الدين قُطْزُ المِعْزِي (أعنى الذى تسلطن بعد ذلك) ، فلما دخل أقطاي
وثبوا عليه وقتلوه فى دار السلطنة بقلعة الجبل فى سنة اثنتين وخمسين وستمائة ؛
فصُوك لقتله جماعةً من خُشْدَاشِيَتِهِ البحرية ، ثم سكن الحال ولم ينتطح فى ذلك
شأنان ! .

ولما وقع ذلك ألفت الملك المِعْزُ إلى خلع الملك الأشرف مظفر الدين مرعى
الأيوبي فخلعه وأزله من قلعة الجبل إلى حيث كان أولاً عند عماته القُطَيَّات ^(١) .
وركب الملك المِعْزُ بالسناجق السلطانية وحملت الأمراء الناشبة بين يديه واستقل
على الملك بمفرده استقلالاً تاماً إلى أن قصدت الممالك العِزِيَّة القُبْضَ عليه فى سنة
ثلاث وخمسين ، فشر بذلك قبل وقوعه قُبْضَ على بعضهم وهرب بعضهم . م ١٠
وقعت الوُحْشة ثانياً بين الملك المِعْزُ هذا وبين الملك الناصر صلاح الدين يوسف ،
فشق الشيخ نجم الدين البَادِرَائِي ^(٢) بينهما حتى قور الصلح بين المِعْزُ وبين الناصر ، على
أن تكون الشام حيلةً للملك الناصر ، وديار مصر للملك المِعْزُ ؛ وحُدِّما بينهما بئر القاضى ^(٣) ،

(١) راجع الحاشية رقم ٦ ص ٥ من هذا الجزء ..

(٢) البادراني : نسبة إلى بادرايا ، قرية من عمل واسط . وهو نجم الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن
الحسن بن عبد الله البغدادى . وسيدكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٥٥ هـ . (٣) لما تكلم صاحب
صبح الأضنى على مراكز البريد فى آخر الجزء الرابع عشر ص ٣٧٨ ذكر بئر القاضى ضمن مراكز البريد الواقعة
فى الطريق بين مصر وغزة . وبعد أن ذكر مركز الورداء قال : « ثم منها إلى بئر القاضى والمضى بينهما بميد
جدا ، يله السالك ومنها إلى العريش » . ومن هذا يفهم أن بئر القاضى كانت أقرب إلى العريش منها إلى
الورداء . وبالبحث عن مكان هذه البئر فى الطريق المذكورة تبين أنها كانت واقعة فى الجهة التى تعرف
اليوم باسم عمرة الزول على بعد عشرة كيلو مترات غربى العريش بالقرب من السكة الحديدية من
الجهة البحرية .

وهو فيما بين ^(١) الوُرَادَةِ والعَرِيش ؛ وأَسْتَمَرَ الحال على ذلك . ثم إنَّ الملك المَعَزَّ تزوج بالملكة شجرة الدرَّ أُم خَلِيل في هذه السنة ودخل بها ، وكان زواجه بها سبباً لقتله على ما تقدّم في ترجمتها ، وعلى ما يأتي في هذه الترجمة أيضا .

- ولما تزوجها وأقام معها مدة أراد أن يتزوج بنت الملك الرحيم صاحب الموصل ، وكانت شجرة الدرَّ شديدة الغيرة ، فعمِلت عليه وقتلته في الحمام ، وأعانها على ذلك جماعة من الخُدام . وقد ذكرنا ذلك كلّ مفصّلاً في ترجمة شجرة الدرَّ فيما مضى . وكان قتل الملك المَعَزَّ في يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من شهر ربيع الأول سنة خمس وخمسين وستمائة . وكان ملكاً شجاعاً كريماً عاقلاً سيّوساً كثير البذل للا موال ، أطلق في مدة سلطته من الأموال والخيول وغير ذلك ما لا يحصى كثرة حتى رضى الناس بسُلطانِ مَسَّه الرِّق . وأما أهل مصر فلم يرضوا بذلك إلى أن مات ، وهم يُسمِعونه ما يكره ، حتى في وجهه إذا ركب ومرت بالطرقات ، ويقولون : لانزبد إلا سلطاناً رئيساً مولوداً على الفِطْرة . على أنَّ الملك المَعَزَّ كان عفيفاً طاهر الدِّين بعيداً عن الظلم والعسف كثير المدارة نُحْشِدَاشِيَّتِهِ والاحتمال لتجنّبتهم عليه وشرّ أخلاقهم ، وكذلك مع الناس . وخلف عِدَّة أولاد منهم الملك المنصور على الذى تسلمن بعده ، وناصر الدين قان .

١٥

- (١) ورد في كتاب أحسن التقاسيم في معجم البلدان : أن الورادة من نواحي الجفاري وسط الرمل في طريق مصر والشام في الجنوب الغربي للعريش وعلى مسيرة يوم منها . وباليبحث تبين أن مكانها يعرف اليوم باسم « المزار » بقرب محطة المزار الواقعة على بعد ١١٠ كيلومتر شرق القنطرة الشرقية في الطريق الحديدي بينها وبين العريش ، بقسم سينا الشمال . و يوجد في الشمال الشرق لمحطة المزار على بعد تسعة كيلومترات آثار مدينة قديمة يقال لها الفلوسيات واسمها الروى « أوستراسين » واقعة في إحدى جزر سبخة البردويل . وفي الشمال الشرق لأطلال هذه المدينة على بعد كيلومترين آثار قلعة الفلوسيات الشهيرة بقلعة الزرائق . وجغرافيو الأفرنج يحفظون بين الفلوسيات والورادة ويقولون لأنها جهة واحدة في حين أن أحدهما بعيدة عن الأخرى .

٢٠

(٢) سبق الكلام عليها في الحاشية رقم ٤ ص ١٥٧ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

قال الشيخ قُطُبُ الدِّينِ الْيُونِنِيُّ^(١) في الذَّيْلِ عَلَى مِرْآةِ الزَّمَانِ : « وَرَأَيْتُ لَهُ وَلَدًا
آخَرَ بِالْدِيَارِ الْمِصْرِيَّةِ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ وَسِتِّمِائَةٍ ، وَهُوَ فِي زِيِّ الْفُقَرَاءِ الْحَرِيرِيَّةِ^(٢) » .
إِتْمَى . وَكَانَ لِلْعِزِّزِ وَمَعْرُوفٍ وَعِمَّائِرٍ ، مِنْ ذَلِكَ : الْمَدْرَسَةُ الْمُعْزِيَّةُ^(٣) عَلَى النَّيْلِ بِمِصْرَ
الْقَدِيمَةِ وَوَقَفَ عَلَيْهَا أَوْقَافًا . وَدِهْلِيزِ الْمَدْرَسَةِ مُتَّسِعٌ طَوِيلٌ مُقَرِّطٌ ، قِيلَ : إِنَّ بَعْضَ
الْأَكْبَرِ دَخَلَ إِلَى هَذِهِ الْمَدْرَسَةِ الْمَذْكُورَةِ فَرَأَاهَا صَغِيرَةً بِالنِّسْبَةِ إِلَى دِهْلِيزِهَا ، فَقَالَ :
هَذِهِ الْمَدْرَسَةُ بِجَازٍ بِلا حَقِيقَةٍ ! إِتْمَى . وَكَانَ مَدْرَسَتَهَا الْقَاضِي بَرَهَانَ الدِّينِ الْخِطْرُ^(٤)
ابْنُ الْحَسَنِ السَّنْجَارِيِّ إِلَى أَنْ مَاتَ . وَكَانَتْ مَدَّةُ سُلْطَانَةِ الْمَلِكِ الْمُعِزِّ عَلَى مِصْرٍ سَبْعَ
سِنِينَ . وَمَاتَ وَقَدْ نَاضَرَ السَّنِينَ سَنَةً — رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى — .

قُلْتُ : وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ الْمَلِكَ الْمُعِزَّ أَيْكَ هَذَا هُوَ أَوَّلُ مَنْ مَلَكَ الدِّيَارَ الْمِصْرِيَّةَ
مِنَ الْأُمَرَاءِ الَّذِينَ مَسَّاهُمُ الرُّقَّ . وَقَدْ ذَكَرْنَا مَبْدَأَ أَمْرِهِ وَمَا وَقَعَ لَهُ مِنَ الْحُرُوبِ ١٠

(١) رَاجِعِ الْحَاشِيَةَ رَقْمَ ١ ص ٣٣٤ مِنَ الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنْ هَذِهِ الطَّبْعَةِ .

(٢) يَرِيدُ بِهِمْ أَتْبَاعَ الشَّيْخِ عَلَى الْحَرِيرِيِّ الَّذِي تَقَدَّمَتْ وَفَاتِهِ سَنَةُ ٦٤٦ هـ .

(٣) وَرَدَ فِي الْجُزْءِ الرَّابِعِ مِنْ كِتَابِ الْإِنْتِصَارِ لِابْنِ دَقِيقٍ أَنَّ هَذِهِ الْمَدْرَسَةَ أُنْشِأَهَا الْمَلِكُ الْمُعِزُّ أَيْكَ
فِي شَهْرِ سَنَةِ ٦٥٤ هـ بِرَحْبَةِ دَارِ الْمَلِكِ الَّتِي تَعْرِفُ بِرَحْبَةِ الْخُزُوبِ لِيَعِمَّ بِهَا وَالتَّتِي كَانَتْ فِي زَمَنِ الْمُقْرِزِيِّ
تَعْرِفُ بِرَحْبَةِ الْخِثَاءِ . وَلَمَّا تَكَلَّمَ الْمُقْرِزِيُّ فِي الْجُزْءِ الْأَوَّلِ مِنْ خُطْبَتِهِ ص ٣٤٥ عَلَى سَاحِلِ النَّيْلِ بِمَدِينَةِ
١٥ مِصْرَ وَوَصَلَ إِلَى مَوْضِعِ الْجَامِعِ الْجَدِيدِ الَّذِي أُنْشِأَهُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ قَالَ : وَقَدْ شَرَعَ خَوَاصُ
السُّلْطَانِ فِي الْعَارَةِ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ مِنْ قِبَالَةِ مَوْضِعِ الْجَامِعِ الْجَدِيدِ إِلَى الْمَدْرَسَةِ الْمُعْزِيَّةِ . ثُمَّ لَمَّا تَكَلَّمَ فِي هَذَا
الْجُزْءِ عَلَى الْمُنْشَأَةِ وَوَصَلَ إِلَى جِسْرِ الْأَقْرَمِ قَالَ : إِنَّ هَذَا الْجِسْرَ فِي طَرَفِ مِصْرَ (مِصْرَ الْقَدِيمَةِ) فَيَا بَيْنَ الْمَدْرَسَةِ
الْمُعْزِيَّةِ وَبَيْنَ رِبَاطِ الْأَنْفَارِ (قُرْبَةِ أَثَرِ النَّيْلِ) . وَكَانَ الْجِسْرُ مَطْلَعًا عَلَى النَّيْلِ دَائِمًا أَيْ أَنَّهُ كَانَ عَلَى حَاقَةِ شَاطِئِ
النَّيْلِ . وَذَكَرَ مُؤَلِّفُ هَذَا الْكِتَابِ بِأَعْلَاهُ أَنَّ صَاحِبَ التَّرْجُمَةِ أُنْشَأَ الْمَدْرَسَةَ الْمُعْزِيَّةَ عَلَى النَّيْلِ بِمِصْرَ . ٢٠

وَأَقُولُ يَتَضَحُّ بِمَا ذَكَرْتُ أَنَّ هَذِهِ الْمَدْرَسَةَ كَانَتْ وَاقِعَةً عَلَى شَاطِئِ النَّيْلِ وَبِالْبَحْثِ تَبَيَّنَ أَنَّ مَكَانَهَا الْيَوْمَ
جَامِعُ عَابِدِي بِكَ الشَّهِيرِ بِجَامِعِ الشَّيْخِ رُوَيْشِ الْمَطْلُ عَلَى النَّيْلِ فِي آخِرِ شَارِعِ مِصْرَ الْقَدِيمَةِ مِنَ الْجِهَةِ الْجَنُوبِيَّةِ .
وَعَرَفَ هَذَا الْجَامِعُ بِاسْمِ أَمِيرِ الْوَلَاءِ عَابِدِي بِكَ لِأَنَّهُ جَدَّدَهُ فِي سَنَةِ ١٠٧١ هـ . ثُمَّ اشْتَبَهَ بِاسْمِ الشَّيْخِ رُوَيْشِ
لِحَاوَرَتِهِ لِفَرِيحِهِ الْكَائِنِ بِجَارَةِ الْخَوْخَةِ بِالْجِهَةِ الشَّرْقِيَّةِ الْقَبْلِيَّةِ مِنَ الْجَامِعِ الْمَذْكُورِ .

(٤) هُوَ بَرَهَانَ الدِّينِ السَّنْجَارِيُّ قَاضِي الْقَضَاةِ أَبُو مُحَمَّدٍ الْخِطْرُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْإِنْشَافِيِّ وَسَيِّدُ كَرِهَ ٢٥

الْمُؤَلِّفُ فِي حَوَادِثِ سَنَةِ ٦٨٦ هـ .

- وغيرها على سبيل الاختصار . ولنذكر هنا أيضًا من عاصره من ملوك الأفطار ليعلم الناظر في هذه الترجمة بأصل جماعة كبيرة من الملوك الآتي ذكرهم في الحوادث، وأيضًا بمجد مملكة الملك المُعزّ يوم ذاك، وحدّ محكمه من البلاد؛ ومع هذا كان له من المالِك والحُثم والعساكر أضعاف ما لملوك زماننا هذا مع اتّساع ممالكهم . انتهى .
- ونذكر أيضًا من أمر النار التي كانت بارض الجحاز في أيام سلطته في سنة أربع وخمسين وستمائة، فنقول :

- استهلت سنة أربع وخمسين المذكورة والخليفة المستمصر بالله أبو أحمد عبد الله العباسي ببغداد ، و سلطان مصر الملك المُعزّ أَيْتَكَ التُّرْكُمَانِي هذا ، و سلطان الشام إلى الفرات الملك الناصر صلاح الدين يوسف الأيوبي ما خلا حماة و حصن والكرك بلادا أخر نذكر ملوكها فيما يأتي — إن شاء الله تعالى — وهم : صاحب حماة الملك المنصور ناصر الدين محمد بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب . وصاحب الكرك والشوبك الملك المُقيث فتح الدين عمر بن الملك العادل أبي بكر بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب . وصاحب صهيون و برزبة و بلاطنس الأمير مظفر الدين عثمان بن الأمير ناصر الدين منكورس . وصاحب تل باشر والرجبة وتدمر الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن إبراهيم بن شيركوه بن محمد بن شيركوه بن شادي . وصاحب الموصل وأعمالها الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ الأتابكي . وصاحب ميافارقين

- (١) كذا ضبطناها فيما سبق قلا عن معجم البلدان لياقوت وقد ضبطها بالعبارة . وضبطها صاحب تقويم البلدان بالعبارة أيضًا : (فتح الصاد المهملة وسكون الهاء وضم المثناة التحتية وسكون الواو وبعدها فون) . وراجع الحاشية رقم ١ ص ٤٠ من الجزء السادس من هذه الطبعة .
- (٢) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٤١ من الجزء السادس من هذه الطبعة .
- (٣) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٤٠ من الجزء السادس من هذه الطبعة .
- (٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٠١ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .
- (٥) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٣٢٨ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

وديار بكر وتلك الأعمال الملك الكامل ناصر الدين محمد ابن الملك المظفر شهاب الدين غازي بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب . وصاحب ماردن الملك السعيد إيلغازي الأرتقي . وصاحب إربل وأعمالها الصاحب تاج الدين بن صلاحيا العلوي من جهة الخليفة، والنائب في حصون الإسماعيلية الثمانية بالشام رضى الدين أبو المعالي . وصاحب المدينة الشريفة - صلوات الله وسلامه على ساكنها - الأمير عز الدين أبو ملك مئيف بن شبيحة بن قاسم الحسيني . وصاحب مكة المشرفة - شرفها الله تعالى - الشريف قتادة الحسيني . وصاحب اليمن الملك المظفر شمس الدين يوسف بن عمر . وأما ملوك الشرق : فسلطان ما وراء النهر وخوارزم السلطان ركن الدين وأخوه عز الدين والبلاد بينهما متناصفة ، وهما في طاعة هولاكو ملك التتار .

وأما أمر النار التي ظهرت بالمجاز قال قاضي المدينة سنان الحسيني : « لما كان ليلة الأربعاء ثالث جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة ، ظهر بالمدينة الشريفة

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٧٩ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

(٢) هو الصاحب تاج الدين أبو المكارم محمد بن نصر بن يحيى بن علي المعروف بابن صلاحيا نائب الخليفة بإربل . توفي سنة ٥٦٥ هـ (عن عيون التواريخ وشذرات الذهب والحوادث الجامعة لابن القوطي)

(٣) سيذكرها المؤلف بتفصيل واف في آخر ترجمة الظاهر بيبرس .

(٤) في الأصل : « شهاب الدين أبو ملك سيف بن شبيحة » . والتصويب عن تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة للإمام زين الدين المرافي (نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٩ تاريخ) . والتعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة للمافظ جمال الدين (نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٦٤ تاريخ) . وعن تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة للقاضي أبي البقا المعروف بأبي الضياء المكي (نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٥٧٠ تاريخ) . والسلوك .

(٥) هو ركن الدين قليج أرسلان بن غياث الدين كيخسرو بن علاء الدين كيقباد .

(٦) هو عز الدين كيكافوس بن غياث الدين كيخسرو بن علاء الدين كيقباد .

(٧) هو شمس الدين سنان بن عبد الوهاب بن نميلة الحسيني قاضي المدينة (عن عقد الجمان والذيل على الروضتين وعيون التواريخ) .

- دوى عظيم ثم زلزلة عظيمة رجفت منها المدينة والحيطان والسقوف ساعة بعد ساعة إلى يوم الجمعة خامس الشهر المذكور ظهرت نار عظيمة ، وقد سالت أودية منها بالنار إلى وادى شظا حيث يسيل الماء ، وقد سدت مسيل شظا وما عاد يسيل .^(٢)
- ثم قال : والله لقد طلعنا جماعة نبصرها فإذا الجبال تسيل نيراناً ، وقد سدت الحرة طريق الحاج العراقي ، وسارت إلى أن وصلت إلى الحرة فوقفت بعد ما أشقنا أن نجيء إلينا ، ورجعت تسير في الشرق ، يخرج من وسطها مهود وجبال نيران تأكل الحجارة ، كما أخبر الله في كتابه العزيز فقال عز من قائل : ﴿ إِنهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ . كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ﴾ . قال : وقد كتبت هذا الكتاب يوم خامس رجب سنة أربع وخمسين والنار في زيادة ما تغيرت ، وقد عادت إلى الحرة وفي قرينة طريق الحاج العراقي .

١٠

وأما أمر النار الكبيرة فهي جبال نيران حمراء ، والأثم الكبيرة النار التي سالت النيران منها من عند قرينة وقد زادت ، وما عاد الناس يدرون أى شيء يتم بعد ذلك ، والله يجعل العاقبة إلى خير ، وما أقدر أصف هذه النار . انتهى كلام القاضى في كتابه .

- وقال غيره بعد ما ساق من أمر النار المذكورة عجائب نحو ما ذكرناه وأعظم إلى أن قال : « وقد سال من هذه النار واد يكون مقداره أربعة فراسخ وعرضه

١٥

(١) في الأصلين : « خفقت منها المدينة » . وما أمثناه عن الذيل على الروضتين وعقد الجمان وعيون التواريخ . (٢) وادى شظا ويقال له وادى الشظاة : واد يأتى من شرق المدينة من أماكن بعيدة عنها إلى أن يصل إلى السد الذى أحدثته نار الحرة التي ظهرت في المدينة (عن تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة ، وعن التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة) .

٢٠

(٣) كذا في عيون التواريخ والذيل على الروضتين وعقد الجمان . وفي الأصلين : « إلى أن وصلت آخره توقفت » . (٤) في الأصلين : « تأكل الحجارة منها » . ورواية عقد الجمان وعيون التواريخ والذيل على الروضتين : « فيها نموذج عما أخبر الله تعالى ... الخ » .

أربعة أميال وعمقه قامة ونصفا، وهي تجري على وجه الأرض، وتخرج منها أمهادُ وجبالٌ صغار تسير على الأرض، وهو صخر يذوب حتى يبقى مثل الآلِك^(١)، فإذا جمد صار أسود، وقبل الجمود لوئه أحمر؛ وقد حصل بسبب هذه النار إقلاعُ عن المعاصي والتقرب إلى الله تعالى بالطاعات؛ وخرج أمير المدينة عن مظالم كثيرة» .

ثم قال قطب الدين في اللّٰهـٰل : « ومن كتاب شمس الدين سنان بن مُيملة الحُسَيْنِي قاضي المدينة إلى بعض أصحابه يصف الزلزلة إلى أن ذكر قصة النار وَحَكَّى منها شيئا إلى أن قال : وأشفقنا منها وخِفْنَا خوفا عظيما ، وطلعتُ إلى الأمير وكنيته وقلتُ : قد أحاط بنا العذاب ، إرجعْ إلى الله ! فاعتقَ كلَّ ممالكه ، وردَّ على جماعة أموالهم ، فلما فعل هذا قلتُ له : اِهْبِطِ الساعة معنا إلى النبيّ - صلى الله عليه وسلم - فهبط ، وبقينا ليلة السبت والناس جميعهم والنسوان وأولادهم ، وما بقي أحدٌ لا في النخيل ولا في المدينة إلّا عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأشفقنا منها وظهر ضوءها إلى أن أبصرت من مكة ، ومن الفلاة جميعها . ثم سال من ذلك نهر من نار وأخذ في وادي أُحليلين وسدَّ الطريق ثم طلع إلى بَحْرَةِ الحاج ، وهو بحرٌ نار يجري وفوقه بحرٌ يسير إلى أن قطعت الوادي : وادي الشَّظَا ، وما عاد يجري سبيلُ قطُّ لأنها حفرته نحو قامتين . والمدينة قد تاب جميع أهلها ولا بقي يُسمع فيها رباب ولا دُفٌّ . ثم ذكر أشياء مهولة من هذا الجنس إلى أن قال : والشمس والقمر من يوم طلعت النار ما يَطْلُمان إلّا كاسيفين ! قال : وأقامت هذه النار أكثر من شهرين » . وفيها يقول بعضهم :

(١) الآلِك : كلمة فارسية معناها الرصاص الأسود . وفي الأصلين : « الأزلِك » وهو تحريف .

(٢) كذا وجد مضبوطا بالقلم في التعريف بما أنبت الهجرة ، من معالم دار الهجرة ، وتحقيق النصره ، بتلخيص معالم دار الهجرة . وفي تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة : « أُحليلين » بالحاء المهملة . وفي الذيل على الروضتين : « أُجلين » بالميم . وفي الأصلين : « أُحلين » بالحاء المهملة .

يا كاشف الضرِّ صَفِّعَا عن جرائِنَا * لقد أحاطت بنا ياربُّ بأساءُ
 نَشْكُو إِلَيْكَ خُطوبًا لَا تُطِيقُ^(١) لها * حَمَلًا ونَحْنُ بها حَقًّا أَحْقَاءُ
 زَلَزَلَا تَحْشَعُ الصَّمُ الصَّلَابُ لها * وكيف يَقْوَى على الزَّلْزَالِ شِمَاءُ
 أقام سبْعًا يَرْجُ الأَرْضُ فأنصَدَعَتْ * عن مَنَظَرٍ مِنْهُ عَيْنُ الشَّمْسِ عَشَوَاءُ^(٢)

والقصيدة طويلة جدًا كلها على هذا المنوال. ولولا خشية الإطالة لذكرنا أمر هذه
 النار وما وقع منها، فأينا أن الشرح يطول، والمقصود هنا بقية ترجمة السلطان
 الملك المِعْزَ أَيْكَ .

ولما مات المِعْزَ رثاه سِرَاجُ الدِّينِ الوَزَاقُ بقصيدة أولها :

نُقِيمُ عَلَيْهِ مَائِمًا بعد مَائِمٍ * وَتَسْقَعُ دَمْعًا دون سَقْعِ المَقْطِمِ
 ولو أَنَا نَبِيكِي على قدر فَقْدِهِ * لَدُمْنَا عليه نُتْبِعَ الدَّمْعَ بالدمِ
 وَسَلَّ طَرَفِي يُنْهِيكَ عَنِّي أَثْنِي * دَعَوْتُ الكَرَى من بعده بالمَحْرَمِ

ومنها في ذكر ولده الملك المنصور على - رحمه الله - :

بَنَى اللهُ بالمنصور ما هَدَمَ الرَّدى * وَإِنْ بِنَاءُ اللهِ غَيْرُ مُهَدَّمٍ
 مَلِكُ الْوَرَى بُشِّرِي لِمُضْمِرِ طَاعَةٍ * وَبُؤْسَى لَطَائِجِ في زَمَانِكَ مُجْرِمِ
 فَمَا لِلَّذِي قَدَّمْتَ مِنْ مَتَانَةٍ * وَلَا لِلَّذِي أَنْعَرْتَ مِنْ مَتَقَدَّمِ

وَأَيْكَ صوابه كما هو مكتوب، وهو لفظ تركي مرَّكَّب من كلمتين. فأى هو القمر،
 وبك أمير، فعنى الأسم باللغة العربية أمير قمر، ولا عبرة بالتقديم والتأخير في اللفظ،
 وَأَيْكَ (بفتح الهمزة وسكون الياء المثناة من تحت وتفخيمهما معا) وبك معروف
 لا حاجة إلى التعريف به . انتهى .

٢٠ (١) في الأصلين : « لا تليق لها » . والتصويب عن الذيل على الروضتين وعيون التواريخ والسلوك
 للقرنيزي (ص ٣٩٩) . (٢) في الأصلين : « عشراء » . وما أثبتناه عن الذيل على الروضتين .
 (٣) هو سراج الدين عمر بن محمد بن حسن الوراق الشاعر المشهور . وسيذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٩٥هـ



السنة التي حكم في محرمها الملك المعظم توران شاه ابن الملك الصالح نجم الدين ، ثم في صفر والربيعين منها الملكة شجرة الدر أم خليل الصالحية ، ثم في باقيها الملك المعز أيتك صاحب الترجمة ، ومعه الملك الأشرف مظفر الدين موسى ، والعمة في ذلك على المعز هذا ، وهي سنة ثمان وأربعين وستائة .

فيها كانت كسرة الفرنج على دمياط وقبض على الفرنسيين كما تقدم . وفيها قتل الملك المعظم توران شاه ، وقد مر أيضا .

وفيها كانت الواقعة بين الملك الناصر صلاح الدين يوسف وبين الملك المعز هذا . وفيها حج طائفة من العراق ، ولم يحج أحد من الشام ولا مصر في هذه السنة . وفيها ثارت الجند ببغداد لقطع أرزاقهم . وكل ذلك كان من عمل الوزير ابن العلقمي الرافضي ، فإنه كان حريصا على زوال دولة بني العباس ونقلها إلى العلويين ، وكان يرسل إلى التتار في السر والخليفة المستعصم لا يطلع على باطن الأمور .

وفيها لما فرغوا من حرب دمياط وتفترق أهلها نقلوا أخشاب بيوتهم وأبوابهم منها وتركوها خاوية على عروشها ، ثم بنيت بعد ذلك بليدة بالقرب منها تسمى المنشية . وكان سور دمياط من أحسن الأسوار .

(١) هو محمد بن محمد بن علي الوزير الكبير مؤيد الدين أبو طالب العلقمي البغدادي الرافضي وزير المستعصم بالله . توفي سنة ٦٥٦ هـ ، كما في شذرات الذهب ، والحوادث الجامعة لابن القوطي ، وقلادة النحر في وفيات أعيان الدهر لأبي محمد محمد الطيب (نسخة مأخوذة بالتصوير الشمسي ثلاثة أجزاء في ستة مجلدات محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٦٧ تاريخ) ، أو في سنة ٦٥٧ هـ كما في المنهل الصافي وفيات الوفيات لابن شاكر . (٢) هي بذاتها مدينة دمياط الحالية حيث أنشأها السكان بجوار دمياط القديمة وانتقلوا إليها وسوها المنشية ، لأنها في عرفهم حديثة بالنسبة إلى دمياط القديمة ، ولكن الجغرافيين احتفلوا باسم دمياط إلى اليوم ، لأن المنشية المسجدة تجاور أطلال المدينة القديمة . ويؤيد ذلك ما ورد في كتاب السلوك القريني (ج ١ ص ٣٧٢) .

وفيهما تُوِّفِتْ أرغوان الحافظية عتيقة الملك العادل أبي بكر بن أيوب، سُمِّيَتْ الحافظية لأنها رَبَّتْ الملك الحافظ صاحب [قلعة] جَعْبَر، وكانت امرأة عاقلةً صالحةً، وكانت مدةً حبس الملك المُعَيْتِ ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب بدمشق تُهَيِّئُ له الأطيعة والأشربة وتبعث له النياب، فحقَّد عليها الملك الصالح إسماعيل فصادرها وأخذ منها أموالاً عظيمةً، يقال: إنه أخذ منها أربعمائة صندوق. ولها تربة ومسجد ووقفت عليهما أوقافاً.

وفيهما قُتِلَ الأمير شمس الدين لؤلؤ بن عبد الله مقدَّم عسكر حلب، وهو الذي قتلته المماليك الصالحية في الواقعة التي كانت بين الناصر والمُعِزَّ صاحب الترجمة. وكان أميراً شجاعاً مقداماً زاهداً مدبراً عظيم الشأن، وكان فيه قوَّة وبأس غير أنه كان مستخفّاً بالمماليك، ويقول: كلُّ عشرة من المماليك في مقابلة كُزِّي، ولا زال يُمَيِّنُ في ذلك حتى كانت منيته بأيدي المماليك الصالحية كما تقدَّم ذكره.

وفيهما تُوِّفِيَ أبو الحسن التُّطْبُبْ وزير الملك الصالح إسماعيل، وهو الذي كان السبب زوال مُلْكٍ مخدومه، فإنه كان سيئ السيرة كثير الظلم قليل الخير، وكان يتستر بالإسلام، وكان يُرْمَى في دينه بعظامه، وقيل: إنه كان أولاً سامرياً فلم يحسن إسلامه، وظهر له بعد موته من الأموال والجواهر والتحف والذخائر ما لا يوجد في خزائن الخلفاء، وأقاموا ينقلونه مدة سنين. وقيمة ما ظهر له غير ما ذهب عند الناس ثلاثة آلاف ألف دينار، ووُجِدَ له عشرة آلاف مجلَّد من الكتب النفيسة والخطوط المنسوبة. قال الشيخ إسماعيل [بن علي] الكُورَانِيّ يومًا وقد زاره الوزير

(١) في الأصلين وزعة الأناص: «أرغون». وما أثبتناه عن تاريخ الإسلام للذهبي وعقد الجمان وشذرات الذهب وعيون التواريخ. (٢) زيادة عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب وعقد الجمان وعيون التواريخ. (٣) راجع ما كتب عنه في الحاشية رقم ١ ص ٣٤٩ من الجزء السادس من هذه الطبعة. (٤) تقدَّمت وفاته سنة ٦٤٤ هـ فبين نقل المؤلف وقاتهم عن الذهبي.

المذكور : لو بَقِيَتْ على دينك كان أصلح لأنك تَمَسَّكَ بيدَي في الجملة ؛ وأما الآن فانت مُدْبَذَب لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ! .

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها تُوُفِّي الإمام أبو محمد إبراهيم بن محمود بن سالم بن الخَيْر في شهر ربيع الآخر، وله خمس وثمانون سنة . والحافظ شمس الدين يوسف بن خليل الدَّمَشْقِي الأَدِمِي بحلب في جُمَادَى الآخِرَةِ ، وله ثلاث وتسعون سنة . والقاضي أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد العزيز بن الحَبَاب التِّيمِمِي السَّعْدِي ، وله سبع وثمانون سنة في شهر رمضان . والمحدث أبو محمد عبد الوهاب ابن رَوَّاح^(٢) ، وأسمه ظافر بن علي بن فتوح القُرَشِي المالكِي ، وله أربع وتسعون سنة . وأبو المنصور مظفر بن عبد الملك بن القُوِي المالكِي . ونائب الملك الناصر الأمير شمس الدين لؤلؤ قُتِل في جماعة في الوقعة الكائنة بين المصريين والشاميين . ١٠

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وأربع أصابع . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وإصبعان .



السنة الثانية من ولاية السلطان الملك المُعِزَّ أَيْبَك الصالحِي النُجُمِي التُّرْكُمَانِي على مصر، وهي سنة تسع وأربعين وستمائة . ١٠

- (١) في الأصلين : « ابن الحر » . والتصويب عن تاريخ الإسلام للذهبي وشذرات الذهب وشرح القصيدة الالامية في التاريخ . (٢) في تاريخ الإسلام للذهبي وشرح القصيدة الالامية في التاريخ : « ابن الحباب » بالجيم . وراجع الحاشية رقم ٣ ص ٢٩٢ من الجزء الخامس من هذه الطبعة . (٣) هو عبد الوهاب بن ظافر بن علي بن إبراهيم وشيد الدين بن رَوَّاح كما في تاريخ الإسلام وشذرات الذهب والسلوك . ٢٠

فها عاد الملك الناصر صلاح الدين يوسف من غَزَّة إلى دِمَشق، وأرسل المُعزَّ عسكرَ مصر فقتل إلى غَزَّة والساحل، ثم عادوا إلى القاهرة .

وفها أيضا أخذ الملك المُفَيْثُ ابن الملك العادل ابن الملك الكامل الكَرْك والشُّوبَك، أعطاه إياهما الخادم . ولما سمع الملك المعزُّ بذلك جهز الأمير فارس الدين أقطاي الجندار في ألف فارس إلى غَزَّة .

وفها نقلوا تابوتَ الملك الصالح نجم الدين أيوب إلى تربته بالقاهرة بين القصرين، ولبس الأمراء ثيابَ العزاء وناحوا عليه بين القصرين، وتصدقت جاريته شجرة النر في ذلك اليوم بمالٍ عظيم .

وفها أخرج الترك دِمَياط^(٣) وحملوا آلاتها إلى مصر وأخرجوا الجزيرة^(٥) (أعنى الروضة) وأخلوها .

وفها كثر الظلم بالديار المصرية وعظم الجور والمصادرات لكل أحد حتى أخذوا مال الأوقاف ومال الأيتام على نية القرض، ومن أرباب الصنائع كالأطباء والشهود^(٦) .

(١) عبارة نزهة الأنام : « فيها عاد الملك الناصر يوسف من غَزَّة إلى دمشق وجاء عسكر مصر فقتل غَزَّة والساحل وناليس وحكموا البلاد على الشريعة وجهز الملك الناصر صلاح الدين عسكره وجاءته نجدة وساروا إلى غَزَّة فعاد الترك إلى مصر راجعين الخ » . وقريب من هذا عبارة امرأة الزمان وعيون التواريخ . (٢) هو بدر الدين الصوابي الصالحى نائب الملك الصالح نجم الدين . راجع حوادث سنة ٦٣٨ هـ من الجزء السادس من هذه الطبعة ، وتاريخ أبي الفدا في حوادث السنة .

(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣١٢ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

(٤) في نزهة الأنام وعيون التواريخ : « ونقلوا أهلها إلى مصر » .

(٥) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٧٢ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

(٦) هذه اللفظة لا يحتملها السياق . ولم نعر على هذا التعبير في المصادر التي تحت أيدينا وعبارة نزهة الأنام : « وفيها أحدث بمصر ظلمات كثيرة على الرعية وذلك بإشارة الأسعد الفاضلى » . ولم يأت فيه بالعبارة الأخيرة منه .

وفيهما توفى الفقيه بهاء الدين علي بن هبة الله بن سلامة بن الجُمَيْزِيّ، كان إماماً فاضلاً عارفاً بمذهب الشافعي ديناً، وكان يخالط الملوك . ولما حج قبل هدية صاحب اليمن فأعرض عنه الملك الصالح نجم الدين أيوب لذلك . وكانت وفاته في ذى الحجة بمصر، ودُفن بالقرافة .

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال : وفيها توفى الإمام عبد الظاهر ابن نَشْوَان السَّعْدِيّ المقرئ النحويّ الضرير في جُمادى الأولى . وأبو نصر عبد العزيز ابن يحيى بن الزبيديّ، وله تسع وثمانون سنة . والإمام أبو المظفر محمد بن مُقْبِل ابن فُتَيْان التَّهْرَوَانِيّ بن المُنَيّ في جُمادى الآخرة . وأبو نصر الأعرج بن فضائل ببغداد في رجب . والأمير الصاحب جمال الدين يحيى بن عيسى المصري ابن مطروح الأديب . وأبو القاسم عيسى بن أبي الحرم مكيّ بن حسين العامريّ المصريّ المقرئ في سؤال . والإمام أبو محمد عبد الخالق بن الأنجب بن المعمر النَشْتَبَرِيّ بمساردين في ذى الحجة . والإمام العلامة بهاء الدين أبو الحسن علي بن هبة الله بن سلامة بن الجُمَيْزِيّ في ذى الحجة، وله تسعون سنة وأُسبوعان . والفقيه عبيد الله بن عاصم خطيب رَنْدَة، وله سبع وثمانون سنة .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وثمانى عشرة إصبعا .

- (١) في تاريخ الإسلام للذهبي وشذرات الذهب وغاية النباية : « ابن نَشْوَان الجُذَامِيّ » .
 (٢) كذا في الأصلين وتاريخ الإسلام وشذرات الذهب . وفي غاية النباية وشرح القصيدة اللامية في التاريخ : « عيسى بن أبي الحرم » بالزاي المعجمة . (٣) في الأصلين : « التستري » وهو تحريف . وتصحيحه عن المشتبه في أسماء الرجال للذهبي وتاريخ الإسلام ومعجم البلدان . والنشترى : نسبة إلى نشترى ، قرية كبيرة ذات نخل وبساتين تخطط بساتينها ببساتين شهبان في طريق خراسان من نواحي بغداد . (٤) في الأصلين : « عبد الله » . والتصويب عن تاريخ الإسلام وشرح القصيدة اللامية في التاريخ . (٥) رَنْدَة : حصن من حصون الأندلس بين إشبيلية ومالقة .



السنة الثالثة من ولاية الملك المعز أيك الترمكي على مصر، وهي سنة خمسين وستمائة .

- (١) فيها وصلت التار إلى الجزيرة ونهبوا ديار بكر وميافارقين ، وجاءوا إلى رأس عين وسروج وغيرها ، وقتلوا زيادة على عشرة آلاف إنسان ، وصادفوا قافلة خرجت من حران تقصد بغداد ، فأخذوا منها أموالاً عظيمة : منها ستمائة حمل سكر مصري وستمائة ألف دينار ، قاله أبو المظفر في مرآة الزمان ، قال : وقتلوا الشيوخ والعجائز وساقوا من النساء والصبيان ما أرادوا ، ثم رجعوا إلى خلاط . وقطع أهل الشرق الفرات وخاض الناس في القتلى من دنيسر إلى الفرات . قال بعض التجار : عددت على يجر بين حران ورأس عين في مكان واحد ثلثمائة وثمانين قتيلاً من المسلمين ، ثم قتل ملك التار كشلوخان .

وفيهما حج بالناس من بغداد بعد أن كان بطل الحج منذ عشر سنين من سنة مات الخليفة المستنصر .

- (٦) وفيها قدم الشيخ نجم الدين البادراني رسولا من الخليفة وأصلح بين المعز أيك صاحب الترجمة وبين الناصر يوسف ، وقد تقدم ذلك ، وكان كل واحد من الطائفتين قد سئم من الحرب ، وسكنت الفتنة بين الملوك وأستراح الناس .

- (١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٨٢ من الجزء الثالث من هذه الطبعة . (٢) راجع الحاشية رقم ٥ ص ١٨٠ من الجزء الثالث من هذه الطبعة . (٣) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١١٣ من الجزء الخامس من هذه الطبعة . (٤) راجع الكلام عليها في الجزء الثالث من هذه الطبعة ص ٢٧٨ ، ٢٢٠ (٥) ديسر : بلدة عظيمة مشهورة من نواحي الجزيرة قرب ماردين بينهما فرسخان (عن معجم البلدان لياقوت) . (٦) في الأصلين هنا : « بدر الدين » . والتصويب عما تقدم ذكره للؤلؤ في ترجمة المعز وزعة الأنام وعيون التواريخ . وراجع الحاشية رقم ٢ ص ١٢ من هذا الجزء . (٧) يلاحظ أن استعمال هذا الفعل لا يناسب المقام هنا وإن كان المراد واضحاً .

وفيهما تُوفِّي العلامة رَضِيَ الدين أبو الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن بن
 حَبْدَر بن علي - القُرَشِي - العَدَوِي - العُمَرِي - الصَّاعِنِي ^(١) الأصل الهِنْدِي - اللَاهُورِي ^(٢) - المولد
 البَغْدَادِي - الوفاة المَحْدَث الفقيه الحنفِي - اللغوي - الإمام صاحب التصانيف ، وُلِدَ بِمِنَةِ
 لَاهُور في عاشر صفر سنة سبع وسبعين وخمسمائة ونشأ بِغَزَنَةِ ، ودخل بغدادَ فسمع
 الكثير في عِدَّة بلادٍ ورَحَلَ . وكان إليه المنتهى في علم العربية واللغة ، وصنَّف
 كتاب «جمع البحرين» في اللغة ، أثنا عشر مجلداً ، وكتاب «المُتَاب الزاهر» في اللغة
 أيضا عشرون مجلداً ، وأشياء غير ذلك . قال الحافظ الدِّمَاطِي ^(٤) : وكان شيخاً صَدُوقاً
 صالحاً صَمُوتاً عن فضول الكلام إماماً في اللغة والفقه والحديث ؛ قرأت طيه يوم
 الأربعاء وتُوفِّي ليلة الجمعة تاسع عشر شعبان ، وحضرتُ دفنه بداره بالحريم
 الطاهري ببغداد . ثم ترجمه الدِّمَاطِي ترجمة طويلة وأثنى على علمه وفضله ودينه .
 وفيها تُوفِّي الشيخ شمس الدين محمد بن سعد ^(٦) [بن عبد الله بن سعد بن مُقْلِح بن
 هبة الله] الكاتب المُقَدِّسِي نشأ بقاسِيُون على الخير والصلاح وقرأ النحو والعربية
 وسمع الحديث الكثير ، وبرَّع في الأدب . وكان ديناً حسن الخط وكتب لللك
 الصالح إسماعيل وللك الناصر داود . ومن شعره :

- ١٥ (١) الصَّاعِنِي : نسبة إلى الصَّاعِنَان (فتح الصاد المهملة والغين المعجمة) وألف ونون ومثناة
 تحية ونون في الآخر) مدينة فيها وراء النهر فتحها قتيبة بن مسلم الباهل في خلافة عمر بن الخطاب .
 (٢) نسبة إلى لاهور وهي حاضرة إقليم بنجاب ببلاد الهند فتحها محمود الغزنوي سنة ١٠١٣م = ٤٠٤هـ
 وكما يقال فيها لاهور كساجور ، يقال أيضا لاهور كجفهر ، ولوهور وفتح اللام وسكون الواو ين و بينهما هاء
 مفتوحة وفي آخرها راء ، كما يقال فيها لاهور ورواوين . (٣) غَزَنَةُ هي مدينة عظيمة وولاية واسعة
 في طرف خراسان وهي الحَدِيث خراسان والهند وهي هكذا ينطق بها العامة والعلماء ينطقونها غزنين ويعربونها
 فيقولون جَزَنَة (عن معجم البلدان لياقوت) . (٤) هو عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن بن شرف
 الدِّمَاطِي أبو أحمد وأبو محمد شرف الدين . (عن تذكرة الحفاظ والدرر الكامنة وشذرات الذهب والمنهل
 الصافي) وسيزكره المؤلف في حوادث ٥٧٠هـ . (٥) الحريم الطاهري : دار محمد بن عبد الله بن
 طاهر في الجانب الغربي من بغداد . وراجع الحاشية رقم ٥ ص ١٢٦ من الجزء الثالث من هذه الطبعة .
 (٦) الزيادة عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب .

لنا بقدوم طلعتك المناء * وللأعداء ويمهمم الفناء
 قدمت فكنت شبه الغيث وافي * بلاداً قد أحل بها الظماء
 قلت : ويعجبنى في هذا المعنى قول القائل ولم أدري لمن هو :

- قدومك أشهى من زلال على ظما * وأحسن من نيل المني في المآرب
 حكي الغيث وافي الأرض من بعد جدبها * وأطلع فيها النبت من كل جانب .
 وفيها توفى الأمير صاحب جمال الدين أبو الحسين يحيى بن عيسى بن إبراهيم
 ابن الحسين بن علي بن حمزة بن إبراهيم بن الحسين بن مطروح . كان أصله من
 صعيد مصر ، وولد به ونشأ هناك ، ثم قدم القاهرة واشتغل وبرع في الأدب والكتابة
 واتصل بخدمة الملك الصالح نجم الدين أيوب . قال أبو المقفّر : كان فاضلاً كيساً
 شاعراً . ومن شعره لما فتح الناصر داود بروج داود بالقدس ، قال :
 المسجد الأقصى له عادة * سارت فصارت مثلاً سائراً^(١)
 إذا غدا للكفر مستوطناً * أف يبعث الله له ناصراً
 فناصر طهره أولاً * وناصر طهره آخراً

- قال : وتوفي في شعبان ودفن بسارية بالقرافة وكانت له أخبار عظيمة ، وكان
 قد دخل بين الخوارجية والصالح أيوب ، وأستتابه أيوب بالشام وليس ثياب الجند
 وما كانت تليق به . ثم غيظ عليه الصالح وأعرض عنه إلى أن مات ، فأقام خاملاً

(١) هو الذي تقدمت وفاته فيمن ذكر الذهبي وفاتهم في السنة الماضية ووافق الذهبي في ذلك
 ابن خلكان ومقد الجمان وغيون التواريخ وشدرات الذهب ونزهة الأنام .
 (٢) في الأصلين : « ابن الحسن » . والتصويب عن المصادر عينا .
 (٣) في شدرات الذهب وابن خلكان وتاريخ الإسلام : « وكانت ولادته بأسير » .
 (٤) في الأصلين : « وصارت » . وما أثبتناه عن ديوانه ومرآة الزمان .
 (٥) في ابن خلكان والمهل الصافي : « ودفن بسفح جبل المقطم » .

إلى أن مات . وقد كان جَوَادًا ذا مُروءة متعصبًا سمحًا حلِيمًا حسن الظنِّ بالفقراء
 عارفاً فاضلاً . انتهى كلام أبي المظفر . قلت : وديوان شعره مشهور . ومن شعره
 القصيدة المشهورة :

هي رامةٌ نُحْسِدُوا يمينَ الوادِي * وَذَرُوا السيوفَ تَقَرُّ في الأَغْصَادِ
 وَحَذَارٍ من لَحَظَاتِ أعْيِنَ عَيْنِهَا * فَلَمْ صَرَعَنَّ بها من الاسَادِ
 مَنْ كَانَ مِنْكُمْ واثِقًا بِفَوَادِهِ * فَهَنَّاكَ مَا أَنَا واثِقٌ بِفَوَادِي
 يَا صَاحِبِي وَلِي يَجْرُطَاهُ الْجَمَى * قَلْبٌ أَسِيرٌ مَالَهُ مِنْ فَادِي
 سَلَبْتُهُ مِنِّي يَوْمَ بَانُوا مُقْلَةً * مَكْحُولَةٌ أَجْفَانُهَا بِسَوَادِ
 وَبِحَيٍّ مِنْ أَنَا فِي هَوَاهُ مَيِّتٌ * عَيْنٌ عَلَى الْعُشَّاقِ بِالْمِرْصَادِ
 وَأَعْنٍ مِسْكِي اللَّيْلَى مَعْسُولَهُ * لَوْلَا الرَقِيبُ بَلَفْتُ مِنْهُ مِرَادِي
 كَيْفَ السَّيْلُ إِلَى وَصَالِ حَجَبٍ * مَا بَيْنَ بَيْضِ ظُلْبٍ وَشُمْرِ صَعَادِ
 فِي بَيْتِ شَعْرٍ أَزَلِي مِنْ شَعْرِهِ * فَالْحَسَنُ مِنْهُ مَا كَفُّ فِي بَادِي
 حَرَسُوا مُهَفِّهً قَدْهُ بِمُتَّقِفٍ * قَتَشَابَهُ الْمَيَّاسُ بِالْمَيَّادِ
 قَالَتْ لَنَا أَلِفُ الْعَذَارِ بِخَدِّهِ * فِي مِمِّ مَهْسِمِهِ شَفَاءُ الْعَصَادِي

وهي أطول من ذلك اختصرتها خوف الإطالة . ويعجني قصيدة الجزار
 في مدح ابن مطروح هذا . أذكر غزلها :

هو ذا الرَّجُلُ وَلِي نَفْسٍ مَشُوقَةٍ * فَاحْبِسِ الرِّكْبَ حَتَّى أَقْضِيَ حَقُوقَهُ
 فَقَبِيحٌ بَنَى فِي شَرْعِ الْمَسْوَى * بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّأَنْ أَرْضَى عَقُوقَهُ

(١) في الأصلين : « حسن النظر » . والتصحيح عن مرآة الزمان .

(٢) رواية ديوانه : * وعلى من أنا في هواه ميت * .

(٣) هو جمال الدين أبو الحسين يحيى بن عبد العظيم بن يحيى بن محمد بن علي المعروف بالجزار .

وسيدكره المؤلف في حوادث سنة ٦٧٩ هـ . (٤) في الأصلين : « حتى أقضي ... الخ » .

وما أثبتناه عن ابن خلكان . (٥) في الأصلين : « أن أقضي » . وما أثبتناه عن ابن خلكان .

لَسْتُ أَتَى فِيهِ لَيْلَاتٍ مَضَتْ * مَعَ مَنْ أَهْوَى وَسَاعَاتٍ أُنِيقَ
 وَلَنْ أَهْجَى جَمَازًا بَعْدَهُم * فَضَرَامِي فِيهِ مَا زَالَ حَقِيقَةً
 يَا صَدِيقِي وَالكَرِيمُ الْحُرْفِي * مِثْلَ هَذَا الْوَقْتُ لَا يَنْتَسِي صَدِيقَةً
 ضَعْ يَدَا مَنْكَ عَلَى قَلْبِي عَسَى * أَنْ تَهْدِيَ بَيْنَ جَنَّتِي خُفُوقَةً
 فَاضْ دَمْعِي مُذْ رَأَى رَجْعَ الْهَوَى * وَلَكَمْ فَاضَ وَقَدْ شَامَ بُرُوقَةً
 نَفِدَ اللُّؤْلُؤُ مِنْ أَدْمَعِهِ * فَغَدَا يَنْثُرُ فِي التُّرْبِ عَقِيقَةً
 قَفْ [مَعِي] ^(١) وَأَسْتَوْقِفُ الرِّكَبَ فَإِنْ * لَمْ يَقِفْ فَأَتْرُكُهُ يَمْضِي وَطَرِيقَةً ^(٢)
 فَهِيَ أَرْضٌ قَلْبًا يَلْحَقُهَا * آمِلٌ وَالرَّكْبُ لَمْ أَهْدَمْ لِحُوقَةً
 طَالَمَا أَسْتَجَلَيْتُ فِي أَرْجَائِهَا * مِنْ يَتَيْهِ الْبَدْرُ إِذْ يُدْعَى شَقِيقَةً
 يَفْضَحُ الْوَرْدَ أَحْمَرَارًا خَدُّهُ * وَتَوَدُّ الْخَمْرُ لَوْ تُشْبِهُ رِيقَهُ
 فِيهِ الْحَسَنُ خَلِيقٌ لَمْ يَزَلْ * وَالْمَعَالَى بَابُنْ مَطْرُوحٍ خَلِيقُهُ
 وَلَهُ بَيْتَانِ ضَمْنُهُمَا بَيْتَ الْمُتَنَبِّئِ الَّذِي هُوَ أَوَّلُ قَصِيدَتِهِ، وَهُوَ :
 تَذَكَّرْتُ مَا بَيْنَ الْعَذِيبِ وَبَارِقِ * جَحْرٌ عَوَالِينَا وَجَحْرَى السَّوَابِقِ
 فَقَالَ ابْنُ مَطْرُوحٍ مُضْمَنًا :

إِذَا مَا سَقَانِي رِيقَهُ وَهُوَ بِاسْمٍ * تَذَكَّرْتُ مَا بَيْنَ الْعَذِيبِ وَبَارِقِ
 وَيُذَكِّرُنِي مِنْ قَدِّهِ وَمَدَامِي * جَحْرٌ عَوَالِينَا وَجَحْرَى السَّوَابِقِ

الَّذِينَ ذَكَرَ الذَّهَبِيُّ وَفَاتَهُمْ فِي هَذِهِ السَّنَةِ، قَالَ : وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو الْبَرَكَاتِ، هَبَةُ اللَّهِ
 ابْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ [الْمَعْرُوفُ بِأَبْنِ الْوَاعِظِ الْمُقَدِّسِيِّ ثُمَّ الْإِسْكَنْدَرَانِيِّ] عَنْ إِحْدَى

(١) النِّكَالَةُ عَنْ ابْنِ خُلَكَانَ . (٢) فِي الْأَصْلَيْنِ : « يَمْضِي فِي طَرِيقِهِ » . وَمَا أَتَيْنَاهُ عَنْ

ابْنِ خُلَكَانَ . (٣) زِيَادَةٌ عَنْ تَارِيخِ الْإِسْلَامِ .

وثمانين سنة . وأبو القاسم يحيى بن أبي السعود [نصر] ^(١) بن مُتَيْة التاجرفي جمادى الأولى ،
وله خمس وثمانون سنة . والعلامة أبو الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن العدوي
المعمرى الصّفانيّ النحوى اللغوى . والأديب شمس الدين محمد بن سعد بن عبداقه
المقدسى الكاتب في شوال . والمسند رشيد الدين أحمد بن المفرج بن عليّ ^(٢) [بن
عبد العزيز] بن مسّامة العَدْل في ذى القعدة .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وسبع أصابع . مبلغ الزيادة
ثمانى عشرة ذراعا وسبع عشرة إصبعا .



السنة الرابعة من ولاية الملك المعزّ أَيْتِكَ الصالحى النجّوى التُّركمانى على

مصر ، وهى سنة إحدى وخمسين وستمائة .

فيها كانت الوقعة الجمعة .

وفىها عظم بمصر أمرُ الأمير فارس الدين أقطاي الجندار ورُفِّعَ للسلطنة ، وكان
من حزبه من خُشْدَاشِيَّتِهِ يَبْرَسُ البُنْدُقْدَارِيّ ، وبلبان الرشيديّ ، وسُنْقَرُ الرُّومى ،
وسُنْقَرُ الْأَشْقَرِ ^(٥) . وصار الملك المعزّ في خوف . وقد تقدّم ذكر هذه الحكاية
في ترجمة المعزّ .

وفىها كان الفلاء بمكة المشرفة ، وأبيع فيها الشربةُ الماء بدرهم ، والشاة

. بأربعين درهما .

- (١) الزيادة عن شذرات الذهب والسلوك . (٢) كذا في شذرات الذهب والوافى
بالوفيات للصفدى وتاريخ الإسلام للذهبي والقصيدة اللامية في التاريخ والسلوك . وقد ضبط في الوافى
بالقلم (بضم القاف وفتح الميم) . وفي الأصلين : « ابن نهيرة » . وهو خطأ .
(٣) في الأصلين : « ابن الفرج » . وما أثبتناه عن شذرات الذهب وتاريخ الإسلام للذهبي .
(٤) التكملة عن تاريخ الإسلام للذهبي . (٥) في الأصلين : « وسنقر الأصر » .
وما أثبتناه عن المهمل الصافي وما تقدّم ذكره للولف في ترجمة المعزّ أيتك .

وفيهما توفى الشيخ الإمام سعد الدين محمد بن المؤيد^(١) [بن عبد الله بن علي] بن حمويه ابن عم شيخ الشيوخ صدر الدين^(٢) . مات بخراسان ، وكان زاهدا عابدا دينيا متكلما في الحقيقة ، وله مجاهدات ورياضات ، وقدم الشام^(٣) وحج وسكن يدمشق ، ثم عاد إلى الشرق بعد أن آتفر بالشام ، واجتمع بملك التتار فأحسن به الظن وأعطاه مالا كثيرا ، وأسلم على يده خلق كثير من التتار ، وبني هناك خانقاه وتربة إلى جانبها ، وأقام يتعبد ، وكان له قبول عظيم هناك — رحمه الله تعالى — .

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها توفى أبو البقاء صالح بن شجاع بن محمد بن سيدهم المديني الخياط في الحرم . وسبط السلفي^(٤) أبو القاسم عبدالرحمن بن أبي الحرم مكي بن عبدالرحمن الطرابلسي الإسكندراني في سؤال عن إحدى وثمانين سنة . وأبو محمد عبد القادر بن حسين [بن محمد بن جميل] البندنجي^(٥) . البواب آخر من روى عن عبد الحق اليوسفي^(٦) .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم نحس أذرخ وتماني أصابع . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وسبع عشرة إصبعا .



السنة الخامسة من ولاية الملك المعز أتيك الصالح النجفي الترمكاني على مصر ، وهي سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة .

- (١) التكملة عن المهمل الصافي وشذرات الذهب ، وذكر فيها أن وفاته كانت سنة ٦٥٠ هـ .
 (٢) هو صدر الدين محمد بن عمر بن علي بن محمد بن حمويه الجويني . تقدمت وفاته سنة ٦١٧ هـ .
 (٣) في عقد الجمان ونزعة الأنام « وقدم مصر ... الخ » .
 (٤) هو أحمد بن محمد بن أحمد الحافظ أبو طاهر . تقدمت وفاته سنة ٥٧٦ هـ .
 (٥) الزيادة عن نزعة الأنام . (٦) هو أبو الحسين عبد الحق بن عبد الخالق اليوسفي وقد ذكر المؤلف وفاته في حوادث سنة ٥٧٥ هـ فيمن نقل وفاتهم عن الذهبي .

فيها وصلت الأخبار من مكة بأن نارا ظهرت في أرض عدن في بعض جبالها،
بحيث يطير شررها إلى البحر في الليل، ويصعد منها دخان عظيم في النهار، فما شكوا
أنها النار التي ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أنها تظهر في آخر الزمان. فتاب الناس
وأقلعوا عما كانوا عليه من المظالم والفساد، وشرعوا في أعمال الخير والصدقات.

قلت: وقد تقدم ذكر هذه النار بأوسع من هذا في ترجمة الملك المعز هذا.

وفيها وصلت الأخبار من الغرب باستيلاء إنسان على إفريقية وأدعى أنه خليفة،
وتلقب بالمستنصر^(٢)، وحُطِب له في تلك النواحي، وأظهر العدل وبني بُرجا وأجلس
الوزير والقاضي والمحاسب بين يديه يحكمون بين الناس، وأحبته الرعية وتم أمره.

وفيها توفى الإمام عبد الحميد بن عيسى الخسروشاى^(٣). كان إماما فاضلا في فنون،
ومحب الفخر الرازي^(٤) ابن خطيب الرى، وأقام عند الملك الناصر داود سنين كثيرة
بدمشق والكرّك، وكان متواضعا كبير القدر كثير الإحسان. مات بدمشق ودفن
بقايسون في تربة المعظم عيسى.

(١) عدن: أهم ميناء في جنوب بلاد العرب، تبعد عن باب المندب زهاء مائة ميل ونحمة. وهي
قلعة حصينة تشبه جبل طارق في الغرب، دخلت في حوزة الانجليز سنة ١٨٣٩م واستمكت مستودعا للقمم
لتكوين البواخر الانجليزية. وقد تضاعفت أهميتها بعد فتح قناة السويس ومرور البواخر بالبحر الأحمر،
وهي فوق ذلك مرفأ تجارى لحاصلات بلاد العرب الصمغ والبن وغيرها [القاموس الجغرافى طبع لـ لندن
سنة ١٩٠٥م]. (٢) يلاحظ أن النار التي تقدم ذكرها للؤلؤ في ترجمة المعز أيك هي النار التي
ظهرت بالمدينة سنة ٦٥٤هـ وليست بالنار التي ظهرت بعدن. (٣) هو المستنصر بالله أمير المؤمنين
محمد بن أبي زكريا يحيى الحفصى صاحب تونس تولى بعد وفاة أبيه سنة ٦٤٧هـ ودخل في بيته شرق
الأندلس، واستفزه للجهاد ضد الفرنج، ثم بايع له شريف مكة بالخلافة سنة ٦٥٢هـ وخطب له بمكة.

وفي أيامه تحولت الحملة الصليبية من الشرق إلى الغرب، فكانت الحملة التاسعة والأخيرة بينه وبين
لويس التاسع ملك فرنسا سنة ٦٦٨هـ وأنهت بموت لويس التاسع المعروف عند العرب بالقرنيس وقد توفى
المستنصر هذا سنة ٦٧٥هـ [راجع ترجمته في تاريخ ابن خلدون من ص ٤١٠ - ٤٤٦ الجزء الأول
طبع الجزائر سنة ١٢٦٣م ١٨٤٧م بعناية المستشرق البارون رسلان]. (٤) الخسروشاى:
نسبة إلى خسروشا، قرية من قرى تبريز، بينهما سنة فرائخ. (عن طبقات الشافعية ومعجم البلدان لياقوت).

وفيهما توفى الشيخ الإمام العلامة مجد الدين أبو البركات عبد السلام بن عبد الله^(١)
[ابن أبي القاسم الخضر بن محمد بن علي^(٢)] بن تيمية الحراني الحنبلي - جد الشيخ تقي الدين^(٣)
ابن تيمية . ولد في حدود سنة تسعين وخمسمائة وتفقه في صغره على عمه الخطيب^(٤)
نقر الدين؛ وسمع الكثير ورحل البلاد وبرع في الحديث والفقه وغيره ، ودرس
وأفتى وأنتفع به الطلبة، ومات يوم الفطر بمحزان .

- (٥)
الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها توفي سيد [الدين]
أبو محمد مكي [بن أبي الفنائم] بن المسلم [بن مكي^(٦)] بن علان القهسي في صفر ،
وله تسع وثمانون سنة . والرشد إسماعيل بن أحمد بن الحسين العراقي الحنبلي
عن نيف وثمانين سنة في جمادى الأولى . والمفقى كمال الدين أبو سالم محمد بن
طلحة النصيبي بحلب عن سبعين سنة . وأبو البقاء محمد بن علي بن بقاء [بن]
السباك . والعلامة مجد الدين أبو البركات عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم^(٧)
ابن تيمية بمحزان يوم الفطر عن اثنتين وستين سنة . وأبو القيث فرج [بن عبد الله]
الحبشي تقي أبي جعفر القرطبي في شوال . والإمام شمس الدين عبد الحميد بن عيسى
الخسروشاہي بدمشق . وأبو العزائم عيسى بن سلامة بن سالم الخياط بمحزان^(٨)
في أواخر السنة، وله مائة وستة . والفارس أقطاي مقدم البحرية، قتله المعز بمصر .

- (١) زيادة عن شذرات الذهب وغاية النهاية والمنهل الصافي . (٢) هو تقي الدين أبو العباس
أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن تيمية . سيذكر المؤلف في حوادث سنة ٧٢٨ هـ .
(٣) في الأصلين : « في حدود سبعين وخمسمائة » . والتصويب عن غاية النهاية وشذرات الذهب والمنهل
الصافي وما فهم من عبارة السلوك . (٤) في الأصلين هنا : « عز الدين » . والتصويب عن مختصر
طبقات الخناطة وشذرات الذهب والمنهل الصافي ، وهو نقر الدين بن تيمية أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الخضر
ابن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله . ذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٢٢ هـ . (٥) التكلة عن
عيون التواريخ . (٦) تكلة عن شذرات الذهب . (٧) الزيادة عن عقد الجمان وشذرات
الذهب وابن كثير والذيل على الروتين . (٨) هو أبو جعفر أحمد بن علي القرطبي المقرئ إمام
الكلاسة . ذكره المؤلف في حوادث سنة ٥٩٦ هـ . (٩) في أحد الأصلين : « في أول السنة » .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع ويست أصابع . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وأثنا عشرة إصبعا .



السنة السادسة من ولاية الملك المعز أيّك الصالحى - النجى - التركمانى -

على مصر، وهى سنة ثلاث وخمسين وستائة .

فيها عزمت الممالك العززية على القبض على الملك المعز وكتبوا الملك الناصر فلم يوافقهم أيّدقديّ العززيّ، واستشعر الملك المعز منهم بذلك وعلم الخبر، وعلموا هم أيضا فهربوا على حجة، وكبيرهم آقوش البرلى، ولم يهرب أيّدقديّ وأقام بجيحه، فجاء الملك المعز راكبا إلى قرب خيمته فخرج إليه أيّدقديّ فأمر المعز بمجمله، وقبض أيضا على الأمير الأتابكى ونهبت خيام العززية وكانوا بالعباسة، والأعيان الذين هربوا : هم بلبان الرشيدى، وعز الدين أزدهر، وبيبرس البندقدارى، وسنقر الأشقر، وسيف الدين قلاوون الألفى، وبدر الدين بيسرى، وسنقر الرومى، ولبان المستنصرى .

وفيها عاد الملك الناصر داود من الأنبار إلى دمشق بعد أن حبسه الملك الناصر صلاح الدين يوسف بقلعة حصن ثلاث سنين وبعث به إلى بغداد، ثم عاد إلى دمشق وأقام بها، ثم عاد في سنة ثلاث وخمسين إلى العراق، ورجع وأقام بالجليلة^(٢)، وكان قد جرى بين الحج العراقى وأصحاب أمير مكنة فتنة، فأصلح بينهم .

الذين ذكر الذهبى وفاتهم في هذه السنة، قال : وفيها توفى المفتى ضياء الدين صفّر بن يحيى بن سالم الحلبيّ في صفّر عن نيف وتسعين سنة . والمحدث

(١) في حيون التواريخ : « بلبان المسترب » . وفي نزهة الأنام والسلوك : « بلبان المسعودى » .

(٢) المراد بها حلة بن مزيد؛ راجع الحاشية رقم ٢ ص ١١٤ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

شهاب الدين أبو العرب إسماعيل بن حامد الأنصارى القوصى في شهر ربيع الأول عن ثمانين سنة . والنور محمد بن أبي بكر بن أحمد بن خلف البلخي ثم الدمشقي في شهر ربيع الآخر، وقد رأى السلفي .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وأثنا عشرة إصبعا .
مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا سواء .



السنة السابعة من ولاية الملك المعز أيك الصالحى النجيمى التركمانى
على مصر، وهى سنة أربع وخمسين وستمائة ،

فيها فتح الملك الناصر صلاح الدين يوسف مدرسته التى أنشأها بدمشق
بباب القرايس .

وفيها غرقت بنداد القرق العظيم الذى لم يُعهد مثله بحيث أنتقل الخليفة،
ودخل الماء إلى دار الوزير وغرقت خزائن الخليفة ، وجرى شيء لم يجر مثله ،
وكان ذلك في شهر ربيع الآخر وجمادى الأولى .

وفيها توفى الشيخ الزاهد العابد الورع المجاهد عماد الدين عبد الله [بن أبي المعجد
الحسن بن الحسين بن على الأنصارى] [ابن النحاس ، خدّم في مبادئ أمره الملوكة ،
1٥ وولى الوزارة لبعضهم ، ثم أقطع في آخر عمره بقايسون بزاويته ، فأقام بها ثلاثين
سنة صائما قائما مشغولا بالله تعالى ويقضى حوائج الناس بنفسه وماله ، ودُفن
بقايسون ، وكان له مشهد هائل .

(١) النكبة من شذرات الذهب وبيون التواريخ .

وفيها كان ظهور النار العظيمة بالمدينة الشريفة وهي غير التي ذكرناها في السنة الماضية ^(١) ، وهذه النار التي تقدم ذكرها في ترجمة الملك المعز هذا .

وفيها احترق مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان ، وهذا غير النار التي ظهرت بنواحي المدينة ، فإن هذا الحريق له سبب ^(٢) ، ابتداء من زاوية الحرم النبوي ^(٣) [الغربية من الشمال] ، فعلقت في آلات الحرم ثم دبت في السقوف ، فما كان إلا ساعة حتى احترقت سقوف المسجد أجمع ، ووقع بعض أساطينه ، وكان ذلك قبل أن ينام الناس ، واحترق أيضا سقف الحجرة ، وأصبح الناس في يوم الجمعة فزلوا موضعاً للصلاة . ونظم في حريق المسجد غير واحد من الشعراء ، فقال معين الدين بن تولو المغربي :

١٠ قل للروافض بالمدينة مآلکم * يقتادکم للدم كل سفیه
ما أصبح الحرم الشريف محرقا * إلا لسبکم الصحابة فيه

وقال غيره :

لم يحترق حرم النبي لحادث * يُحشَى عليه ولا دهاه العارُ
لكنها أيدي الروافض لامست * ذاك الجنب فطهرته النارُ

١٥ قال : وعد ما وقع من تلك النار الخارجة وحريق المسجد من جملة الآيات . وقال أبو شامة : في ليلة السادس عشر من جمادى الآخرة خسف القمر أول الليل ، وكان شديد الحمرة ثم انجلى ، وكسفت الشمس في غده ، إحترت وقت طلوعها

(١) يشير إلى ما ورد عن هذه النار في سنة ٦٥٢ هـ وراجع أمر هذه النار من ص ١٦ — ١٩ من هذا الجزء . (٢) في شذرات الذهب أن احتراق المسجد النبوي كان ليلة الجمعة أول ليلة من

٢٠ رمضان بعد صلاة التراويح على يد الفراش أبي بكر المراغي بسقوط ذبالة من يده .

(٣) زيادة عن عيون التواريخ وعقد الجمان والتدليل على الروضتين .

و [قريب^(١)] غروبها، وأتضح بذلك ما صوره الإمام الشافعي^٢ من اجتماع الخسوف والكسوف، وأستبعده أهل النجامة .

وفيهما تواترت الأخبار بوصول هولاكو إلى أذربيجان قاصداً بلاد الشام ، فتصالح العسكر المصري والشامي على قتاله ونهباً كل منهم للقاء التتار .

- وفيها توفي الأمير مجاهد الدين إبراهيم بن أونها [بن عبدالله] الصوابي نائب دمشق^(٢) ، ولها بعد حسام الدين بن أبي علي ، وكان في أول أمره أميراً جندار الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وكان أميراً كبيراً عاقلاً فاضلاً شاعراً . ومن شعره — رحمه الله تعالى — :

أشبهك النصف في خصال * القلْد واللين والثنى
لكن [تَجَنَّبِكَ^(٤)] ما حكاه * النصف يُجَنَّبِي وَأنتَ تَجَنَّبِي

- وفيها توفي الإمام العلامة عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر بن عبد الله بن محمد بن جعفر بن الحسن زكي الدين أبو محمد البغدادى ثم المصري المعروف بأبن أبي الإصبع . كان أحد الشعراء المحيدين ، وهو صاحب التصانيف المفيدة في الأدب وغيره . ومولده في سنة خمس وقليل سنة تسع وثمانين وخمسمائة بمصر وتوفي بها . ومن شعره في نوع « التصدير » وسماء الأوائل « ردَّ العجز على الصدر » على خلاف وقع في ذلك :

إصبر على خُلِقٍ مَن تصاحبه^(٥) * وأصحَّ صبوراً على أذى خُلُقِكَ

- (١) التكلة من الذيل على الروضتين . (٢) في الأصلين : « مجاهد بن إبراهيم » . والنصحح والزيادة عن عيون التواريخ وشذرات الذهب والمثل الصافي . (٣) أمير جندار ، هو لقب الذي يستأذن السلطان للأمراء وغيرهم في أيام المراكب عند الجلوس بدار العدل . وهو مركب من ثلاثة ألفاظ : أمير ، وجان ومعناه الروح ودار ومعناه عسك فيكون المعنى : الأمير الممسك بالروح قال صاحب صبح الأعشى : ولم يظهر لي وجه ذلك إلا أن يكون المراد أنه الحافظ لعدم السلطان فلا يأذن فيه إلا لمن يأمن عاقبه . (صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٦١) . (٤) التكلة عن شذرات الذهب وعيون التواريخ والمثل الصافي . (٥) في كتابه تحرير التحير (نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٦٥ بلافة) : « من تعاشره » .

وذكر أيضا في نوع « المدح في معرض الذم » أبياتا يعارض بها القاضى
السعيد ابن سناء الملك في قواد . فقال هو فيمن أدعى الفقه والكرم :
إِنِّ فَلَائِذَا أَكْرَمُ النَّاسِ لَا * يَمْنَعُ ذَا الْحَاجَةِ مِنْ قَلْبِهِ^(١)
وهو فقيه ذو اجتهاد وقد * نصَّ على التقليد في درسه
فِيُحَسِّنُ الْبَحْثَ عَلَى وَجْهِهِ * وَيُوجِبُ الدَّخْلَ عَلَى نَفْسِهِ
وأما قول ابن سناء الملك في قواد :

لِي صَاحِبٌ أَفْدِيهِ مِنْ صَاحِبٍ * حُلُوُ التَّائِي حَسَنُ الْإِحْتِيَالِ
لَوْ شَاءَ مِنْ رِقَّةٍ أَلْفَاطِهِ * أَلْفٌ [مَا] بَيْنَ الْهُدَى وَالضَّلَالِ
يَكْفِيكَ مِنْهُ أَنَّهُ رَبِّمَا * قَادَ إِلَى الْمَهْجُورِ طَيْفَ الْخِيَالِ
قلت : وَيُجِبُنِي قَوْلُ مَنْ قَالَ فِي هَذَا الْمَعْنَى — أَعْنَى فِي قَوَاد — :
إِذَا كَانَ الَّذِي تَهَوَّاهُ غُصْنًا * وَأَقْسَمَ لَا يَرِقُّ لِمَنْ يَسِيمُ^(٢)
فَدُونَكَ وَالنَّسِيمَ لَهُ رَسُولًا * فَإِنَّ النَّصْنَ يَعْطِفُهُ النَّسِيمُ
وأحسن من هذا قول من قال :

لِي صَاحِبٌ مَا زِلْتُ أَشْكُرُ فَعْلَهُ * قَدْ عَمَّنِي بِلَطَائِفِ الْإِحْسَانِ
لَوْ لَمْ يَكُنْ مِثْلَ النَّسِيمِ لَطَافَةً * مَا كَانَ يَعْطِفُ لِي غُصْنُ الْبَانِ

(١) رويت هذه الأبيات في كتاب الديدع في صناعة الشعر المعروف بمررير الحبير هكذا :

إِنِّ فَلَائِذَا لِكَرِيمِ غَدَا * لَا يَمْنَعُ السَّائِلَ مِنْ نَفْسِهِ
وهو فقيه ذو اجتهاد فقد * نصَّ على التقليد في درسه
يَسْتَحْسِنُ الْبَحْثَ عَلَى وَجْهِهِ * وَيُوجِبُ الشَّغْلَ عَلَى قَلْبِهِ

(٢) تكملة عن ديوانه (نسخة مأخوذة بالتصوير الشمسي محفوظة بدار الكتب المصرية تحت
رقم ٤٩٣١ أدب) . (٣) في الأصلين :

إِذَا كَانَ مِنْ تَهَوَّاهُ غُصْنًا * وَأَقْسَمَ لَا يَرِقُّ لِمَنْ يَسِيمُ
فَدُونَكَ وَالنَّسِيمَ لَهُ رَسُول * فَإِنَّ النَّصْنَ يَعْطِفُهُ النَّسِيمُ

- وفيهما توفى الشيخ الإمام الفقيه الواعظ المؤرخ العلامة شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزأوغل بن عبد الله البغدادي ثم الدمشقي الحنفي سبط الحافظ أبي الفرج ابن الجوزي . كان والده حسام الدين قزأوغل من ممالك الوزير عون الدين يحيى ابن هبيرة ، وكان عنده بمثالة الولد ، رباه وأعتقه وأدبه . ومولد الشيخ شمس الدين هذا في سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة ببغداد ، وبها نشأ تحت كنف جدّه لأئمه الحافظ أبي الفرج ابن الجوزي إلى أن مات في سنة سبع وتسعين وخمسمائة ، وأشتغل وبرع في عدة علوم ، ووعظ ببغداد وغيرها ، وقدم دمشق وأستوطنها ، ونالته السعادة والوجاهة عند الملوك ، لا سيما الملك المعظم عيسى ، فإنه كان عنده بالمثالة المُعظّم ، ورحل البلاد وسمع الحديث وجلس للوعظ في الأقطار ، وكان له لسان حلّو في الوعظ والتذكّار ، ولكلامه موقع في القلوب ، وعليه قابلية من الخاص والعام ، وله مصنفات مفيدة : تاريخه المسمى « مرآة الزمان » وهو من أجل الكتب في معناها . ونقلت منه في هذا الكتاب معظم حوادثه . وكانت وفاته في ذى الحجة . رحمه الله تعالى .
- وقد أستوعبنا ترجمته في تاريخنا « المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي » بأوسع من هذا إذ هو كتاب تراجم وليس للإطنباب في ذكره هنا محل ، كَوْنُ أُنْتا شرطنا في هذا الكتاب ألا نُطْنِبَ إلّا في تراجم ملوك مصر الذين تأليف هذا الكتاب ١٥ بصددهم ، وما عداهم يكون على سبيل الاختصار في ضمن الحوادث المتعلقة بالترجم من ملوك مصر . انتهى .

وفيهما توفى الأمير سيف الدين أبو الحسن يوسف بن أبي الفوارس بن مُوسَى القيمري واقف المارستان ببجل الصالحية^(٢) ، كان أكبر الأمراء في آخر عمره وأعظمهم

- (١) هو الوزير يحيى بن محمد بن هيرة بن سعد بن حسن الشيباني عون الدين أبو المظفر . تقدّمت وفاته سنة ٥٦٠ هـ . (٢) في عقد الجمان : « المارستان الذي بسفح جبل قاسيون » . والصالحية : قرية كبيرة ذات أسواق وجامع في لف جبل قاسيون من غوطة دمشق .

مكانة ، وجميع أمراء الأكراد القيمرية^(١) وغيرهم كانوا يتأدبون ويقفون في خدمته إلى أن مات في شعبان ، وهو أجل الأمراء مرتبة .

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها توفى العباد أبو بكر عبد الله بن أبي المجد الحسن بن الحسين الأنصارى^(٢) ابن النحاس الأصم في المحرم ، وله اثنتان وثمانون سنة . والإمام أبو إسحاق إبراهيم بن محمد [بن عبد الرحمن] بن وثيق الإشبيلي المقرئ بالإسكندرية ، وله سبع وثمانون سنة ، توفى في شهر ربيع الآخر . والقاضي أبو بكر محمد بن الحسن بن عبد السلام بن المقدسية السفاسي^(٣) ، آخر من حضر على السلتي في جمادى الأولى . والمفتي شمس الدين عبد الرحمن بن نوح المقدسي . والواعظ شمس الدين يوسف بن قزأوغلي ميسط ابن الجوزي في ذى الحجة .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وست عشرة إصبعا .

مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وثلاث أصابع .

(١) عبارة الأصلين : « وجميع أمراء الأكراد والقيمرية » . وما أئتناه عن عبون التواريخ .
 (٢) التكملة عن شذرات الذهب بغاية النهاية . (٣) السفاسي : نسبة إلى سفاس : مينا تونس على خليج قابس ، وهى مدينتان السفلى التجارية والعليا . وميثاقها على عمق ٢٢ قدما ، تصدر القطن والصوف والفاكهة والزيت والطور ، وقد اتصلت بقابس بخط حديدى سنة ١٩٠٠ م . وسكانها ١٥ ألف نسمة منهم ثلاثة آلاف بين افرنج ويهود (قاموس لينكوس الجغرافى) .

ذكر سلطنة الملك المنصور على بن أيبك التتركاني على مسر

- السلطان الملك المنصور نور الدين على - ابن السلطان الملك المعز عز الدين أيبك التتركاني الصالح - النجمي ، ملك الديار المصرية بعد قتل أبيه المعز أيبك في يوم الخميس خامس عشرين شهر ربيع الأول سنة خمس وخمسين وسبعمائة ، وتم أمره وخطب له من القند في يوم الجمعة سادس عشرينه على منابر مصر وأعمالها . والمنصور هذا هو الثاني من ملوك مصر من الترك بالديار المصرية .

- وتسلطن المنصور هذا وعمره خمس عشرة سنة ، وركب في يوم الخميس ثاني شهر ربيع الآخر يشعار السلطنة من القلعة إلى قبة النصر في موكب هائل ، ثم عاد ودخل القاهرة من باب النصر ، وترجل الأمراء ومشوا بين يديه ما خلا الأتابك علم الدين سنجر الحلبي ، ثم صعد المنصور إلى القلعة وجلس بدار السلطنة ومد السجاط للأمراء فاكلوا ، ووزر له وزير أبيه شرف الدين الفائزي وأقضى الموكب . وفي يوم الجمعة ثالث شهر ربيع الآخر خطب للملك المنصور وبعده لأتابكه

- (١) ذكر القرطبي في الجزء الثاني من خطه (ص ٤٢٢) عند الكلام على قبة النصوص (١١١) من الجزء المذكور عند الكلام على ميدان القبي : أن هذه القبة كانت زاوية يسكنها فقراء الصيم ، وهي خارج القاهرة بالصحراء تحت الجبل الأحمر تجاه قبة الأمير يونس الداودار الظاهري بأثر ميدان القبي من بحرية . جدها الملك الناصر محمد بن قلاوون .

- ويستفاد مما ذكره السخاوي في التبر المسبوك في حوادث سنة ٨٥٤ هـ : أن السلطان أمر بإقامة صلاة استسقاء في الصحراء ، فخرج سائر الناس ونصب للامام منبرين تربة الظاهر برقوق وبين قبة النصر بالقرب من الجبل .

- ٢٠ من هذا يتبين أن القبة المذكورة كانت واقعة في القضاء الكائن شرق خاتقاء السلطان برقوق وقبة الأمير يونس الداودار بينهما وبين الجبل الأحمر وقد اندثرت هذه القبة . وأما خاتقاء السلطان برقوق فلا تزال موجودة وتعرف اليوم باسم تربة برقوق بجبانة المالك . وأيضا قبة الأمير يونس لا تزال موجودة شمال تربة السلطان برقوق .

- (٢) هو معروف الدين أبو سعيد هبة الله بن ساعد الفائزي الوزيري (راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٧٦ من الجزء السادس من هذه الطبعة) . (٣) في الأصلين : « هنا ثامن شهر ربيع الأول » . والصحيح مما تقدم ذكره قول في ترجمة الملك المنصور هذا والتوقيعات الالهامية .

(١) علم الدين سنجار الحلبي المذكور. وقوض القضاء بالقاهرة وأعمالها إلى القاضي بدر الدين السنجاري^(٢)، وعزل تاج الدين ابن بنت الأهرم وأبقى عليه قضاء مصر القديمة وأعمالها. وفي عاشر شهر ربيع الآخر قبض الأمير قطز وسنجر^(٣) [الفتي^(٤)] وبهادر وغيرهم من الأمراء الميزية على الأتابك سنجار الحلبي^(٥)، وأنزلوه إلى الحب بالقلعة، وكان القبض عليه لأمر: أحدها أنه كان طمع في السلطنة بعد قتل الملك الميزي أيبك لما طلبته شجرة الدر وعرضت عليه الملك، والثاني أنه بلغهم أنه ندم على ترك الملك وهو في عزم الوثوب؛ فعاجلوه وقبضوا عليه. ولما قبض عليه اضطربت خشداشيته من الممالك الصالحية النجمية وخاف كل أحد على نفسه، فهرب أكثرهم إلى جهة الشام، فخرج في إثرهم جماعة من الأمراء الميزية وغيرهم، وتقتطروا بالأمير عز الدين أيبك الحلبي^(٦) الكبير فرسه، وكذلك الأمير خاص ترك الصغير فهلكا خارج القاهرة وأدخلا ميتين، وكانوا ركبوا في جماعة من الممالك الصالحية في قصد الشام أيضا. وأتبع العسكر المهزومين إلى الشام، فقبض على أكثرهم وجملوا إلى القلعة وأعتقلوا بها. وقبض أيضا على الوزير شرف الدين الفائزي. وقوض أمر الوزارة إلى القاضي بدر الدين يوسف السنجاري مضافا إلى القضاء، وأخذ موجود الفائزي

(١) كان قد وصل إلى أن صار أتابك المنصور هذا ثم قبض عليه بعد ذلك واعتقل وأقيم سيف الدين قطز نائب السلطنة وصار مدبر الدولة (راجع تاريخ أبي الفدا ج ٣ ص ٢٠١ والبروك ص ٤٠٥).
(٢) هو بدر الدين السنجاري الشافعي قاضي القضاة يوسف بن الحسن بن علي. سيذكر المؤلف وفاته سنة ٦٦٣ هـ. والسنجاري: نسبة إلى سنجار، راجع الحاشية رقم ٤ ص ١٤٧ من الجزء الخامس من هذه الطبعة.
(٣) هو قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن خلف بن محمود بن بدر أبو محمد المصري الشافعي صدر الديار المصرية ورئيسها. سيذكر المؤلف وفاته سنة ٦٦٥ هـ.
(٤) زيادة عن عقد الجمان وعيون التواريخ.
(٥) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٥٠ من الجزء السادس من هذه الطبعة.
(٦) في المثل الصافي: «الأبهر سيف» الدين أيبك بن عبد الله الصالح الحلبي أحد الممالك الصالحية.

وكان له مال كثير . ثم قبض على بهاء الدين على [بن محمد بن سليم] ^(١) بن حنّا وزير
شجرة الدرّ، وأخذ خطّه بستين ألف دينار . ثم خلع الملك المنصور على الأمير أقطاي ^(٢)
المستعرب باستقراره أتابكاً عوضاً عن سننجر الحلبي . ثم في شهر رجب رُفعت
يدُ القاضي بدر الدين السنجاري من الوزارة وأُضيف إليه قضاء مصر القديمة ،
فكفل له قضاء الإقليم بكمله ، وولي القاضي تاج الدين آبن بنت الأعزّ الوزارة .

ثم في شعبان كثرت الأراجيف بين الناس بأن الأمراء والأجناد اتفقوا على إزالة
حكم ممالك الملك المعزّ من الدولة ، وأن الملك المنصور تغيّر على الأمير سيف الدين
قطز المعزّي ، واجتمع الأمراء في بيت الأمير بهاء الدين بغديّ ^(٣) مقدّم الحلقة ،
وتكلموا إلى أن صلح الأمر بين الملك المنصور وبين مملوك أبيه الأمير قطز . وخلع
عليه وطيب قلبه ؛ ثم وقع الكلام أيضاً من المعزّيّة وغيرهم . فلما كان رابع شهر
رمضان ركب الأمير بغديّ وبدر الدين بلغان وأنضاف إليهما جماعة ووقفوا بأله
الحرب ، فخرج إليهم حاشية السلطان فقاتلهم وهزمهم وقبضوا على بغديّ بعد أن
جرح وعلى بلغان ومحملاً إلى القلعة ؛ ودخلت المعزّيّة إلى القاهرة ، فقبضوا على
الأمير عزّ الدين أيبك الأسمر وأرزن الروميّ وسابق الدين بوزنا الصيرفيّ وغيرهم
من المماليك الأشرفيّة ونهبت دورهم ، فأضطربت القاهرة حتى نُودي بالأمّان .
لمن دخل في الطاعة وسكن الناس ، وركب السلطان الملك المنصور في خامس

(١) النكّاة عما تقدم ذكره للؤلّف في حوادث سنة ٦٤٨ هـ . (٢) هو أقطاي بن عبد الله
النجمي الصالحى الأمير فارس الدين ، كان أصله مملوكاً لنجم الدين محمد بن يمن ، ثم انتقل إلى ملك الملك
الصالح نجم الدين أيوب ، ولهذا كان يقال له أقطاي المستعرب . وسيذكر المؤلف وفاته سنة ٦٧٢ هـ .

(٣) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٧٦ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

(٤) في نزعة الأنعام والسلوك (ص ٤٠٦) : « سيف الدين » .

شهر رمضان وشق القاهرة وفي خدمته الأمير قُطزُ وباقي مماليك أبيه ،
ثم نزل أيضا في عيد الفطر وصلّى بالمصلّى . وركب وطاد إلى القلعة ومدّ السّماط .

ثم ورد كتاب الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب الشام وحلّب على الملك
المنصور بمُفارقة البحريّة والصالحية له (أعنى الأمراء والمماليك الذين خرجوا من
القاهرة بعد القبض على علم الدين سنجر الحلبيّ المقدّم ذكره) . فلما وقف
المصريّون على الكتاب ظنّوا أن ذلك خديعة من الملك الناصر فأحترزوا لأنفسهم .
ثم جهّز الملك المنصور عسكريا من المماليك والأمراء ومقدّمهم الدّياطيّ^(١) إلى الشام ،
فتوجّهوا ونزلوا بالعبّاسة ؛ فوردت الأخبار على السلطان الملك المنصور بأن عسكري
الملك الناصر وصلت إلى نابلس لقتال البحريّة الذين قدّموا عليه من مصر ثم فارقوه ،
وكان البحرية نازلين بغزة ، ثم وردت الأخبار بأن البحريّة ، وكان مقدّم البحرية
بلبّان الرّشيدى وسيبرس البندقدارى ، خرجوا من غزّة وكبسوا عسكري الملك الناصر
وقتلوا منهم جماعة كثيرة ليلّا . ثم ورد الخبر نانيا بأن عسكري الملك الناصر كسروا
البحريّة وأن البحريّة انحازوا إلى ناحية زغر^(٢) من القوّ . ثم ورد الخبر أيضا بجي
البحريّة إلى بنبه القاهرة طائعين للسلطنة ، فقدم منهم الأمير عزّ الدين أيّبك
الأفّرم ومعه جماعة ، فتلقّوا بالإكرام ، وأفرج عن أملاك الأفّرم وأرزاقه ونزل بداره
بمصر . ثم بلغ السلطان أن البحرية (أعنى الذى بقى منهم) رحلوا من زغر طالبين
بعض الجهات ، فأتّضح من أمرهم أنهم خرجوا من دِمَشق على حمية وأنهم قصدوا
القدس الشريف ، ومقطّع القدس يوم ذاك سيف الدين كُوك من جهة الملك الناصر

(١) هو الأمير عزّ الدين أيّك بن عبد الله الدياطي . سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٧٦ هـ .

(٢) زغر (كون) : قرية بمشارف الشام . (عن معجم البلدان لياقوت) وشرح القاموس .

وفي الأصلين : « دمر » بالعين المهملة . وهو تصحيف .

يوسف صاحب الشام وحلب ، فطلبوا منه البحرية أن يكون معهم فامتنع
فأعتقلوه وخطبوا بالقدس للملك المغيث بن العادل بن الكامل بن العادل بن أيوب .
ثم جاءوا إلى غزة وقبضوا على واليها (أعنى نائبها) وأخذوا حواصل الملك الناصر
من غزة والقدس وغيرهما . ثم إنهم أطعموا الملك المغيث صاحب الكرك في ملك
مصر ، وقالوا له : هذا ملك أبيك وجدك وعمك ، ثم عزموا على قصد الديار المصرية ،
بغاء الخبر إلى مصر بذلك فخرج إليهم العسكر المصري ، وأجتمعا بالمصالحية وأقاموا
بها ، فلما كان سحر ليلة السبت متصف ذي القعدة وصلت البحرية بمن معهم من
عسكر الملك المغيث ، ووقعت الحرب بين الفريقين واشتد القتال بينهم وجرح
جماعة ، والمصريون مع ذلك يزدادون كثرة وطلعت الشمس ، فرأت البحرية كثرة
المصريين فانهزموا وأسير منهم بلبان الرشيدى وبه جراحات وهو من كبار القوم ،
وهرب يبرس البندقدارى وبدر الصوابى إلى الكرك ، وبعض البحرية دخل
في العسكر المصري ، ودخل العسكر المصري القاهرة ، وزين البلد لهذا النصر وفرح
الملك المنصور والأمير قطز بذلك .

وأما البحرية فأنهم توجهوا إلى الملك المغيث صاحب الكرك وحسنوا له أن
يركب ويحى معهم لأخذ مصر فأصغى لهم وتجهز وخرج بعساكره من الكرك في أول
سنة ست وخمسين وسمائة ، وسار حتى قدم غزة ، وأمر البحرية راجع إلى
يبرس البندقدارى . فلما بلغ ذلك المصري نخرج الأمير سيف الدين قطز بعساكر

(١) في أحد الأصلين : « وغيره » . وفي الآخر : « وغيرهم » . (٢) راجع الحاشية رقم ١

ص ١٥ من الجزء الخامس من هذه الطبعة . (٣) في الأصلين : « ووقفت العرب بين الفريقين

وأشتد القتال الخ ... » . (٤) هو بدر بن عبدالله الصوابى الأمير بدر الدين أبو المحاسن

الصوابى الطواشى الحبشى ، أصله من خدام الطواشى صواب العادل . سيذكره المؤلف في حوادث

مصر ونزل بالنباسة ، فلما تكامل عسكره سار منه قاصداً الشاميين ، وخرج الملك المنيث من غزّة إلى الرمل فالتقى بالعسكر المصري وتقاتلا قتالاً شديداً في يوم الثلاثاء الحادى والعشرين من شهر ربيع الآخر ، فأنكسر الملك المنيث بمن معه من البحرية ، وقبض على جماعة كثيرة من الممالك البحرية الصالحية ، وهم : الأمير عز الدين أيّيك الرومي وعز الدين أيّيك الحموي وركن الدين الصيرفي^(١) وابن أطلّس خان الخوارزمي وجماعة كثيرة ، فأحضروا بين يدي الأمير سيف الدين قطز والأمير القتيبي والأمير بهادر المعزية فأمرؤا بضرب أعناقهم فضربت ، وحملت رموسهم إلى القاهرة وعلقت بباب زويلة ، ثم أنزلت من يومها لما أنكر قتلهم على المعزية بعض أمراء مصر واستشنع ذلك .

وأما الملك المنيث فإنه هرب هو والطواشي بدر الصوّائي وبيرس البندقداري ومن معهم ، ووصلوا إلى الكرك في أسوأ حال بعد أن نهب ما كان معهم من الثقل والخيام والسلاح وغير ذلك وأقاموا بالكرك ، وبينما هم في ذلك أرسل الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب الشام جيشاً مقدّمه الأمير مجير الدين إبراهيم^(٢) [بن أبي بكر] بن أبي زكري والامير نور الدين على بن الشجاع الأكتع في طلب البحرية ، وخرجت البحرية لما بلغتهم ذلك إلى غزّة ، وألتقوا مع العسكر الشامي وقاتلوا فأنكسر العسكر الشامي ، وقبض على مجير الدين ونور الدين وحملوهما البحرية إلى الكرك ، ولهمى أمر البحرية بهذه الكسرة وأخذتوا .

وأما الملك الناصر لما بلغه كسر عسكره تجهّز وخرج بنفسه لقتال البحرية ، وضرب دهلزة قبلى دِمَشق ، فلما بلغ البحرية ذلك توجهوا نحو دِمَشق وضربوا

٢٠ (١) في الذيل على مرآة الزمان : « الصرق » . (٢) في الأسلين : « محي الدين » وهو تحريف ، وتصحيحه عن المنهل الصافي وميون التواريخ . وما سيأتى ذكره للولف في حوادث سنة ٦٥٨ هـ . (٣) تكلّة عن المنهل الصافي وميون التواريخ .

أطراف عساكر الملك الناصر ، وخَفَّ بِسَبَرٍ الْبُنْدُقْدَارِيَّ حَتَّى إِنَّهُ أَتَى فِي بَعْضِ
الْأَيَّامِ وَقَطَعَ أَطْنَابَ خِيَمَةِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ الْمَضْرُوبَةِ ، وَذَلِكَ قَبْلَ خُرُوجِ النَّاصِرِ مِنْ
دِمَشْقَ . وَبَيْنَمَا النَّاسُ فِي ذَلِكَ وَرَدَ الْخَبْرُ بِأَخْذِ التَّارِ لِبَغْدَادِ وَقَتْلِ هَوْلَاكُو الْخَلِيفَةِ
الْمُسْتَعْمِ بِاللَّهِ وَإِحْرَابِ بَغْدَادِ .

- قلت : نذكر سببَ أَخْذِ هَوْلَاكُو لِبَغْدَادِ ثُمَّ نَعُودُ إِلَى أَمْرِ الْمَصْرِيِّينَ وَالشَّامِيِّينَ
وَالْبَحْرِيَّةِ .

فَإِنَّمَا أَمْرُ هَوْلَاكُو فَإِنَّهُ هَوْلَاكُو : وَقِيلَ : هَوْلَاوُ [وَقِيلَ هَلَاوُونَ] ^(١) بَنُ تُولِي خَانَ
ابْنِ جَنْكَرْخَانَ الْمُتَمَلِّقِ ، وَلِي الْمُلْكِ بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ تُولِي قَانِ ، وَأَتَسَمَّتْ مَمَالِكُهُ وَعَظُمَ
أَمْرُهُ وَكَثُرَتْ جَبُوشُهُ مِنَ الْمُخْلِ وَالْتَّارِ ، وَلَا زَالَ أَمْرُهُ فِي زِيَادَةٍ حَتَّى مَلَكَ مَدِينَةَ
أَلْمُوتِ ^(٢) وَقَتْلَ مَتُولِيهَا شَمْسِ الشَّمُوسِ وَأَخْذَ بِلَادِهِ ، ثُمَّ أَخَذَ الرُّومَ وَأَبْقَى بِهَا رُكْنَ الدِّينِ
كَيْقُبَادَ بْنَ غِيَاثِ الدِّينِ كَيْخُسْرُو صُورَةَ بِلَا مَعْنَى وَالْحَكْمُ وَالتَّصَرُّفُ لغيرِهِ ، وَكَانَ
وَزِيرَ الْخَلِيفَةِ الْمُسْتَعْمِ بِاللَّهِ مُؤَيَّدَ الدِّينِ بْنِ الْعَلَقَمِيِّ بِبَغْدَادِ ، وَكَانَ رَافِضِيًّا خَبِيثًا
حَرِيصًا عَلَى زَوَالِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ وَقَتْلِ الْخُلَافَةِ إِلَى الْعُلَوِيِّينَ ، يَدْبُرُ ذَلِكَ فِي الْبَاطِنِ
وَيُظْهِرُ لِلْخَلِيفَةِ الْمُسْتَعْمِ خِلَافَ ذَلِكَ ، وَلَا زَالَ يُشِيرُ الْفِتْنِ بَيْنَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالرَّافِضَةِ
حَتَّى تَجَالَدُوا بِالسُّيُوفِ ، وَقُتِلَ جَمَاعَةٌ مِنَ الرَّافِضَةِ وَنُجِبُوا ، فَأَشْتَكَى أَهْلُ بَابِ الْبَصْرَةِ
إِلَى الْأَمِيرِ مُجَاهِدِ الدِّينِ الدَّوَادَارِ ^(٣) وَلِلْأَمِيرِ أَبِي بَكْرِ بْنِ الْخَلِيفَةِ فَتَقَلَّمَا إِلَى الْخُلْدِ نَهَبَ

(١) زِيَادَةُ مِنَ الْمُهْلِ الصَّافِي وَأَحْبَارُ الدَّوَلِ وَأَتَارُ الْأَوَّلِ لِأَبِي الْعَبَّاسِ الْغُرْمَانِ .

(٢) رَاجِعِ الْخَاشِيَةَ رَقْمَ ٣ ص ١١٧ مِنَ الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنْ هَذِهِ الطَّبْعَةِ .

(٣) هُوَ شَمْسُ الشَّمُوسِ ابْنُ عَلَاءِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ جَلَالِ الدِّينِ حَسَنِ الْمُنْتَسَبِ إِلَى زُرَّارِ بْنِ الْمُنْتَصَرِ بِاللَّهِ

الْعُلَوِيِّ صَاحِبِ مِصْرَ (عَنِ الذَّيْلِ عَلَى مِرْآةِ الزَّمَانِ لِلْقُطُبِ الْيُونَنِيِّ) . وَرَاجِعِ الْخَاشِيَةَ رَقْمَ ١ ص ٣٣٤ .
مِنْ الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنْ هَذِهِ الطَّبْعَةِ . (٤) فِي الْأَصْلَيْنِ هُنَا فِي مَوْضِعِ آتَمِنْ هَذِهِ التَّرْجُمَةِ ،

«رُكْنَ الدِّينِ» . وَالتَّصْحِيحُ عَنْ الْحَوَادِثِ الْجَامِعَةِ وَعَيُونِ التَّوَارِيخِ وَذَيْلِ مِرْآةِ الزَّمَانِ وَمَاسِيَاتِي ذِكْرُهُ لِلتَّوَلَّفِ .
وَهُوَ مُجَاهِدُ الدِّينِ أَيْبُكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الدَّوَادَارِ . قَتَلَ صَبْرًا يَدَ التَّارِسَةِ ٦٥٦ هـ (عَنِ الْمُهْلِ الصَّافِي) .

الكَرْخُ فَرَكَبُوا مِنْ وَقْتِهِمْ وَهَجَمُوا عَلَى الرَّافِضَةِ بِالكَرْخِ وَقَتَلُوا مِنْهُمْ جَمَاعَةً وَأَرْتَكَبُوا
مَعَهُمُ الْعِظَامَ فَخَنَّقَ الْوَزِيرُ ابْنَ الْعَلْقَمِيِّ وَنَوَى الشَّرَّ فِي الْبَاطِنِ وَأَمَرَ أَهْلَ الْكَرْخِ
الرَّافِضَةَ بِالصَّبْرِ وَالْكَفِّ عَنِ الْقِتَالِ ، وَقَالَ لَهُمْ : ^(٢) أَنَا أَكْفَيْكُمْ فِيهِمْ وَكَانَ الْخَلِيفَةُ
الْمُسْتَنْصِرُ بِاللَّهِ قَدْ اسْتَكْثَرَ مِنَ الْجُنْدِ قَبْلَ مَوْتِهِ حَتَّى بَلَغَ عَدْدُ عَسْكَرِهِ مِائَةَ أَلْفٍ ،
وَكَانَ الْوَزِيرُ ابْنُ الْعَلْقَمِيِّ مَعَ ذَلِكَ يُصَانِعُ التَّارَ فِي الْبَاطِنِ وَيَكْتَبُهُمْ وَيُهَادِيهِمْ ، فَلَمَّا
اسْتُخْلِفَ الْمُسْتَعَصِمُ بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ الْمُسْتَنْصِرِ ، وَكَانَ الْمُسْتَعَصِمُ خَلِيًّا مِنَ الرَّأْيِ
وَالْتَدِيرِ ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ ابْنُ الْعَلْقَمِيِّ الْمَذْكُورُ بِقَطْعِ أَرْزَاقِ أَكْثَرِ الْجُنْدِ ، وَأَنَّهُ بِمَصَانِعِ
التَّارِ وَإِكْرَامِهِمْ يَحْصُلُ بِذَلِكَ الْمَقْصُودُ ، وَلَا حَاجَةَ لِكَثْرَةِ الْجُنْدِ فَعَمِلَ الْخَلِيفَةُ ذَلِكَ !

قلت : وكلمة الشيخ مطاعة !

ثم إن الوزير بعد ذلك كاتب التَّارَ وأطعمهم في البلاد سراً ، وأرسل إليهم
غلامه وأخاه وسهّل عليهم فتح العراق وأخذ بغداد ، وطلب منهم أن يكون نائبهم
بالبلاذ فوعدهو بذلك ، وتأهبوا لقصد بغداد وكاتبوا لؤلؤا صاحب المَوْصِلِ في تهية
الإقامات والسلاح ، فكاتب لؤلؤ الخليفة سراً وحذّره ، ثم هيا لهم الإلالات والإقامات .
وكان الوزير ابْنُ الْعَلْقَمِيِّ الْمَذْكُورُ لَيْسَ لِأَحَدٍ مَعَهُ كَلَامٌ فِي تَدِيرِ أَمْرِ الْخَلِيفَةِ ،
فصار لا يُوصَلُ مَكَاتِبَاتُ لَوْلُؤٍ وَلَا فِيرِهِ لِلْخَلِيفَةِ ، وَعَمِيَ عَنْهُ الْأَخْبَارُ وَالنَّصَائِحُ ،
فَكَانَ يَقْرَؤُهَا هُوَ وَيُجِيبُ عَنْهَا بِمَا يَخْتَارُ ، فَتَجَّ أَمْرُ التَّارِ بِذَلِكَ غَايَةَ التَّاجِ وَأَخَذَ
أَمْرَ الْخَلِيفَةِ وَالْمُسْلِمِينَ فِي إِدْبَارٍ ! وَكَانَ تَاجُ الدِّينِ بْنِ هِصْلَايَا نَائِبَ الْخَلِيفَةِ بِأَرْبِلَ ^(٣)

(١) في الأصلين : « منهم » . (٢) عبارة حيون السواربخ والذيل على مرآة الزمان :
« فأمرهم بالكف والتناهي وأضر هذا الأمر في قسه » . (٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٧٥
من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٤) في الأصلين : « نائب الخليفة ببغداد » . وتصحيحه من
الذيل على مرآة الزمان وحيون السواربخ والحوادث الجامعة والتجارب النافعة في الماسة السابعة لابن القوطي .
وراجع الحاشية رقم ٢ ص ١٦ من هذا الجزء .

حُدَّ الخليفة وحرك عزمه ، والخليفة لا يتحرك ولا يستيقظ ! فلما تحقق الخليفة^(١) حركة التآمر نحوه سَير إليهم شرف الدين بن محي الدين ابن الجوزي رسولا يهدم بأموال عظيمة ، ثم سَير مائة رجل إلى الدَّربند يكونون فيه يطالعون الخليفة بالأخبار ، فضموا فلم يطلع لهم خبر ، لأن الأكراد الذين كانوا هناك دَلُّوا التآمر عليهم ، فهجموا عليهم وقتلوهم أجمعين .

- ثم ركب هولاكو بن تُولى خان بن جَنِكِر خان في جيوشه من المُغل والتَّار وقصدوا العراق ، وكان على مقدمته الأمير بَايُجُونُون^(٢) ، وفي جيشه خلقٌ من أهل الكَرخ الرافضة ومن عسكري بركة خان ابن عم هولاكو ، ومدد من صاحب الموصل مع ولده الملك الصالح ركن الدين إسماعيل ، فوصلوا قرب بغداد وأقتتلوا من جهة البر الغربي عن دجلة ، فخرج عسكرُ بغداد وعليهم ركن الدين الدَّوادار ، فالتقوا على نحو مرحلتين من بغداد ، فأنكسر البغداديون وأخذتهم السيوف ، وغرَّق بعضهم في الماء وهرب الباقون . ثم ساق بَايُجُونُون مقدمة هولاكو فنزل القرية مقابل دار الخلافة وبينه وبينها دجلة لا غير . وقصد هولاكو بغداد من البر الشرقي ، وضرب سُوراً وخندقاً على عسكره وأحاط ببغداد ، فأشار الوزير ابنُ العلقمي على الخليفة المستعصم بالله بمصانعتهم . وقال له : أخرج إليهم أنا في تقرير الصلح فخرج إليهم ، وأجتمع بهولاكو وتوثق لنفسه وردَّ إلى الخليفة ، وقال : إن الملك قد رَغِب

(١) في الأصلين : « فلما تحقق ابن صلايا ... الخ » . والتصحيح عن ذيل مرآة الزمان وعيون التواريخ .

(٢) هو شرف الدين عبد الله بن محي الدين يوسف بن أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي . قتل في وقعة التآمر في حوادث ٦٥٦ هـ (عن شذرات الذهب)

(٣) في الأصلين : « ناحونون » . وما أثبتناه عن ذيل مرآة الزمان وعقد الجمان والحوادث الجامعة لابن القوطي .

(٤) القرية : محلة ببغداد في حريم دار الخلافة فيها محال وسوق كبيرة (عن معجم البلدان لياقوت)

في أن يُزوج بنته بآبَنك الأمير أبي بكر، ويُقيك على منصب الخلافة كما أبقى صاحب
الروم في سلطنته، ولا يطلب إلا أن تكون الطاعة له كما كان أجدادك مع السلاطين
السلجوقية، وينصرف هو عنك بيمينه ! فتجيبه يا مولانا أمير المؤمنين لهذا، فإن
فيه حقّ دماء المسلمين ، ويمكن أن تفعل بعد ذلك ما تريد ! والرأى أن تخرج
إليه ؛ فسمع له الخليفة ونرج إليه في جمع من الأعيان من أقاربه وحواشيه وغيرهم .
فلما توجه إلى هولاكو لم يجتمع به هولاكو وأُنزل في خيمة ؛ ثم ركب الوزير وعاد
إلى بغداد بإذن هولاكو ، وأستدعى الفقهاء والأعيان والأماثل ليحضروا عقد
بنت هولاكو على ابن الخليفة ، فخرجوا من بغداد إلى هولاكو ، فأمر هولاكو
بضرب أعناقهم ! ثم مَدَّ الحُسْر ودخل بايخوتون^(١) بمن معه إلى بغداد وبذلوا السيف
فيها وأستمر القتل والنهب والسبي في بغداد بضعة وثلاثين يوماً ، فلم ينجُ منهم
إلا من أخفى . ثم أمر هولاكو بعد القتل بلفوا ألف وثمانمائة ألف وكسرا .
وقال الذهبي - رحمه الله - في تاريخ الإسلام : والأصح أنهم بلفوا ثمانمائة ألف .
ثم نُودي بعد ذلك بالأمان ، فظهر من كان أخفى وهم قليل من كثير .

وأما الوزير ابن العلقمي فلم يتم له ما أراد، وما اعتقد أن التار يذُلون السيف
مطلقاً في أهل السنة والرافضة معا، وراح مع الطائفتين أيضا أُم لا يُحْصَوْنَ كثرةً ،
وذاق ابن العلقمي الهوان والذل من التار ! ولم تطل أيامه بعد ذلك كما سيأتي
ذكره . ثم ضرب هولاكو عُنق مقدّم جيشه بايخوتون لأنه بلغه عنه من الوزير
ابن العلقمي أنه كاتب الخليفة المستعصم لما كان بالجانب الغربي .

وأما الخليفة فيأتى ذكره في الحوادث على عادة هذا الكتاب في محله غير أننا نذكره
هنا على سبيل الاستطراد . ولما تم أمر هولاكو طلب الخليفة وقته ختفاً . وقيل

(١) في الأصلين هنا : « باكونون » .

ثُمَّ فِي بَسَاطٍ ، وَقِيلَ جَعَلَهُ هُوَ وَوَلَدَهُ فِي عَدْلَيْنِ وَأَمْرَ بَرَقْسِيهَا حَتَّى مَا تَأْتِي . ثُمَّ قَتَلَ
الْأَمِيرَ مُجَاهِدَ الدِّينِ الدَّوَادَارَ ، وَالْخَادِمَ إِقْبَالَ الشَّرَافِيِّ صَاحِبَ الرِّبَاطِ بِمَكَّةَ ،
وَالْأَسْتَاذَ رَحْمَى الدِّينِ ابْنَ الْجَوْزِيِّ^(٢) وَوَلَدَهُ وَسَائِرَ الْأَمْرَاءِ الْكَبِيرِ وَالْمُجْتَابِ وَالْأَعْيَانِ ،
وَأَنْقَضَتْ الْخِلَافَةُ مِنْ بَغْدَادَ وَزَالَتْ أَيَّامُهُمْ مِنْ تِلْكَ الْبِلَادِ ، وَخَرِبَتْ بَغْدَادُ الْخُرَابَ
الْعَظِيمَ ، وَأَحْرِقَتْ كُتُبَ الْعِلْمِ الَّتِي كَانَتْ بِهَا مِنْ سَائِرِ الْعُلُومِ وَالْفُنُونِ الَّتِي مَا كَانَتْ
فِي الدُّنْيَا ، قِيلَ : لَأَنَّهُمْ بَنَوْا بِهَا جِسْرًا مِنَ الطِّينِ وَالْمَاءِ عِوَضًا عَنِ الْآجُرِّ ، وَقِيلَ
غَيْرَ ذَلِكَ . وَكَانَتْ كَثْرَةُ الْخَلِيفَةِ يَوْمَ عَاشُورَاءَ مِنْ سَنَةِ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ
الْمَذْكُورَةِ ، وَنَزَلَ هُوَ لَا تُكُونُ بَظَاهِرِ بَغْدَادَ فِي عَاشِرِ الْحَزَمِ ، وَبَقِيَ السَّيْفُ يَعْمَلُ فِيهَا
أَرْبَعَةً وَثَلَاثِينَ يَوْمًا وَآخِرُ جُمُعَةٍ خَطَبَ الْخَطِيبُ بِبَغْدَادَ ، كَانَتْ الْخُطْبَةُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ
الَّذِي هَدَمَ بِالْمَوْتِ مَشِيدَ الْأَعْمَارِ ، وَحَكَّمَ بِالْفَنَاءِ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الدَّارِ ، إِلَى أَنْ قَالَ :
اللَّهُمَّ أَجْرْنَا فِي مَصِيبَتِنَا الَّتِي لَمْ يُصِيبِ الْإِسْلَامُ وَأَهْلَهُ بِمِثْلِهَا ، وَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ !
ثُمَّ عَمِلَ الشُّعْرَاءُ وَالْعُلَمَاءُ قِصَائِدَ فِي مِرَاثِي بَغْدَادَ وَأَهْلِهَا ، وَعَمِلَ الشَّيْخُ تَقِي الدِّينِ
إِسْمَاعِيلُ [بْنُ إِبْرَاهِيمَ] [بْنِ أَبِي الْيُسْرِ] [شَاكِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التَّنُوخِيُّ] [قَصِيدَتَهُ
الْمَشْهُورَةَ ، وَهِيَ :

لِسَائِلِ الدَّمْعِ عَنْ بَغْدَادَ أَخْبَارُ * فَا وَقُوفُكَ وَالْأَحْبَابُ قَدْ سَارُوا
يَا زَائِرِينَ إِلَى الزُّوْرَاءِ لَا تَفِدُوا * فَا بِذَلِكَ الْحَمَى وَالِدَارِ دَيَّارُ
تَاجُ الْخِلَافَةِ وَالتَّرْبُوعِ الَّذِي شَرَّقَتْ * بِهِ الْمَعَالِمُ قَدْ عَقَاهُ إِفْقَارُ

(١) فِي الْمَثَلِ الصَّافِي وَشَذَرَاتِ الذَّهَبِ أَنَّ وَفَاتِهِ كَانَتْ سَنَةَ ٦٥٣ هـ .

(٢) هُوَ يُوسُفُ بْنُ أَبِي الْفَرَجِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْجَوْزِيِّ . (٣) عِبَارَةُ شَذَرَاتِ الذَّهَبِ

وَعِيُونَ التَّوَارِيخِ : « وَقَتْلَ مَعَهُ أَوْلَادُهُ الثَّلَاثَةُ : جَمَالُ الدِّينِ أَبُو الْفَرَجِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ يُوسُفَ ،
وَشَرْفُ الدِّينِ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ ، وَتَاجُ الدِّينِ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنُ يُوسُفَ » .

(٤) زِيَادَةُ مِنَ الْمَثَلِ الصَّافِي وَشَذَرَاتِ الذَّهَبِ ، وَمَا سَمِعْتُ كَرَاهِيَةَ الْخُلُوفِ فِي حَوَادِثِ سَنَةِ ٦٧٢ هـ .

أضْحَى لَعَطِفَ الْبَيْلَى فِي رَبْعِهِ أَثْرُ * وَلِلْدُمُوعِ عَلَى الْآثَارِ آثَارُ
يَا نَارَ قَلْبِي مِنْ نَارِ لَحْرِبٍ وَغَى * شَبَّتَ عَلَيْهِ وَوَافَى الرِّقَّعِ إِعْصَارُ
عَلَا الصَّلِيبُ عَلَى أَعْلَى مَنَابِرِهَا * وَقَامَ بِالْأَمْرِ مَنْ يَحْيِيهِ زُنَارُ
ومنها :

وَكَمْ بُدُورٍ عَلَى الْبَدْرِيَّةِ أَنْخَسَفَتْ ^(١) * وَلَمْ يَعُدْ لِبُدُورٍ مِنْهُ إِبْدَارُ
وَكَمْ ذَخَائِرُ أَضْحَتْ وَهِيَ شَائِعَةٌ * مِنَ النَّهَابِ وَقَدْ حَازَتْهُ كُفَّارُ
وَكَمْ حَدُودٍ أَقِيمَتْ مِنْ سَيُوفِهِمْ * عَلَى الرِّقَابِ وَحُطَّتْ فِيهِ أَوْزَارُ
نَادَيْتُ وَالسَّبِيَّ مَهْتُوكٌ يَجْرُمُ * إِلَى السَّفَاحِ مِنَ الْأَعْدَاءِ دُعَارُ
ومنها :

وَهُمْ يُسَاقُونَ لِلْوَتِ الَّذِي شَهِدُوا * النَّارُ يَا رَبِّ ... ^(٢) ... وَلَا الْعَارُ
يَا لِلرَّجَالِ لِأَحْدَاثٍ تَحْدَثْنَا ^(٣) * بِمَا غَدَا فِيهِ إِعْذَارُ وَإِنْذَارُ
مِنْ بَعْدِ أَتْسَرِ بْنِ الْعَبَّاسِ كُلِّهِمْ * فَلَا أُنَارَ لَوْجِهِ الصُّبْحِ إِسْفَارُ
مَارَاقٍ لِي قَطُّ شَيْءٌ بَعْدَ بَيْنِهِمْ * إِلَّا أَحَادِيثُ أَرْوِيهَا وَآثَارُ
لَمْ يَبْقَ لِلدِّينِ وَالْدُنْيَا وَقَدْ ذَهَبُوا * شَوْقٌ لِمُحِبٍّ وَقَدْ بَانُوا وَقَدْ بَارُوا
إِنَّ الْقِبَامَةَ فِي بَغْدَادٍ قَدْ وُجِدَتْ * وَحَدَّثَهَا حِينَ لِلْإِقْبَالِ إِدْبَارُ
أَلَّ النَّبِيِّ وَأَهْلَ الْعِلْمِ قَدْ سُبُّوا ^(٤) * فَمَنْ تَرَى بَعْدَهُمْ تَحْيِيهِ أَمْصَارُ
مَا كُنْتُ أَمَلُّ أَنْ أَبْقَى وَقَدْ ذَهَبُوا * لَكِنْ أَبَى دُونَ مَا أَخْخَارَ أَقْدَارُ

(١) البدرية : نسبة إلى بدر مولى المعتضد ، والمراد بها قصر المنصور ، فقد ورد في تاريخ بغداد (ج ١ ص ١٠٨) «قال أبو بكر : وزاد بدر مولى المعتضد من قصر المنصور المسقطات المعروفة بالبدرية في ذلك الوقت» . (٢) هكذا في الأصلين ولعله : النار يارب فصلاحها ولا العار . (٣) في الأصلين : «بأحداث» . (٤) هكذا في الشعر وهو خطأ والصواب «سبوا» وإن كان لا يترن به البيت .

وهي أطول من ذلك . وجملة القصيدة ستة وستون بيتاً . وقال غيره في فقد
الخليفة من بغداد بيتاً مفرداً وأجاد :
خَلَّتِ المنارُ والأَمِيرةُ منهمُ • فعليهم حتى الماتِ سلامُ
إتتهى ذكر بغداد هنا ، ولا بد من ذكر شيء منها أيضاً في الحوادث .

- وأما أمر البحرية فإنه لما دخلت سنة سبع وخمسين وسقانة رحل الملك الناصر
صلاح الدين يوسف صاحب الشام بعساكر في أثر البحرية ، فاندفعوا البحرية أمامه
إلى الكرك ، فسار الناصر حتى نزل بركة زيزاء ليحاصر الكرك ، ^(١) ومُحِبُّهُ الملك المنصور
صاحب حماة ، فأرسل الملك المغيث عمر بن العادل بن الكامل صاحب الكرك ^(٢) رُسله
إلى الملك الناصر يطلب الصلح ، وكان مع رُسله الدار القطيية ^(٣) ابنة الملك المفضل ^(٤)
قُطْبُ الدين بن العادل ، وهي من عَمَّات الناصر والمُغِيثِ يتضرعون إلى الناصر
ويطلبون الصلح ورضاه على ابن عمه المُغِيثِ ، فشرط عليه الناصر أن يقبض على مَنْ
عنده من البحرية ، فأجاب إلى ذلك وقبض عليهم وجهزهم إلى الملك الناصر على
الجمال ، وهو نازل بركة زيزاء . فحملهم الملك الناصر إلى حلب وأعتقلهم بقلعتها
ما خلا الأمير بَيْرُسُ البندقداري ، فإنه لما أحس بما وقع عليه الصلح هرب من
الكرك في جماعة من البحرية وأتى إلى الملك الناصر صلاح الدين المذكور داخلاً
تحت طاعته ، فأكرمه الملك الناصر وأكرم رُفقته إكراماً زائداً ، وعاد الناصر إلى
دِمَشْق وفي خدمته الأمير ركن الدين بَيْرُسُ البندقداري وغيره من البحرية .

(١) زيزاء : من قرى البلقاء كبيرة يطلوها الحاج ويقام بها لهم سوق وفيها بركة عظيمة (عن معجم
البلدان لياقوت) . (٢) في الأصلين : « على بن العادل » . وتصحيحه عن شذرات الذهب
ما سيأتي ذكره للزلف في حوادث سنة ٦٦٢ هـ . وهي سنة وفاته .
(٣) حجارة تاريخ أبي الفداء وتاريخ الواصلين : « والقطيية بنت الملك الفضل قطب الدين أحمد
ابن الملك العادل » . (٤) راجع الحاشية رقم ١٦ ص ١٧٢ من الجزء السادس من هذه الطبعة .
وفي الأصلين هنا : « الأفضل » .

وأما المصريون فإنه لما بلغ الملك المنصور طياً والأمير قُطز المعزى ما وقع
 للبحرية فرحاً فرحاً زائداً ، وزُيّنت مصر أياً ما لذلك ؛ وصفا الوقت للأمير قُطز .
 وبينما هو في ذلك ورد الخبر عليه بتزول هولاكو على مدينة آيد من ديار بكر ، وأنه
 في قصد البلاد الشامية ، وأن هولاكو بعث رسلاً إلى الملك السعيد نجم الدين إيلغازى
 صاحب ماردين يستدعيه إلى طاعته وحضرته ، فسير إليه الملك السعيد ولده الملك
 المظفر^(١) قرا أرسلان وقاضى القضاة مهذب الدين محمد [بن مجلى]^(٢) والأمير سابق الدين
 بلبان وعلى أيديهم هدية ، وحملهم رسالة تتضمن الاعتذار عن الحضور بمرض منعه
 الحركة ، ووافق وصولهم إلى هولاكو أخذَه لقلعة اليمانية وإنزاله من بها من حريم
 صاحب ميافارقين وأولاده وأقاربه ، وهم : ولده الملك الناصر صلاح الدين
 يوسف جفناى ، والملك السعيد عمر وابن أخيه الملك الأشرف أحمد وتاج الدين
 على ابن الملك العادل ، فأثروا الرسالة ؛ فقال هولاكو : ليس مرضه بصحيح ، وإنما
 هو يتمارض مخافة الملك الناصر صاحب الشام ، فإن أنتصرت عليه اعتذرت لى زيادة
 المرض ، وإن أنتصرت على كانت له اليد البيضاء عنده ، ثم قال : ولو كان لللك الناصر
 قوة يدفعنى لم يمكنى من دخول هذه البلاد ؛ وقد بلغنى أنه بعث حريمه إلى مصر ؛
 ثم أمر برد القاضى وحده فردّ القاضى وأخبر الملك السعيد بالجواب .

وأما هولاكو فإنه لا زال يأخذ بلدًا بعد أخرى إلى أن استولى على حلب
 والشام ، واضمحل أمر الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب الشام بعد أمور
 ووقائع وقعت له ، وأقل عنه أصحابه . فلما وقع ذلك فارقه الأمير يبرس البندقدارى
 وقدم إلى مصر ومعه جماعة من البحرية طائعا لللك المنصور هذا فأكرمه قُطز

(١) هو قرا أرسلان بن إيلغازى بن أرتق بن غازى بن ألبى بن تيمرتاش السلطان الملك المظفر نجر الدين .
 توفي سنة ٦٩١ هـ (عن المنهل الصاق) . (٢) زيادة عن عيون التواريخ .

وأكرم رفقته وصاروا الجميع من عساكر مصر على العادة أولاً . يأتي تفصيل ذلك في ترجمة الملك المظفر قُطز . إن شاء الله تعالى .

- ولما استفحل أمر قُطز بديار مصر وصار هو المشار إليه فيها لصغر السلطان الملك المنصور على^(١) ، ولكثرة حواشي قُطز المذكور ، ثم تحقق قُطز مجيء التتار إلى البلاد الشامية ، وعلم أنه لا بد من خروجه من الديار المصرية بالعساكر للذّب عن المسلمين ، فرأى أنه لا يقع له ذلك ، فإن الآراء مغلولة لصغر السلطان ولاختلاف الكلمة ، بجمع قُطز كمال الدين بن العديم الحنفى وغيره من الأعيان والأمراء بالديار المصرية ، وعرفهم أن الملك المنصور هذا صبي لا يُحسن التدبير في مثل هذا الوقت الصعب ، ولا بد أن يقوم بأمر الملك رجل شهم يطيعه كل أحد ، وينتصب للجهاد في التتار ، فأجابه الجميع : ليس لها غيرك ! وكان قُطز قبل ذلك قد قبض على الملك المنصور على هذا وعوقبه بالدور السلطانية ، نفّح الملك المنصور في الحال من الملك وبُويع الأمير قُطز ولقب بالملك المظفر سيف الدين قُطز ، وأعتقل الملك المنصور ووالده بالدور السلطانية من قلعة الجبل ، وحلف قُطز الناس لنفسه وتم أمره ، وذلك في يوم السبت سابع عشر ذى القعدة سنة سبع وخمسين وستمائة . وكانت مدة الملك المنصور في السلطنة باندبار المصرية ستين وسبعة أشهر وأثنين وعشرين يوماً ، وبقي معتقلاً سنين كثيرة إلى أن تولى الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى^(٢) ، ففناه هو ووالده وأخاه ناصر الدين قاقان إلى بلاد الأشكرى^(٣) في ذى القعدة سنة ثمان وخمسين وستمائة .

(١) في الجوهر الثمين والسلوك : « فكانت مدة ملكة المنصور سنين وثمانية شهور وثلاثة أيام »

وفي عقد الجمان : « فكانت مدة ملكة ستين وستة أشهر » . (٢) لفظها « شهورا كثيرة »

لأن قُطز لم يستمر في الملك إلا ستة واحدة كما سيأتي . (٣) في الأصلين : « فان »

والنصوب عن السلوك للقرينى وعقد الجمان . (٤) المقصود ببلاد الأشكرى هي الامبراطورية =

قلت : والملك المظفر قُطز هذا هو أول مملوك خَلَعَ ابنَ أستاذه من الملك وتسَلَطَ عِوضَه ، ولم يقع ذلك قبلَه من أحد من الملوك . وتَمَّت هذه السَّنَةُ السَّيِّئَةُ في حاصد إلى يوم القيامة . وبهذه الواقعة فسَدَت أحوال مصر .



السنة الأولى من ولاية الملك المنصور على ابن الملك المعز أيك التُّركمانيّ على مصر ، وهي سنة خمس وخمسين وستمائة ، على أن والده الملك المعز حَكَمَ فيها نحواً من ثلاثة أشهر .

فيها أرسل الملك الناصر يوسف صاحب الشام ولَدَه الملك العزيز بهدية إلى هولاكو ملك التتار وطاغيتهم .

وفيها قُتِلَت الملكةُ شجرة الدر الملك المعز أيك ، ثم قُتِلَت هي أيضاً . وقد تقدّم ذكر ذلك كُلِّ واحد على حدّته في ترجمته من هذا الكتاب ، فلا حاجة إلى الإعادة .

وفيها تُوُفِيَ الأمير عز الدين أيك بن عبد الله الحلبي الكبير ، كان من أعيان المماليك الصالحة النجبية ، وممن يُضاهي الملك المعز أيك التُّركمانيّ في مَوَكِبِهِ ، وكانت له المكانة العُظْمَى في الدولة ، كان الأمراء يعترفون له بالتقدم عليهم ، وكان له عِدَّة ممالك نجباء صاروا من بعده أمراء ، منهم : رُكْن الدين إيباجي الحاجب ، وبدر الدين بيليك الجاشنكير ، وصارم الدين أُرْبُك الحلبي وغيرهم . ولما قُتِلَ الملك

= البيزنطية ، وكان صاحبها في تلك السنة « تيودور بن لاسكريس » الثاني اليوناني . والأشكري محقة عن « لشكري » وهذه عن لاسكريس والده الملك المذكور ، وقد غلب هذا اللقب فيما يصد على جميع أباطرة المملكة البيزنطية . (١) راجع الحاشية رقم ٦ ص ٤٢ من هذا الجزء . (٢) في المنهل الصافي : « سيف الدين إيباجي بن عبد الله الحاجب الأمير » . توفي سنة ٦٨٦ هـ . (٣) في المنهل الصافي : « أُرْبُك بن عبد الله الحلبي العزيز الأمير سيف الدين » . توفي سنة ٦٧٩ هـ .

المعز أيك التركاني حدثته نفسه بالسلطنة ، فلما قبض قُطز على الأمير سنجار الحلبي ، ركب أيك هذا ومعه الأمراء الصالحة فتقنطر به فوسه فهلك خارج القاهرة وأدخل إليها ميتا ، وكذلك وقع للأمير خاص ترك . وقد تقدم ذكر ذلك في ترجمة الملك المنصور .

- وفيها توفى الشيخ الإمام العلامة نجم الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن الحسن ابن عبد الله البغدادي البادرائي ، ولد في سنة أربع وتسعين وخمسمائة ، وسمع الكثير وتفقه وبرع وأتقن ودرس ، وترسل عن الخليفة إلى ملوك الشام ومصر غير مرة إلى هذه السنة ، ولى قضاء القضاة ببغداد . ومات في سلخ ذى القعدة .

- وفيها توفى الشيخ الأديب أبو الحسن علي بن محمد بن الرضا الموسوي الحسيني الشريف المعروف بابن دفترخوان . ولد سنة تسع وثمانين بحماة ، وكان فاضلا وله تصانيف وشعر جيد ، من ذلك قوله :

إذا لمت قلبي قال عيناك أبصرت * وإن لمت عيني قالت الذنب للقلب
فعيني وقلبي قد تشاركن في دمي * فيارب كن عوني على العين والقلب

- وفيها توفيت صاحبة غازية خاتون بنت الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر ابن أيوب ، والدة الملك المنصور صاحب حماة . كانت صالحة دينية دبرت ملك ولدها المنصور بعد وفاة زوجها الملك المظفر أحسن تدبير ، وهي والدة الملك الأفضل نور الدين أبي الحسن علي أيضا . وكانت وفاتها في أواخر ذى القعدة أو في ذى الحجة من السنة .

(١) هو الملك المنصور ناصر الدين أبو المعالي محمد بن الملك المظفر تقي الدين محمود بن المنصور محمد

ابن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب (عن شذرات الذهب في حوادث سنة ٦٨٣ هـ) .

وفيهما تُؤَقُّ الشَّيْخُ الإمام العالم العلامة المقرئ أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم
 [قاسم] ^(١) بن ^(٢) فَيْرَ بن ^(٣) خَلْفَ الرُّعَيْنِي الشَّاطِئِي الأصل المِصْرِي المولِد والدار الضَّرِير
 راوَى القصيدة المشهورة في القراءات التي لم يُسَبِّقْ إلى مثلها التي سماها « حِرْز
 الأمانى ووجه التهانى » . ومولده في حادى عشر ذى الحجة سنة ست أو سبع وسبعين
 وخمسمائة بمصر ، وتُؤَقُّ بها في حادى عشر شوال ودُفِنَ من يومه بِسَفْحِ المَقْطَمِ ، ولم
 يخلف بعده مثله . وكان الشَّيْخُ كثيراً ما يُنْشِدُ هذا اللَّغْزَ وهو « نَعش الموتى »
 واللَّغْزُ المذكور للخطيب أبي زكريا يحيى بن سلامة الحَصَكْفِي ، وهو :

أَتَعْرِفُ شَيْئاً فِي السَّمَاءِ نَظِيرَهُ * إِذَا سَارَ صَاحِبُ النَّاسِ حِينَ يَسِيرُ
 فَتَلْقَاهُ مَرْكُوباً وَتَلْقَاهُ رَاكِباً * وَكُلُّ أَمِيرٍ يَتْلِيهِ أَسِيرُ
 يَحُضُّ عَلَى التَّقْوَى وَتَكْرَهُ قُرْبَهُ * وَتَنْفِرُ مِنْهُ النَّفْسُ وَهُوَ نَذِيرُ

وفيهما تُؤَقُّ الوَزِيرُ الصَّاحِبُ شَرَفُ الدِّينِ هِبَةُ اللَّهِ بنُ صَاعِدِ الْفَائِزِي ، كَانَ أَوَّلًا
 تَصْرَانِيًّا يُقَالُ بِالْأَسْعَدِ ، وَهُوَ مَنْسُوبٌ بِالْفَائِزِي إِلَى الْمَلِكِ الْفَائِزِ إِبْرَاهِيمَ ابْنِ الْمَلِكِ
 الْعَادِلِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَيُّوبَ ، ثُمَّ أَسْلَمَ وَتَنَقَّلَ فِي الْخِدْمِ حَتَّى ولى الْوِزَارَةَ . وَكَانَ عِنْدَهُ
 رِيَاسَةٌ وَمَكَارِمٌ وَعَقْلٌ وَحَسَنُ تَدْبِيرٍ ، وَخَدَمَ عِدَّةَ مُلُوكٍ وَكَانَ مَحْظُوظًا عِنْدَهُمْ ، وَهُوَ
 الَّذِي هَجَاهُ الصَّاحِبُ جَمَالُ الدِّينِ يَحْيَى بْنُ مَطْرُوحٍ ، وَقِيلَ بِهِاءُ الدِّينِ زُهَيْرٌ بِقَوْلِهِ :

لَمَنْ اللَّهُ صَاعِدًا * وَأَبَاهُ فَصَاعِدًا
 وَبَنِيهِ فَنَازِلًا * وَاحِدًا ثُمَّ وَاحِدًا

(١) تَكَلَّمَ عَنْ غَايَةِ النِّهَايَةِ وَمَا تَقَدَّمَ فِي تَرْجُمَةِ أَبِيهِ فِي حَوَادِثِ سَنَةِ ٥٩٠ هـ . (٢) فِي الْأَصْلَيْنِ :
 « خَيْرٌ » . وَالتَّصْوِيبُ عَنْ غَايَةِ النِّهَايَةِ . (٣) فِي الْأَصْلَيْنِ : « الرِّيَاضِي » . وَالتَّصْحِيحُ عَنْ
 غَايَةِ النِّهَايَةِ وَمَا تَقَدَّمَ . (٤) فِي الْأَصْلَيْنِ : « صَاحِبُ الْقَصِيدَةِ » . وَالتَّصْوِيبُ عَنْ غَايَةِ النِّهَايَةِ .

وفيها تُوفِّي أبو الحسن المغربي المورقي^(١) الشيخ نور الدين ، كان من أقارب المورقي الملك المشهور ببلاد الغرب ، مات بِدَمَشْق ودُفِن بِقَاسِيُون ، وكان فاضلاً أدبياً شاعراً . ومن شعره من أبيات :

الْقَضْبُ رَاقِصَةٌ وَالطَيْرُ صَادِحَةٌ * وَالسَّيْرُ مُرْتَفِعٌ وَالْمَاءُ مُنْحَدِرٌ
وقد تَجَلَّتْ مِنَ اللَّذَاتِ أَوْجُهَا * لَكِنَّا بِظُلَالِ الدُّوْحِ تَسْتَرُ
فَكُلُّ وَاِدٍ بِهِ مُوسَى يُفَجِّرُهُ * وَكُلُّ رَوْضٍ عَلَى حَافَاتِهِ الْخَضِرُ
قلت : وهذا يُشَبِّه قول من قال في مَلِيحِ حَلِيق :

مَرَّتِ الْمَوْسَى عَلَى عَارِضِهِ * فَكَأَنَّ الْمَاءَ بِالْأَسِّ غُمِرَ
مَجْمَعُ الْبَحْرِ يَنْبُضُ خَدَّهُ * إِذْ تَلَاقَى فِيهِ مُوسَى وَالْخَضِرُ

- الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها تُوفِّي المحدث أبو محمد عبد الرحمن بن أبي الفهم ^(٢) الْبَلْدَانِي في شهر ربيع الأول ، وله سبعٌ وثمانون سنة . والإمام شرف الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي الفضل السُّلَمِيّ المُرِّيْسِيّ في نصف شهر ربيع الأول ، وله ست وثمانون سنة . والإمام نجم الدين أبو محمد عبد الله بن أبي الوفاء الْبَادَرَانِيّ الشَّافِعِيّ في ذى القعدة ببغداد .

- § أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وخمس وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وسبع عشرة إصبعا .



السنة الثانية من ولاية الملك المنصور على ابن الملك الميز آتيك على مصر ، وهي سنة ست وخمسين وستمائة .

- (١) كذا في الأصلين وذيل مرآة الزمان . وفي الذيل على الروستن : « الميروق » . وفي عيون التواريخ : « المورقي » . ولعل هذه النسبة الأخيرة هي الصواب ، نسبة إلى جزيرة ميروقة إحدى جزر البليار التابعة الآن لأسبانيا . (٢) بلدان : قرية من قرى دمشق (عن معجم البلدان لياقوت) .

فيها آستولى الطاغية هولاءكو على بغداد ، وقتل الخليفة المستعصم بالله ومعظم
أهل بغداد؛ وقد تقدم ذلك

وفيها كان الوباء العظيم يدمشق وغيرها .

وفيها توفى الأديب البارع شرف الدين أبو الطيب أحمد بن محمد بن أبي الوفا
الربيعي الموصلي المعروف بابن الحلاوي الشاعر المشهور، كان من أحسن الناس
صورةً وألطيفهم أخلاقاً مع الفضيلة التامة ، ورحل البلاد ومدح الخلفاء والملوك
وخدم الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤا صاحب الموصل وليس زى الجند . وشعره
في نهاية الرقة والجزالة ، وهو صاحب القصيدة التي أولها :

حكاه من الفُضن الرطيبَ وريقُهُ * وما انخرُ إلا وجتاه وريقُهُ
هلالٌ ولكن أفقُ قلبي محلهُ * غزالٌ ولكن سَفحُ عيني عقيقُهُ
وأسمَرَ يَحكي الأسمرَ اللذنَ قَدُهُ * غداً راشقاً قلبَ المحبِّ رَشيقُهُ
على خَدِهِ جمرٌ من الحُسْنِ مُضرمُ * يُسبُّ ولكن في فؤادي حريقُهُ
أقزله من كلِّ حُسْنٍ جليلُهُ * وواقفه من كلِّ معنى دَقيقُهُ
بدعُ الثَنَّى راح قلبي أسيرهُ * على أن دُمي في المرام طليقُهُ
على سَليفِهِ للعِذارِ جَريرةُ * وفي شفتيه للسُلافِ عتيقُهُ
يهددُ منه الطرفُ من ليس خَصمهُ * ويُسيكرُ منه الرِّيقُ من لا يدوقُهُ
على مثله يَسْتَحْسِنُ الصَّبُّ هتكُهُ * وفي حبه يحفو الصديقُ صديقُهُ
من التُّرك لا يُصِيبُهُ وَجدٌ إلى الحمى * ولا ذكرُ باناتِ الفُويرِ تُسوقُهُ
ولا حلٌّ في حَيٍّ تلوحُ قِبابُهُ * ولا سار في رَكِبٍ يُساقُ وُسوقُهُ

(١) في الأصلين : « الزجالة » وهو تحريف . وما أئبناه عن ذيل مرآة الزمان .

- ولا بات صبًّا بالفريق^(١) وأهله * ولكن إلى خاقان يَمْرَى فريقيه
 له مَبْسَمٌ يُنْسِي المَدَامَ بريقه * وَيُجْبِلُ نُوَارَ الآقَاحِ بريقه
 تداوَيْتُ من حرِّ الغَرَامِ بَرْدِه * فَأَضْرَمَ من ذاك الحريق رَحيقه
 إِذَا خَفَقَ السَّبْقُ اليماني مَوْهِنًا * تَذَكَّرْتَهُ فَأَعْتَادَ قَلْبِي خُفُوقَه
 حَكَى وَجْهَهُ بَدَرَ السَّمَاءِ فلو بَدَا * مع البدر قال الناس هذا شقيقه
 رَأَى خَيَالًا حين وَاقَى خيَالَه * فَأَطْرَقَ من قَرِطِ الحَيَاءِ طَرُوقَه
 فَاشْبَهَتْ منه الخَضِرُ سَقْمًا فَقَدْ غَدَا * يُحْمِلُنِي كَالْخَضِرِ مَا لَا أَطِيقَه
 فَبِأَلِّ قَلْبِي كُلِّ حَبٍّ يَهْجُجُه * وَحَتَامَ طَرَفُ كُلِّ حُسْنٍ يَرُوقَه
 فهِذَا ليومَ البَيْنِ لَمْ تَطْفَأْ نَارُه * وَهَذَا لِبُعْدِ الدَّارِ مَا جَفَّ مُوقُه
 وَلِلَّهِ قَلْبِي مَا أَشَدَّ عَقَاقُه * وَإِنْ كَانَ طَرَفِي مُسْتَعِمًّا فُسُوقُه
 فَمَا فَازَ إِلَّا مَنْ يَبِيْتُ صَبُوحَه * شَرَابُ تَنَآيَاهِ وَمِنْهَا غَبُوقُه

- وفيهما توفى الأمير بكتوت بن عبد الله سيف الدين العزيزي أستاذار الملك الناصر
 صلاح الدين يوسف صاحب الشام، كان من أكابر الأمراء في الدولة الناصرية،
 وكان حسن السيرة مليح الشكل متجملًا، كان موكبُه يضاهي مواكب الملوك .
 وفيها توفى الملك الناصر أبو المظفر وقيل أبو المفاخر داود صاحب الكرك ابن
 الملك المعظم عيسى صاحب الشام ابن الملك العادل أبي بكر صاحب مصر ابن الأمير
 نجم الدين أيوب . مولده في جمادى الآخرة سنة ثلاث وستمائة، ووقع له أمور
 وحوادث ومحن تكرر ذكرها في عدة تراجم من هذا الكتاب . وكان تغلب على الشام
 بعد موت عمه الملك الكامل محمد، وقدم مصر بعد ذلك غير مرة وتوجه إلى الشرق،
 ووقع له أمور بطول شرحها إلى أن مات في جمادى الأولى . وكان ملكا شجاعا

(١) الفريق : اسم وضع بهامة (عن معجم البلدان لياقوت) .

مُقَدِّمًا فاضلاً أدبياً شاعراً، وقد تقدّم من شعره غَدَّةُ أبيات يستعطف بها الملك الصالح نجم الدين أيوب في ترجمة الملك الصالح المذكور . ومن شعره أيضاً :
لَئِنْ عَايَنْتُ عَيْنَايَ أَعْلَامَ جِلِّي * وَبَانَ مِنَ الْقَصْرِ الْمَشِيدِ قِبَابُهُ
تَيَقَّنْتُ أَنَّ الْبَيْنَ قَدْ بَانَ وَالنَّوَى * نَأَى تَحْطُّهَا وَالْعِشَّ عَادَ شَبَابُهُ^(١)

وفيها تُوفِّي العلامة المُفَتِّنَ أبو الفضل وقيل أبو العلاء بهاء الدين زُهَيْرُ بن محمد ابن علي بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن المنصور بن عاصم الأزدي المكي القوصي المنشأ المصري الدار، الكاتب الشاعر المشهور المعروف بالبهاء زهير صاحب الديوان المشهور . مولده بوادي تحلة بقرب مكة في خامس ذي الحجة سنة إحدى وثمانين وخمسمائة ؛ وَرُبِّيَ بصعيد مصر بقوص^(٢)، وقرأ الأدب وسمع الحديث وبرع في النظم والنثر والترسل، وله الشعر الرائق الفائق، وكان رئيساً فاضلاً حسن الأخلاق، اتصل بخدمة الملك الصالح نجم الدين أيوب في حياة أبيه الملك الكامل، ودام في خدمته إلى أن تُوُفِّي . وقد تقدّم من ذكره في ترجمة الملك الصالح نبذة جيّدة . وكانت وفاة البهاء زهير هذا في يوم الأحد قبل المغرب رابع ذي القعدة وقيل خامسه . ومن شعره — رحمه الله — :

وَلَمَّا جَفَانِي مَنْ أَحَبَّ وَخَانِي * حَفِظْتُ لَهُ الْوَدَّ الَّذِي كَانَ ضِيْعًا
وَلَوْ شِئْتُ قَابَلْتُ الصَّدُودَ بِمَنْلِهِ * وَلَكِنِّي أَبْقَيْتُ لِلصَّلَاحِ مَوْضِعًا
وَقَدْ كَانَ مَا قَدْ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ * أَكِيدًا وَلَكِنِّي رَعَيْتُ وَمَا رَعَى
سَعَى بَيْنَنَا الْوَاشِي فَفَسَّرَقَ بَيْنَنَا * لَكَ الذَّنْبُ يَا مَنْ خَانَنِي لَا مَنْ سَعَى

(١) كذا في فوات الوفیات لأبن شاکر . وفي الأصلين : * نوي شخصه والعين عان شبابه *

وهو تحريف . (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٩٢ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

(٣) بحثنا على هذه الأبيات في ديوانه المطبوع في أوروبا ومصر، وفي المجلد الصافي فلم نثر عليها

ومن شعره أيضا قصيدته التي أولها :

رُويَدَكَ قَدْ أَفْنَيْتَ يَا بَيْنَ أَدْمُعِي * وَحَسْبُكَ قَدْ أَحْرَقْتَ يَا شَوْقُ أَضْلُعِي
إِلَى كَمْ أَقَاسِي لَوْعَةٍ بَعْدَ لَوْعَةٍ * وَحَقِّي مَتَى يَا بَيْنُ أَنْتَ مَعِي مَعِي
وَقَالُوا عَلِمْنَا مَا جَرَى مِنْكَ بَعْدَنَا * فَلَا تَظْلَمُونِي مَا جَرَى غَيْرَ أَدْمُعِي

- وفيها تُوفِّي الإمام الحافظ الحجّة أبو محمد زكيّ الدين عبد العظيم بن عبد القويّ^(١) ابن عبد الله بن سلامة بن سعد بن سعيد المُنْذِرِيّ الدَّمَشْقِيّ الأصل المصريّ المولِد والدار والوفاة . ولد سنة إحدى وثمانين وخمسمائة ، وسمع الكثير ورحل وكتب وصنف ونرجح وأمل وحذث بالكثير ، وتخرج به جماعة ، وهو أحد الحفاظ المشهورين .

- وفيها تُوفِّي الخليفة أمير المؤمنين المستعصم بالله أبو أحمد عبد الله ابن الخليفة المستنصر بالله منصور ابن الخليفة الظاهر بأمر الله محمد ابن الخليفة الناصر لدين الله أبي العباس أحمد ابن الخليفة المستضيء بالله أبي محمد الحسن ابن الخليفة المستنجد بالله أبي المظفر يوسف ابن الخليفة المقتفى بالله أبي عبد الله محمد ابن الخليفة المستظهر بالله أبي العباس أحمد ابن الخليفة المقتدى بالله أبي القاسم عبد الله ابن الأمير محمد الذخيرة ، وهو غير خليفة ، ابن الخليفة القائم بأمر الله عبد الله ابن الخليفة القادر بالله أبي العباس أحمد ابن الأمير إسحاق ، وإسحاق غير خليفة ، ابن الخليفة المقتدر بالله أبي الفضل جعفر ابن الخليفة المعتضد بالله أبي العباس أحمد ابن الأمير طَلْحَةَ الموفق ، وطلحة غير خليفة أيضا ، ابن الخليفة المتوكل على الله أبي الفضل جعفر ابن الخليفة المعتصم بالله محمد ابن الخليفة الرشيد بالله هارون ابن الخليفة

(١) في الأصلين : « ابن عبد السلام » . والتصويب عن تذكرة الحفاظ للذهبي والمتل الصافي وفوات الوفيات وشذرات الذهب .

المهدى بالله محمد آبن الخليفة أبي جعفر عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله
ابن العباس بن عبد المطلب الهاشمي البغدادي ، آخر خلفاء بني العباس ببغداد ،
وبموته انقرضت الخلافة من بغداد . ولى الخلافة بعد وفاة والده المستنصر بالله
في العشرين من جمادى الأولى سنة أربعين وستمائة ، ومات قتيلًا بيد هولاء
طاغية التتار في هذه السنة . وقد تقدم كيفية قتله في ترجمة الملك المنصور على هذا ،
وكانت مدة خلافته خمس عشرة سنة وثمانية أشهر وأيامًا . وتقدير عمره سبع وأربعون
سنة . وكان قليل المعرفة بتدبير الملك نازل المهمة مهملاً للأمور المهمة محباً لجمع
الأموال يُقدم على فعل ما يُستقبح ، أهمل أمر هولاء حتى كان في ذلك هلاكه .
وشغرت الخلافة بعده سنين ، وبقيت الدنيا بلا خليفة حتى أقام الملك الظاهر
بيبرس البندقداري بعض بني العباس في الخلافة . على ما يأتى ذكر ذلك في ترجمة
الظاهر بيبرس البندقداري إن شاء الله تعالى .

وفيه توفى الأمير الأديب الشاعر سيف الدين أبو الحسن علي بن عمر بن قزل
المعروف بالمشيد الشاعر المشهور . مولده بمصر في شوال سنة اثنتين وستمائة ،
وتولى شيد الدواوين بمصر مدة سنين ، وكان من أكابر الأمراء الفضلاء وهو
قريب الأمير جمال الدين بن يغمور ، وله ديوان شعر مشهور بأيدي الناس ، وتوفى
بدمشق في يوم عاشوراء . ورثاه بعض الفضلاء ، فقال :

(١) شيد الدواوين : موضوعها أن يكون صاحبها رفيقا للوزير متعدنا في استخلاص الأموال ،
وما في معنى ذلك ، وعادتها إمرة عشرة (عن صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٢) . (٢) وقد تولى أيضا
شيد الدواوين بدمشق كما في المنهل الصافي وفوات الوفيات . (٣) في نزهة الأنام : « وهو آبن عم
الأمير جمال الدين » . وفي المنهل الصافي وفوات الوفيات : « وهو نسب الأمير جمال الدين بن يغمور » .
(٤) هو تاج الدين بن حواري . وهذان البيتان من قصيدة مطلعها :

أأخى أى دجنة أو أزمه * كانت بغير السيف عنا تنجل

(راجع فوات الوفيات ج ٢ ص ٨٠ وذيل مرآة الزمان) .

عاشورُ يومٌ قد تعاظم ذنبُهُ * إذ حَلَّ فيه كُلُّ خَطْبٍ مُشْكِلٍ
لم يَكْفِهِ قَتْلُ الحُسَيْنِ وما جَرَى * حتَّى تَعْدَى بالمصَابِ عِلَى عَلِيٍّ
ومن شعره — رحمه الله — يَبْتُ مفرد كلِّ كلمة منه قلبٌ نفسها وهو :
لَيْلُ أَضَاءِ هَلَالُهُ * أُنَى يَضَى بِكُوكِبِ

ومن شعره أيضا، قوله :

وشَادِنٍ أوردني جُفُهُ * لَهِيبَ حَرِّ الشَّوْقِ والفُرْقَةِ
أصبحتُ حَرَّانَا إلى رِيْقِهِ * فليت لي من قلبه الرِّقَّةُ

وله أيضا مضمنا مُقْتَبَسَا :

وافي إلى وكأُسِّ الرَّاجِ في يَدِهِ * نَحَلْتُ من لطفه أن النسيم سَبَرِي
لا تدرك الرَّاحُ معنَى من شمَائِلِهِ * والشمس لا ينبغي أن تُدرك القَمَرَا
وله في خَوْدِ عَمِيَاءَ :

علِقَتْهَا نَجْمَاءُ مِثْلَ المَهَا * نَخَافُ فيها الزَّمَنُ الغَادِرُ
أذهب عَيْنَهَا فإِنْسَانَهَا * في ظَلَمَةٍ لا يَهْتَدِي حَازِرُ
تَجَرَّحَ قلبي وهى مكفوفةٌ * وهكذا قد يفعل البَاثِرُ
ونرجس اللحظ غدا ذابلاً * واحسرتا لو أَنَّهُ نَاطِرُ

وله في لاعبِ شَطْرَنَجٍ :

لَبِيتُ بالشَّطْرَنَجِ مع شَادِنٍ * رَشَاقَةُ الأَغْصَانِ من قَدِهِ
أَحْلَ عَقْدَ البَنْدِ من خَصِرِهِ * وأَلَمَ الشَّامَاتِ من خَدِهِ

(١) في الأصلين : « من خصره » . والنصوب عن المثل الصافي وفوات الوفيات .

وفيهما توفى الشيخ الإمام الأديب الرباعي جمال الدين أبو زكريا يحيى بن يوسف
ابن يحيى بن منصور بن المعمر بن عبد السلام الصرصري^(١) الضرير الشاعر المشهور .
كان من العلماء الفضلاء الزهاد العبّاد، وكان له اليد الطولى في النظم ، شعره
في غاية الجودة، ومدح النبي صلى الله عليه وسلم بقصائد لا تدخل تحت الحصر
كثرة؛ قيل : إن مدائحه في النبي صلى الله عليه وسلم تقارب عشرين مجلداً . ومن
شعره من المدائح النبوية قوله :

زار وَهَنًا ونَحْنُ بالزَّوراءِ * في مقامٍ خلا من الرُّقباءِ
من حبيبِ القلوب طيفُ خيالٍ * بغلا نُبورُهُ دُجَى الظُّلُماءِ
يا لها زُورَةٌ على غيرِ وَغْدٍ * بثَّ منها في ليلَةِ سَرَّاءِ
نِعِمَّتْ عِيشَتِي وطابت حَيَاتِي * في دُجَاهَا يا طَلَمَةَ الْفَرَّاءِ ١٠
ومنها :

يا هلالَ السرورِ يا قمرَ الأُذ * يس ونجمَ الهدى وشمسَ البهاءِ
يا ربيعَ القلوبِ يا قُتْرَةَ العِ * ين وبابَ الإحسانِ والنِّعماءِ
ومنها :

سيدُّ حُبِّه نِخارٌ وتَشْرِيدٌ * عُفٌ وعِزٌّ باقٍ لأهل الصِّفاءِ ١٥
أحمدُ المصطفى السَّراجُ المنيّرُ الـ * خير خاتَمُ الأنبياءِ^(٢)

ومن شعره في عدد الخلفاء بنى العباس إلى المستعصم آخر خلفاء بنى العباس
ببغداد، قال

(١) الصرصري : نسبة إلى صرصر، قرية على فرسخين من بغداد . (عن لب الباب) .

(٢) كذا في الأصلين . والشطر الأخير ناقص كلمة ، كان يكون أصله : « المنير الناصر الخير »
أرنحوه . ٢٠

لَكَرْبِ بْنِ الْبَّاسِ سَفَاحِهِمْ جَلَا * وَجَرَ لِنَصُورٍ وَمَهْدَى الْوَلَا
وَهَادٍ وَهَارُونَ الرَّشِيدَ تَلَاهِمَا * أَمِينٌ وَمَأْمُونٌ وَمَعْتَصِمُ الْمَلَا
وَوَاتِقُهُمْ مِنْ بَعْدِهِ مَتَوَكَّل * وَمَتَصِرٌ وَالْمُسْتَعِينُ بَنُو الْعُلَا
وَطَابَ بِمَعْتَرٍ جَنَى مَهْتِدٍ كَمَا * بِمَعْتَصِدٍ عَيْشٍ لِمَعْتَمِدٍ حَلَا

قلت : لعله ما قال إلا :

..... * بِمَعْتَمِدٍ عَيْشٍ لِمَعْتَصِدٍ حَلَا

لأن المعتمد عم المعتضد وتولى المعتضد الخلافة بعده . انتهى .

وَمَكْتَفِيًّا فَأَعْدُدْ وَمَقْتَدِرًا وَقَدْ * تَلَا قَاهِرًا رَاضٍ لِمُنْتَفِي تَلَا
وَمُسْتَكْفِيًّا ثُمَّ الْمَطْبِيعَ وَطَائِعًا * وَقَادِرَهُمُ وَالْقَائِمَ أَعْدُدْ مُحْصِلَا
وَبِالْمَقْتَدِي مُسْتَظْهَرٌ سَادَ مِثْلًا * بِمُسْتَرَشِدٍ وَالرَّاشِدَ الْمَقْتَفِي عَلَا
بِمُسْتَنْجِدٍ وَالْمُسْتَضَى وَنَاصِرٍ * وَظَاهِرٍ وَالْمُسْتَنْصِرَ أَجَلَ مَقْفَلَا
وَمُسْتَعَصِمٌ لَا زَالَ بِالنَّصْرِ قَاهِرًا * لِأَعْدَائِهِ مَا حَتَّتِ الْعَيْسُ فِي الْفَلَا

قال الذهبي : « حكي لنا شيخنا ابن الدباهي^(١) - وكان خال أمه (يعني
الضرصري) - قال : بلغنا أنه دخل عليه التتار وكان ضريراً ، فطعن بمكازه بطن
واحد فقتله ، ثم قُتل شهيداً بيد التتار » . انتهى .

قلت : كل ذلك في واقعة هولاكو المقدم ذكرها .

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها توفى الأمير سيف الدين
المُشَدَّ الشاعر صاحب الديوان ، وأسمه علي بن عمر بن قزل في المحرم . والشيخ يحيى
ابن يوسف بن يحيى الضرصري الزاهد صاحب « الديوان » ، أُسْتُشْهِدَ بِبَغْدَادَ

٢٠ (١) الدباهي : نسبة إلى دباهي ، قرية من نواحي بغداد . وهو محمد بن أحمد بن أبي نصر الدباهي
البغدادى شمس الدين أبو عبد الله الحنبلى الزاهد . توفى سنة ٥٧١١هـ (عن الدرر الكامنة وشذرات الذهب) .

في صَفَر في أم لا يُحْصَوْنَ : منهم المستعصم بالله أبو أحمد عبدالله بن المستنصر، وله سبع وأربعون سنة، وكانت خلافته ست عشرة سنة . ومنهم أستاذاره عبي الدين يوسف بن الشيخ أبي الفرج بن الجوزي . ومدّرس المستنصرية الإمام أبو المناقب محمود بن أحمد بن محمود الزنجاني^(١) الشافعي، وله ثلاث وثمانون سنة . والمحتمل شمس الدين علي بن المظفر بن القاسم النُشَيشي^(٢) في شهر ربيع الأول . وأبو عمرو عثمان ابن علي القرشي بن خطيب القرافة في شهر ربيع الآخر، وله أربع وثمانون سنة . وأبو العز عبد العزيز بن محمد بن أحمد بن محمد بن صديق المؤدّب الحرّاني بدمشق . والملك الناصر أبو المظفر داود بن الملك المعظم بن العادل في جمادى الأولى ، وله ثلاث وخمسون سنة . والمحتمل نجيب الدين نصر الله [بن المظفر بن عتيل بن حمزة أبو الفتح] بن أبي العزّ الشيباني بن شقيشة في جمادى الآخرة، وقد جاوز السبعين . وأبو الفضل عبد العزيز بن عبد الوهاب بن بنان الكفّرطاي في شوال ، وله تسع وسبعون سنة . والأديب شرف الدين الحسين بن إبراهيم الإريلي اللغوي في ذي القعدة ، وله ثمان وثمانون سنة . والحافظ زكي الدين عبد العظيم ابن عبد القويّ المنذري في ذي القعدة، وله ست وسبعون سنة . والبهاء زهير بن محمد ابن علي المهلبّي الكاتب الشاعر . والعارف أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار^(٦)

(١) الزنجاني : نسبة الى زنجان ، مدينة على حد أذربيجان (عن لب الباب) .

(٢) في الأصلين : « المتشّي » . والتصويب عن الذيل على الروضتين وشذرات الذهب والقاموس وشرحه . والنشيشي كسلي : نسبة إلى نسبة على غير قياس أبي قبيلة من قيس . (٣) التكلة عن عيون التواريخ . (٤) في شذرات الذهب : « ابن بيان » . (٥) في الأصلين : « شرف الدين الحسن » . والتصويب عن شذرات الذهب والذيل على الروضتين والمهل الصافي وعيون التواريخ . (٦) في السلوك : « علي بن عبد الله بن عبد الحق » . والشاذلي : نسبة إلى شاذلة وهي قرية بأفريقية (عن شذرات الذهب وعقد الجمان) .

- (١١) الشاذلي الضرير [بصحراء] عذاب في ذى القعدة . وأبو العباس القرطبي أحمد بن عمر بن إبراهيم القائل بالإسكندرية، وله ثمان وسبعون سنة . وخطيب مردا أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن أحمد الحنيلي في ذى الحجة . والحافظ صدر الدين أبو علي الحسن بن محمد بن محمد بن محمد البكري بالقاهرة في ذى الحجة، وله اثنتان وثمانون سنة . والشيخ أبو عبد الله الفاسي محمد بن حسن شيخ الإقراء بحلب في شهر ربيع الآخر .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وتسع عشرة إصبعا .
مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وخمس أصابع .



- ١٠ السنة الثالثة من ولاية الملك المنصور على ابن الملك المعز أيك على مصر،
وهي سنة سبع وخمسين وستمائة .

- (١) زيادة عن شذرات الذهب وعقد الجمان والسلوك . (٢) عذاب : يستخلص مما ورد في كتب رحلي ابن جبير وابن بطوطة والخطط المقرزية أن عذاب كانت فرضة على بحر القازم الذي يعرف الآن بالبحر الأحمر في صحراء لاعامرة فيها، ولكنها كانت من أشهر المراسم في البحار، تأتي إليها سفن اليمن والحبشة والهند، وكانت في الزمن الماضي طريق الحج المصري يسير إليها الحجاج عن طريق قوص ثم يركبون البحر منها إلى جدة .
- ١٥ وقد أقام حجاج مصر والمغرب أكثر من مائتي سنة يتوجهون إلى الحجاز من طريق صحراء عذاب ثم يطل استعمال هذا الطريق في سنة ٥٧٦٦ هـ . ورد في الخطط التوفيقية (ج ١٤ ص ٥٦) عند الكلام على عذاب أنها كانت في محل مدينة يرينيس القديمة (يرينيه) الواقعة على البحر الأحمر تجاه مدينة أسوان .

- ٢٠ وأقول : إن عذاب قد اندثرت من القرن العاشر الهجري ، وتلاشى طريقها وتحول عنها طريق الحجاج والقوافل التي كانت تسير بين عذاب وقوص إلى طريق السويس فالعقبة فالساحل الشرقي للبحر الأحمر إلى جده . ولم تكن عذاب محل مدينة يرينيس كما ذكر مبارك باشا فإن هذه تقع على البحر الأحمر عند رأس بناس على خط عرض ٢٣ درجة و ٥٥ دقيقة ، يقابلها من الغرب على النيل أسوان . وأما عذاب فكانت واقعة على البحر الأحمر جنوب رأس أبو فاطمة على خط عرض ٢٢ درجة و ٢٠ دقيقة ، يقابلها من الغرب على النيل قرية أبو سنبل التي بمركز الدر والواحة شمال بلدة وادي مطفا على بعد ٦٦ كيلومترا منها .
- ٢٥ (٣) مردا : قرية قرب نابلس ، لا يلفظ بها إلا بالقصر (عن معجم البلدان لياقوت ج ٤ ص ٤٩٣) .

فيما خلع الملك المنصور على المذكور بمملوك أبيه الملك المظفر قطز المعزى .
وقد تقدم ذلك .

وفيها دخل هولاء ديار بكر قاصدا حلب . يأتي ذكر ذلك كله في ترجمة
الملك المظفر قطز إن شاء الله تعالى .

وفيها توفي الملك الرحيم^(١) أبو الفضائل بدر الدين لؤلؤ بن عبد الله الأتابكي
صاحب الموصل ، كان من أجل الملوك . وطالت أيامه بالموصل لأنه أقام بتدبير
أستاذه نور الدين أرسلان شاه بن عز الدين مسعود بن مودود بن زكي بن آق سُقُر
التركي ، فلما توفى نور الدين قام بتدبير ولده الملك الفاهر عز الدين مسعود ، فلما توفى
الملك الفاهر سنة أربع عشرة وستمائة أقام صبيين من ولده هما أبنا بنت مظفر الدين^(٢)
صاحب إربل [ثم إنه أخنى على أولاد أستاذه فقتلهم غيلة^(٣)] واحدا بعد واحد ،
ثم بعد ذلك استبدت بمملكة الموصل وأعمالها سبعا وأربعين سنة . وكان كثير التجميل
بالرسل والوافدين عليه ، وكان له هممة عالية ومعرفة تامة ، وكان شديد البحث عن
أخبار رعاياه ما يتخفى عنه من أحوالهم إلا ما قل ، وكان يفرم على القضاة والجواسيس
في كل سنة مالا عظيما ، وكان إذا عديم من بلاده ما قيمته مائة درهم هان عليه أن
يبدل عشرة آلاف دينار ليلبغ غرضه في عوده ، ولا يذهب مأل رعيته .

قلت : لله در هذا الملك ! ما أحوج الناس إلى ملك مثل هذا يملك الدنيا بأسرها .
وكانت وفاته بالموصل وهو في عشر التسعين سنة .

(١) يلاحظ أن هذا الملك هو الذي قد جمع له الشيخ عز الدين بن الأثير كتابه الكامل في التاريخ
فأجازه عليه وأحسن إليه . راجع عقدا الجمان في حوادث سنة ٦٥٦ هـ .

(٢) هو مظفر الدين كوكبوري بن زين الدين علي بك بكين صاحب إربل . تقدمت وفاته
سنة ٦٣٠ هـ .
(٣) التكلة عن عقد الجمان .

وفيهما توفى الأديب الفاضل أبو عبد الله بهاء الدين محمد بن محمد بن محمد بن الحسن القرشي - الدمشقي - العدل المعروف بابن الدجاجة ، كان فاضلاً شاعراً مطبوعاً . ومن شعره قوله :

كَمْ تَكْتُمُ الْوَجْدَ يَا مُعْنَى * مَا وَمَا يَخْفَى الْلَّهِيبُ

سَلَّ عَرَبَ الْوَادِيَيْنِ عَمَّنْ * بَانُوا مَا بَيْنَنَا غَرِيبُ

- الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة ، قال وفيها توفى أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد الأنصاري - الإشبيلي - بن السراج مسند القرب بجماعة ^(١) في صفر ، وله سبع وتسعون سنة ، وكانت الرحلة إليه من الأقطار . وصدر الدين أسعد بن عثمان ^(٢) [بن أسعد] بن المنجي ، ودُفِنَ بمدرسته الصَّدْرِيَّة في شهر رمضان ، والمقبر ^(٣) شمس الدين أبو الفتح محمد [بن علي] ^(٤) بن موسى الأنصاري - بدمشق في المحرم .
والمملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل في شعبان .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وست وعشرون إصبعا .
مبلغ الزيادة ثمان عشرة ذراعا وإصبع واحدة .

- (١) بجاية (بالكسر وبحيف الجيم) : مدينة على ساحل البحرين إفريقية والمغرب (عن معجم البلدان لياقوت) . (٢) التكلة عن المنهل الصافي . (٣) هي مدرسة للحنابلة بدمشق .
(٤) التكلة عن الذيل على الروضتين وغاية النهاية في طبقات القراء .

ذكر سلطنة الملك المظفر قُطُز على مصر

السلطان الملك المظفر سيف الدين قُطُز بن عبد الله المُعزّي الثالث من ملوك
الترك بالديار المصرية . وقُطُز (بضم القاف والطاء المهملة وسكون الزاي) ، وهو
لفظ مُغلّي . تسلطن بعد خلع آبن أستاذة الملك المنصور على آبن الملك المُعزّي أَيْتِك
في يوم السبت سابع عشر ذى القعدة سنة سبع وخمسين وسبعمائة ، وذلك بعد أن
عظمت الأراجيف بتحريك التتار نحو البلاد الشامية وقطعهم القُرات وهجمهم
بالغارات على البلاد الحليّة ، وكان وصل إليه بسبب ذلك صاحبُ كِمال الذين
عمر بن العَديم رسولاً من الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب حلب والشام
يطلب منه النجدة على قتال التتار ، فأنزله قُطُز بالكُباش^(٢) وجمع القضاة والفقهاء
والأعيان لمشاورتهم فيما يعتمد عليه في أمر التتار وأن يُؤخذ من الناس ما يُستعان
به على جهادهم ، فحضروا في دار السلطنة بقلعة الجبل ، وحضر الشيخ عَمْرُ الدين
آبن عبد السلام والقاضي بدر الدين السُّنْجَارِيّ قاضي الديار المصرية وغيرهما من
العلماء ، وجلس الملك المنصور على دَمَت السلطنة ، وأفاضوا في الحديث ،
فكان الاعتماد على ما يقوله آبن عبد السلام ، وخُلاصة ما قال : إنه إذا طرق العدو
بلاد الإسلام وجب على العالم قتالهم ، وجاز لكم أن تأخذوا من الرعية ما تستعينون به

(١) هو عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جراحة صاحب العلامة كمال الدين أبو القاسم العقيل الحلبي
المعروف بابن العديم . سيذكر المؤلف وفاته سنة ٦٦٠ هـ . (٢) الكباش : اسم يطلق على الجزء
الشمالي الغربي من جبل يشكر حيث المنطقة الواقعة غربي جامع ابن طولون ، بدليل أن المقرئ لمّا تكلم
في الجزء الأول من خطه (ج ١ ص ٣٤٤) على سائل النيل بمدينة مصر (مصر القديمة) ووصل إلى ذكر
الحراوات قال : وبأثر الحراوات القصوى الكباش وجبل يشكر . ثم لمّا تكلم في الجزء الثاني من خطه (ج ٢
ص ١٣٣) على مناظر الكباش قال : إن هذه المناظر كانت على جبل يشكر بجوار الجامع الطولوني ، وإن
الملك الصالح نجم الدين أوبو لمّا أنشأ هذه المناظر سماها الكباش (لوقوعها فوق هذا الجبل) ولا تزال
هذه المنطقة تعرف إلى اليوم باسم قلعة الكباش بشوارع مراسينا بقسم السيدة زينب .

- (١) على جهادكم، بشرط ألا يبقى في بيت المال شيء، وتبيعوا مالكم من الحوائص المذهبة والآلات النفيسة، ويقتصر كل الجند على مراكبه وسلاحه ويتساووا هم والعامة. وأما أخذ الأموال من العامة مع بقايا في أيدي الجند من الأموال والآلات الفانخة فلا، وأنفض المجلس على ذلك، ولم يتكلم السلطان بكلمة في المجلس لعدم معرفته بالأمور ولصغر سنه؛ فلهج الناس بنزع المنصور وسلطنة قُطُز حتى يقوم بهذا الأمر المهم، وأتفق ذلك بعد أيام، وقبض قُطُز هذا على الملك المنصور على، وأحتج لكمال الدين بن العديم وغيره بأنه صبي لا يُحسن تدبير الملك، وفي مثل هذا الوقت الصعب لا بد أن يقوم بأمر الملك رجل شهم يُطيعه الناس وينتصب للجهاد. وكان الأميران: علم الدين سنجر [الغني المعظمي^(٢)] وسيف الدين بهادر حين جرى هذا الأمر غائبين في الصيد، فاغتم قُطُز لغيبتهما الفرصة، فلما حضرا قبض عليهما وأعتقلهما، وتسطن. وركب يشعار الملك، وجلس على كرسي السلطنة وتم أمره. ولما وقع ذلك تقدم قُطُز إلى برهان الدين الخضر أن يتوجه في جواب رسالة الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب الشام محبة صاحب كمال الدين ابن العديم، ويعيد الملك الناصر بالنجدة وإنفاذ العساكر إليه؛ فتوجهها ووصلا إلى دمشق وأديا الرسالة؛ ولم يزل البرهان بدمشق إلى أن رحل الملك الناصر من دمشق إلى جهة الديار المصرية جافلاً من التآمر.

(١) كان من عادة السلطان أنه إذا ركب للعب الكرة بالميدان فرق حوائص من ذهب على بعض الأمراء المقدمين (راجع صبح الأعشى في الكلام على الخلع والتشريف (ج ٤ ص ٥٢ - ٥٥).

(٢) زيادة عن السلوك (ص ٤١٨) وتاريخ أبي الفداء. وعقد الجمان.

(٣) في الأصلين: «الحصري». وتصحيحه عن تاريخ الواصلين وهو برهان الدين السنجاري أبو محمد الخضر بن الحسن بن علي قاضي القضاة. سيذكر المؤلف في حوادث سنة ٦٨٦ هـ.

وكان الناصر لما تحقق بحركة التتار رحل إلى برزة شمال دمشق، ونزل بها بعساكره واجتمع إليه أمم عظيمة من العرب والعجم والتركمان والآثراك والمطوعة؛ فلم يُعجب الناصر حاله لما رأى من تخاذل عسكره، وعلم أنه إذا لاقى التتار لم يثبت عسكره لهم لكثرتهم ولقوتهم، فإن هولاكو في خلق لا يُحصىهم إلا الله تعالى من المنفل والكُرج والعجم وغيرهم، ولم يكن من حين قدومهم على بلاد المسلمين من سنة ست عشرة وستمئة إلى هذه السنة يلقاهم عسكر إلا ألقوه سوى وقائع كانت بينهم وبين جلال الدين بن خوارزم شاه، انتصف جلال الدين في بعضها، ثم كبسوه على باب آمد وبددوا جمعه، وأعقب ذلك موت جلال الدين بالقرب من ميفارقين.

وأما أمر هلاكه فإنه في جمادى الأولى من هذه السنة نزل حران وأستولى عليها وملك بلاد الجزيرة، ثم سير ولده أشموط بن هولاكو إلى الشام وأمره بقطع الفرات وأخذ البلاد الشامية، وميره في جمع كثيف من التتار فوصل أشموط إلى نهر الجوز وتل باشر، ووصل الخبر إلى حلب من البيرة بذلك. وكان نائب السلطان صلاح الدين يوسف بحلب أبنته الملك المعظم توران شاه، بفقتل الناس بين يدي

(١) هو جلال الدين محمد بن خوارزم شاه تكش بن أرسلان شاه بن أنسر. تقدمت وفاته سنة ٦٢٨ هـ.

(٢) في الأصلين وحيون التواريخ وتاريخ الراصلين: «أشموط». وفي تاريخ ابن الوردي وأبي القدا: «شموط» بدون ألف والسين المهمل. وورد في عقد الجمان «أشموط وأسموط» بالسين والسين. وفي هامش السلوك المطبوع بدار الكتب ص ١٩٤ الذي وضع حواشيه الدكتور محمد مصطفى زيادة: «يشموط» بآلاء التحية والسين. (٣) في الأصلين: «بحر الجبل» وهو تحريف. وما أشتناه عن معجم البلدان (ج ٢ ص ١٥١) وتاريخ الواصلين. ونهر الجوز: ناحية ذات قرى وبساتين ومياه بين حلب والبيرة التي على الفرات، وهي من عمل البيرة.

(٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٠١ من الجزء الخامس من هذه الطبعة.

(٥) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٦ من الجزء السادس من هذه الطبعة.

التّار إلى جهة دِمَشْق وعُظْم الحَطَب ، وأجمع الناس من كلِّ فجٍّ عند الملك الناصر بدمشق ، وأحترز الملك المعظّم تُورَان شاه ابن الملك الناصر بحلب غاية الاحتراز . وكذلك جميع نواب البلاد الحليّة ؛ وصارت حلب في غاية الحصانة بأسوارها المحكّمة البناء وكثرة الآلات . فلما كانت العشر الأخير من ذي الحجة [سنة سبع وخمسين وسفانة ^(١)] قصد التّار حلب ونزلوا على قرية لها سَلْمِيّة ^(٢) . وامتدوا إلى حِلّان والحارّى ، وسيروا جماعة من عسكرهم أشرفوا على المدينة . فخرج عسكر حلب ومعهم خلق عظيم من العوام والسُّوقَة ، وأشرفوا على التّار وهم نازلون على هذه الأماكن ، وقد ركبوا جميعهم لانتظار المسلمين ، فلما تحقق المسلمون كثرتهم كُروا راجعين إلى المدينة ؛ فرسم الملك المعظّم بعد ذلك ألا يخرج أحد من المدينة .

- ١٠ . ولما كان غد هذا اليوم رحلت التّار من منازلهم طالبين مدينة حلب ، وأجمع عسكر المسلمين بالنواشير وميّدان الحصا وأخذوا في المشورة فيما يعتمدونه ، فأشار عليهم الملك المعظّم أنهم لا يخرجون أصلاً لكثرة التّار ولقوتهم وضعف المسلمين على لقائهم ، فلم يوافقهم جماعة من العسكر وأبوا إلا الخروج إلى ظاهر البلد لئلا يطمع العدو فيهم ؛ فخرج العسكر إلى ظاهر حلب وخرج معهم العوام والسُّوقَة واجتمعوا الجميع بجبل بَانْقُوسَا ^(٣) . ووصل جمعُ التّار إلى أسفل الجبل فقتل إليهم جماعة من العسكر ليقاتلوهم ؛ فلما رآهم التّار آندفعوا بين أيديهم مكراً منهم وخديعة ،

(١) زيادة عن عيون التواريخ وتاريخ الواصلين . (٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١١٩

من الجزء الثاني من هذه الطبعة . (٣) حِلّان : من قرى حلب ، تخرج منها عين قزارة كثيرة الماء . تسير إلى حلب ويدخل إليها في قناة ، وتتفرق إلى الجامع وإلى جميع مدينة حلب (عن معجم البلدان

٢٠ . لياقوت) . (٤) هكذا في الأصلين . وفي تاريخ الواصلين : « والحارّى » وقد أطلنا البحث في المصادر التي تحت يدينا فلم نعرف وجه الصواب فيها . (٥) كذا في الأصلين . وبإشارة

كتاب تاريخ الواصلين : « واجتمع عسكر المسلمين بالنواشير وأخذوا في إجابة الرأى فيما يعتمدونه » .

(٦) جبل بَانْقُوسَا : جبل في ظاهر حلب (عن شرح القاموس) .

فَقَبِعَهُمْ عَسْكَرُ حَلَبَ سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ ؛ ثُمَّ كَرَّ النَّتَّارُ عَلَيْهِمْ فَقَوْلُوا مِنْهَزِمِينَ إِلَى جِهَةِ الْبَلَدِ
وَالنَّتَّارُ فِي أَثَرِهِمْ . فَلَمَّا حَادُّوا جَبَلَ بَاقُوسَا وَعَلَيْهِ بَقِيَّةُ عَسْكَرِ الْمُسْلِمِينَ وَالْعَوَامِّ أَنْدَفَعُوا
كُلُّهُمْ نَحْوَ الْبَلَدِ وَالنَّتَّارُ فِي أَعْقَابِهِمْ ، فَقَتَلُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ جَمْعًا كَثِيرًا مِنَ الْجُنْدِ وَالْعَوَامِّ .
وَمَنْ اسْتَشْهِدَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْأَمِيرُ عَلَمُ الدِّينِ زُرَّيْقُ الْغَزِيرِي - رَحِمَهُ اللَّهُ - وَكَانَ
مِنْ أَعْيَانِ الْأَمْرَاءِ . وَنَازَلَ النَّتَّارُ الْمَدِينَةَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَى آخِرِهِ ، ثُمَّ رَحَلُوا طَالِبِينَ
أَعْرَازَ قَسَامُوهَا بِالْأَمَانِ .

ثُمَّ عَادُوا إِلَى حَلَبَ فِي ثَانِي صَفَرٍ مِنْ سَنَةِ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَسِتَّمِائَةٍ وَحَاصَرُوهَا
حَتَّى اسْتَوَلَوْا عَلَيْهَا فِي تَاسِعِ صَفَرٍ بِالْأَمَانِ ، فَلَمَّا مَلَكَوْهَا غَدَرُوا بِأَهْلِ حَلَبَ وَقَتَلُوا
وَنَهَبُوا وَسَبَّوْا وَفَعَلُوا تِلْكَ الْأَفْعَالَ الْقَبِيحَةَ عَلَى عَادَةِ فَعْلِهِمْ . وَبَلَغَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ يَوْسُفَ
أَخَذَ حَلَبَ فِي مَتَصِفِ صَفَرٍ ، فَخَرَجَ النَّاصِرُ مِنَ الشَّامِ بِأَمْرَانِهِ نَحْوَ الْقِبْلَةِ . وَكَانَ
رُسُلُ النَّتَّارِ بِقَرْيَةِ حَرَسَا^(١) فَأَدْخَلُوا دِمَشْقَ لَيْلَةَ الْاِثْنَيْنِ سَابِعِ عَشَرَ صَفَرٍ . وَقُرِئَ بَعْدَ
صَلَاةِ الظُّهْرِ فَرْمَانٌ (أَعْنَى مَرْسُومًا) جَاءَ مِنْ عِنْدِ مَلِكِ النَّتَّارِ يَتَضَمَّنُ الْأَمَانَ لِأَهْلِ
دِمَشْقَ وَمَا حَوْلَهَا ، وَشَرَعَ الْأَكْبَرُ فِي تَدْيِيرِ أَمْرِهِمْ . ثُمَّ وَصَلَتِ النَّتَّارُ إِلَى دِمَشْقَ
فِي سَابِعِ عَشْرِ شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ ، فَلَقِبَهُمْ أَعْيَانُ الْبَلَدِ أَحْسَنَ مُلْتَقًى وَقُرِئَ مَا مَعَهُمْ مِنْ
الْقَرْمَانِ الْمُتَضَمِّنِ الْأَمَانَ ، وَوَصَلَتِ عَسَاكِرُهُمْ مِنْ جِهَةِ الْغُوطَةِ مَارِّينَ مِنْ وَرَاءِ
الضُّبْيَاعِ إِلَى جِهَةِ الْكُسُوفَةِ وَأَهْلُكُوا فِي مَمَرِّهِمْ جَمَاعَةً كَانُوا قَدْ تَجَمَّعُوا وَتَحَزَّبُوا^(٢) .
وَفِي السَّادِسِ وَالْعَشْرِينَ مِنْهُ جَاءَ مَنَشُورٌ مِنْ هَوْلَا كُوَ لِلْقَاضِي كَيْالِ الدِّينِ عُمَرُ بْنُ بَنْدَارٍ^(٣)

(١) راجع الحاشية رقم ٤ ص ١٣٠ من الجزء الثاني من هذه الطبعة . (٢) الكسوة :
قَرْيَةٌ هِيَ أَوَّلُ مَزَلٍ تَنْزِلُهُ الْقَوَاطِلُ إِذَا خَرَجَتْ مِنْ دِمَشْقَ إِلَى مِصْرَ (عَنْ فَيْصِلِ الْبَدَانِ لِيَاقُوتَ) .

(٣) فِي الْأَصْلَيْنِ : « وَتَحَزَّبُوا » . وَمَا أُثْبِتَاهُ عَنْ عِيُونَ الْوَارِيخِ .

(٤) فِي الْأَصْلَيْنِ : « عُمَرُ بْنُ الْعَدِيمِ » . وَالتَّصْوِيبُ عَنْ عِيُونَ الْوَارِيخِ وَالذَّبِيلِ عَلَى الرُّوسِيِّينَ
وَعَقْدِ الْجَمَانِ . وَسَبْدُ كَرِ الْمَوْلُفِ رِفَاقَهُ فَبَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَفَاتَهُمْ هُنَا الذَّهَبِيُّ سَنَةَ ٦٧٢ هـ .

التفاسى بتفويض قضاء القضاة إليه بمدائن الشام إلى الموصل وميافارقين وغير ذلك، وكان القاضي قبله صدر الدين أحمد بن سني الدولة . وتوجه الملك الناصر نحو الديار المصرية ونزل العريش ثم قطياً بعد أن تفزق عسكره عنه وتوجه معظم عسكره إلى مصر قبله مع الأتقال . فلما وصل الناصر إلى قطياً عاد منها إلى جهة الشام لشيء بلغه عن الملك المظفر صاحب مصر، ونزل بوادي موسى ثم نزل بركة زيزاء^(١)، فكبسه التار بها وهو في خواصه وقليل من مماليكه، فاستأمن الناصر من التار وتوجه إليهم، فلما وصل إليهم احتفظوا به وبقي معهم في نل وهوان إلى أن قتل على ما يأتي ذكره في محله إن شاء الله تعالى .

وأما التار فإنه بلغت غارتهم إلى غرة وبلد الخليل^(٢) — عليه السلام — فقتلوا الرجال وسبوا النساء والصبيان وأستاقوا من الأسرى والأبقار والأغنام والمواشي شيئاً كثيراً . كل ذلك والسultan الملك المظفر قطز سلطان مصريتهياً للقاء التار .

- (١) هو صدر الدين أحمد بن شمس الدين أبي البركات يحيى بن هبة الله بن سني الدولة . سيذكره المؤلف فيمن قتل وفاتهم عن الذهبي سنة ٦٥٨ هـ . (٢) قطياً، يستفاد مما ورد في معجم البلدان لياقوت وفي الانتصار لأبن دقاق، وفي كتاب الحقيقة والمجاز للناقلي أن قطياً — وتكتب أيضاً قطية — هي قرية من نواحي الجفاري الطريق بين مصر والشام في وسط الرمل قرب القرما، وبها جامع ومارستان (مستشفى) وبها والى طبلخانة مقيم لأخذ العشر من التجار، وبها قاض وناظر وشهود ومباشرون، ولا يمكن أحد من الجواز من مصر إلى الشام وبالعكس إلا بجواز مرور فهي مزم الدرب، لا يمكن الدخول إلى مصر إلا منها، وكان بها مكان أخذ المكس من القادمين إلى مصر . وأقول : قد اندثرت هذه القرية، ولم يبق إلا أطلالها في الطريق بين القنطرة والعريش في الجنوب الشرق من محطة الرماة (الرومانى قديماً) وعلى بعد عشرة كيلومترات منها . (٣) وادي موسى، منسوب إلى موسى بن عمران عليه السلام، وهو واد في قبل بيت المقدس بينه وبين أرض الحجاز (راجع معجم البلدان لياقوت) .
- (٤) في الأصلين : « بركة برى » . وما أثبتناه عن عيون التواريخ وتاريخ أبي الفدا . وراجع الحاشية رقم ١ ص ٥٣ من هذا الجزء .
- (٥) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٢٠٦ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

- فلما آجستت العساكر الإسلامية بالديار المصرية ألقى الله تعالى في قلب الملك المظفر قُطْرُ الخروج لقتالهم بعد أن كانت القلوب قد أيست من النصرة على التتار ، وأجمعوا على حفظ مصر لا غير لكثرة عددهم وأسبلاهم على معظم بلاد المسلمين ، وأنهم ما قصدوا إقليما إلا فتحوه ولا عسكرا إلا هزموه ، ولم يبق خارج عن حكمهم في الجانب الشرقي إلا الديار المصرية والحجاز واليمن ، وهرب جماعة من المغاربة الذين كانوا بمصر إلى الغرب ، وهرب جماعة من الناس إلى اليمن والحجاز ، والباقي بقوا في وجل عظيم وخوف شديد يتوقعون دخول العدو وأخذ البلاد ؛ وصمم الملك المظفر - رحمه الله - على لقاء التتار ، وخرج من مصر في الجحافل الشامية والمصرية في شهر رمضان ، وصحبته الملك المنصور صاحب حماة ؛ وكان الأتابك فارس الدين أقطاي المستعرب ، الأمور كلها مفوضة إليه ؛ وسير الملك المظفر قُطْرُ إلى صاحب حماة ، وهو بالصالحية ، يقول : له لا تحتفل في مد سباط ، بل كل واحد من أصحابك يُفطر على قطعة لحم في صَوْلَقِه^(٢) . وسافر الملك المظفر بالعساكر من الصالحية ووصل غزّة والقلوب وجلة .
- وأما كُتُبُناوين مقدم التتار على عسكر هولاء كومتا بلغه خروج الملك المظفر قُطْرُ كان بالباق ؛ فاستدعى الملك الأشرف [موسى ابن المنصور صاحب حمص] وقاضى القضاة محيي الدين واستشارهم في ذلك ، فمنهم من أشار بعدم المتق

(١) في الأصلين : « المحافل » . (٢) الصولق : بخلة من جلد يضمها الشخص في حزامه من الجهة اليمنى . والجمع صولق . (راجع المخطط التوفيقية ج ١٠ ص ٣٥) . (٣) ضبطه صاحب عقد الجمان بالعبارة فقال : (بضم النون وكسر الواو وسكون الياء آخر الحروف) . ومعناه : أمير عشرة آلاف ، وكل أسم من أسماء ملوكهم في آخره نونين معناه : رأس عشرة آلاف . وضبطه صاحب صبح الأعشى (ج ٦ ص ٣٣) بالعبارة أيضا (بضم النون وفتح الواو وسكون الياء) . وضبط في السلوك كضبط صبح الأعشى ، وقال : إن معناه مقدم ألف . (٤) الزيادة عن السلوك . (٥) هو قاضى القضاة محيى الدين محمد بن يحيى المعروف بابن الزكي . كما في عيون التواريخ في حوادث سنة ٦٥٨ هـ .

- والاندفاع بين يدي الملك المظفر إلى حيث يميته مدد من هولاء كوليقي على ملتي
العسكر المصري، ومنهم من أشار بغير ذلك وتفزقت الآراء، فأقتضى رأى كتبناوين
الملتقى، وتوجه من قوره لما أراد الله تعالى من إعزاز الإسلام وأهله، وإذلال
الشرك وحزبه، بعد أن جمع كتبناوين من في الشام من التتار وغيرهم، وقصد
محاربة المسلمين، وصحبته الملك السعيد [حسن] ابن الملك العزيز عثمان. ثم رحل
الملك المظفر قطر بعساكره من غزوة ونزل النور بعين جالوت، وبه جموع
التتار في يوم الجمعة خامس عشرين شهر رمضان، ووقع المصاف بينهما في اليوم
المذكور، وتقاتلا قتالا شديدا لم يرمثله حتى قتل من الطائفتين جماعة كثيرة وأنكسرت
ميسرة المسلمين كسرة شيعه، فحمل الملك المظفر - رحمه الله - بنفسه في طائفة
من عساكره وأردف الميسرة حتى تحايوا وتراجعوا، وأقتحم الملك المظفر القتال وباشر
ذلك بنفسه وأبلى في ذلك اليوم بلاء حسنا، وعظم الحرب وثبت كل من الفريقين
مع كثرة التتار. والمظفر مع ذلك يسجع أصحابه ويحسن إليهم الموت، وهو يكرهم
كرة بعد كرة حتى نصر الله الإسلام وأعزّه، وأنكسرت التتار وولوا الأدبار على أقبح
وجه بعد أن قتل معظم أعيانهم وأصيب مقدم العساكر التتارية كتبناوين، فإنه أيضا
لما عظم الخطب باشر القتال بنفسه فأخزاه الله تعالى وقتل شر قتلة. وكان الذي
حمل عليه وقتله الأمير جمال الدين آقوش الشميمي - رحمه الله تعالى - وولوا
التتار الأدبار لا يلبثون على شيء، واعتصم منهم طائفة بالتل المجاور لمكان الوقعة،
فأحدث بهم العساكر وصاروهم على القتال حتى أفتوهم قتلا، ونجا من نجا. وتيمهم
الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري في جماعة من الشجعان إلى أطراف البلاد؛

(١) زيادة عن السلوك للفريري (ص ٤٣١) . (٢) عين جالوت : بلدة لطيفة بين نيساب
ونابلس من أعمال فلسطين (عن معجم البلدان لياقوت) .

وَأَسْتَوَى أَهْلُ الْبِلَادِ وَالضِّيَاعِ مِنَ التَّارِ آثَارَهُمْ ، وَقَتَلُوا مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً حَتَّى إِنَّهُ لَمْ يَسَلَمْ مِنْهُمْ إِلَّا الْقَلِيلُ جَدًّا .

وفي حال الفراغ من المصافى حضر الملك السعيد [حسن] ابن الملك العزيز عثمان ابن الملك العادل بين يدي السلطان الملك المظفر قُطُز، وكان التار لما ملكوا قلعة البيرة وجدوه فيها مُعْتَقَلًا فَأَطْلَقُوهُ وَأَعْطَوْهُ بَابِيَّاسَ وَقَلْعَةَ الصَّبِيَّةِ فَأَنْضَمَ عَلَى التَّارِ وَبَقِيَ مِنْهُمْ ، وَقَاتَلَ يَوْمَ الْمَصَافِ الْمُسْلِمِينَ قِتَالًا شَدِيدًا ، فَلَمَّا أَيْدَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ بَنَصْرَهُ وَحَضَرَ الْمُلُوكُ عِنْدَ الْمَلِكِ الْمَظْفَرِ فَحَضَرَ الْمَلِكُ السَّعِيدُ هَذَا مِنْ جَمَلَتِهِمْ عَلَى رَغَمِ أَنْفِهِ ، فَلَمْ يَقْبَلِ الْمَظْفَرُ عُذْرَهُ ، وَأَمَرَ بِضَرْبِ عُنُقِهِ فَضُرِبَتْ فِي الْحَالِ . ثُمَّ كَتَبَ الْمَلِكُ الْمَظْفَرُ كِتَابًا إِلَى أَهْلِ دِمَشْقَ يُحْجِرُهُمْ فِيهِ بِالْفَتْحِ وَكَسْرِ الْعَدْوِ الْمَحْذُولِ وَيَعِدُّهُمْ بِوَصُولِهِ إِلَيْهِمْ وَتَشْرِعَ الْعَدْلِ فِيهِمْ ، فَسَرَّ عَوَامُ دِمَشْقَ وَأَهْلُهَا بِذَلِكَ سِرورًا زَانِدًا ، وَقَتَلُوا نَحْرَ الدِّينِ مُحَمَّدَ بْنَ يَوْسُفَ بْنِ مُحَمَّدِ الْكَنْجِيِّ فِي جَامِعِ دِمَشْقَ ، وَكَانَ الْمَذْكُورُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ ، لَكِنَّهُ كَانَ فِيهِ شَرٌّ ، وَكَانَ رَافِضِيًّا خَبِيثًا وَأَنْضَمَ عَلَى التَّارِ . وَقَتَلُوا أَيْضًا بِدِمَشْقَ مِنْ أَعْوَانِ التَّارِ ابْنَ الْمَسَاكِينِي ^(٤) ، وَابْنَ الثَّقِيلِ وَغَيْرَهُمَا . وَكَانَ التَّصَارِيُّ بِدِمَشْقَ قَدْ شَمَخُوا وَتَجَزَّءُوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَأَسْتَطَالُوا بِتَرْدُدِ التَّارِ إِلَى كَنَائِسِهِمْ . وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى هَوْلَاكَو وَجَاءُوا مِنْ عِنْدِهِ بِقَرْمَانٍ يَتَضَمَّنُ الْوَصِيَّةَ بِهِمْ وَالْإِعْتِنَاءَ بِأَمْرِهِمْ ، وَدَخَلُوا بِالْقَرْمَانِ مِنْ بَابِ تُوْمَا وَصُلْبَانُهُمْ مَرْتَفَعَةٌ ، وَهُمْ يَنَادُونَ بِأَرْتِفَاعِ دِينِهِمْ وَأَنْتِصَاعِ دِينِ الْمُسْلِمِينَ ، وَيُرْشُونَ النَحْرَ عَلَى النَّاسِ فِي أَبْوَابِ الْمَسَاجِدِ ، فَحَصَلَ

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٥٦ من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٢) في الأصلين : « وَقَاتَلَ يَوْمَ الْمَصَافِ مَعَ الْمُسْلِمِينَ » . والسياق يأباه . (٣) الكنجي : نسبة إلى كنجية . راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٦٢ من الجزء الخامس من هذه الطبعة . (٤) في عيون التواريخ : « الشمس بن الماسكيني » . (٥) في الذيل على الروضتين : « ابن البهيل » بالتين المعجمة . (٦) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٣٥٣ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

- (١) عند المسلمين من ذلك هم عظيم . فلما هرب ثواب التتار حين بلغتهم الكثرة أصبح الناس وتوجهوا إلى دور النصارى يهبونها ويأخذون ما استطاعوا منها ، وأحربوا كنيسة البعاقبة وأحرقوا كنيسة مريم حتى بقيت كوما ، وقتلوا منهم جماعة وأختفى الباقون . وكانت النصارى في تلك الأيام ألزموا المسلمين بالقيام في دكاكينهم للصليب ، ومن لم يتم أخرقوا به وأهانوه ، وشقوا السوق على هذا الوجه إلى عند القنطرة آخر سوق كنيسة مريم ؛ فقام بعضهم على الدكان الوسطى من الصف الغربى بين القناطر وخطب وفضل دين النصارى ووضع من دين الإسلام ، وكان ذلك في ثانى عشرين شهر رمضان . ثم من الغد طلع المسلمون مع قضائهم وشهودهم إلى قلعة دمشق وبها التتار فأهانوهم التتار ، ورفعوا قسيس النصارى عليهم ، ثم أخرجوهم بالضرب ؛ فصار ذلك كله في قلوب المسلمين . انتهى .
- ١٠ . ثم إن أهل دمشق هموا أيضا بنهب اليهود فذهبوا منهم يسيراً ، ثم كفوا عنهم . ثم وصل الملك المظفر قطز إلى دمشق مؤيداً منصوراً فأنجبرت بذلك قلوب الرعايا وتضاعف شكرهم لله تعالى . وألقاه أهل دمشق بعد أن عفا آثار النصارى وخرّبوا كنائسهم جزاء لما كانوا سلقوه من ضرب النواقيس على رؤوس المسلمين ، ودخولهم بالخر إلى الجامع . وفي هذا المعنى يقول بعض شعراء دمشق :
- ١٥

- (١) في الأصلين : « على المسلمين » . وما أثبتناه عن عيون التواريخ . (٢) البعاقبة واليعقوبية ، هم أتباع « دسقورس » بطريق الاسكندرية ، كان اسمه يعقوب قبل توليه (راجع الكافى لشاربم بك ج ١ ص ٣٥٤ — ٣٥٥) . (٣) كنيسة مريم ، كانت كنيسة عظيمة في جانب دمشق الذى فتحه خالد بن الوليد بالسيف فبقيت بيد المسلمين . وكان ملاصق الجامع كنيسة ، من الجانب الذى فتحه أبو عبيدة بالأمان فبقيت بيد النصارى . فلماولى الوليد بن عبد الملك الخلافة خرب الكنيسة الملاصقة للجامع وأضافها اليه ولم يعوض النصارى عنها . فلماولى عمر بن عبد العزيز عوضهم عنها بكنيسة مريم فعمروها عمارة عظيمة ، وبقيت كذلك حتى خربها المسلمون في هذه السنة (عن تاريخ ابن الوردي وتاريخ أبى الفدا إسماعيل) . (٤) كذا في الأصلين : ولعلها أحد قوابه .
- ٢٠

هَلَكَ الْكُفْرُ فِي الشَّامِ جَمِيعًا * وَأَسْتَجَدَّ الْإِسْلَامُ بَعْدَ دُحُوزِهِ
بِالْمَلِكِ الْمَظْفَرِ الْمَلِكِ الْأَرْ * وَبَعِثَ سَيْفَ الْإِسْلَامِ عِنْدَ نَهْزِهِ
مَلِكٌ [جَاءَنَا] ^(١) بَعَزِيمٌ وَحَزِيمٌ * فَأَعْتَزْنَا بِسُمُرِهِ وَبِيضِهِ
أَوْجَبَ اللَّهُ شُكْرَ ذَلِكَ عَلَيْنَا * دَائِمًا مِثْلَ وَاجِبَاتِ فُرُوزِهِ

وفي نُصْرَةِ الْمَلِكِ الْمَظْفَرِ هَذَا يَقُولُ الشَّيْخُ شَهَابُ الدِّينِ أَبُو شَامَةَ :

غَلَبَ التَّارُ عَلَى الْبِلَادِ بِجَاهِهِمْ * مِنْ مَصْرَ تَرَكِيٍّ يَحِيدُ بِنَفْسِهِ
بِالشَّامِ أَهْلَكَهُمْ وَبَدَّدَ تَمَلُّهُمْ * وَلِكُلِّ شَيْءٍ آفَةٌ مِنْ جَنْبِهِ

فَمَقِمَ الْخَبْرُ عَلَى السُّلْطَانِ بِدِمَشْقَ فِي شَوَّالٍ بَاتَ الْمُنْهَزِمِينَ مِنْ رِجَالِ التَّارِ وَنَسَاهُمُ
لِحَقِّهِمُ الطُّلُبُ مِنَ الْأَمِيرِ رُكْنِ الدِّينِ بَيْرُوسَ الْبُنْدُوقْدَارِيِّ ، فَإِنَّ بَيْرُوسَ كَانَ تَقَدَّمَ قَبْلَ
السُّلْطَانِ إِلَى دِمَشْقَ يَتَّبِعُ آثَارَ التَّارِ إِلَى قُرْبِ حَلَبَ ، فَلَمَّا قُرِبَ مِنْهُمْ بَيْرُوسَ سَبَّوْا
مَا كَانَ فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ أَسَارَى الْمُسْلِمِينَ ، وَرَمَوْا أَوْلَادَهُمْ فَتَخَطَّفَهُمُ النَّاسُ ، وَقَاسَوْا
مِنْ الْبَلَاءِ مَا يَسْتَحْقُونَهُ .

وَكَانَ الْمَلِكُ الْمَظْفَرُ قَطَزَ قَدْ وَعَدَ الْأَمِيرَ بَيْرُوسَ بِحَلَبَ وَأَعْمَالِهَا ، فَلَمَّا أَنْتَصَرَ عَلَى
التَّارِ أَنْتَقَى عَزِمُهُ عَنْ إِعْطَائِهِ حَلَبَ ، وَوَلَّاهَا لِعَلَاءِ الدِّينِ [عَلَى-أَبْنِ بَدْرِ الدِّينِ لَوْثُ] ^(٢)
صَاحِبِ الْمَوْصِلِ ، فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ الْوَحْشَةِ بَيْنَ بَيْرُوسَ وَبَيْنَ الْمَلِكِ الْمَظْفَرِ قَطَزَ .
عَلَى مَا يَأْتِي ذِكْرُهُ .

وَلَمَّا قَدِمَ الْمَلِكُ الْمَظْفَرُ إِلَى دِمَشْقَ أَحْسَنَ إِلَى النَّاسِ وَأَجْرَاهُمْ عَلَى عَوَائِدِهِمْ
وَقَوَاعِدِهِمْ إِلَى آخِرِ أَيَّامِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ صَلَاحِ الدِّينِ يَوْسُفَ . وَسِيرَ الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ
صَاحِبُ خِصْمٍ يَطْلُبُ مِنْهُ أَمَانًا عَلَى نَفْسِهِ وَبِلَادِهِ ، وَكَانَ الْأَشْرَفُ أَيْضًا مِمَّنْ أَنْصَافَ

(١) التكملة عن عقد الجمان وتاريخ أبي الفدا إسماعيل وتاريخ ابن الوردي .

(٢) التكملة عن عيون التواريخ والمهل الصافي وتاريخ أبي الفدا إسماعيل وتاريخ ابن الوردي .

إلى التتار فآمنه وأعطاه بلادَه وأقره عليها؛ فحضر الأشرفُ إلى خدمة الملك المظفر ثم عاد إلى بلده . ثم توجه الملك المظفر صاحب حماة إلى حماة على ما كان عليه، وكان حضر مع الملك المظفر قُطز من مصر .

قلت : والملك المظفر قُطز هو أول من ملك البلاد الشامية وأستتاب بهامن ملوك الترك .

- ثم إن الملك المظفر قُطز رتب أمور الشام وأستتاب بدمشق الأمير علم الدين سنجر الحلبي الكبير . ثم خرج المظفر من دمشق عائداً إلى مصر إلى أن وصل إلى القصير^(١)، وبقي بينه وبين الصالحية مرحلة واحدة^(٢)، ورحلت العساكر إلى جهة الصالحية وضرب الدهليز السلطاني بها وبقي المظفر مع بعض خواصه وأسرانه ؛ وكان جماعة قد آتفقوا مع الأمير بيبرس البندقداري على قتل الملك المظفر : منهم
- ١٠ . الأمير سيف الدين أنص من مماليك [نجم الدين] الرومي الصالحى ، وعلم الدين صغلي^(٤)، و[سيف الدين بلبان] الماروني وغيرهم ؛ كل ذلك ليكنى كان في نفس بيبرس ، لأجل نيابة حلب . وآتفق عند القصير بعد توجه العساكر إلى الصالحية أن ثارت أرب فساق الملك المظفر قُطز عليها، وساق هؤلاء المتفقون على قتله معه، فلما أبعثوا ولم يبق معه غيرهم ، تقدم إليه الأمير بيبرس البندقداري وشفع عنده .
- ١٥ .

(١) القصير، وردت بهذا الاسم أيضاً في كتاب السلوك للقرنيزي ، والمخطوط القرينزي (ج ٢ ص ٣٠١) وبالمبحث بين أن هذه المنزلة هي القرية التي تعرف اليوم باسم الجعافرة إحدى قرى مركز فاقوس بمديرية الشرقية . (٢) في صيون التواريخ والسلوك للقرينزي : « أنص » بالسین بدل الصاد . (٣) زيادة عن تاريخ ابن الوردى وتاريخ أبي الفدا إسماعيل . (٤) في تاريخ أبي الفدا إسماعيل : « صغى أظى » وفي تاريخ ابن الوردى : « طغان أظى » . (٥) زيادة عن صيون التواريخ والسلوك .

(١) شفاعاً في إنسان فأجابه ، فأهوى بيبرس ليقبل يده فقبض عليها ؛ وحمل أنص عليه ، وقد أشغل بيبرس يده ، وضربه بالسيف ، ثم حمل الباكون عليه ورموه عن فرسه ، ورشقوه بالنشاب فقتلوه ؛ ثم حملوا على العسكر وهم شاهرون سيوفهم حتى وصلوا إلى الدهليز السلطاني بالصالحية ؛ فتلوا ودخلوا والأتابك^(٢) على باب الدهليز فأخبروه بما فعلوا ؛ فقال : من قتل منكم ؟ فقال بيبرس : أنا ، فقال : يا خوندا ، اجلس على مرتبة السلطان ! يأتي بقية ذلك في أول ترجمة الملك الظاهر بيبرس البندقداري المذكور . إن شاء الله تعالى .

ولما وقع ذلك وبلغ الأمير علم الدين سنجر الحلبي الكبير نائب دمشق عز عليه قتل الملك المظفر ، ثم دعا الناس لنفسه وأستحلفهم وتلقب بالملك المجاهد . على ما يأتي ذكره أيضا . أما الملك المظفر فقطر فأنه دُفن موضع قتله — رحمه الله تعالى — وكثر أسف الناس وحرزهم عليه . قال الحافظ أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي في تاريخه — رحمه الله تعالى — بعد ما سماه ونعته قال :

وكان المظفر أكبر ممالك الملك المعز أيك التركماني ، وكان بطلاً شجاعاً مقداماً حازماً حسن التدبير ، يرجع إلى دين وإسلام وخير ، وله اليد البيضاء في جهاد التتار ، فمؤس الله شبابه بالحنّة ورضى عنه . وحكى الشيخ شمس الدين الجوزي^(٣) في تاريخه

(١) رواية السلوك وأبن مياس وحيون التواريخ : « فأخذ بيبرس يد السلطان ليقبلها ، وكانت إشارة بينه وبين الأمراء فبادره الأمير بكنوت بالسيف » . ورواية عقد الجمان وتاريخ أبي الفدا إسماعيل وتاريخ ابن الوردي أن الذي تقدم إليه أنص وشفع عند قطز في إنسان فأجابه إلى ذلك فأهوى ليقبل يده وقبض عليها لحمل عليه بيبرس البندقداري وضربه بالسيف .

(٢) هو فارس الدين أقطاي المستعرب . وراجع الحاشية رقم ٢ ص ٤٣ من هذا الجزء .

(٣) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٢٣٦ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

- عن أبيه، قال : كان قُطْرُ في رِقِّ ابن الزعيم ^(١) بِدَمَشْق في القَصَّاعين ^(٢) ، فضر به أستاذاه فبكى ولم يأكل شيئاً يومه ، ثم ركب أستاذاه للخدمة وأمر الفراش أن يترضاه ويُطعمه ، قال : فحدثني الحاج على - الفراش قال : بغيته وقلت : ما هذا البكاء من لُطْشَة ؟ فقال : إنما بكائي من لعنة أبي وجدي وهم خيرٌ منه ، فقلت : مَنْ ^(٣) أبوك ؟ واحد كافر ! فقال : والله ما أنا إلا مسلم ابن مسلم ، أنا محمود بن ممدود .
- آبن أخت خوارزم شاه من أولاد الملوك ، فسكته وترضيته . وتنقلت به الأحوال إلى أن تملك مصر ، ولما تملك أحسن إلى الحاج على - الفراش المذكور ، وأعطاه خمسمائة دينار وعمل له راتباً . قال الذهبي أيضاً : ولما تسلطن لم يتبع ريقه ولا انتهى بالسلطنة حتى آمنت لأت الشمامات المباركة بالتآرب ، ثم ساق الذهبي أمره مع التآرب نحو ما حكيناه .

١٠

- وقال الشيخ قُطْب الدين : حكي عن الملك المظفر قُطْر أنه قُتل جواده يوم القتال مع التآرب ، ولم يصادف المظفر أحدٌ من الأوشاقية فبقى راجلاً ، فراه بعض الأمراء الشجعان فترجل له وقدم له حصانه ، فامتنع المظفر من ركوبه وقال : ما كنت لأمنع المسلمين الانتفاع بك في هذا الوقت ! ثم تلاحت الأوشاقية إليه .
- وقال ابن الجزري في تاريخه : حدثني أبي قال حدثني أبو بكر بن الدُرهم الإسعدي ^(٤) والركي إبراهيم أستاذ الفارس أقطاي قال : كنا عند سيف الدين قُطْر لما تسلطن أستاذاه الملك الميزانيك التركاني ، فأمرنا قُطْر بالقيود ، ثم أمر المتعجم فضرب الزمل ،

١٥

(١) عبارة عقد الجمان : « وحكى ابن أبي الفوارس قال : كان هذا قطر ملوكا لابن المديم أو قال لابن الزعيم رجل من دمشق » . (٢) القصاصين : درب بدمشق حذاء سوق الفسقار وأسمه اليوم سوق مدحت باشا (عن تهذيب تاريخ ابن عساكر ج ١ ص ٢١٥) . (٣) في عقد الجمان : « محمود بن مودود » . (٤) في الأصلين : « الأوشاقية » والأوشاقية كما في السلوك ص ٤٣٣ . ويقال : (أوجاقية كما في صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٥٤) وهو لقب الذي يتولى ركوب الخيل للتسيير والرياضة .

٢٠

ثم قال له قُطْرُ : اضرب لمن يَمْلِكُ بعد أستاذي الملك المعزأيك ، ومن يكسر التتار ،
فضرب وبقى زماناً يحسب ، فقال : يطلع معي خمس حروف بلا تقط . فقال له
قُطْرُ : لم لا تقول محمود بن ممدود ، فقال : يا خَوْنَد لا ينفع غير هذا الاسم ، فقال :
أنا هو ، أنا محمود بن ممدود ، وأنا أَكْسِرُ التتار وأخذ بنار خالى خُوَارَزْم شاه ، فتعجبنا
من كلامه ، وقلنا : إن شاء الله يكون هذا يا خَوْنَد ، فقال : آكثموا ذلك ، وأعضي
المنتجم ثلثمائة درهم .

قلت : ونقل الشيخ قطب الدين البونيني في تاريخه الذي ذيله على مرآة الزمان ،
فقال في أمر المنتجم غير هذه الصورة . وسند كرها في سياق كلام قطب الدين
المذكور . قال (أعني قطب الدين) : كان المظفر أخص ممالك الملك المعز
وأقربهم إليه وأوثقهم عنده . وهو الذي قتل الأمير فارس الدين أقطاي الجمدار .
قال : وكان الملك المظفر بطلاً شجاعاً مقداماً حازماً حسن التدبير لم يكن يوصف
بكرم ولا شج بل كان متوسطاً في ذلك ، وذكر حكايته لما أن قُتل جواده يوم الوقعة
بغيره كما حكاها ، لكنه زاد بأن قال : فلام المظفر بعض خواصه على عدم ركوبه ،
وقال : يا خَوْنَد — لو صادفك ، والعياذ بالله تعالى — بعض المخل وأنت راجل
كنت رحت وراح الإسلام ! فقال : أما أنا فكنت رُحْتُ إلى الجنة — إن شاء
الله تعالى — وأما الإسلام فما كان الله يُضَيِّعُه ؛ فقد مات الملك الصالح نجم الدين
أيوب ، وقُتل بعده ابنه الملك المعظم توران شاه ، وقُتل الأمير نغر الدين ابن الشيخ
مقدم العساكر يوم ذاك ، ونصر الله الإسلام بعد اليأس من نصره ! (يعني عن نوبة
أخذ الفرنج ديباط) . ثم قال قطب الدين ، بعد ما ساق توجهه إلى دِمَشق
وإصلاح أمرها إلى أن قال : وقُتل الملك المظفر قُطْرُ مظلوماً بالقرب من القُصَيْرِ .
وهي المنزل التي بقرب الصالحية ، وبقى مُلقًى بالعرّاء فدفنه بعض من كان في خدمته

- بالْقَصِير ، وكان قَبْرُهُ يُقصد للزيارة دائماً . قال : وأَجْرَتْهُ به في شهر رمضان سنة تسع وخمسين وستمائة ، وترحمتُ عليه وزُرَّتُهُ . وكان كثيرَ التَّرحُّم عليه والدعاء على مَنْ قَتَلَهُ . فلَمَّا بلغ بِيَرْس ذلك أمرَ بَنِيْشَه ونقله إلى غير ذلك المكان وعُفِّي أثرُهُ ، ولم يُعَفَّ خبرُهُ — رحمه الله تعالى وجزاه عن الإسلام خيراً — قال : ولم يُخَلَّف ولداً ذكراً ، وكان قَتْلُهُ يومَ السبت سادس عشر ذى القعدة سنة ثمان وخمسين وستمائة .
- قلت : فعلى هذا تكون مدة سلطنة الملك المظفر قُطْز سنةً إلّا يوماً واحداً ، فإنه تسلطن في يوم السبت سابع عشر ذى القعدة من سنة سبع وخمسين وستمائة ، وقُتِل فيما نقله الشيخ قطب الدين في يوم السبت سادس عشر ذى القعدة من سنة ثمان وخمسين وستمائة . انتهى . قال : حَكَى لى المَوَلَى علاء الدين بن غانم في غُرَّة شوال سنة إحدى وتسعين وستمائة ببعلبك ، قال : حَدَّثَنِى المَوَلَى تاج الدين أحمد ابن الأثير — تغمده الله برحمته — ما معناه : أنَّ الملك الناصر صلاح الدين يوسف — رحمه الله — لما كان على بَرَزَةٍ في أواخر سنة سبع وخمسين وصله قُصَادٌ من الديار المصرية بكتب يُخبرونه فيها أنَّ قُطْز تسلطن وملك الديار المصرية وقبض على ابن أستاذهِ ، قال المَوَلَى تاج الدين — رحمه الله — : فطلبني السلطان الملك الناصر قَرَأَت عليه الكتب ، وقال لى : خذ هذه الكتب وروح إلى الأمير ناصر الدين القيمرى ، والأمير جمال الدين بن يغمور أَوْقَفَ كلاً منهما عليها ، قال : فأخذتها

- (١) في السلوك للقرىزى (ص ٤٣٥) : «وحمل قطز بعد ذلك إلى القاهرة فدفن بالقرب من زاوية الشيخ تقى الدين قبل أن تممر ، ثم قله الحاج قطز الظاهرى إلى القراة ودفن قريباً من زاوية ابن عبود» .
- (٢) هو أحمد بن سعيد بن محمد الصاحب تاج الدين بن الأثير الحلبي الموقَّع . وأولاد ابن الأثير هؤلاء غير بنى الأثير الموصليين . باشر الإنشاء بدمشق ثم بمصر لملك الظاهر بيبرس . توفي سنة ٦٧١ هـ .
- (٣) هو الأمير ناصر الدين أبو المعالى حسين بن عزيز بن أب القوارس القيمرى . سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٦٥ هـ . (٤) هو موسى بن يغمور بن جلدك البارقى ، كان من جملة الأمراء ونواب عن السلطان بمصر ودمشق . وسيذكر المؤلف وفاته سنة ٦٦٣ هـ .

ونخرجت فلما بعدت عن الدهليز لقيني حسام الدين البركة خاني وسلم علي^(١)، وقال :
 جاءكم يرِيدُ أو قُصَادُ من الديار المصرية ؟ فوزيتُ وقلت : ما عندى علمُ بشيء
 من هذا ، قال : قُطِرَ تسلطن وتملك الديار المصرية ويكسر التتار ؛ قال تاج الدين :
 فبقيت متعجبا من حديثه ، وقلت له : إيش هذا القول ، ومن أين لك هذا ؟
 قال : والله هذا قُطِرَ خُشْدَاشِي ، كنت أنا وإياه عند الهيجاوي من أمراء مصر
 ونحن صبيان ، وكان عليه قُلٌّ كثير ، فكنت أُسَرِّحُ رأسه على أتني كلما أخذت
 منه قِيلةً أخذت منه قِلْسًا أو صفعته ، ثم قلت في غضون ذلك : والله ما أشتهى
 إلا أن الله يرزقني إمرة خمسين فارسا ، فقال لي : طيب قلبك ، أنا أعطيك إمرة
 خمسين فارسا ، فصفعته وقلت : أنت تعطيني إمرة خمسين ! قال : نعم فصفعته ،
 فقال لي : وألك علة ! إيش يلزم لك إلا إمرة خمسين فارسا ؟ أنا والله أعطيك ،
 قلت : ويلك ! كيف تعطيني ؟ قال : أنا أملك الديار المصرية ، وأكسر التتار
 وأعطيك الذي طلبت ، قلت : ويلك أنت مجنون ! أنت بقمك تملك الديار
 المصرية ؟ قال : نعم ، رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وقال لي : أنت تملك
 الديار المصرية وتكسر التتار ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم حق لا شك فيه ،
 قال : فسكتُ وكنت أعرف منه الصدق في حديثه وعدم الكذب. قال تاج الدين :
 فلما قال لي هذا ، قلت له : قد وردت الأخبار بأنه تسلطن ، قال لي : والله
 وهو يكسر التتار . قال تاج الدين : فرأيت حسام الدين البركة خاني — الحاكي
 ذلك — بالديار المصرية بعد كسر التتار فسلم علي^(٢) ، وقال : يامولاي تاج الدين ،

(١) في الأصلين : « حسام الدين البركة خاني » . وفي شذرات الذهب : « البردخاني » .

(٢) هودكن الدين الهيجاوي ، كان

من الأمراء زمن الملك الكامل . راجع حوادث سنة ٦٣٦ هـ .

(٣) في الأصلين هنا وما ساقى بعد قليل : « والک » . وما أثبتناه عن شذرات الذهب .

- تَدْعُكَ مَا قُلْتُ لَكَ فِي الْوَقْتِ الْفُلَانِي؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : وَاللَّهِ حَالِيَا عَادَ الْمَلِكُ
النَّاصِرُ مِنْ قَطِيَا دَخَلْتُ الدِّيَارَ الْمِصْرِيَّةَ أُعْطَانِي إِمْرَةً نَحْسِينَ فَارْسًا كَمَا قَالَ ، لَا زَائِدَ
عَلَى ذَلِكَ . قَالَ : وَحَكِي لِي عِزِّ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الْهَيْجَاءِ مَا مَعْنَاهُ : أَنَّ سَيْفَ الدِّينِ
بُلْفَاقَ حَدَثَهُ أَنَّ الْأَمِيرَ بِدْرِ الدِّينِ بَكْتُوتَ الْأَنْبَايَكِي ، حَكَى لِي قَالَ : كُنْتُ أَنَا وَالْمَلِكُ
الْمُظْفَرُ قُطْرُ وَالْمَلِكُ الظَّاهِرُ يَبْرِسُ — رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى — فِي حَالِ الصَّبَا كَثِيرًا .
مَا نَكُونُ مَجْتَمِعِينَ فِي رُكُوبِنَا وَغَيْرِ ذَلِكَ ، فَاتَّفَقَ أَنَّ رَأَيْنَا مُتَّجِمًا فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ
بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ الْمُظْفَرُ قُطْرُ : أَبْصِرْ نَجْمِي ، فَضَرَبَ بِالزُّمْلِ وَحَسَبَ
وَقَالَ : أَنْتَ تَمْلِكُ هَذِهِ الْبِلَادَ وَتَكْثِرُ النَّتَارَ ، فَشَرَعْنَا نَهْزَأُ بِهِ . ثُمَّ قَالَ لَهُ الْمَلِكُ
الظَّاهِرُ يَبْرِسُ : أَبْصِرْ نَجْمِي ، فَقَالَ : وَأَنْتَ أَيْضًا تَمْلِكُ الدِّيَارَ الْمِصْرِيَّةَ وَغَيْرَهَا ،
فَتَزِيدُ اسْتَهْزَاؤَنَا بِهِ ، ثُمَّ قَالَا لِي ، لَا بَدَأَ أَنْ تَبْصُرَ نَجْمَكَ ، فَقُلْتُ لَهُ : أَبْصِرْ لِي نَجْمِي ،
فَحَسَبَ وَقَالَ : أَنْتَ تَخْلُصُ لَكَ إِمْرَةً مَائَةِ فَارَسٍ ، يُعْطِيكَ هَذَا ، وَأَشَارَ إِلَى الْمَلِكِ
الظَّاهِرِ ، فَاتَّفَقَ أَنْ يَقَعَ الْأَمْرُ كَمَا قَالَ ، وَلَمْ يُحْرَمَ مِنْهُ شَيْءٌ . وَهَذَا مِنْ عَجِيبِ
الْإِتِّفَاقِ . إِنْ تَبْتَهِجُ تَرْجِمَةُ الْمَلِكِ الْمُظْفَرِ قُطْرُ . وَيَأْتِي ذِكْرُ حَوَادِثِهِ عَلَى عَادَةِ هَذَا
الْكِتَابِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

١٥



- السَّنَةُ الَّتِي حَكَمَ فِيهَا الْمَلِكُ الْمُظْفَرُ قُطْرُ عَلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، وَهِيَ سَنَةُ
ثَمَانٍ وَنَحْسِينَ وَسَمَاتِةً عَلَى أَنَّهُ حَكَمَ مِنْ سَنَةِ سَبْعِ شَهْرَيْنِ وَقِيلَ قَبْلَ انْقِضَاءِ السَّنَةِ
أَيْضًا بِشَهْرَيْنِ .
فِيهَا كَانَتْ كَائِنَةُ النَّتَارِ مَعَ الْمَلِكِ الْمُظْفَرِ قُطْرُ وَغَيْرِهِ ، حَسَبَ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرَهُ مِنْ
أَنَّهُمْ مَلَكَوْا حَلَبَ وَالشَّامَ ثُمَّ رَحَلُوا عَنْهَا .

٢٠

(١) هو محمد بن أبي الهيجاء بن محمد الأمير الفاضل عز الدين الهذلي الإربلي الشيعي الرافضي والي دمشق . توفي سنة ٧٠٠ هـ (عن المنهل الصافي) .

وفيهما غلت الأسعار بالبلاد الشامية .

وفيهما تُوُفِّيَ الملك السعيد نجم الدين إيلغازى ابن الملك المنصور ناصر الدين
أبى المظفر أرتُق بن أرسلان بن نجم الدين إيلغازى ابن ألي بن تيمرتاش بن إيلغازى
ابن أرتُق ، السلطان أبو الفتح صاحب مَآردين . كان ملكا جليلا كبير القدر شجاعا
جَوَادًا حازما مُتَحَدًا . مات فى ذى الحجة ، وملك مَآردين بعده أبنه الملك المظفر
رحمه الله .

وفيهما تُوُفِّيَ الملك المعظم نحر الدين أبو المفاخر تُوْرَان شاه ابن السلطان صلاح الدين
يوسف بن أيوب ، كان قد كَثُرَتْ سِنُهُ وصار كبير البيت الأيوبي ، وكانت نفسه
لا تُحَدِّثُهُ بالوثوب على الأمر ، فلذلك عاش عيشا رَغَدًا وطال عمره . وكان الملك
الناصر صلاح الدين يوسف صاحب الشام يُعَظِّمُهُ ويَحْتَرِمُهُ وَيَتَّقِي بِهِ . وهو غير الملك
المعظم تُوْرَان شاه ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب . وقد تقدَّم قُتِلَ هناك فى كائنة
دِمَياط ، وعُدَّ أيضا من ملوك مصر . وتوران شاه هذا هو ابن عم الملك الكامل
محمد جدُّ تُوْرَان شاه هناك . وهو أيضا غير تُوْرَان شاه ابن الملك الكامل محمد
المعروف بِأَقْسِيس^(٢) . انتهى . ومولد تُوْرَان شاه هذا بالقاهرة فى سنة سبع وسبعين
ونعمائة ومات فى شهر ربيع الأول من هذه السنة بحلب .

وفيهما قُتِلَ الأمير كَتَبْغَانُوين مقدَّم عساكر التَّار الذى قُتِلَ فى الوقعة التى كانت
بينه وبين المظفر قُطُزُ بعين جالوت المقدَّم ذكرها . كان كَتَبْغَانُوين عظيماً عند

(١) فى النهل الصافي والبلوك : « الملك السعيد إيلغازى ابن المنصور أرتُق بن إيلغازى ... الخ »
بإسقاط كلمة « ابن أرسلان » . (٢) قد تقدَّم فى الجزء السادس فى غير موضع أن ابن الملك
الكامل المسمى بأقسيس هو الملك المسعود صلاح الدين أبو المظفر يوسف ابن الملك الكامل صاحب اليمن ،
ولم يسم بتوران شاه كما ذكره المؤلف هنا .

التَّارَ يعتمدون على رأيه وشجاعته وتدييره، وكان بطلاً شجاعاً مقداماً خبيراً بالحروب وأقتناح الحصون والاستيلاء على الممالك، وهو الذي فتح معظم بلاد العجم والعراق . وكان هولاء كوكب التَّار يثق به ولا يخالفه فيما يُشير إليه ويتبرك برأيه . يُحكى عنه عجائب في حروبه ، وكانت مقتلته في يوم الجمعة خامس عشرين شهر رمضان في المصاف على عين جالوت .

قلت : إلى سقر وبئس المصير، ولقد استراح الإسلام منه ، فإنه شرَّ عصابة على الإسلام وأهله . والله الحمد على هلاكه .

وفيها تُوفِّي الملك المظفر أبو المعالي ناصر الدين محمد ابن الملك المظفر غازي بن أبي بكر محمد العادل بن أيوب صاحب ميّافارقين وتلك البلاد . ملكها في سنة خمس وأربعين وستمائة عقيب وفاة والده، [و] دام في الملك سنين إلى أن جفَلَ من التَّار بعد أن كان يُداريهم سنين ، وقَدِم على الملك الناصر صلاح الدين يوسف بدمشق واستنجده على التَّار فوعده الناصر بالنجدة ، وآخر الأمر أنه رجع إلى بلاده ، وحصره التَّار بها نحو ستين حتى استشهد بأيديهم — رحمه الله تعالى وعفا عنه — .

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها تُوفِّي واستشهد بحلب خلائق لا يُحصىون؛ منهم ، إبراهيم بن خليل الأديمي . والرئيس أبو طالب عبد الرحمن ابن عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن العجمي ، تحت عذاب التَّار . ويدمشق عبد الله ابن بركات بن إبراهيم [المعروف بابن] الخشوعي في صفر . واليهاد عبد الحميد بن عبد الهادي المقدسي في شهر ربيع الأول عن خمس وثمانين سنة . والملك المعظم

(١) في الأصلين : « ابن أبي بكر بن محمد العادل » . والتصويب عن السلوك وشذرات الذهب والمنهل الصافي . (٢) في الأصلين : « ملكها في سنة اثنتين وأربعين وستمائة » وهو خطأ ، والتصويب عن شذرات الذهب والمنهل الصافي وما يفهم من السلوك . (٣) الزيادة عن حيون التواريخ وشذرات الذهب .

تُورَان شاه ابن السلطان صلاح الدين في شهر ربيع الأول، وله إحدى وثمانون سنة.
والشمس محمد بن عبد المهدى أخو الهاد بقرية ساوية^(١) [من عمل نابلس]
شهيدا . وقاضى القضاة صدر الدين أحمد ابن شمس الدين أبي البركات يحيى بن
هبة الله بن مَنَى الدولة ببعْلَبَك^(٢) ، وقد قارب السبعين في جُمادى الآخرة . وأبو الكرم
لاحق بن عبد المنعم الأرتاحي^(٣) بالقاهرة ، وله خمس وثمانون سنة . والحافظ المفيد
مُحِبَّ الدين عبد الله بن أحمد المَقْدِمِي^(٤) . والفقيه الكبير أبو عبد الله محمد بن أبي الحسين
[أحمد]^(٥) بن عبد الله الأيونيني^(٦) في رمضان ، وله سبع وثمانون سنة في المحرم . والحافظ
البليغ أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القُضَاعِي^(٧) البَلَنْسِي^(٨) الكاتب المعروف
بالآبَار بُتُونِسْ مقتولا . والملك الكامل الشهيد ناصر الدين محمد ابن المظفر شهاب
الدين غازي بن العادل . والملك المظفر الشهيد سيف الدين فُطْرُزِي ذِي القعدة ،
فَتَكُوا به في الرمل . وصاحب الصَّيْبَةِ الملك السعيد حسن بن العزيز عثمان بن
العادل ، قُتِلَ صَبْرًا يوم عَيْن جالوت بأمر الملك المظفر . وفي آخرها صاحب مَارِدِينَ
الملك السعيد نجم الدين إِبِلْغَازِي بن أَرْتُق . والملك كَتَبْغَانُويْنِ رأس التَّسَارِ يوم عَيْن

- ١٥ (١) في الأصلين : « بقرية شارية » . وما أثبتناه عن شذرات الذهب وشرح القصيدة اللامية
في التاريخ والمنهل الصافي . (٢) في الأصلين : « ابن شمس الدين بن أبي البركات » وتصحيحه
عن شذرات الذهب وطبقات الشافعية والمنهل الصافي والسلوك . (٣) في الأصلين : « وقد
قارب السنين » . والتصويب عن عقد الجمان والسلوك وعيون التواريخ وشذرات الذهب والمنهل الصافي .
(٤) في الأصلين : « الأرياحي » . والتصحيح عن شذرات الذهب وشرح القصيدة اللامية
في التاريخ وما تقدم ذكره للولف في حوادث سنة ٦٥١ هـ . (٥) زيادة عن شذرات الذهب
وتذكرة الحفاظ والسلوك . (٦) اليوناني : نسبة إلى يونين من قرى بعلبك .
(٧) في شذرات الذهب وعقد الجمان وتذكرة الحفاظ : « في تاسع عشر رمضان » .
(٨) في الأصلين : « التنسي » . والتصحيح عن تذكرة الحفاظ وشذرات الذهب .

جالوت ، قتله آقوش الشَّمْسِيَّةُ ^(١) . وحُسام الدين محمد بن أبي علي - المَدْبَائِي - نائب السلطنة بمصر . والأمير مُجِير الدين إبراهيم [بن أبي بكر ^(٢)] بن أبي زكري بن بُلُس شهيدًا بعد أن قَتَلَ جماعة .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وست عشرة إصبعا .

مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وإحدى عشرة إصبعا .

(١) هو آقوش بن عبد الله الشمسى الأمير جمال الدين أصله من مالِك الأمير شمس الدين سنقر الأشقر . توفى سنة ٦٧٨ هـ (عن المنهل الصافي) . (٢) تقدّم في الجزء السادس من هذه الطبعة في غير موضع باسم « حسام الدين بن أبي علي » . وفي كتاب أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء تأليف محمد راغب بن محمود بن هاشم الطباخ الحلبي : « أبو علي بن محمد الأمير أبي علي بن باسك الأمير الكبير حسام الدين الغزياني المعروف بابن أبي علي » . (٣) الكلمة عن عيون التواريخ والمنهل الصافي .

ذكر سلطنة الملك الظاهر بيبرس البندقدارى^(١) على مصر
السلطان الملك القاهر ثم الظاهر ركن الدين أبو الفتوح بيبرس بن عبد الله
البندقدارى الصالحى النجى الأيوبي التركى، سلطان الديار المصرية والبلاد
الشامية والأقطار الحجازية، وهو الرابع من ملوك الترك. مولده فى حدود العشرين
وسمائه بصحراء القبحاق^(٢) تخميناً والقبحاق قبيلة عظيمة فى الترك، وهو (بكسر القاف^(٤))
وسكون الباء ثمانية الحروف وفتح الجيم ثم ألف وقاف ساكنة، وبيبرس (بكسر الباء
الموحدة ثمانية الحروف وسكون الياء المثناة من تحتها ثم فتح الباء الموحدة وسكون
الراء والسين المهملتين) ومعناه باللغة التركية: أمير فهد. انتهى.

قلت: أخذ بيبرس المذكور من بلاده وأُبيع بدمشق للعهاد الصائغ. ثم اشتراه
الأمير علاء الدين أيديكين الصالحى البندقدارى وبه سُمى البندقدارى.

قلت: والعجيب أن علاء الدين أيديكين البندقدارى المذكور عاش حتى صار
من جملة أمراء الظاهر بيبرس هذا. على ما سياتى ذكره مفصلاً — إن شاء الله
تعالى — حكى شيخ الشيوخ شرف الدين عبد العزيز الأنصارى الحموى^(٥) قال:

(١) البندقدارى: نسبة إلى البندقدار، وهو لفظ فارسي مركب معناه حامل جراوة أى كيس البندق
خلف الأمير أو السلطان، وقد سمي بيبرس هذا باسم البندقدارى لأنه كان فى أول أمره ملوكاً لا مير أيديكين
البندقدار، ثم انتقل إلى الملك الصالح نجم أيوب وصار من مماليكه البحرية (عن صبح الأعشى ج ٥
ص ٤٥٨ وعن الحاشية رقم ٢ ص ٣٥٠ من كتاب السلوك). (٢) فى العقد الثمين والمهل الصافى
والذيل على مرآة الزمان: «أبو الفتح». (٣) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٢٥٥ من
الجزء السادس من هذه الطبعة. (٤) ضبطه صاحب صبح الأعشى (ج ٤ ص ٤٥٦) بالعبارة
قَالَ: (بفتح القاف... الخ). (٥) هو شيخ الشيوخ صاحب شرف الدين عبد العزيز
ابن محمد بن عبد المحسن بن منصور الأنصارى الأوسى الدمشقي الشافعي. سيذكر المؤلف فى حوادث
سنة ٦٦٢ هـ.

كان الأمير علاء الدين البندقدارى الصالحى لما قُبِض عليه وأُحْضِرَ إلى حَمَاةٍ (١) وأُعْتَقِلَ بِجَامِعِ قَلْعَتِهَا أَتَفَقَ حَضُورَ رُكْنِ الدِّينِ سِبْرَسٍ مَعَ تَاجِرٍ، وَكَانَ الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ (٢) (بَعْنَى صَاحِبِ حَمَاةٍ) إِذَا ذَاكَ صَبِيًّا وَكَانَ إِذَا أَرَادَ شِرَاءَ رَقِيقٍ تُبَيِّرُهُ الصَّاحِبَةُ وَالِدَتُهُ، فَأُحْضِرَ سِبْرَسٌ هَذَا مَعَ آخَرِ فَرَاتِهِمَا مِنْ وَرَاءِ السُّتْرِ فَأَمَرَتْ بِشِرَاءِ خُشْدَاشِهِ ، وَقَالَتْ : هَذَا الْأَسْمَرُ لَا يَكُونُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مَعَامِلَةٌ فَإِنَّ فِي عَيْنِهِ شَرًّا لَا تُحَا فَرَدَّتْهُمَا .
بِحَيْمَا ؛ فَطَلَبَ الْبُنْدُقْدَارَى الْغَلَامَيْنِ يَعْنِي سِبْرَسَ وَرَفِيقَهُ فَأَشْتَرَاهُمَا وَهُوَ مُعْتَقَلٌ ، ثُمَّ أَفْرِجَ عَنْهُ فَسَارَ إِلَى مِصْرَ ، وَآلَ أَمْرَ رُكْنِ الدِّينِ إِلَى مَا آلَ .

وقال الذهبي : اشترى الأمير علاء الدين البندقدارى الصالحى فطلع بطلا شجاعا نجيباً لا ينبغي [أن] يكون إلا عند ملكٍ ، فأخذه الملك الصالح منه . وقيل : بقي سببرس المذكور في ملك البندقدارى حتى صادره أستاذه الملك الصالح نجم الدين أيوب ،
وَأَخَذَ سِبْرَسٌ هَذَا فَمَا أَخَذَهُ مِنْهُ فِي الْمَصَادِرَةِ فِي شَهْرِ شَوَّالِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ وَسِتَّمِائَةٍ .
قلت : وهذا القول هو المشهور .

ولما اشتراه الملك الصالح أعتقه وجعله من جملة مماليكه ، وقدمه على طائفة الجندارية لما رأى من فطنته وذكائه ؛ وحضر مع أستاذه الملك الصالح واقعة دِمَاط .
وقال الشيخ عز الدين عمر بن علي بن إبراهيم بن شتاد : أخبرني الأمير بدر الدين بيسرى الشَّمْسِيُّ (٣) أَنَّ مَوْلِدَ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ بَارِضِ الْقَبْجَاقِ سَنَةِ خَمْسٍ وَعَشْرِينَ وَسِتَّمِائَةٍ

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٥٧ من هذا الجزء . (٢) في الأصلين : « يعني عن صاحب حماة » . (٣) هو بيسرى بن عبد الله الشمسى الصالحى الأمير بدر الدين ، كان من

أعيان الأمراء بالديار المصرية ، وكان أحد من رشح للسلطنة لما قتل الملك الأشرف خليل بن قلاوون . توفي سنة ٦٩٨ هـ . وبيسرى : اسم مركب من لفظة تركية ولفظة أعجمية ، وصوابه : « باى سرى »

٢٠ فباى باللفظة التركية بالتضخيم هو السعيد . وسرى باللفظة الأعجمية الرأس ، فعناه رأس سعيد (عن المنهل الصافي في ترجمة بيسرى) .

تقريبا . وسبب أنتقاله من وطنه إلى البلاد أن التار لما أزمعوا على قصد بلادهم سنة تسع وثلاثين وستمائة ، وبلغهم ذلك ، كاتبوا أنس خان ملك أولاق^(١) أن يعبروا ببحر صُوداق^(٢) إليه ليحيرهم من التار ، فأجابهم إلى ذلك وأزلمهم وادياً بين جبَلَيْن ، وكان عبورهم إليه في سنة أربعين وستمائة ؛ فلما أطمأن بهم المقام غدر بهم وشن الغارة طيهم ، فقتل منهم وسبي . قال بيسرى : وكنت أنا والملك الظاهر فيمن أسير ، قال : وكان عمره إذ ذاك أربع عشرة سنة تقديراً ، فبيع فيمن يسع وحمل إلى سيواس^(٣) ثم أفرقنا وأجتمعنا في حلب في خان ابن فليج ثم أفرقنا ؛ فاتفق أن نحمل إلى القاهرة فبيع على الأمير علاء الدين أيديكين البندقدارى وبق في يده إلى أن أنتقل عنه بالقبض عليه في جملة ما أسترجه الملك الصالح نجم الدين أيوب منه ، وذلك في شوال سنة أربع وأربعين وستمائة .

قلت : وهذا القول مطابق لقولنا الذي ذكرناه . قال : ثم قدمه الملك الصالح على طائفة الجندارية . انتهى .

وقال غيره : ولما مات الملك الصالح نجم الدين أيوب ومَلَكَ بعده ابنه الملك المعظم توران شاه وقيل^(٥) وأجمعوا على الأمير عز الدين أيبك التركمانى وولَّوه الأتابكية ،

- ١٥ (١) أولاق (ويقال لم البرغال) : جنس معروف [من التركان] (عن صبح الأعشى ج ٤ ص ٤٦٤) .
 (٢) صوداق ، بالصاد (وقد أوردها المؤلف بالسين المهملة) : في ذيل جبل على شط بحر القرم وأرضها محجر ، وهي بلدة مسورة وهي فرضة التجار (راجع تقويم البلدان وصبح الأعشى ج ٤ ص ٤٦٠) .
 (٣) سيواس (بكر السين المهملة وسكون الياء المثناة من تحت) : إقليم الروم ، وهي بلدة كبيرة مشهورة فيها وبين قيسارية ستون ميلاً (من تقويم البلدان) . (٤) ذكر المؤلف فيما تقدم أنه بيع بدمشق ، وروى المؤلف رواية أخرى حكاه عن شيخ الشيخ شرف الدين عبد العزيز المتقدم أنه بيع بحماة ، وروى هنا عن الأمير بيسرى أنه بيع بالقاهرة فتقول المؤلف : « وهذا القول مطابق لقولنا الذي ذكرناه » يخالف الروايين السابقين له . (٥) كان أول من ضرب الملك المعظم توران شاه بالسيف في فارسكور ببيرس البندقدارى (راجع حوادث قله في سنة ٦٤٨ هـ من الجزء السادس من هذه الطبعة والسلوك ص ٣٥٨ — ٣٦١) .

- ثم أَسْتَقْلَ بِالْمُلْكِ وَقَتَلَ الْأَمِيرَ فَارِسَ الدِّينَ أَقْطَاىَ الْجَدَّارَ، رَكِبَ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ
يَبْرِسَ هَذَا وَالبَحْرِيَّةَ وَقَصَدُوا قَلْعَةَ الْجَبَلِ ؛ فَلَمَّا لَمْ يَنَالُوا مَقْصُودَهُمْ خَرَجُوا مِنْ
القَاهِرَةِ بِمَاجِرِينَ بِالْعِدَاوَةِ لِلْمَلِكِ الْمُعْزَّاتِيكَ التُّرْكُمَانِيَّ وَمُهَاجِرِينَ إِلَى الْمَلِكِ النَّاصِرِ
صَلَاحِ الدِّينِ يَوْسُفَ [أَبْنِ الْمُلِكِ الْعَزِيزِ مُحَمَّدِ بْنِ الظَّاهِرِ غَازِيِ بْنِ السُّلْطَانِ
صَلَاحِ الدِّينِ يَوْسُفَ بْنِ أَيُّوبَ] صَاحِبِ الشَّامِ . وَهُمْ : الْمَلِكُ الظَّاهِرُ يَبْرِسَ هَذَا ،
وَسَيْفُ الدِّينِ بَلْبَانَ الرَّشِيدِيَّ ، وَعِزُّ الدِّينِ أَزْدَمُ السِّنِّيَّ ، وَشَمْسُ الدِّينِ سُنْقُرُ
الرُّومِيِّ ، وَشَمْسُ الدِّينِ سُنْقُرُ الْأَشْقَرِ ، وَبَدْرُ الدِّينِ بَيْسَرَى الشَّعْمِيَّ ، وَسَيْفُ الدِّينِ
قَلَاوُونَ الْأَلْفِيَّ ، وَسَيْفُ الدِّينِ بَلْبَانَ الْمُسْتَعْرِبِ وَغَيْرُهُمْ ؛ فَلَمَّا شَارَفُوا دِمَشْقَ سِيرَ
إِلَيْهِمُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ طَيِّبَ قُلُوبِهِمْ ، فَبَعَثُوا نَحْرَ الدِّينِ إِيَّازَ الْمُقَرِّيَّ يَسْتَحْلِفُهُ لَهُمْ
خَلْفَ النَّاصِرِ لَهُمْ وَدَخَلُوا دِمَشْقَ فِي الْعَشْرِ الْأَخِيرِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ
وَنَحْسِينَ وَسِتِّمِائَةَ ، فَأَكْرَمَهُمُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ صَاحِبُ الدِّينِ وَأَطْلَقَ لِلْمَلِكِ الظَّاهِرِ يَبْرِسَ
ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، وَثَلَاثَةَ قُطْرِيَّاتٍ وَثَلَاثَةَ قَطْرِيَّاتٍ وَمَلْبُوسًا ، وَفَرَقَ فِي بَقِيَّةِ
الْجَمَاعَةِ الْأَمْوَالَ وَالْخَلَعَ عَلَى قَدَرِ مَرَاتِبِهِمْ . وَكَتَبَ الْمَلِكُ الْمُعْزَّاتِيكَ إِلَى الْمَلِكِ النَّاصِرِ
يُحَدِّثُهُ مِنْهُمْ وَيُفَرِّغُهُ بِهِمْ ، فَلَمْ يُصْنَعْ إِلَيْهِ النَّاصِرُ ، وَدَامَ عَلَى إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ . وَكَانَ
عَيْنَ النَّاصِرِ لِيَبْرِسَ إِقْطَاعًا بِحَلْبٍ ، فَطَلَبَ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ يَبْرِسَ مِنَ الْمَلِكِ النَّاصِرِ
أَنْ يُعَوِّضَهُ عَمَّا كَانَ لَهُ بِحَلْبٍ مِنَ الْإِقْطَاعِ بِجَبِينِينَ وَزَرْعِينَ فَأَجَابَهُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ إِلَى

(١) التَّكْلِفَةُ عَنْ عَقْدِ الْجَمَانِ وَشَذَرَاتِ الذَّهَبِ . (٢) هُوَ إِيَّازُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الصَّالِحِي النَّجْمِيُّ الْأَمِيرُ

نَحْرَ الدِّينِ الْمَعْرُوفُ بِالْمُقَرِّيِّ ، أَحَدُ أَكْبَرِ الْأَمْرَاءِ بِالْأَمْرِ الْمَصْرِيَّةِ . تَوَفَّى سَنَةَ ٦٨٧ هـ (عَنْ الْمَنْهَلِ السَّاقِي) .

(٣) جَبِينِينَ : بَلَدٌ قَدِيمَةٌ مُسَمَّاةٌ ، وَهِيَ مَرْكَبَةٌ عَلَى كَتِفِ وَادٍ لَطِيفٍ بِهَنْدِ مَاءٍ يَجْرِي ، وَهِيَ فِي الشَّامِ

عَنْ قَافُونَ عَلَى نَحْوِ مَرَجَةٍ فِي رَأْسِ مَرَجٍ بَنِي عَامِرٍ ، وَبِهَا مَقَامٌ دَحِيحَةُ الْكَلْبِيِّ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (عَنْ صَبِيحِ الْأَعْمَشِيِّ ج ٤ ص ١٥٤) . (٤) كَذَا فِي الْأَمْلِيْنِ وَالسُّلُوكِ (ص ٨١)

وَالذَّيْلُ عَلَى مَرَاةِ الزَّمَانِ ، وَلَمْ تَقَفْ عَلَى مَوْقِعِهَا غَيْرَ أَنْتَا وَجَدْنَا فِي تَحَابِطِ فُلَسْطِينَ الْإِسْلَامِيَّةِ لَأَسْتَرَاخِ

ص ٤٤١ أَنَّهَا تَقَعُ مَا بَيْنَ قَدْرَةِ الْقَوْلَةِ النَّاصِرَةِ . هِيَ مَدِينَةٌ خَالِدَةٌ .

ذلك ؛ فتوجه بيبرس إليها وعاد ، فاستشعر بيبرس من الملك الناصر بالغدر فتوجه
 بمن معه ومن تبعه من خُشداشيته إلى الكرك ، واجتمعوا بصاحب الكرك الملك
 المغيث عمر بن العادل أبي بكر بن الكامل محمد ، فجهز الملك المغيثُ عسكره مع بيبرس
 المذكور ، وعدة من كان جهزه معه ستمائة فارس ، وخرج من عسكر مصر جماعة
 ٥ للقتال ؛ فاراد بيبرس كبسهم فوجدهم على أهبة ، ثم واقع المصريين فأنكسر ولم ينج
 منهم إلا القليل ، فالذى نجا من الأعيان : بيبرس وبيليك الخازندار ، وأسير بلبان
 الرشيدى . وقد تقدم ذكر ذلك كله فى ترجمة المعز مجملًا ، ولكن نذكر هنا مفصلاً .
 وعاد بيبرس هذا إلى الكرك وأقام بها ، فتواترت عليه كتبُ المصريين يحرضونه على
 قصد الديار المصرية ، وجاءه جماعة كثيرة من عسكر الملك الناصر . فأخذ بيبرس
 ١٠ يطمع الملك المغيث صاحب الكرك فى ملك مصر ، ولا زال به حتى ركب معه بعسكره
 ونزل غزوة ، وندب الملك المعز أيبك عسكرًا لقتالهم ، وقدم على العسكر المصرى
 مملوكه الأمير قطز والأمير أقطاي السمرى ، وساروا وهرب من عسكر مصر إلى
 بيبرس والمغيث الأمير عز الدين أيبك الرومى ، والأمير بلبان الكافورى والأمير
 عنقر شاه الغزيرى ، والأمير أيبك الخواشى ، والأمير بدر الدين برخان ، والأمير
 ١٥ بغدى ، وأيبك الحموى ، وجمال الدين هارون القيصرى والجميع أمراء ، واجتمعوا الجميع
 مع بيبرس والملك المغيث بقوة ، فقويت شوكتهما بهؤلاء ، وساروا الجميع إلى الصالحية ،

(١) فى الأصلين : « الملك المغيث على بن العادل » وهو خطأ وتصحيحه عن شذرات الذهب وماسياق

لؤلؤ ذكره فى حوادث سنة ٦٦٢ هـ . (٢) كذا فى الأصلين والسلوك (ص ٤٣٦) ؛

وابن إياس (ج ١ ص ٩٩) وذيل مرآة الزمان . وفى المنهل الصافى وكتر مير (ج ١ ص ١١٧) ذ

« بليك » بالباء الموحدة قبل الكاف . (٣) فى الأصلين والذيل على مرآة الزمان « الكافرى »

وما أئبناه عن السلوك (ص ٤١١) وعقد الجمان . (٤) فى الذيل على مرآة الزمان ؛

« الجواشى » بالجم . وفى عقد الجمان فى حوادث سنة ٦٥٦ هـ . « الهواش » .

(٥) فى الذيل على مرآة الزمان : « وبدر الدين بن خان بغدى » .

وَلَقُوا عَسْكَرَ مِصْرَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ رَابِعَ عَشَرَ شَهْرَ رَبِيعِ الْآخِرِ مَسْنَةَ سِتْ وَخَمْسِينَ ،
 فَاسْتَظْهَرَ عَسْكَرَ بَيْرُسَ وَالْمُغِيثَ أَوَّلًا ، ثُمَّ حَادَتْ الْكَسْرَةُ عَلَيْهِمْ لَثِبَاتٌ قُطِرَ الْمُعِزِّي ،
 وَهَرَبَ الْمَلِكُ الْمُغِيثَ وَلِجَقَهُ بَيْرُسُ ، وَأَمَرَ مِنْ عَسْكَرِ بَيْرُسَ عِزَّ الدِّينِ أَيْتَكَ
 الرَّومِي ، وَرَكْنَ الدِّينَ مَنكُورَسَ الصَّيْفِي ، وَبَلْبَانَ الْكَافُورِي وَعِزَّ الدِّينِ أَيْتَكَ
 الْحَمِيوي ، وَبَدَرَ الدِّينَ بَلْفَانَ الْأَشْرَفِي ، وَجَمَالَ الدِّينَ هَارُونَ الْقَيْمُري ، وَسُنْقُرَ شَاه
 الْعَزِيزِي ، وَبِهَاءَ الدِّينِ أَبْدُعْدِي الإسْكَندَرَانِي ، وَبَدَرَ الدِّينَ بَرْخَانَ ، وَبُقْدِي ،
 وَبِيلِيكَ الْخَازَنْدَارَ الظَّاهِرِي فَضْرِبَتْ [أَغْنَاقُ ^(٤)] الْجَمِيعَ صَبْرًا ، مَا خَلَا الْخَازَنْدَارَ
 [فَإِنَّ جَمَالَ الدِّينِ] الْجُوكَنْدَارِي شَفَعَ فِيهِ ، وَخَيَّرُوهُ بَيْنَ الْمَقَامِ وَالذَّهَابِ فَأَخْتَارَ
 الذَّهَابَ إِلَى أَسَاتِذِهِ ، فَأُطْلِقَ وَتَوَجَّهَ إِلَى أَسَاتِذِهِ ، وَلَمَّا أَنْ وَصَلَ الْمَلِكُ الْمُغِيثَ إِلَى
 الْكَرْكِ حَصَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَكْنِ الدِّينِ بَيْرُسَ هَذَا وَحِشَّةٌ ، وَأَرَادَ الْمُغِيثُ الْقَبْضَ عَلَيْهِ
 بَعْدَ أُمُورٍ صَدُرَتْ ، فَأَحْسَسَ بَيْرُسَ بِذَلِكَ وَهَرَبَ وَعَادَ إِلَى الْمَلِكِ النَّاصِرِ صَلَاحِ الدِّينِ
 يَوْسُفَ صَاحِبِ الشَّامِ ، بَعْدَ أَنْ أَسْتَحْلَفَهُ عَلَى أَنْ يُعْطِيَهُ خُبْرَ مِائَةِ فَارَسٍ مِنْ جَمَلَتِهَا
 قَصَبَةً نَابِلُسَ ، وَجِيئِينَ وَزَرْعِينَ فَأَجَابَ إِلَى نَابِلُسَ لَا خَيْرَ . وَكَانَ قُدُومُهُ عَلَى
 النَّاصِرِ فِي شَهْرِ رَجَبِ مَسْنَةِ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ وَسِتِّمِائَةٍ ، وَمَعَهُ الْجُمَاعَةُ الَّذِينَ

- ١٥ (١) هو منكورس بن حيداقه الفارقاني الأمير ركن الدين . كان من جملة الأمراء بالديار المصرية .
 توفي سنة ٦٨٨ هـ (عن التل الصافي) . (٢) في الذيل على مرآة الزمان : « علاء الدين » .
 (٣) هو أحد الخازندارية ، وموضوعها التحدث في خزائن الأموال السلطانية من نقد وقماش
 وغير ذلك (راجع صبح الأعشى ج ٤ ص ٢١) . (٤) زيادة يقتضها السياق .
 (٥) زيادة عن التل الصافي والذيل على مرآة الزمان . (٦) الجوكنداري : نسبة إلى
 الجوكندار ، وهو لقب للذي يحمل الجوكان مع السلطان في لعب الكرة ، ويجمع على جوكان دارية ، وهو
 مركب من لفظتين فارسيتين : إحداها جوكان وهو المحجن الذي تضرب به الكرة ، ويسمى عنه
 بالصوبجان أيضا . والثانية « دار » ومعناه « عسك » كما تقدم فيكون المعنى عسك بالجوكان (عن
 صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٥٨) . (٧) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٩٧ من هذا الجزء .
 (٨) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٩٧ من هذا الجزء .

حلف لهم الملك الناصر أيضا وهم : بَيْسَرَى الشَّمْسِيَّ وَأَيْتَمَش السَّعْدِيَّ وَطَيْبَرَسَ^(١)
الْوَزِيرِيَّ وَأَقْوَشَ الرُّومِيَّ الدَّوَادَارَ^(٢) ، وَكُشْتُنْدِيَّ الشَّمْسِيَّ^(٣) وَلاَجِينَ الدَّرَفِيلَ^(٤) ،
وَأَيْدَغْمَشَ الْحَلَبِيِّ^(٥) وَكُشْتُنْدِيَّ الشَّرْقِيِّ^(٦) وَأَيْبَكَ السَّيْخِيَّ وَبَيْبَرَسَ خَاصَ تَرْكَ الصَّغِيرِ^(٧) ،
وَبَلْبَانَ الْمِهْرَانِيَّ^(٨) ، وَسَنْجَرَ الْبَاشْقَرْدِيَّ وَسَنْجَرَ الْهَامِيَّ ، وَأَرْسَلَانَ النَّاصِرِيَّ وَيُمْكَنِيَّ^(٩)
الْخَوَارَزْمِيَّ ، وَسَيْفَ الدِّينِ طُمَانَ [الشَّقِيرِيَّ]^(١٠) ، وَأَيْبَكَ الْعَلَائِيَّ ، وَلاَجِينَ الشَّقِيرِيَّ ،
وَبَلْبَانَ الْأَقْسَيْسِيَّ ، وَعَلَمَ الدِّينِ سُلْطَانَ الْإِلْدِكْرِيَّ ، فَأَكْرَمَهُمُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ ، وَوَقَّى لَهُمْ
بِمُحَلِّفٍ ، وَدَامُوا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى قَبِضَ الْأَمِيرُ قُتُزُّ عَلَى ابْنِ أَسَافَةَ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ عَلَى^(١١) ،
وَتَسَلَطَنَ وَتَلَقَّبَ بِالْمَلِكِ الْمَظْفَرِ قُتُزُّ ، شَرَعَ بَيْبَرَسَ يُحْرِضُ الْمَلِكَ النَّاصِرَ عَلَى التَّوَجُّهِ
إِلَى الدِّيَارِ الْمَصْرِيَّةِ لِيَمْلِكَهَا ، فَلَمْ يُجِبْهُ ، فَكَلَّمَهُ بَيْبَرَسَ فِي أَنْ يُقَدِّمَهُ عَلَى أَرْبَعَةِ
آلَافِ فَارَسٍ ، أَوْ يُقَدِّمَ عَلَيْهِمْ غَيْرَهُ ، وَيَتَوَجَّهُ بِهَا إِلَى قَطَطِ الْفَرَاتِ يَمْنَعُ النَّتَارَ مِنْ
الْعُبُورِ إِلَى الشَّامِ ، فَلَمْ يُجِبْهُ ابْنُ عَمِّهِ الْمَلِكُ الصَّالِحُ إِسْمَاعِيلُ لِبَاطِنِ كَانَ لَهُ مَعَ النَّتَارِ ،
قَاتَلَهُ اللَّهُ ! فَاسْتَمَرَّ بَيْبَرَسَ عِنْدَ النَّاصِرِ إِلَى سَنَةِ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ فَارْقَهُ بَيْنَ مَعِهِ

- (١) فِي الْأَصْلِينَ : « إِيَّاسُ السَّعْدِي » . وَمَا أُتْبِنَاهُ مِنَ الْمَثَلِ الصَّافِي . وَفِي السُّلُوكِ : « أَيْتَمَشُ
السَّعْدِي » . وَفِي ذَيْلِ مِرْآةِ الزَّمَانِ : « أَتَامَشُ السَّعْدِي » . (٢) هُوَ طَيْبَرَسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ
الْوَزِيرِيَّ الْأَمِيرَ الْكَبِيرَ الْحَاجَّ عَلَاءَ الدِّينِ صَهْرَ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ بَيْبَرَسَ . سَيِّدُ كَرِهِ الْخُلُوفِ فِي حَوَادِثِ سَنَةِ ٥٦٨٦ .
(٣) عِبَارَةُ السُّلُوكِ (ص ٤١٥) : « وَبَلْبَانُ الرُّومِيِّ وَأَقْوَشُ الدَّوَادَارِ الرُّومِي » .
(٤) هُوَ كُشْتُنْدِيَّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الشَّمْسِيِّ الْأَمِيرَ عَلَاءَ الدِّينِ . تَوَفَّى سَنَةَ ٥٦٩٠ . (عَنِ الْمَثَلِ الصَّافِي) .
(٥) فِي السُّلُوكِ لِلْقَرِيزِيِّ : « أَيْدَغْمَشُ الشَّيْخِي » . وَفِي الْمَثَلِ الصَّافِي . « أَيْدَغْمَشُ الْجَلِيلِي » .
(٦) فِي الذَّيْلِ عَلَى مِرْآةِ الزَّمَانِ : « الْمَشْرِقُ » . وَفِي السُّلُوكِ : « كُشْتُنْدِيَّ الْمَشْرِفِ » .
(٧) فِي السُّلُوكِ : « وَأَيْبَكُ الشَّيْخِي » . (٨) الْبَاشْقَرْدِيَّ ، وَيُقَالُ فِيهِ : « الْبَاشْقَرْدِيَّ »
وَيُقَالُ : « الْبَاشْقَرْدِيَّ » : نَسَبُهُ إِلَى بَاشْقَرْدَ ، بِلَادٍ بَيْنَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ وَبَغْدَادَ . وَفِي الْأَصْلِينَ : « الْإِسْعَرْدِي » .
وَالنَّصَحِيحُ عَنِ الْمَثَلِ الصَّافِي . (٩) زِيَادَةُ عَنِ السُّلُوكِ . (١٠) فِي الْأَصْلِينَ : « فَلَمْ يُمْكِنَهُ »
خَالَهُ الْمَلِكُ الصَّالِحُ إِسْمَاعِيلُ . وَتَصْحِيحُهُ عَمَّا سَيِّدُ كَرِهِ الْخُلُوفِ فِي وَفَيَاتِ سَنَةِ ٥٦٥٩ . وَهُوَ الْمَلِكُ
الصَّالِحُ نُورُ الدِّينِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ الْمَلِكِ الْمُجَاهِدِ أَسَدُ الدِّينِ شَيْرُكُوهُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحَدِ الدِّينِ شَيْرُكُوهِ الْكَبِيرِ
صَاحِبِ حَمَصَ .

- وقصد الشَّهْرُزُورِيَّةَ^(١) وتزوج منهم؛ ثم أرسل إلى الملك المظفر قُطْزَ مَن استحفله له ،
 خَلَفَ قُطْزُ . ودخل بيترس إلى القاهرة في يوم السبت الثاني والعشرين من شهر
 ربيع الأول سنة ثمان وخمسين ، فركب الملك المظفر قُطْزَ للقائه وأنزله في دار
 الوزارة وأقطعهُ قَصْبَةَ قُليوب^(٢) ، فلم تَطُلْ مدَّتُهُ بالقاهرة وتنبأ الملك المظفر قُطْزَ
 لقتال التَّار ، وسير بيترس هذا في عسكرٍ أمامه كالجاليش ليتجسس أخبار التَّار ؛
 فكان أول ما وقعت عَيْنُهُ عليهم ناوشهم بالقتال ، فلما آنقضت الواقعة بين
 جالوت يَتَمُّهم بيترس هذا ، يَقْتُلُ من وجده منهم ، إلى خِص ، ثم عاد فوافى
 الملك المظفر قُطْزَ بِدَمَشْقَ ، وكان وعده بِنِيبَةِ حَلَبَ ، فأعطاها قُطْزَ لصاحب
 المَوْصِلَ ، لَخَفَدَ عليه بيترس في الباطن ، وأتفق على قتله مع جماعة لما عاد الملك
 المظفر إلى نحو الديار المصرية . والذين آتَمَقُوا معه : بَلْبَانَ الرَّشِيدِيَّ ، وَبَهَادُرَ
 الْمُعِزِّيَّ ، وَبَكْتُوتَ الْجُوَكَنْدَارِ الْمُعِزِّيَّ ، وَبِيدَغَانَ الرَّكْنِيَّ ، وَبَلْبَانَ الْهَارُونِيَّ ،
 وَأَصْنَ الْأَصْبَهَانِيَّ ، وَاتَّفَقُوا الْجَمِيعُ مع بيترس على قتل الملك المظفر قُطْزَ ؛ وساروا
 معه نحو الديار المصرية إلى أن وصل الملك المظفر قُطْزَ إلى القُصَيْرِ ، وبقي بينه وبين
 الصالحية مرحلة ، ورحل العسكر طالبًا الصالحية ، وَضُرِبَ دِهْلِيزُ السُلْطَانِ بِهَا ،
 وَأَخْفَى عِنْدَ الْقُصَيْرِ أَنْ ثَارَتْ أَرْبُ فِسَاقِ الْمَظْفَرِ قُطْزَ ، وساق هؤلاء الْمُتَفَقُّونَ على

(١) الشَّهْرُزُورِيَّةُ : نسبة إلى شهرزور ، وهي إحدى جهات كردستان ، حيث توجد مدينة بهذا
 الاسم . وكان تلك الجهة جماعة الأكراد الكوسية ؛ وقد ظلوا بها حتى استولى هولاكو على بغداد ،
 ونقضت جيوشه شمالاً نحو شهرزور وغيرها ، ففرَّ الشَّهْرُزُورِيَّةُ من وجه التَّار إلى الشام ومصر (انظر
 هامش السلوك ص ٤١١ ودائرة المعارف الإسلامية مادة شهرزور) . (وانظر صبح الأعشى (ص ٣٧٢
 جزء ٤) . وراجع الحاشية رقم ٢ ص ٨١ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .
 (٢) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٣٠٩ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .
 (٣) الجاليش : الراية العظيمة في رأسها خصلة من الشعر . وكان المماليك يطلقونها على الطليعة من
 الجيش كما هنا (صبح الأعشى ج ٤ ص ٨ ، وترجمة السلوك لكرتيرج ص ١ - ٢٢٥ - ٢٢٦ هامش) .
 (٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ٨٣ من هذا الجزء .

قتله معه، فلما أبعَدُوا ولم يبق مع المظفر غيرهم، تقدَّم إليه ركن الدين بيبرس وشفَّع عنده في إنسان فأجابه المظفر، فأهْوَى بيبرس ليقبَل يده فقبض عليها، وحَمَلَ أنص عليه وقد أشغل بيبرس يده وضربه أنص بالسيف، وحَمَلَ الباكون عليه ورمّوه عن فرسه ورشَّقه بالنشَّاب إلى أن مات، ثم حَمَلُوا على العسكر وهم شاهرون سيوفهم حتى وصلوا إلى الدهليز السلطاني، فنزَلُوا ودخلوه والأتابك على باب الدهليز فأحبروه بما فعلوا، فقال فارس الدين الأتابك: مَنْ قتل منكم؟ فقال بيبرس: أنا، فقال: يا خَوْنَد، أجلس في مرتبة السلطنة بخلس، وأستدعي العساكر للخلف، وكان القاضي بُرهان الدين قد وصل إلى العسكر متلقياً لللك المظفر قُطْر، فأستدعى وحلف العسكر لللك الظاهر بيبرس، وتم أمره في السلطنة وأطاعته العساكر؛ ثم ركب وساق في جماعة من أصحابه حتى وصل إلى قلعة الجبل فدخلها من غير مُمانع، وأستقر مُلكه. وكانت البلد قد زُيِّنَت لللك المظفر. فأستمرت الزينة، وكان الذي ركب معه من الصالحية إلى القلعة وهم خواصه من خُشداشيته، وهم: فارس الدين الأتابك، وبيبرس، وقلاوون الأثني، وبيبيك الخازندار، وبلبان الرشيدى؛ ثم في يوم الأحد سابع عشر ذى القعدة وهو صبيحة قتل المظفر قُطْر. وهو أول يوم من سلطنة الظاهر بيبرس جلس بالإيوان من قلعة الجبل.

قلت: ولم يذكر أحد من المؤرخين لُئسَه خَلْعَة السلطنة الخليفى، ولعله أكتفى بالمبايعة والحلف. انتهى.

ولما جلس الظاهر بالإيوان رَسَمَ أن يكتب إلى الأقطار بسلطته؛ فأقول من بدأ به الملك الأشرف صاحب حصص، ثم الملك المنصور صاحب حمّة؛ ثم الأمير

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٨٤ من هذا الجزء. (٢) يلاحظ أنه لم يكن في هذا الوقت خليفة حيث إن الخلافة العباسية انقرضت من بغداد سنة ٦٥٦ هـ كما هو معلوم. وقد أعادها الملك الظاهر بيبرس بمصر سنة ٦٥٩ هـ.

- (٢) مظفر الدين صاحب صهيون ثم إلى الإسماعيلية ، ثم إلى [الملك السعيد المظفر علاء الدين على بن لؤلؤ] صاحب الموصل الذي صار نائب السلطنة بحلب ، ثم إلى (٣) مَنْ في بلاد الشام يُعرفهم بما جرى ثم أفرج عمن بالحُبوس من أصحاب الجرائم ؛ واقرّ الصاحب زين الدين يعقوب بن الزبير على الوزارة ، وتقسّم بالإفراج عن الأجناد المحبوسين والإناعام عليهم ، وزيادة مَنْ رأى استحقاقه من الأمراء وخلع عليهم ، وسير الأمير جمال الدين آقوش محمدى بتواقيع للامير سنجر الحلبي نائب دِمَشق ، فتوجّه إليه فوجده قد تسلطن بدمشق ودعا لنفسه ، وحلف الأمراء ، وتلقب بالملك المجاهد ؛ فعظم ذلك على الملك الظاهر بيبرس وأخذ في إصلاح أمره معه والإحسان إلى خُشداشيته البحرية الصالحية ؛ وأمر أعيانهم . ثم إنه أخرج الملك المنصور نور الدين علياً ابن الملك المعز أيك التُّركماني وأمه وأخاه ناصر الدين قاقان من مصر إلى بلاد الأشكرى (٥) ، وكانوا معتقلين بقلعة الجبل .

وكان بيبرس لما تسلطن لقّب نفسه الملك القاهر ، فقال الوزير زين الدين يعقوب بن الزبير ، وكان فاضلاً في الأدب والترسل وعلم التاريخ ، فأشار بتغيير هذا اللقب ، وقال : ما لُقّب به أحد فأفلح : لُقّب به القاهر بن المعتضد ، فلم تطل مدته

- (١) هو الأمير مظفر الدين عثمان بن منكوس بن نحماس تكين . سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٥٩ هـ . (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٤٠ من الجزء السادس من هذه الطبعة .
(٣) في الأصلين : « عماد الدين » . والتكلمة والتصحيح عن السلوك للقريري وعقد الجمان في حوادث سنة ٦٥٩ هـ . والدليل على مرآة الزمان . (٤) هو يعقوب بن عبد الرفيع بن زيد بن مالك الصاحب زين الدين الأسدي الزبيري من ولد عبد الله بن الزبير . وزرّ الملك المظفر قطز ثم للظاهر بيبرس البندقدارى في أوائل دولته حتى عزل بآب حنا . وكانت وفاته سنة ٦٦٨ هـ (عن المنهل الصافي) .
(٥) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٥٥ من هذا الجزء .
(٦) راجع حوادث سنة ٦٣٩ هـ من الجزء الثالث من هذه الطبعة ص ٣٠٣

وخلع من الخلافة وسُيِّم ، ولُقِّبَ به القاهر^(١) ابن صاحب الموصِل فُسِّم ، فابطل
ببترس اللقب الأول ، وتلقب بالملك الظاهر .

وأما أمرُ دِمَشق ففي العَشر الأخير من ذى القعدة أمر الأمير علم الدين سَنَجَر
الحلبي الذي تسلمن بِدِمَشق بتجديد عمارة [قلعة]^(٢) دِمَشق ، وزُفَّت بالمغانى والطبول
والبُوقات ، وفرحت أهل دِمَشق بذلك ، وحضر كبراء الدولة وخلع على الصنّاع
والتقياء ، وعمل الناس في البناء حتى النساء ؛ وكان يوم الشروع في تجديدِها يوما
مشهوداً ، ثم في اليوم الأول من العَشر الأول من ذى الحجة دعا الأمير علم الدين
سَنَجَر الحلبي الناس بِدِمَشق إلى الحلف له بالسلطنة فأجابوه ، وحضر الجندُ
والأكابر وحلفوه ولُقِّبَ بالملك المجاهد ، وخطب له على المنابر ، وضربت السكة
بأسمه ؛ وكاتب الملك المنصور صاحب حماة ليحلف له فأمتنع ، وقال : أنا مع من
يملك الديار المصرية كائنا من كان .

ولما صحَّ عند التَّار قتلُ الملك المظفر قُطُز — رحمه الله تعالى — وكان النائب
ابن صاحب الموصِل أساء السيرة في الجند والرعية ، فأجتمع رأى الأمراء والجند
بجلب على قبضه وإخراجه من حلب ، وتحالفوا على ذلك ، وعينوا للقيام بالأمر
الأمير حسام الدين الجوكندارى الميزرى^(٣) ، فبينما هم على ذلك وردت عليهم
بطاقة نائب البصرة^(٤) يُخبر أن التَّار قاربوا البصرة لمهاصرتها ، وأستصرخ بهم لينجدوه
بمسكر ، وكان التَّار قد هدموا أبراج البصرة وأسوارها ، وهى مكشوفة من جميع

(١) هو الملك القاهر عز الدين مسعود بن أرسلان بن مسعود بن مودود بن زنكي أبو الفتح صاحب
الموصل . تقدمت وفاته سنة ٦١٥ في الجزء السادس من هذه الطبعة ص ٢٢٥ .

(٢) التكلة عن عيون التواريخ والسلوك للقرزى في حوادث سنة ٦٥٨ هـ .

(٣) في الأصلين : « وحمل » . وتصحيحه عن عيون التواريخ والسلوك للقرزى .

(٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٦ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

- جهاتها ، فخرذ الملك السعيد ابن صاحب الموصِل الذي هو نائب حلب عسكره إليها ، وقدم عليهم الأمير سابق الدين أمير مجلس الناصري ، فحضر الأمراء عنده ، وقالوا له : هذا العسكر الذي جردته لا يمكنه رد العدو ، ونخاف أن يحصل النشوب بيننا وبين العدو ، وعسكرنا قليل فيصل العدو إلى حلب ، ويكون ذلك سبباً لخروجنا منها فلم يقبل منهم ، فخرجوا من عنده وهم غضبانون ، وسار العسكر المذكور إلى البيرة في قلة . فلما وصلوا إلى عُقْبُ البيرة صادفوا التتار بجموعهم ، فأقتلوا قتالا شديداً وقصد سابق الدين البيرة ، فَنِعِمَّ التَّارُ وُقِلُوا من أصحابه جماعة كثيرة ، وما سَلِمَ منهم إلا القليل ؛ وورد هذا الخبر لحلب فحَفَلَ أهل حلب إلى جهة القبلة ولم يبق بها إلا القليل ، ونِدِمَ الملك السعيد نائب حلب على مخالفة الأمراء ، وقوى بذلك غضبهم عليه وقاطعوه ، ووقعت بطاقة نائب البيرة ، فيها : أُنْتُ التَّارُ ^(١) ^(٢) توجَّهوا إلى ناحية منبج ، فخرج نائب حلب وضرب دِهْلِيْزَه بباب إله شرق حلب ، وبعد يومين وصل الأمير عز الدين أزدَمَرُ الدَّوَادَرُ العَزِيْزِي ، وكان قُطْرُ قد جعله نائباً باللاذقية وجبلة ، قصده خُشْدَاشِيْته بحلب ؛ فلما قُرب رَكِبَت العَزِيْزِيَّة والناصرية والتقوا به ، فأخبرهم بأن الملك المظفر قُطْرُ قُتِل ، وأن ركن الدين يسبرس ملك الديار المصرية ، وأن سَنَجَرَ الحُلِّي خَطَبَ لنفسه بدمشق ، ونحن أيضاً نعمل بعمل أولئك ، ونقيم واحداً من الجماعة ونقيض على هذا (يعنى على

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٩٧ من الجزء الثالث من هذه الطبعة . (٢) كذا في الأصلين هنا . وفي المنهل الصافي وما سيذكره المؤلف بعد قليل : « عند باب لا » . وفي عقد الجمان : « قد برز إلى باب اللالا المعروف بباب الله » . وفي تاريخ أبي القسدا : « باب إلى » . وفي تاريخ من الوردى : « قد برز إلى بابي » . (٣) اللاذقية : مدينة في ساحل بحر الشام تعد في أعمال حمص ، وهي غربي جبلة . بينها ستة فراسخ (عن معجم البلدان لياقوت) .

(٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ١١١ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

نائب حلب) وقتصر على حلب وبلايها مملكة أستاذنا وأبن أستاذنا فاجابوه إلى ذلك وتقرّر بينهم : أنه حال دخولهم إلى المحيم يَمْنَى إليه الأمراء : حسام الدين الجُوكندارى، وبِكْتُمُ الساقى وأزْدَمُ الدَوَادار، وكان الملك السعيد نائب حلب نازلاً بباب لا فى بيت القاضى، وهو فوق سطحه والعساكر حوله، فعند ما طلعوا إليه وحضروا عنده على السطح شرعت أعوانهم فى نهب وِطَاقِهِ^(١) فسمع الضجة فاعتقد أن التّار قد كبست العسكر، ثم شاهد نهب العريضة والناصرية لوطاقه، ووثب الأمراء الذين عنده ليقبضوا عليه، فطلب منهم الأمان على نفسه فاقنوه وشرطوا عليه أن يُسلم إليهم جميع ما حصله من الأموال، ثم نزلوا به إلى الدار وقصدوا الخزانة، فما وجدوا فيها طائلاً فهزّده، وقالوا له : أين الأموال التى حصّلتها ؟ وطلبوا قتله، فقام إلى ساحة بُسْتَانٍ فى الدار المذكورة وحفر وأخرج الأموال، وهى تزيد على أربعين ألف دينار^(٢)، فقوّت على الأمراء على قدر منازلهم، ثم رَسَمُوا عليه جماعة من الجند وسيروه إلى قلعة حبسوه بها . ثم بعد أيام قلائل دهم العدو حلب، فاندفع الأمير حسام الدين الجُوكندارى المقدم على عسكر حلب بمن معه إلى جهة دِمَشق، ودخلت التّار حلب وأخرجوا من كان فيها إلى ظاهر حلب، ووضعوا السيف فيهم، فقتل بعضهم وفر بعضهم، ونزل العسكر الحلبى بظاهر حماة، فقام الملك المنصور بضيافتهم، ثم تقدّم التّار إلى حماة، فلما قاربوا منها رحل صاحبها الملك المنصور ومعه الجُوكندارى بعساكر حلب إلى حمص، ونزل التّار على حماة فامتنعت عليهم، فاندفعوا من حماة طالبين العسكر، وجعل

(١) الوطاق : الخيمة، لفظة تركية . (٢) فى تاريخ أبى الفدا (ج ٣ ص ٢١٨) :

« نحسين ألف دينار مصرية » . (٣) فى هامش السلوك ص ٤٣٩ : « ثم حلوه إلى قلعة الشفرو بكاس وأعتقلوه بها وأقاموا مكانه الأمير حسام الدين لاجين العزبى » .

الناس بين أيديهم ، وخاف أهل دِمَشْق خوفاً شديداً ، وأقاموا الجميع على حِمَص حتى قَدِم إليهم التَّار في أوائل المحرم من سنة تسع وخمسين وستمائة ، وكانوا في سنة^(١) آلاف فارس ، فخرج إليهم الملك المنصور صاحب حمّة والأشرف صاحب حِمَص والحوكنداريّ العزيزيّ بمساكر حلب ، وحملوا عليهم حملة رجل واحد فهزموهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وهرب الأمير بيدراً مقدّم التَّار في نفر يسير ، وكانت الوقعة عند قبر خالد بن الوليد^(٢) — رضى الله عنه — ثم عاد التَّار إلى حلب وفعّلوا بأهلها تلك الأفعال القبيحة على عادتهم .

وأما الملك الظاهر بيبرس صاحب الترجمة فإنه كاتب أمراء دِمَشْق يستميلهم إليه ويحضهم على مباينة الأمير علم الدين سنجر الحلبيّ والقبض عليه ، فأجابوه إلى ذلك وخرجوا من دِمَشْق مُباذنين لسنجر ، وفيهم : الأمير علاء الدين أيديكين^{١٠} البندقداريّ (أعنى أستاذ الملك الظاهر بيبرس المذكور) الذي قدّمنا من ذكره أن الملك الصالح نجم الدين أيوب اشتراه منه . انتهى . والأمير بهاء الدين بغديّ فتبعهم الحلبيّ بمن بقي معه من أصحابه ، فخاربه فهزموه وألحّوه إلى قلعة دِمَشْق فأغلقها دونهم ، وذلك في يوم السبت حادى عشر صفر من السنة . ثم خرج الأمير علم الدين سنجر الحلبيّ تلك الليلة من القلعة وقصد بعلبك ، فدخل قلعتها ومعه^{١٥} قريب عشرين نفراً من ممالئكه ، فدخل الأمير علاء الدين أيديكين البندقداريّ دِمَشْق ، وأستولى عليها وحكم فيها نيابةً عن الملك الظاهر بيبرس ، ثم جهّز عسكراً

(١) وكانت عدة المسلمين ١٤٠٠ فارس كما في السلوك للقرنزي (ص ٤٤٢) والنجديد .

(٢) في السلوك (ص ٤٤٢) : « وواقعوا التناو يوم الجمعة خاس المحرم على الرستن فأنفهم قلا

وأسرا » . والرستن : بلدة في نصف الطريق بين حلب وحماة . (عن معجم البلدان لياقوت) .

إلى بعلبك لحصار الحلبيّ وعليهم الأمير بدر الدين محمد بن رجال وكان من الشجعان^(١) ،
 وأمير آخر ، لحال وصولها إلى بعلبك دخلا المدينة ونزلا بالمدرسة الثورية ، وكان
 الحلبيّ لما وصلها جعل عنده طائفة كبيرة من أهل محله مقدمهم على بن عبور^(٢) ،
 فسير إليهم الأمير بدر الدين بن رجال وأفسدهم ، فتدلّوا من القلعة ليلاً ونزلوا إليه ،
 فعند ذلك ترددت المراسلات بين الحلبيّ وعلاء الدين البندقداريّ حتى استقر الحال
 على نزول الحلبيّ وتوجهه إلى الملك الظاهر بيبرس بمصر ، فخرج الحلبيّ من قلعة
 بعلبك راجعاً [حصانه]^(٣) وفي وسطه عدته وفي قرابه قوسان وهو كالأسد ، بغاء
 حتى بعد عن القلعة ، قدّم له بغلة فتحوّل إليها وقطع العدة وربّكها ، وسار حتى وصل
 إلى دمشق وسار منها إلى مصر ، فأدخل على الملك ليلاً بقلة الجبل ، فقام إليه
 وأعتقه وأذن مجلسه منه وعاتبه عتاباً لطيفاً ، ثم خلّع عليه ورسم له بخيل وبغال
 وجمال وقماش وغير ذلك .

ثم ألفت الملك الظاهر إلى إصلاح مملكته فخلّع^(٤) على صاحب بهاء الدين
 علي بن حنا وزير شجرة الدر بالوزارة ، وذلك في شهر ربيع الأول من سنة
 تسع وخمسين ، وهي أول ولايته للوزر . ثم حضر عند الظاهر شخص وأنهى إليه
 أن الأمير عز الدين الصقليّ يريد الوثوب على السلطان ، وأتفق معه الأمير علم الدين
 سنجر القتيبيّ وبهادر [المعزّي]^(٥) والشجاع بكتوت فقبض الملك الظاهر عليهم .

(١) هو بدر الدين محمد بن رجال التركاني كما في حيون التواريخ والسلوك . وفي التبع السديد :
 « ابن رجال » بالميم . (٢) كذا في الأصلين . وقد بحثنا عن هذا الاسم في المراجع التي تحت
 أيدينا فلم نهند إليه . (٣) زيادة عن حيون التواريخ . (٤) قراب السيف : شبه جراب
 من آدم يضعه الركب فيه سيفه بجفّه وسوطه وعصاه وأداته . وفي الأصلين : « وفي قربانه » .
 (٥) في الأصلين . « فأخلع » . (٦) سيذكر المؤلف في حوادث سنة ٦٧٧ هـ فيمن
 قتل وقاتهم عن الذهبي . (٧) في السلوك والتبع السديد في حوادث سنة ٦٥٩ هـ . « الصيقل » .
 (٨) الزيادة عن السلوك .

ثم تَسَلَّمَ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ الْكَرَّكَ مِنْ تَوَابِ الْمَلِكِ الْمَغِيثِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ . ثُمَّ قَبَضَ عَلَى الْأَمِيرِ بَهَاءِ الدِّينِ بُغْدِي الْأَشْرَفِي بِدِمَشْقَ وَحَمَّلَ إِلَى الْقَاهِرَةِ وَحَبَسَ بِقَلْعَةِ الْجَبَلِ إِلَى أَنْ مَاتَ .

- ثم جهَّزَ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ عَسْكَرًا لَخُرُوجِ التَّارِ مِنْ حَلَبٍ فَسَارُوا إِلَيْهَا وَأَخْرَجُوهُمْ مِنْهَا عَلَى أَقْبَحِ وَجْهِ ، كُلِّ ذَلِكَ وَالدُّنْيَا بِلا خَلِيفَةٍ مِنْ سَنَةِ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَسِتِّمِائَةٍ .
- فِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَ وَصُولُ الْمُسْتَنْصِرِ بِاللَّهِ الْخَلِيفَةِ إِلَى مِصْرَ وَبَايَعَهُ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ يَبْرَسَ ، وَهُوَ أَبُو الْقَاسِمِ أَحْمَدَ ، كَانَ مَحْبُوسًا بِبَغْدَادَ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ فِي حَبْسِ الْخَلِيفَةِ الْمُسْتَعْمِمْ ، فَلَمَّا مَلَكَتِ التَّارَ بِبَغْدَادَ أَطْلَقُوهُمْ ، فَخَرَجَ الْمُسْتَنْصِرُ هَذَا إِلَى عَرَبِ الْعِرَاقِ ، وَآخِطَطَ بِهِمْ إِلَى أَنْ سَمِعَ بِسُلْطَنَةِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ يَبْرَسَ ، وَقَدَّ عَلَيْهِ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنْ بَنِي مُهَارِشَ ، وَهُمْ عَشْرَةُ أَمْرَاءَ مُقَدِّمِهِمْ أَبْنِ قَسَا وَشَرَفِ الدِّينِ ابْنِ مُهَنَّا ، وَكَانَ وَصُولُ الْمُسْتَنْصِرِ إِلَى الْقَاهِرَةِ فِي ثَامِنِ شَهْرِ رَجَبٍ مِنْ سَنَةِ تِسْعِ وَخَمْسِينَ وَسِتِّمِائَةٍ ، فَرَكِبَ السُّلْطَانُ لِلْقَائِهِ وَمَعَهُ الْوَزِيرُ بَهَاءُ الدِّينِ بْنُ حِنَّا وَقَاضِي الْقَضَاةِ تَاجُ الدِّينِ بْنُ بَنْتِ الْأَعَزِّ وَالشُّهُودُ وَالرُّؤَسَاءُ وَالْقُرَّاءُ وَالْمُؤَدِّثُونَ وَالْيَهُودُ بِالتَّوَرَةِ وَالنَّصَارَى بِالْإِنْجِيلِ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ ، فَدَخَلَ مِنْ بَابِ النَّصْرِ وَشَقَّ الْقَاهِرَةَ ، وَكَانَ لِدُخُولِهِ يَوْمَ مَشْهُودٍ .

فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ ثَالِثِ عَشْرِ الشَّهْرِ جَلَسَ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ وَالْخَلِيفَةُ بِالْإِيوَانِ وَأَعْيَانُ الدَّوْلَةِ بِاجْمَعِهِمْ وَقُرِئَ نَسَبُ الْخَلِيفَةِ ، وَشُهِدَ عِنْدَ الْقَاضِي

(١) فِي الْأَصْلَيْنِ : « نَاصِرُ الدِّينِ » . وَمَا أُثْبِتَ عَنْ الْمَنْهَلِ الصَّافِي وَمَا سِذَكَهُ الْمُؤَلِّفُ فِي حَوَادِثِ

سَنَةِ ٦٨٣ هـ . وَهُوَ عِيسَى بْنُ مُهَنَّا بْنِ مَانِعِ بْنِ حَدِيثَةَ بْنِ غَضَبَةَ . فَضْلُ بْنُ وَبَيْعَةَ أَبُو مُهَنَّا أَمِيرُ آلِ فَضْلِ .

وَفِي ابْنِ إِيَّاسَ أَنَّهُ حَضَرَ إِلَى مِصْرَ مَعَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي بَكْرٍ ابْنَ الْخَلِيفَةِ الْمُسْتَرْشِدِ الْمَلَقَّبِ بِالْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ .

- بصحته فأجعل عليه بذلك وحكم به وبُويِع بالخلافة^(١)، ورَكِب من يومه وشَقَّ القاهرةَ في وجوه الدولة وأعيانها، وكان أول مَنْ بايعه قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن بنت الأعز عند ما ثَبَتَ نسبُه عنده، ثم السلطان، ثم الشيخ عز الدين بن عبد السلام، ثم الأمراء والوزراء على مراتبهم. والمستنصر هذا هو الثامن والثلاثون من خلفاء بني العباس -- رضى الله عنهم -- وهو المستنصر بالله أبو القاسم أحمد الأستمر ابن الظاهر بأمر الله محمد ابن الناصر لدين الله أحمد ابن المستضيء الحسن ابن الخليفة المستنجد بالله يوسف ابن الخليفة المقتنى لأمر الله محمد ابن الخليفة المستظهر بالله أحمد ابن الخليفة المقتدى بأمر الله عبد الله ابن الأمير محمد الذخيرة ابن الخليفة القائم بأمر الله عبد الله ابن الخليفة القادر بالله أحمد ابن الأمير إسحاق ابن الخليفة المقتدر بالله جعفر ابن الخليفة المعتضد بالله أحمد ابن الأمير طلحة الموفق ابن الخليفة المتوكل على الله جعفر ابن الخليفة المعتصم بالله محمد ابن الخليفة الرشيد هارون ابن الخليفة المهدي محمد ابن الخليفة أوى جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس الهاشمى العباسى البغدادى. وقد تقدم أن الناس كانوا بغير خليفة منذ قتل التتار ابن أخيه الخليفة المستعصم بالله فى أوائل سنة ست وخمسين وثمانمائة إلى يومنا هذا، فكانت مدة شُغور الخلافة ثلاث سنين ونصفاً والناس بلا خليفة. وكان المستنصر هذا جسيماً وسيقاً شديدة السُمره على الهمة

(١) يستفاد من السلوك أن الظاهر هو الذى كان يبحث عن مثل هذا الخليفة لأن مصر كانت محاطة بالأعداء من كل جانب، وكان يخشى أن يتجهجم له فاجرم فى الداخل من بنى أيوب يسمو إلى السلطة فيجد على دعوتهم أنصاراً على أيسوجه فرأى أن يسارع لأخذ ذرية بنى العباس بالخلافة بعد أن قرضا المنول فى بغداد لأن مصلحته أن يظهر أمام العالم الإسلامى بأنه حامى الخلافة. وقد تم له ذلك كله على أن الخليفة فى مصر يكن له أمر ولا نهى ولا نفوذ بل يردد إلى أبواب الأمراء وأعيان الكاب والقضاة تهنيتهم بالأعياد والشهور (السلوك ٤٤٨ ودائرة المعارف الإسلامية ص ٥٨٨ ترجمة الظاهر بقلم سوبرنهام).

شديد القوة وعنده شجاعة وإقدام ، وهو أخو الخليفة المستنصر ولقب بلقبه ، وهذا لم تجر به العادة من أن خليفة يُلقب بلقب خليفة تقدمه من أهل بيته .

- وفي يوم الجمعة سابع عشر الشهر خرج الخليفة المستنصر بالله وعليه ثياب سود إلى الجامع بالقلمة وخطب خطبة بليغة ذكر فيها شرف بني العباس ، ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم . ثم في مستهل شعبان من سنة تسع وخمسين المذكورة تقدم الخليفة بتفصيل خلعة سوداء وبعمل طوق ذهب وقيد ذهب وبكتابة تقليد بالسلطنة للآل الظاهر بيبرس ونصب خيمة ظاهر القاهرة . فلما كان يوم الاثنين رابعه ركب الخليفة والسلطان والوزير والقضاة والأمراء ووجوه الدولة إلى الخيمة ظاهر القاهرة بقبة النصر ، فألبس الخليفة السلطان الملك الظاهر بيبرس خلعة السلطنة بيده وطوقه وقيده ، وصعد نحر الدين إبراهيم بن لقمان رئيس الكتاب منبراً نصب له فقرأ التقليد وهو من إنشائه وبخطه . ثم ركب السلطان بالخلعة والطوق والقيد ودخل من باب النصر وقد زينت القاهرة له ، وحمل الصاحب بهاء الدين التقليد على رأسه راجعاً والأمراء يمشون بين يديه ، فكان يوماً يقصر اللسان عن وصفه . ونسخة التقليد :

- ١٥ « الحمد لله الذي أضفى على الإسلام ملابس الشرف ، وأظهر بهجة دهره ، وكانت خافية ، بما استحكم عليها من الصدف ، وشيد ما وهى من علائه حتى أنسى ذكر من »

- (١) في السلوك ص ٤٥٢ : « وأفيضت عليه الخلع الخليفة وخرج بها وهى : عمامة سوداء مذهبة من ركشة . ودراسة بنفسجية اللون ، وطوق ذهب ، وقيد من ذهب عمل فيرجيه ، وعدة سيوف تقلد منها واحداً ، وحملت البقية خلفه ، ولواءان منشوران على رأسه . وسهمان كبيران وترس ، فقدم له فرس أشهب في عنقه مثانة سوداء وعليه كنوش أسود « البردة » . وكل ذلك راجع إلى رغبة السلطان في إحياء شعار العباسيين وهو السواد . » (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٤١ من هذا الجزء .

- (٣) في الأصلين : « أضفى » بالصاد وهو تصحيف . وعبارة السلوك وعقد الجمان « اصطفى الإسلام بملابس الشرف » .

سَلَفَ ، وَقَبِضَ لِنَصْرِهِ مَلُوكًا أَتَّفَقَ عَلَيْهِمْ ^(١) مِنْ آخَتْنَفَ ، أَحْمَدُهُ عَلَى نِعْمَتِهِ الَّتِي رَزَقَتْ ^(٢) الْأَعْيُنُ مِنْهَا فِي الرُّوضِ الْأَنْفُ ، وَالْطَّافَةِ الَّتِي وَقَفَ الشُّكْرُ عَلَيْهَا فَلَيْسَ لَهَا مِنْهَا مُنْصَرَفٌ ؛ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تُوجِبُ مِنَ الْخَوَافِ أَمْنًا ، وَتُسَهِّلُ مِنَ الْأُمُورِ مَا كَانَ حَزَنًا ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ الَّذِي جَبَرَ مِنَ الدِّينِ وَهَنًا ، وَرَسُولُهُ الَّذِي أَظْهَرَ مِنَ الْمَكَارِمِ فُتُونًا لَا قِتَا ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى آلِهِ الَّذِينَ أَصْبَحَتْ مَنَاقِبُهُمْ بَاقِيَةً لَا تَفْنَى ، وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي الدِّينِ فَاسْتَحَقُّوا الزِّيَادَةَ بِالْحُسْنَى . وَبَعْدَ : فَإِنَّ أَوَّلَى الْأَوْلِيَاءِ بِتَقْدِيمِ ذِكْرِهِ ، وَأَحَقُّهُمْ أَنْ يُصْبِحَ الْقَلَمُ رَاكِمًا وَمُسَاجِدًا فِي تَسْطِيرِ مَنَاقِبِهِ وَبِرِّهِ ، مَنْ سَعَى فَاخْضَى سَعِيدًا الْجَدَّ مُتَقَدِّمًا ، وَدَعَا إِلَى طَاعَتِهِ فَأَجَابَ مَنْ كَانَ مُنْجِدًا وَمُتَمِّمًا ، وَمَا بَدَتْ يَدُ فِي الْمَكْرُمَاتِ إِلَّا كَانَ لَهَا زَنْدًا وَمِعْصَمًا ، وَلَا اسْتِبَاحَ بِسَيْفِهِ حِمَى وَغَى إِلَّا أَضْرَمَ مِنْهُ نَارًا وَأَجْرَاهُ دَمًا . وَلَمَّا كَانَتْ هَذِهِ الْمُنَاقِبُ الشَّرِيفَةُ مَخْصُصَةً بِالْمَقَامِ الْعَالِيِّ الْمَوْلَوِيِّ السُّلْطَانِيِّ الْمَلِكِيِّ الظَّاهِرِيِّ الرَّكْنِيِّ — شَرَفَهُ اللَّهُ وَأَعْلَاهُ — ذَكَرَهَا الدِّيَوَانُ الْعَزِيزُ النَّبَوِيُّ الْإِمَامِيُّ الْمُسْتَنْصَرِيُّ — أَعَزَّهُ اللَّهُ سُلْطَانَهُ — تَنْوِيهَا بِشَرِيفِ قَدْرِهِ ، وَأَعْتَرَفًا بِصُنْعِهِ الَّذِي تَفَقَّدُ الْعِبَارَةُ الْمُسْتَهْبِةَ وَلَا تَقُومُ بِشُكْرِهِ ، وَكَيْفَ لَا وَقَدْ أَقَامَ الدَّوْلَةَ الْعَبَّاسِيَّةَ بَعْدَ أَنْ أَقْعَدَتْهَا زَمَانَةُ الزَّمَانِ ، وَأَذْهَبَتْ مَا كَانَ لَهَا مِنْ مَحَاسِنَ وَإِحْسَانٍ ، وَعَتَبَ دَهْرُهَا الْمُسِيءَ لَهَا فَأَعْتَبَ ، وَأَرْضَى عَنْهَا زَمَنَهَا وَقَدْ كَانَ صَالٍ عَلَيْهَا صَوْلَةٌ مُغْضَبٌ ؛ فَأَعَادَهُ لَهَا سَلَامًا بَعْدَ أَنْ كَانَ

- (١) فِي السُّلُوكِ وَعَقْدِ الْجَمَانِ : « اتَّفَقَ عَلَى طَاعَتِهِمْ مِنْ آخَتْنَفَ » . (٢) فِي الْأَصْلَيْنِ :
 « وَهَمَتْ » . وَتَصْحِيحُهُ عَنِ السُّلُوكِ وَعَقْدِ الْجَمَانِ . (٣) فِي الْأَصْلَيْنِ : « وَالطَّلْمَةُ الَّتِي ... الخ » .
 وَمَا أُثْبِتَ عَنْ السُّلُوكِ وَعَقْدِ الْجَمَانِ . (٤) فِي السُّلُوكِ : « فَاخْضَى بِسَعِيهِ الْحَمِيدَ مُتَقَدِّمًا » .
 (٥) هَذِهِ رِوَايَةُ السُّلُوكِ وَعَقْدِ الْجَمَانِ . وَفِي الْأَصْلَيْنِ : « أَعَزَّهُ اللَّهُ سُلْطَانَهُ تَشْرِيفَ قَدْرِهِ » .
 (٦) فِي الْأَصْلَيْنِ : « ذَاهِبَ » . وَمَا أُثْبِتَ عَنْ السُّلُوكِ .
 (٧) فِي الْأَصْلَيْنِ : « وَأَرْضَى مِنْهَا » . وَمَا أُثْبِتَ عَنْ السُّلُوكِ وَعَقْدِ الْجَمَانِ .

- (١١) [عليها] حرباً ، وصرف إليها آهتامة فرجع كل متضايق من أمورها واسعاً رَحْباً ؛
وَمَنَحَ أمير المؤمنين عند القدوم عليه حُنُوءاً وَعَطْفًا ، وأظهر من الولاء رغبةً في [ثواب] (١١)
الله ما لا يَحْتَفَى ؛ وأبدى من الاهتمام بأمر البيعة أمراً لو رامه غيره لامتنع عليه ،
ولو تَمَسَّكَ بِجَمَلِهِ مَتَمَسَّكٌ لا تَقْطَعُ به قبل الوصول إليه ؛ ولكن الله أَدْنَرَ هذه الحسنة
لِيُثْقِلَ بها [في] (١١) الميزان ثوابه ، وَيُخَفِّفَ بها يوم القيامة حسابَه ، والسعيد من خُفِّفَ
حسابُه ! فهذه مَنَقِبَةٌ أَبِي الله إِلَّا أَنْ يُحْلِلَهَا في صحيفَةِ صُنْعِهِ ، ومَكْرَمَةٌ قَضَتْ لهذا
البيت الشريف بجمعه ، بعد أن حصل الإيَّاس من جمعه . وأمير المؤمنين يشكر لك
هذه الصنائع ، ويعترف أنه لولا آهتامك لَأَتَسَّعَ الخَرْقُ على الرَّاقِعِ ؛ وقد قَلَّدَكَ الديار
المصرية والبلاد الشامية ، والديار بكرية ، والحجازية واليمينية والفُراتية ؛ وما يقبَّد
من الفتوحات غَوْرًا وَتَجْدًا ؛ وقَوَّضَ أَمْرَ جندها ورعاياها إليك حين أَصْبَحَتْ
بالمكارم قَرْدًا » . ثم أخذ في آخر التقليد يذكر فضل الجهاد والرفق بالريَّة وطول
في الكلام إلى الغاية . وهذا الذي ذكرناه من نسخة التقليد هو المراد .

- ثم إنَّ الملك الظاهر ولَّى الأمير علم الدين سَنَجَرَ الحَلْبِيَّ نيابةً حلب لما بلغه أن
البرنلي تَغَلَّبَ على حلب ، وسير معه عسكريًا فصار إليها الأمير علم الدين سَنَجَرَ الحَلْبِيَّ ،
ودخل إليها وملَّكها ونحج منها البرنلي وتوجَّه إلى الرُّقَّة ؛ ثم حَشَّدَ وجمع العساكر
وأخذ البيعة ، ثم عاد إلى حلب وأخرج منها الحَلْبِيَّ بعد أمور ووقائع جرت بينهم .
فلما بلغ الملك الظاهر ذلك عَزَمَ على التوجَّه إلى البلاد الشامية ، وبرز من القاهرة

(١) الزيادة عن السلوك وعقد الجمان . (٢) في الأصلين : « تضمنت » . وما أثبتناه عن
السلوك وعقد الجمان . (٣) في الأصلين : « حتى أصبحت » . وما أثبتناه عن السلوك وعقد الجمان .
(٤) راجع بقية هذا التقليد في المصدرين السابقين في حوادث سنة ٦٥٩ هـ .
(٥) وذلك بعد أن رضى الظاهر عنه . وكان قد استولى على دمشق وتسمى بالملك المجاهد ثم قبض عليه
وحمل إلى القاهرة كما سبق في هذه الترجمة . (٦) هو الأمير آقوش بن عبد الله المزري شمس الدين
المعروف بالبرنلي والبرنلو ، كما في المنهل الصافي . وفي أبي الفدا والسلوك : « البرلي » .

ومعه الخليفة المستنصر وأولادُ صاحب الموصل ، وكان خروجهم الجميع من القاهرة
 في تاسع عشر شهر رمضان بعد أن رتبَّ السلطان الأمير عزَّ الدين أيدُمُ الحَلبي^(١)
 نائب السلطنة بقلعة الجبل ؛ والصاحب بهاء الدين بن حنَّاء مدبر الأمور ، وخرج مع
 السلطان العساكر المصرية وأقام بركة الحبِّ إلى عيد الفطر؛ ثم سافر في ثالث شوال
 بعد ما عزل قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن بنت الأعزَّ عن القضاء
 ببرهان الدين خضر السنجاري ، وسار السلطان حتى دخل دِمَشق في يوم الاثنين
 سابع ذي القعدة ، وقَدِم عليه الملك الأشرف صاحب حِمْص نخلع عليه وأعطاه
 ثمانين ألف دينار وخمسين ثياباً ، وزاده على ما بيده من البلاد تلِّ باشر ؛ ثم قَدِم
 عليه الملك المنصور صاحب حمَّاة نخلع عليه وأعطاه ثمانين ألف درهم وخمسين ثياباً ،
 وكتب له توقيعاً ببلاده التي بيده ؛ ثم جهز السلطان الخليفة وأولاد صاحب الموصل
 صحبته بتجمل زائد وبركٍ يضاهي برك السلطان من الأطلاب والخيول والجمال
 وأرباب الوظائف من الكبير إلى الصغير ؛ قيل : إن الذي غيَّره السلطان الملك
 الظاهر على تجهيز الخليفة وأولاد صاحب الموصل فوق الألف ألف دينار عيَّناً .
 ثم جهَّز السلطان الأمير علاء الدين أيدِكين البندقداري لنيابة السلطنة بحلب ،
 وأيدِكين هذا هو أستاذ الملك الظاهر بيبرس صاحب الترجمة المقدم ذكره ،
 فسبحان من يُعزِّو يَدَل ! وبعث السلطان مع البندقداري عسكراً لمحاربة البرنلي وصحبته
 أيضاً الأمير بلبان الرشيدي نخرجا من دِمَشق في منتصف ذي القعدة ؛ فلما وصلا
 حمَّاة خرج البرنلي وقصد حرَّان فتبعه الرشيدي بالعساكر ، ودخل علاء الدين البندقداري

(١) سيذكر المؤلف في حوادث سنة ٦٦٧ هـ .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٨ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٠١ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

(٤) البرك : هو قتل المسافر ومناعه (كترميز ص ٢٥٣ أول) .

إلى حلب؛ ثم عاد الرّشيدى إلى أنطاكية ثم رحل عنها بعد ما حاصرها مدة لما بلغه عود الملك الظاهر إلى مصر .

- وأما الخليفة فإنه لما توجه نحو العراق ومعه أولاد صاحب الموصل، وهم :
- الملك الصالح وولده علاء الدين^(٢) والملك المجاهد سيف الدين صاحب الجزيرة، والملك المظفر علاء الدين صاحب سنجار، والملك الكامل ناصر الدين محمد؛ فلما وصلوا صحبة الخليفة إلى الرّحبة واقفا عليها الأمير يزيد بن على بن حديثه أمير آل فضل وأخاه الأخرس في أربعمائة فارس من العرب . وفارق الخليفة أولاد صاحب الموصل من الرّحبة؛ وكان الخليفة طلب منهم المسير معه فأبوا، وقالوا : مامعنا مرسومٌ بذلك، وأرسلوا معه من مماليك والدهم نحو ستين نفراً فأنضافوا إليه، ولحقهم الأمير عز الدين أيديكين من حمّة ومعه ثلاثون فارساً . ورحل الخليفة بمن معه من الرّحبة بعد ما أقام بها ثلاثة أيام، ونزل مشهد على - رضى الله عنه - ثم رحل إلى قائم عتقه، ثم إلى عانة فوافوا الإمام الحاكم بأمر الله العباسى على عانة من ناحية الشرق ومعه نحو سبعمائة فارس من التّركمان . وكان البرنلى قد جهزه من حلب، فبعث الخليفة المستنصر بالله إليهم وأستلمهم؛ فلما جاوزوا الفرات فارقوا الحاكم فبعث إليه المستنصر بالله يطلبه إليه ويؤمّنه على نفسه ويُرغب إليه في اجتماع الكلمة،

١٥

(١) هو الملك الصالح إسماعيل ركن الدين ابن الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ . سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٦٠ هـ . (٢) كذا في الأصلين وشذرات الذهب . وفي المنهل الصافي والسلوك والحوادث الجامعة : « علاء الملك » . (٣) هو الملك المجاهد سيف الدين إسماعيل ابن الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ (عن المنهل الصافي) . (٤) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٠٣ . من هذا الجزء . (٥) في الأصلين هنا : « بن حذيفة » . والتصحيح عن الحاشية رقم ١ ص ١٠٩ . من هذا الجزء . (٦) في كتاب السلوك : « عز الدين بركة » . (٧) كذا في الأصلين . وفي تقويم البلدان لأبى الفدا إسماعيل : « قائم عتقا » . وهى بلدة بجانب الفرات تدخل في واد إلى عانة . (٨) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٠٥ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

فاجاب ورحل إليه ، فوقى إليه المستنصر وأنزله معه في الدهليز . وكان الحاكم
لما نزل على عانة آمنت أهلها منه ، وقالوا : قد بايع الملك الظاهر خليفة وهو واصل
فما نسبها إلا إليه ، فلما وصل المستنصر بالله إليها نزل إليه نائبها وكريم الدين ناظرها
وسلمها إليه وحملها إقامة ، فأقطعها الخليفة للأمير ناصر الدين أغلش أنى الأمير^(١)
علم الدين سنجر الحلبي . ثم رحل الخليفة عنها إلى الحديثة ففتحها أهلها له ، فجعلها
خاصة له ، ثم رحل عنها ونزل على شط قرية الناوروسة^(٢) ، ثم رحل عنها قاصداً
هيت ، ولما اتصل بجىء الخليفة المستنصر بالله بقراباً مقدّم عسكر التتار بالعراق ،
وبهادر على الخوارزمي شحنة بغداد وخرج قراباً بخمسة آلاف فارس من التتار على
الشط العراق وقصد الأنبار ، فدخلها إغارة ، وقتل جميع من فيها ، ثم ردفه الأمير
بهادر على الخوارزمي بن بغي بغداد من عساكر التتار ، وكان قد بعث ولده إلى هيت
متشوقاً لما يرد من أخبار المستنصر ، وقرر معه أنه إذا اتصل به خبره بعث
بالمراكب إلى الشط الآخر وأحرقها ، فلما وصل الخليفة هيت أغلق أهلها الباب
دونه ، فزل عليها وحاصرها حتى فتحها ، ودخلها في التاسع والعشرين من ذى الحجة ،
ونهب من فيها من اليهود والنصارى ، ثم رحل عنها ونزل الدور وبعث طليعة من^(٣)
عسكره مقدّمها الأمير أسد الدين محمود ابن الملك المفضل موسى ، فبات نجاه الأنبار^(٤)
تلك الليلة ، وهى ليلة الأحد ثالث المحرم من سنة ستين ومستمائة ، فلما رأى قراباً

(١) في النهج السديد : « غلش » . (٢) في الأصلين : « الماوروسة » . والتصحيح عن

معجم البلدان لياقوت . والناوروسة : قرية من قرى هيت لها ذكر في الفروج مع الوس .

(٣) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٧ من الجزء الثالث من هذه الطبعة .

(٤) في الحوادث الجامعة لابن القوطي : « على بهادر » .

(٥) الدور : سبعة مواضع بأرض العراق من نواحي بغداد . (راجع معجم البلدان لياقوت) .

(٦) الأنبار : مدينة على الفرات في غرب بغداد ، بينهما عشرة فراعخ . (عن معجم البلدان لياقوت) .

الطليعة أمر من معه من العساكر بالعبور إليها في الخائض والمراكب ليلاً ، فلما أسفر الصبح أفرد قرابغا من معه من عسكر بغداد ناحية .

- وأما الخليفة فإنه رتب آتني عشر طلباً ، وجعل الترتكان والعربان ميمنة وميسرة وباقي العساكر قلباً ؛ ثم حمل بنفسه مبادراً وحمل من كان معه في القلب فأنكسر بهادر ، ووقع معظم عسكره في الفرات ؛ ثم خرج كمين من التتار ، فلما رآه الترتكان والعرب هربوا ، وأحاط الكمين بعسكر الخليفة فصدق المسلمون الحملة ، فأفرج لهم التتار ، فنجى الحاكم وشرف الدين بن مهنا وناصر الدين بن صيرم وبوزنا وسيف الدين بلبان الشمسي وأسد الدين محمود وجماعة من الجند نحو الخمسين نفرًا ، وقُتل الشريف نجم الدين [جعفر] ^(١) أستاذ الخليفة ، وفتح الدين بن الشهاب أحمد ، وفارس الدين [أحمد] بن أزدمر اليمشوري ، ولم يوقع للخليفة المستنصر على خبر ، ف قيل إنه : قُتل في الوقعة وعُفي أثره ، وقيل : إنه نجا مجروحًا في طائفة من العرب مات عندهم ؛ وقيل : سلم وأضرته البلاد .

- وأما السلطان الملك الظاهر بيبرس فإنه لما عاد إلى مصر عاد بعده بلبان الرشيدى في أثره وغاد البرنلى إلى حلب ودخلها وملكها ، بفرد إليه الملك الظاهر عسكرا ثانيا ، عليهم الأمير شمس الدين سُتقر الرومى ، وأمره بالمسير إلى حلب ؛ ثم إلى الموصل وكتب إلى الأمير علاء الدين طبرس نائب السلطنة يدمشق وإلى الأمير علاء الدين أيديكين البندقدارى يأمرهما أن يكونا معه بعسكرهما حيث توجه يتوجه الجميع ، فسار الجميع إلى جهة حلب ، ففرج البرنلى من حلب وتسلم ثواب أيديكين

(١) في الأصلين : « ناصر الدين » وراجع الحاشية رقم ١ ص ١٠٩ من هذا الجزء .

(٢) في عيون التواريخ وعقد الجمان : « بوزيا » . (٣) الزيادة عن السلوك .

(٤) في التيج السديد : « وفتح الدين اليمشوري » .

الْبُنْدُقْدَارِيَّ حَلَب . ثم جاء مرسوم السلطان بتوجه البُنْدُقْدَارِيَّ إلى حلب ، ويعود طَبِيرَس إلى دِمَشق ويعود سُقْرُ الرُّومِيَّ إلى مصر ، فعاد الرُّومِيَّ إلى القاهرة . فلما اجتمع بالسلطان أوغر خاطره على طَبِيرَس ، فكان ذلك سبباً للقبض على طَبِيرَس المذكور وحبسه بالقاهرة مدة سنين .

ثم وصل إلى الديار المصرية في السابع والعشرين من شهر ربيع الآخر الإمام الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد ابن الأمير أبي علي الحسن ابن الأمير أبي بكر بن الحسن بن علي القبي^(٢) ابن الخليفة المسترشد بالله أبي منصور الفضل ابن الخليفة المستظهر بالله أحمد العباسي .

قلت : ومن المستظهر يُعرف نسبه من ترجمة المستنصر وغيره من أقاربه إلى العباس . ووصل صحبته شمس الدين صالح بن محمد بن أبي الرشيد الأسدي الحاكم المعروف بابن البناء وأخوه محمد ونجم الدين محمد ، واحتفل الملك الظاهر ببيرس بلفاقه وأنزله بالبرج الكبير داخل قلعة الجبل ، ورتب له ما يحتاج إليه ، ووصل معه ولده . وبايعه بالخلافة في يوم الخميس تاسع المحرم من سنة إحدى وستين بقلعة الجبل . وكانت المسلمون بلا خليفة منذ استشهد الخليفة المستنصر بالله في أوائل

(١) في تاريخ الدول والملوك لابن الفرات : « من شهر ربيع الأول » . (٢) اغتلف في نفسه ، والمشهور عند نسبة مصر أنه أحمد بن الحسن بن أبي بكر ابن الأمير أبي علي القبي ابن الأمير حسن ابن الراشد ابن المسترشد ابن المستظهر . وعند الشرفاء العباسيين أنه أحمد بن أبي بكر علي بن أبي بكر أحمد ابن الإمام المسترشد الفضل ابن المستظهر (راجع تاريخ ابن الوردي وتاريخ أبي الفدا) .

(٣) ضبط بالعارة في الدرر الكامنة (بضم القاف وتشديد الموحدة) .

(٤) البرج الكبير داخل القلعة : من المأينة تبين لي أنه لا يوجد الآن برج كبير قائم بذاته وسط مباني القلعة ، ومن المرجح أن هذا البرج قد زال بسبب التغيرات التي أدخلها الملك الناصر محمد بن قلاوون على أبنية القلعة إلا أنه لا يزال إلى الآن عدة أبراج في السود الخارجى المحيط بقلعة الجبل ، نذكر منها برج الزاوية و برج الصحراء و برج الحداد و برج الرملة و برج الإمام و برج المبلط و برج المقطم و برج الطيلة .

السنة الحالية ^(١) ، وجلس السلطان بالإيوان ليُبعثه وحضر القضاة والأعيان وارباب الدولة ، وقرئ نسبه على قاضي القضاة وشهد عنده جماعةً بذلك ، فأنبته ومد يده وبايعه بالخلافة ، ثم بايعه السلطان ثم الوزير ثم الأعيان على طبقاتهم ، وخطب له على المنابر ، وكتب السلطان إلى الأقطار بذلك وأن يخطبوا باسمه ، وأنزل إلى مناظر الكبش فسكن بها إلى أن مات في ليلة الجمعة ثامن عشر جمادى الأولى سنة ٥٠٠ إحدى وسبعائة ودُفن بجوار السيدة نفيسة ، وهو أول خليفة مات بالقاهرة من بني العباس حسب ما يأتي ذكره — إن شاء الله تعالى — في محله بأوسع من هذا .

وأما الملك الظاهر فإنه تجهز للسفر إلى البلاد الشامية ، وخرج من الديار المصرية في يوم السبت سابع شهر ربيع الآخر من سنة إحدى وستين وستمائة .

وفي هذه السفرة قبض على الملك المنيف صاحب الكرك الذي كان معه تلك الأيام ١٠ على قتال المصريين وغيرهم ، ولما قبض عليه الظاهر بعث به إلى قلعة الجبل صحبة الأمير آق سنقر الفارقاني ، فوصل به إلى القاهرة في يوم الأحد خامس عشر

(١) الذي تقدم أن المستنصر قتل في ثالث المحرم سنة ٥٦٦ هـ . وأن الإمام الحاكم بويع في تاسع المحرم سنة ٥٦٦ هـ . وراجع أيضا عيون التواريخ وتاريخ الدول والملوك .

(٢) مناظر الكبش : ذكر المقرئ في (ص ١٢٣ ج ٢) من خطه أن هذه المناظر أنشأها الملك ١٥ الصالح نجم الدين أيوب في أعوام بضع وأربعين وستمائة على جبل يشكر بجوار الجامع الطولوني . وهي عبارة عن قصور كانت تشرف من أعلى جبل يشكر على بركة فارون وبركة الفيل وعلى البساتين التي في راحليج الغربي من القصر إلى راحليج ، والتي في بره الشرق من باب زويلة إلى صليبة جامع ابن طولون ، كما كانت تشرف على النيل وجزيرة الروضة وقلعة الروضة ، فكانت من أجل منزهات مصر ، وقد تأنق الملك الصالح في بنائها وصماها الكبش فحرفت بذلك إلى اليوم . وما زالت بعد الملك الصالح من المنازل الملكية إلى أن هدمها الملك الأشرف شعبان بن حسين في سنة ٥٧٦ هـ . فحكر الناس الكبش وبنوا فيه مساكن .

وأقول : مكانها اليوم المنطقة التي تعرف بقلعة الكبش في الجهة الغربية من جامع ابن طولون والتي تشرف من بحريها على شارع مراسينا ومن غربيها على خط البغالة بقسم السيدة زينب بالقاهرة .

(٣) هو آق سنقر بن عبد الله النجمي الفارقاني الأمير شمس الدين . سيذكر المؤلف في حوادث

بِحَمْدَى الأخرة، فكان ذلك آخر العهد به . ثم عاد الملك الظاهر إلى الديار المصرية في يوم السبت سادس عشر شهر رجب . ولما دخل إلى القاهرة قبض على الأمير بلبان الرشيدى وأتيك الدمياطى وأقوش البرنلى .

ثم في هذه السنة شرع الملك الظاهر في عمارة المدرسة الظاهرية بين القصرين^(١)، وتمت في أوائل سنة اثنتين وستين وستمئة . ورتب في تدريس الإيوان القبلى القاضي تقي الدين محمد بن الحسين بن رزين الشافعى^(٢)، وفي تدريس الإيوان الذى يواجهه^(٣) القاضي مجد الدين عبد الرحمن بن العديم^(٤)، والحافظ شرف الدين الدمياطى لتدريس الحديث في الإيوان الشرقى، والشيخ كمال الدين المحلى^(٥) في الإيوان [الذى] يقابله

(١) المدرسة الظاهرية : ذكر المقرئى (في ص ٣٧٨ ج ٢) من خطه أن هذه المدرسة بالقاهرة بخط بين القصرين . كان موضعها من القصر الكبير باب الذهب أحد أبواب القصر وقاعة الخيم وقاعة السدرة . وضع أساسها الملك الظاهر بيبرس في سنة ٥٦٠ هـ . وتم بناؤها في سنة ٥٦٢ هـ . وكان لها أربع أبوابات وجعل بها خزانة كتب تشتمل على أمهات الكتب في سائر العلوم وبنى بجانبها مكتبا لتعليم أيتام المسلمين القرآن إلى أن قال المقرئى إلا أنها قد تقادم عهدها فرت ولها بقية صالحة .

وأقول : إن هذه المدرسة واقعة بجانب قبة الملك الصالح نجم الدين أيوب من الجهة البحرية بشارع المعز لدين الله (بين القصرين سابقا) وقد اندثرت واعتدى الناس على أرضها وأدخلوها في أملاكهم كما دخل جزء منها في شارع بيت القاضي ولم يبق منها اليوم إلا الإيوان الشرقى وهو معطل ويعرف الآن باسم جامع طاهر داخل حقله جامع طاهر بشارع بيت القاضي ، وبقى من هذه المدرسة أيضا الكتف الأيمن لبابها الأسمى وطيه اسم منشئها وتاريخ إنشائها . وكان لهذه المدرسة باب جميل من النحاس ليس له مثل في صنعه وحسن إيقانه وجمال زخرفته منقوش عليه اسم الملك الظاهر بيبرس وسنة ٦٦١ هـ التى صنع فيها .

ومما يؤسف له أن هذا الباب مركب الآن على باب دار المفوضية الفرنسية بشارع الجزيرة تجاه حديقة الحيوانات . (٢) كذا في الأصلين وعيون التواريخ وشذرات الذهب وتاريخ الإسلام للذهبي .

وفي خطط المقرئى في الكلام على المدرسة الظاهرية والسلوك أيضا وطبقات الشافعية : « محمد بن الحسن » . سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٥٦٨ هـ . فيمن نقل وقاتهم عن الذهبي . (٣) هو عبد الرحمن ابن عمر بن أحمد بن هبة الله بن محمد بن هبة بن أحمد بن يحيى بن زهير بن أبي جراد الصاحب أبو المجد

مجد الدين . سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٧٧ هـ . (٤) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٢٦ من هذا الجزء . (٥) في الأصلين : « كمال الدين القرى » . والتصويب عن عيون التواريخ

وشذرات الذهب وغاية النهاية . وهو أحمد بن علي بن إبراهيم الشيخ أبو العباس المعروف بالكمال المحلى الضرير . توفي سنة ٦٧٢ هـ .

- لإقراء القرآن بالروايات والطرق ؛ ثم رتب جماعة يقرءون السبع بهذا الإيوان أيضا بعد صلاة الصبح ، ووقف بها خزانة كتب ، وبني إلى جانبها مكتبا لتعلم الأيتام وأجرى عليهم الخبز في كل يوم ، وكسوة الفضلين وسقاية تُعين على الطهارة ؛ وجلس للتدريس بهذه المدرسة يوم الأحد ثالث عشر صفر من سنة اثنين وستين ، وحضر صاحب بهاء الدين بن حنا ، والأمير جمال الدين بن يغمور ؛ والأمير جمال الدين أيذغدي العزيزي وغيرهم من الأعيان .

- وفي سنة إحدى وستين أيضا تسلم الأمير بيليك المَلّاني حصص بعد وفاة صاحبها الملك الأشرف الأيوبي . ثم أمر الملك الظاهر أيضا بإنشاء خان في القدس الشريف للسبيل ، وفوض بناءه ونظره إلى الأمير جمال الدين محمد بن نهار ؛ ولما تم الخان المذكور أوقف عليه قراطا ونصفا بالمطر ، وثُلث ورّبع قرية المشيرفة من بلد بصرى ، ونصف قرية لبنى ، يُصرف ربع ذلك في خبز وفلوس وإصلاح نعال من يرد عليه من المسافرين المشاة . وبني له طاحونا وفرنا ، واستمر ذلك كله .

- ثم ولي الملك الظاهر في سنة ثلاث وستين وستمائة في كل مذهب قاضيا مستقلا بذاته ، فصارت قضاة القضاة أربعة ، وسبب ذلك كثرة توقف قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن بنت الأعز في تنفيذ الأحكام ، وكثرة الشكاوى منه بسبب ذلك . فلما كان يوم الاثنين ثاني عشر ذي الحجة شكّا القاضي المذكور الأمير جمال الدين أيذغدي العزيزي في المجلس ، وكان يكره القاضي تاج الدين

(١) في الأصلين : « سادس عشر » . وما أثبتنا عن التوفيقات الإلهامية . (٢) في الأصلين : « محمد بن بهادر » . وما أثبتناه من السلوك وعبود التواريخ . (٣) في عبود التواريخ : « قراطا ونصفا من الطرة » . (٤) بصرى : هي قصبة كورة حوران مشهورة عند العرب قديما وحديثا . (من معجم البلدان لياقوت) . (٥) في عبود التواريخ : « قرية لقنا » . (٦) راجع السلوك في حوادث سنة ٦٦٣ هـ حيث ذكرت فيه هذه الأسباب بتفصيل واف . (٧) في الأصلين : « شكّا على القاضي... الخ » وفي السلوك : « كانت الشكاوى من بنات الملك الناصر » .

المذكور؛ فقال أَيْدُغْدِي بِحَضْرَةِ السُّلْطَانِ : يَا تَاجَ الدِّينِ ، تَرَكَ مَذْهَبَ الشَّافِعِيِّ لَكَ ، وَتَوَلَّى مَعَكَ مِنْ كُلِّ مَذْهَبٍ قَاضِيًا ، فَمَالَ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ إِلَى كَلَامِهِ ، وَكَانَ لَا يَدُغْدِي مِنْهُ مَحَلٌّ عَظِيمٌ ؛ فَوَلَّى السُّلْطَانُ الشَّيْخَ صَدْرَ الدِّينِ سُلَيْمَانَ الْحَنْفِيَّ قَاضِيًا قَضَاةَ الْحَنْفِيَّةِ بِالْDIYARِ الْمِصْرِيَّةِ ، وَكَانَ لِلْقَضَاةِ الْحَنْفِيَّةِ أَزِيدٌ مِنْ ثَلَاثِينَ سَنَةً مِنْ أَوَّلِ الدَّوْلَةِ الْفَاطِمِيَّةِ قَدْ بَطَلَ حُكْمُهُمْ مِنْ دِيَارِ مِصْرَ اسْتِقْلَالًا عِنْدَ مَا أَبْطَلَ الْفَاطِمِيُّونَ الْقَضَاةَ مِنْ سَائِرِ الْمَذَاهِبِ ، وَأَقَامُوا قَضَاةَ الشَّيْعَةِ بِمِصْرَ . اِتَّهَمَ . وَوَلَّى الْقَاضِي شَرْفَ الدِّينِ عُمَرَ السُّبُكِّيَّ الْمَالِكِيَّ قَاضِيًا قَضَاةَ الْمَالِكِيَّةِ . وَوَلَّى الشَّيْخَ شَمْسَ الدِّينِ مُحَمَّدَ بْنَ الشَّيْخِ الْعِمَادِ الْحَنْبَلِيَّ قَاضِيًا قَضَاةَ الْحَنْبَلِيَّةِ ، وَفُوضَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَنْ يَسْتَنْبِطَ بِالْأَعْمَالِ وَغَيْرِهَا ؛ وَأَبْقَى عَلَى تَاجِ الدِّينِ النَّظَرَ فِي مَالِ الْإِيْتَامِ ، وَكُتِبَ لَهُمُ التَّقَالِيدُ وَخَلَعَ عَلَيْهِمْ ؛ ثُمَّ فَعَلَ ذَلِكَ بِبِلَادِ الشَّامِ كُلِّهَا . ١٠

قلت : وقد جمعتُ أسماءَ من ولى القضاء من المذاهب الأربعة من يوم رتبَ الملك الظاهر يبرس القضاء (أعني من سنة ثلاث وستين وستمائة) إلى يومنا هذا على الترتيب على سبيل الاختصار لتكثر الفائدة في هذا الكتاب ، وإن كان يأتى ذكر غالبهم في الوقایات في حوادث الملوك على عادة هذا الكتاب ، فذكرهم هنا جملة أرشق وأهون على من أراد ذلك ، والله المستعان . فنقول : ١٥

(١) هو قاضى القضاء صدر الدين سليمان بن أبى العزین وهيب الاذرى ثم الدمشقي أبو الفضل شيخ الحنفية ، ولى القضاء بالديار المصرية والشامية والبلاد الإسلامية . سيذكره المؤلف فيمن نقل وفاتهم عن الذهبي سنة ٦٧٧ هـ . وفي الأصلين هنا وما سياتى ذكره المؤلف في الكلام على القضاء الحنفية : «ضياء الدين» . وهو خطأ وتصحيحه عن حسن المحاضرة والجواهر المنصية في طبقات الحنفية وشذرات الذهب والمنهل الصافي . (٢) هو شرف الدين عمر بن عبد الله بن صالح بن عيسى بن عبد الملك ابن موسى السبكي المالكي قاضى القضاء بديار مصر . كانت وفاته سنة ٦٦٩ هـ . كما في رفع الأصرع من قضاة مصر لابن حجر العسقلاني (نسخة في مجلد مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية برقم ١٠٥ تاريخ) وتاريخ الإسلام . (٣) هو شمس الدين أبو بكر وأبو عبد الله محمد ابن العماد إبراهيم بن عبد الواحد ابن شرف الدين علي بن سرور المقدسي تزيل مصر قاضى قضاء الحنابلة . سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٧٦ هـ فيمن نقل وفاتهم عن الذهبي . ٢٥

[ذكر قضاة الشافعية]

- (١) كان قاضى قضاة الشافعية يوم ذاك القاضى تاج الدين عبد الوهاب ، وهى ولايته الثانية ؛ وتوفى سنة خمس وستين وستمائة . ثم القاضى تقي الدين محمد بن رزين العاصرى سنة خمس وستين وستمائة ، ومولده فى شعبان سنة ثلاث وستمائة ، وتوفى ثالث رجب سنة ثمانين وستمائة . ثم القاضى صدر الدين عمر بن عبد الوهاب بن بنت الأعز سنة ثمان وسبعين وستمائة . ثم أعيد القاضى تقي الدين محمد بن رزين سنة تسع وسبعين وستمائة . ثم القاضى وجيه الدين عبد الوهاب البهنسى سنة ثمانين وستمائة . ثم القاضى تقي الدين عبد الرحمن ابن القاضى تاج الدين عبد الوهاب بن بنت الأعز سنة خمس وثمانين وستمائة . ثم القاضى بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الحموى الكنائى سنة تسعين وستمائة . ثم أعيد القاضى تقي الدين عبد الرحمن بن بنت الأعز فى صفر سنة ثلاث وتسعين وستمائة . ثم ولى القاضى تقي الدين محمد بن على بن دقيق العيد سنة خمس وتسعين وستمائة ، ومولده فى شعبان سنة خمس وعشرين وستمائة ، وتوفى سنة اثنتين وسبعمائة . ثم أعيد القاضى بدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة الحموى فى سنة أربع وسبعمائة . ثم ولى القاضى جمال الدين

- (١) هو القاضى تاج الدين أبو محمد عبد الوهاب بن خلف بن بدر المعروف بأبن بنت الأعز .
 (٢) هو تقي الدين أبو عبد الله محمد بن الحسين بن رزين بن موسى العامرى الحموى وراجع الحاشية رقم ٢ ص ١٢٠ من هذا الجزء . (٣) فى الأصلين : « الفائزى » . وما أثبتناه عن طبقات الشافعية وشذرات الذهب وما سبكه المؤلف فى حوادث سنة ٦٨٠ هـ فىمن نقل وفاتهم عن الذهبى .
 (٤) كانت وفاته سنة ٦٨٠ هـ كما فى طبقات الشافعية وشذرات الذهب . (٥) هو عبد الوهاب ابن الحسين المصرى بن عبد الوهاب البهنسى كانت وفاته سنة ٦٨٥ هـ أو سنة ٦٨٦ هـ .
 (٦) سبكه المؤلف فى حوادث سنة ٦٩٥ هـ . (٧) سبكه المؤلف فى حوادث سنة ٧٣٣ هـ .
 (٨) راجع ترجمته بتفصيل راف فى المنهل الصافى وطبقات الشافعية . (٩) سبكه المؤلف فى حوادث سنة ٧٣٤ هـ والزرعى : نسبة الى زرع من حوران . وكانت تسمى قبل ذلك « زرى » كما فى الجزء الثالث من باقوت (ص ٩٢١) .

- سليمان بن عمر الزُّرَيْعِي سنة عشر وسبعائة . ثم أُعيد القاضي بدر الدين محمد بن إبراهيم
 ابن جماعة سنة إحدى عشرة وسبعائة . ثم ولي القاضي جلال الدين محمد بن عبد الرحمن
 القَزْوِينِي سنة سبع وعشرين وسبعائة ، وتوفي سنة تسع وثلاثين وسبعائة . ثم ولي
 القاضي عَمْرُ الدين عبد العزيز ابن القاضي بدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة الحمَوِيُّ
 سنة ثمان وثلاثين وسبعائة . ثم ولي القاضي بهاء الدين عبد الله [بن عبد الرحمن]
 ابن عَقِيل سنة تسع وخمسين وسبعائة . ثم أُعيد القاضي عَمْرُ الدين عبد العزيز بن
 جماعة سنة تسع وخمسين وسبعائة . ثم ولي القاضي بهاء الدين محمد أبو البقاء بن
 عبد البر السُّبُكِي في سنة ست وستين وسبعائة . ثم ولي القاضي بُرهان الدين إبراهيم
 بن عبد الرحيم [بن محمد بن إبراهيم بن سعد الله] بن جماعة سنة ثلاث وسبعين
 وسبعائة . ثم ولي القاضي بدر الدين محمد بن بهاء الدين محمد بن عبد البر السُّبُكِي
 في صفر سنة تسع وسبعين وسبعائة . ثم أُعيد القاضي بُرهان الدين إبراهيم بن جماعة
 سنة إحدى وثمانين وسبعائة . ثم أُعيد القاضي بدر الدين محمد بن أبي البقاء السُّبُكِي
 في صفر سنة أربع وثمانين وسبعائة . ثم ولي القاضي ناصر الدين محمد [بن عبد الدائم
 ابن محمد بن سلامة] ابن بنت المَيْلَق في شعبان سنة تسع وثمانين وسبعائة ، وامُتَحِنَ
 وعُزِّلَ . ثم ولي القاضي صدر الدين محمد بن إبراهيم السلمى المُنَاوِي في ذى القعدة
 سنة إحدى وتسعين وسبعائة . ثم أُعيد القاضي بدر الدين محمد بن أبي البقاء

- (١) سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٥٧٦٧ هـ . (٢) التكلة عن المنهل الصافي والدرر الكامنة
 في أعيان المائة الثامنة ، وما سياتى ذكره المؤلف في حوادث سنة ٥٧٦٩ هـ . (٣) سيذكر المؤلف
 وفاته في حوادث سنة ٥٧٧٧ هـ . (٤) التكلة عن الدرر الكامنة وتوفي سنة ٥٧٩٠ هـ كما في الدرر
 الكامنة وشذرات الذهب . (٥) توفي سنة ٨٠٣ هـ كما في شذرات الذهب والمنهل الصافي .
 (٦) التكلة عن المنهل الصافي وشذرات الذهب توفي سنة ٥٧٩٧ هـ . (٧) سيذكره المؤلف
 في حوادث سنة ٨٠٣ هـ . والمناوي نسبة الى منية القائد (ميت القائد الآن) وهو القائد فضل بن صالح
 أحد قواد الوزير يعقوب بن كلس ، وهذه القرية هي اليوم إحدى قرى مُرْكُز العياط بمديرية الجيزة .

- السُّبُكِي سنة إحدى وتسعين وسبعائة . ثم ولي القاضي عماد الدين أحمد الكرّكي^(١)
 في رجب [سنة اثنتين وتسعين^(٢) ، ثم عُزل في ذى الحجة] سنة أربع وتسعين
 وسبعائة . ثم أُعيد القاضي صدر الدين محمد بن إبراهيم المناوي في شعبان سنة
 خمس وتسعين وسبعائة^(٣) . ثم أُعيد القاضي بدر الدين محمد بن أبي البقاء السُّبُكِي
 في شهر ربيع الآخر سنة ست وتسعين وسبعائة . ثم أُعيد القاضي صدر الدين محمد
 ابن إبراهيم المناوي في شعبان سنة سبع وتسعين وسبعائة . ثم ولي القاضي تقي الدين^(٤)
 الزُّبَيْرِي في جمادى الأولى سنة تسع وتسعين وسبعائة . ثم أُعيد القاضي صدر الدين^(٥)
 المناوي في شهر رجب سنة إحدى وثمانمائة . ثم ولي القاضي ناصر الدين الصالحى
 في سَلَخ شعبان سنة ثلاث وثمانمائة . ثم ولي القاضي جلال الدين عبدالرحمن بن عمر
 ابن رسلان بن نصير البُلُقَيْنِي في جمادى الأولى سنة أربع وثمانمائة في حياة والده .
 ثم أُعيد القاضي ناصر الدين الصالحى في شَوَّال سنة خمس وثمانمائة ، ومات في المحرم
 سنة ست وثمانمائة . ثم ولي القاضي شمس الدين محمد الإخْنَانِي في شهر الله المحرم^(٦)
 سنة ست وثمانمائة . ثم أُعيد القاضي جلال الدين عبد الرحمن البُلُقَيْنِي في شهر
 ربيع الأول سنة ست وثمانمائة ، ومولده سنة إحدى وستين وسبعائة ؛ وهكذا حكى لى

- ١٥ (١) هو أحمد بن عيسى بن موسى بن جميل الأزرق العامري الكرّكي عماد الدين . سيذكره
 المؤلف في وفيات سنة ٨٠١ هـ . (٢) تكلّة عن حسن المحاضرة للسيوطي .
 (٣) في الأصلين : « أربع وتسعين » . والتصحيح عن حسن المحاضرة . (٤) هو تقي الدين
 عبد الرحمن بن تاج الرئاسة محمد بن عبد الناصر المحل الديمري الزبيرى . سيذكره المؤلف في وفيات
 سنة ٨١٣ هـ . (٥) هو ناصر الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمن الصالحى . (٦) البلقيني : نسبة
 الى بلقينة ، قرية واقعة في الجنوب الغربي لمدينة المحلة الكبرى بمديرية الغربية بمصر . (٧) كذا
 في الأصلين هنا وحسن المحاضرة . وسيذكره المؤلف في وفيات سنة ٨٠٥ هـ . (٨) هو قاضي
 القضاة شمس الدين محمد بن محمد بن عثمان الدمشقي المعروف بابن الإخْنَانِي . سيذكره المؤلف في وفيات
 سنة ٨١٦ هـ . (٩) في المنهل الصافي : « مولده بالقاهرة في جمادى الأولى سنة اثنتين وستين
 وسبعائة هكذا سمعته من لفظه غير مرة » . وفي شذرات الذهب : « في جمادى الأولى سنة ٧٦٣ هـ » .

من لفظه ، — رحمه الله — وتوفي بالقاهرة في شوال سنة أربع وعشرين وثمانمائة .
ثم أعيد القاضي شمس الدين محمد الإخنائي في شهر شعبان سنة ست وثمانمائة .
ثم أعيد القاضي جلال الدين عبد الرحمن البلقيني في ذي الحجة من سنة ست وثمانمائة .
ثم أعيد القاضي شمس الدين الإخنائي في ثاني عشرين جمادى الأولى سنة سبع
وثمانمائة . ثم أعيد القاضي جلال الدين البلقيني في ثالث عشر ذي القعدة سنة سبع
وثمانمائة . ثم أعيد القاضي شمس الدين محمد الإخنائي في حادى عشر صفر سنة
ثمان وثمانمائة . ثم أعيد القاضي جلال الدين البلقيني في خامس شهر ربيع الأول
سنة ثمان وثمانمائة ، وهى ولايته الخامسة ، ولم يزل في هذه المرة قاضياً إلى أن توجه
صحبة الملك الناصر فرج إلى الشام سنة أربع عشرة وثمانمائة . ثم عزل بالقاضى
شهاب الدين أحمد الباعوني^(١) بدمشق في المحرم سنة خمس عشرة وثمانمائة . ثم أعيد
القاضى جلال الدين البلقيني المذكور في أول صفر من سنة خمس عشرة وثمانمائة ،
فاستمر في القضاء إلى آخر جمادى الأولى سنة إحدى وعشرين وثمانمائة . ثم عزل
بالقاضى شمس الدين محمد المروى^(٢) في سلفج جمادى الأولى سنة إحدى وعشرين وثمانمائة .
ثم أعيد القاضي جلال الدين البلقيني في شهر ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين
وثمانمائة ، واستمر إلى أن مات في شوال كما تقدم ذكره . ١٥

قلت : وقاضى القضاة جلال الدين المذكور هو صهرى وزوج كريمى ، ومات
عنها . رحمهما الله تعالى وعفا عنهما .

(١) الباعوني : نسبة الى الباعوة (فتح الباء الموحدة وألف بعدها ثم عين مقسومة ووار ساكنة
ونون مفتوحة وفي آخرها هاء) وهى على شوط فرس من مجلون . وكان مكانها ذير به راهب اسمه باعوة
فسميت المدينة به (عن صبح الأعشى ج ٤ ص ١٠٦) . وهو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن ناصر
ابن خليفة بن فرج بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن الناصرى الباعوني . وفي تقويم البلدان لأبى الفدا
إسماعيل وهامش الأصل في وفيات سنة ٨١٦ هـ وهى السنة التى توفى فيها الباعوني هذا : «الباعوة» بالاء
المنطلة وهو تصحيف . (٢) هو قاضى القضاة شمس الدين محمد بن عطاء الله بن محمد بن محمود بن
أحمد بن فضل الله بن محمد الرازى المروى . سيذكره المؤلف في وفيات سنة ٨٢٩ . ٢٠

- ثم ولى القاضي وَلِيّ الدين أحمد ابن الحافظ عبد الرحيم بن الحسين المِرَاقِي في شوال سنة أربع وعشرين وثمانمائة . ثم ولى القاضي علم الدين صالح بن عمر البُلُقِينِيّ^(٢) في يوم السبت سادس ذى الحجة سنة خمس وعشرين وثمانمائة . ثم ولى القاضي شهاب الدين أحمد بن علي بن حَجَر في سابع عشرين المحرم سنة سبع وعشرين وثمانمائة . ثم أُعيد القاضي شمس الدين الهَرَوِيّ في سابع ذى القعدة سنة سبع وعشرين وثمانمائة . ثم أُعيد القاضي شهاب الدين أحمد بن حَجَر في ثانى رجب سنة ثمان وعشرين وثمانمائة . ثم أُعيد القاضي علم الدين صالح البُلُقِينِيّ في خامس عشرين صفر سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة . ثم أُعيد القاضي شهاب الدين أحمد بن حَجَر في رابع عشرين جمادى الأولى سنة أربع وثلاثين وثمانمائة . ثم أُعيد القاضي علم الدين صالح البُلُقِينِيّ في خامس شوال سنة أربعين وثمانمائة . ثم أُعيد القاضي شهاب الدين أحمد بن حَجَر في يوم الثلاثاء سادس شوال سنة إحدى وأربعين وثمانمائة . ثم ولى القاضي شمس الدين محمد القاياتِيّ في يوم الخميس رابع عشر المحرم سنة تسع وأربعين وثمانمائة ، ومات في ثامن عشرين المحرم سنة خمسين وثمانمائة — رحمه الله تعالى — ثم أُعيد القاضي شهاب الدين أحمد بن حَجَر في خامس صفر سنة خمسين وثمانمائة . ثم أُعيد القاضي علم الدين صالح البُلُقِينِيّ في يوم السبت مستهل سنة إحدى وخمسين

(١) هو قاضى القضاة ولى الدين أبو زرعة أحمد ابن الحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحيم المِرَاقِي . سيذكره المؤلف في وفيات سنة ٨٢٦ هـ . (٢) هو قاضى القضاة علم الدين صالح ابن شيخ الإسلام سراج الدين عمر بن رسلان أخو القاضي جلال الدين البُلُقِينِيّ . سيذكره المؤلف في وفيات سنة ٨٦٨ هـ . (٣) هو قاضى القضاة شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن محمد بن علي بن أحمد بن حجير المصرى المِصْلَانِيّ . سيذكره المؤلف في وفيات سنة ٨٥٢ هـ . (٤) هو قاضى القضاة شمس الدين محمد بن علي بن محمد بن يعقوب القاياتى الشافى .

وثمانمائة . ثم ولى القاضي وَلِيّ الدين محمد السُّفْطِيّ^(١) في يوم الخميس خامس عشر شهر ربيع الأول سنة إحدى وخمسين وثمانمائة . ثم أُعيد القاضي شهاب الدين أحمد بن حَجَر في ثامن شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة ، ثم عَزَلَ نفسه ومات معزولا - رحمه الله تعالى - . ثم أُعيد القاضي علم الدين صالح البُلْقِينِيّ في سادس عشر جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة . ثم ولى القاضي شرف الدين يحيى المُنَاوِيّ في يوم الاثنين ثالث عشر رجب سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة . ثم أُعيد القاضي علم الدين صالح البُلْقِينِيّ في يوم السبت ثامن عشرين صفر سنة سبع وخمسين وثمانمائة .



ذكر القضاة الحنفية

فالذى ولى أولاً قاضي القضاة صدر الدين سليمان . ثم من بعده قاضي القضاة معز الدين الثُّمَان بن الحسن [بن يوسف] إلى أن تُوُفِيَ في سابع عشر شعبان سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة . ثم وَلِيَ قاضي القضاة شمس الدين أحمد السُّرُوحِيّ^(٢) فأستمر إلى أن تسلطن الملك المنصور لاجين عزله . ثم ولى قاضي القضاة حُسام الدين الرازِيّ فأستمر إلى أن قُتِلَ لاجين ، نُقِلَ إلى قضاء دِمَشْق سنة

(١) هو قاضي القضاة وَلِيّ الدين محمد بن أحمد بن يوسف أبو عبد الله السفطي . نسبة إلى سبط الحنا، وهي التي تعرف اليوم بصفط الحنة إحدى قرى مركز الزقازيق بمديرية الشرقية . سيذكره المؤلف في وفيات سنة ٨٥٤ هـ . (٢) هو قاضي القضاة شرف الدين أبو زكريا يحيى بن سعد الدين محمد ابن محمد المناوي . سيذكره المؤلف في وفيات سنة ٨٧١ هـ . (٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٢٢ من هذا الجزء . (٤) الزيادة عن المنهل الصافي والجواهر المضية في طبقات الحنفية . (٥) في الأصلين هنا : « محمد » . وتصحيحه عن المنهل الصافي والجواهر المضية وما سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٨٧١ هـ . وهو أحمد بن إبراهيم ابن عبد الله السروجي . (٦) هو قاضي القضاة حُسام الدين الحسن بن أحمد بن الحسن بن أنوشروان أبو الفضائل . سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٩٩ هـ

- ثمان وتسعين . ثم أُعيد شمس الدين السُّروحي^(١)، ثم عُزل أول شهر ربيع الآخر سنة عشر وسبعمائة . ثم ولى بعده قاضى القضاة شمس الدين محمد الحريرى إلى أن مات يوم السبت رابع جمادى الآخرة — رحمه الله — سنة ثمان وعشرين وسبعمائة . ثم ولى بعده قاضى القضاة بُرهان الدين إبراهيم بن عبد الحق إلى أن عُزل يوم الأحد ثامن عشر جمادى الآخرة سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة . ثم ولى بعده قاضى القضاة حُسام الدين القُورى إلى أن كانت واقعة الأمير قُوصُون نهبوا الرسل والعامّة بيته وطلبوه ليقتلوه فهُرب . ثم ولى بعده قاضى القضاة زَيْن الدين عمر البُسْطامى في سنة أثنين وأربعين وسبعمائة إلى أن عُزل في سنة ثمان وأربعين وسبعمائة . ثم تولّاها من بعده قاضى القضاة علاء الدين التُّركمانى في جُمادى منها إلى أن توفى طائر المحرم سنة خمسين . فولى بعده ولده قاضى القضاة جمال الدين عبد الله ابن التُّركمانى إلى أن مات في شعبان سنة تسع وستين وسبعمائة . فولى بعده قاضى القضاة سراج الدين عمر الهِنْدى إلى أن مات في شهر رجب سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة ، ثم ولى بعده قاضى القضاة صدر الدين بن جمال الدين التُّركمانى إلى أن

- (١) هو قاضى القضاة شمس الدين محمد بن عثمان بن أبي الحسن بن عبد الوهاب الأنصارى الحنفى المعروف بأبن الحريرى . (٢) هو قاضى القضاة إبراهيم بن علي بن أحمد بن علي بن يوسف بن إبراهيم أبو إسحاق الحنفى المعروف بأبن عبد الحق . سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٧٤٤ هـ . (٣) هو الحسن بن محمد بن محمد بن علي حسام الدين البغدادي القورى قاضى القضاة بمصر . ترجم له صاحب الدرر الكامنة والخواهر المضى ولم يذكر سنة وفاته . (٤) هو قاضى القضاة زَيْن الدين أبو حفص عمر بن عبد الرحمن بن أبي بكر البُسْطامى . توفى سنة ٧٧١ هـ . (عن المهمل الصافى) . والبُسْطامى نسبة إلى بسطام ، قرية من قرى قوس على جادة الطريق إلى نيسابور بعد دافغان بمرحلتين (عن معجم البلدان لياقوت) . (٥) هو قاضى القضاة علي بن عثمان بن إبراهيم بن مصطفى علاء الدين التُّركمانى . (٦) هو قاضى القضاة عمر بن إسحاق بن أحمد بن محمد بن إسحاق بن أحمد بن محمود سراج الدين أبو حفص الفزنوى الغنصى (عن المهمل الصافى) . (٧) هو قاضى القضاة صدر الدين أبو عبد الله محمد بن جمال الدين عبد الله بن علاء الدين علي بن عثمان .

- مات في ذى القعدة سنة ست وسبعين . فوليا بعده قاضى القضاة نجم الدين بن الكشك ، طُلب من دِمَشْق في المحرم سنة سبع وسبعين وسبعمائة ، ثم عُزل عنها . وتولى من بعده قاضى القضاة صدر الدين علي بن أبي العز الأدرعي ، ثم أعتفى عنها . فتولاها قاضى القضاة شرف الدين أبو العباس أحمد [بن علي] بن منصور في سنة سبع وسبعين ، فاستمر إلى سادس عشرين شهر رجب عُزل . ثم تولاها بعده قاضى القضاة جلال الدين جار الله ، فاستمر قاضياً إلى أن مات في يوم الاثنين رابع عشر شهر رجب سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة . فتولى بعده قاضى القضاة صدر الدين محمد بن علي بن منصور في شهر رمضان سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة ، فاستمر إلى أن مات في شهر ربيع الأول سنة ست وثمانين وسبعمائة . فتولاها بعده قاضى القضاة شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر الطرابليسي ، فاستمر إلى بعد فتنة الآتابك يلبغا الناصري ومنطاش مع الظاهر برقوق سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة عُزل عنها . ثم تولاها قاضى القضاة مجد الدين إسماعيل بن إبراهيم [بن محمد بن علي بن موسى] اليكايي ، أقام فيها قليلاً ثم عُزل . ثم تولاها من بعده قاضى القضاة جمال الدين محمود [بن محمد بن علي بن عبد الله] القيصرى العجمي مضافاً لنظر
- (١) هو قاضى القضاة نجم الدين أحمد بن إسماعيل بن محمد بن عبد العزيز بن صالح بن أبي العز وهيب المعروف بابن أبي العز وابن الكشك الحنفى دمشق . توفى سنة ٧٩٩ هـ . (عن المنهل الصافي والدرر الكامنة) . (٢) هو قاضى القضاة صدر الدين أبو الحسن حل بن علي بن محمد بن محمد بن وهب ابن عطاء . توفى سنة ٧٩٢ هـ (عن المنهل الصافي والدرر الكامنة) (٣) الكفة عن المنهل الصافي وما سيذكره المؤلف في وفيات سنة ٧٨٢ هـ . (٤) هو قاضى القضاة جلال الدين محمد بن محمد ابن محمود أبو عبد الله المعروف بجار الله . (٥) توفى سنة ٧٩٩ هـ . كما في المنهل الصافي وشذرات الذهب وما سيذكره المؤلف بعد قليل . (٦) هو يلبغا بن عبد الله الناصري الآتابكي البلبغاوى الأمير سيف الدين قتله الظاهر برقوق سنة ٧٩٣ هـ . (عن المنهل الصافي) . (٧) هو الأثير سيف الدين تمرغا بن عبد الله الأفضل المدعو منتاش . توفى سنة ٧٩٥ هـ . (عن المنهل الصافي) . (٨) الزيادة عن شذرات الذهب وما سيذكره المؤلف في وفيات سنة ٨٠٢ هـ . (٩) الزيادة عن المنهل الصافي .

- الجيش ، فأستمر إلى أن مات في ليلة الأحد سابع شهر ربيع الأول سنة تسع وتسعين وسبعائة . ثم تولّاها من بعده قاضى القضاة شمس الدين الطرابُلُيْسيّ ثانياً في الشهر والسنة ، فأستمر إلى أن مات في آخر السنة المذكورة . وتولّى بعده قاضى القضاة جمال الدين يوسف بن موسى المَلْطِيّ الحَلَبِيّ في يوم الخميس العشرين من شهر ربيع الآخر [سنة ثمانمائة ^(١)] ، طُلب من حلب وأستمر إلى أن مات في ليلة الاثنين تاسع عشر شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانمائة . وتولّاها من بعده قاضى القضاة أمين الدين عبد الوهاب ابن القاضى شمس الدين الطرابُلُيْسيّ في يوم الخميس ثاني عشر جمادى الآخرة من السنة ، فأستمر إلى سادس عشر شهر رجب سنة خمس وثمانمائة ، عُزل . فتولّاها من بعده قاضى القضاة كمال الدين عمر بن العديم الحلبى ، وأستمر إلى أن مات في ليلة السبت ثاني عشر جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة وثمانمائة ، ومولده بحلب سنة إحدى وسبعين وسبعائة . فتولّاها من بعده أبنة القاضى ناصر الدين محمد في يوم الاثنين رابع عشر الشهر المذكور مضافاً لمشيخة الشيخوخية ، وأستمر إلى أن صُرف . وأعيد القاضى أمين الدين الطرابُلُيْسيّ ثانياً في رابع عشرين

- (١) الزيادة عن المنهل الصافي وحسن المحاضرة . (٢) سيذكره المؤلف في وفيات سنة ٨١٩هـ .
 (٣) هو قاضى القضاة كمال الدين أبو حفص عمر بن إبراهيم بن محمد بن عمر بن عبد العزيز بن أبي جراحة المعروف بابن العديم (عن المنهل الصافي وما سيذكره المؤلف في وفيات سنة ٨١١هـ وشذرات الذهب) .
 (٤) كذا في الأصلين هنا وما سيذكره المؤلف في وفاته سنة ٨١١هـ . وفي حسن المحاضرة وشذرات الذهب والمنهل الصافي أن مولده في سنة ٧٦٠هـ أو في سنة ٧٦١هـ . (٥) سيذكره المؤلف في وفيات سنة ٨١٩هـ . (٦) الشيخوخية : هو الذى ذكرها المقرئى باسم خاتمه شيخو حيث قال (في ص ٤٢١ ج ٢) من خطه : إن هذه الخاتمة في خط الصليبة خارج القاهرة تجاه جامع شيخو أنشأها الأمير سيف الدين شيخو العمري في سنة ٧٥٦هـ . كان موضعها من جملة قطائع أحد بن طولون ، وكانت مساحة أرضها زيادة على فدان فاخط فيها الخاتمة وحامين وعدة حوانيت يملؤها بيوت لسكنى العامة ، وربب بها دروساً لتفقه المذاهب الأربعة ودرساً للحدّث ودرساً لإقراء القرآن بالروايات ، واشترط على الطلبة حضور الدرس وحضور وظيفة التصوّف ، وكان الطلبة يتلبون رباً كلون ريبون في الخاتمة بنير أجبر ، ووقف عليها الأوقاف الوفيرة ، فظم قدرها ، ونفخر بها أكثر من أهل العلم . =

شهر رجب من سنة إحدى عشرة وثمانمائة ، فاستقر القاضي أمين الدين إلى سابع المحرم من سنة آتت عشرة وثمانمائة صُرف . وأعيد قاضي القضاة ناصر الدين ابن العديم ثانياً ، واستقر القاضي أمين الدين الطرابلي في مشيخة الشيوخية عوضاً عن ناصر الدين بن العديم المذكور .

قلت : وناصر الدين المذكور هو صهرى زوج كريمي . انتهى .

وأستمر ناصر الدين بن العديم إلى أن عُزل ، فتولاه قاضي القضاة صدر الدين علي [بن محمد بن محمد المعروف بآ] بن الأديب الدمشقي في سنة خمس عشرة وثمانمائة ،^(١) وأستمر إلى أن مات في يوم السبت ثامن شهر رمضان من سنة ست عشرة وثمانمائة . ثم أعيد ناصر الدين بن العديم ثالثاً ، فاستمر إلى أن مات في ليلة السبت تاسع شهر ربيع الآخر سنة تسع عشرة وثمانمائة ، وشغرت الوظيفة إلى أن طلب الملك المؤيد شيخ شمس الدين محمد الديري من القدس ، وقدم القاهرة في ثالث عشر جمادى الأولى من سنة تسع عشرة المذكورة ، ونزل بقاعة الحنفية بالمدرسة الصالحية^(٢) إلى أن استقر في القضاة يوم الاثنين سابع عشره ، وأستمر إلى أن عُزل برغبة منه .

== وأقول : إن خافاه كلمة فارسية معناها البيت ثم أطلقت على المكان الذي يتخذ فيه الصوفية لعبادة ثم على الملأ أو مطعم الفقراء . وكانت هذه الخانقاه فوق ذلك المعهد علياً دينياً ، ولا يزال موجودة إلى اليوم إلا أنها مخصصة للصلاة فقط باسم جامع شيخون القلي تجاه جامع البحرى وهما واقعان بشارع شيخون بقسم الخليفة بالقاهرة . ومنى الدور العلوى الذى كان مخصصاً لسكنى الطلبة لا يزال موجوداً أيضاً داخل الجامع المذكور إلا أنه غير مستعمل .

(١) التكملة عن المنهل الصافي وما سيذكره المؤلف في وفيات سنة ٨١٦ هـ . (٢) هو قاضى القضاة شمس الدين محمد بن عبدالله بن سعد بن أبي بكر بن مفلح بن أبي بكر بن سعد العيسى المقدسى الديري . سيذكره المؤلف في وفيات سنة ٨٢٧ هـ . والديري : نسبة إلى دير ، وهى قرية من قرى نابلس بالبلاد الشامية (عن المنهل الصافي) . (٣) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٢٨٠ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

- وتولّاها من بعده قاضى القضاة زَيْنُ الدين عبد الرحمن التَّفْهَنِيّ^(١) فى يوم الجمعة سادس
ذى القعدة سنة اثنىَين وعشرين وثمانائة ، واستمرّ الى أن عُزل . ثم تولّاها من بعده
قاضى القضاة بدر الدين محمود العَيْنِيّ^(٢) فى يوم الخميس سابع عشرين شهر ربيع الآخر سنة
تسع وعشرين وثمانائة ، واستقرّ التَّفْهَنِيّ المذكور فى مشيخة خانقاه شيخون ، بعد موت
شيخ الإسلام سراج الدين عمر قارئ « الهداية » ، واستمرّ العَيْنِيّ الى أن عُزل .
ثم أُعيد التَّفْهَنِيّ فى يوم الخميس سادس عشرين صفر سنة ثلاث وثلاثين وثمانائة ،
فدام الى أن صُرف لطول مرضه . ثم أُعيد قاضى القضاة العَيْنِيّ ثانياً فى سابع عشرين
بجُمادى الآخرة سنة خمس وثلاثين وثمانائة ، فأستمرّ العَيْنِيّ الى أن صُرف فى دولة
الملك العزيز يوسف ابن الملك الأشرف برسبائى بقاضى القضاة سعد الدين سعد ابن
القاضى شمس الدين محمد بن الديريّ^(٤) فى أول سنة اثنىَين وأربعين وثمانائة ...
١٠

قلت : وهؤلاء القضاة الذين استجدهم الملك الظاهر بيبرس البندقدارى .
حسب ما ذكرناه فى أول الترجمة . وذلك بعد أنقضاء الدولة الأيوبية . وأما قبل
خراب الديار المصرية فى التّولة العبيدية فكانت قضاة الحنفية هم حكام مصر بل
حكام المشرق والمغرب الى حدود نيف وأربعمائة ، لما حمل المعز بن باديس الناس

- (١) هو قاضى القضاة زين الدين عبد الرحمن بن على بن عبد الرحمن بن على بن هاشم التفهني .
١٥ سيذكره المؤلف فى وفيات سنة ٨٣٥ هـ . (٢) هو قاضى القضاة بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى
ابن أحمد بن حسين بن يوسف بن محمود العيني والعيناني : نسبة الى عين تاب ، وهى قلعة حصينة ورساق
بين حلب وأنطاكية . سيذكره المؤلف فى وفيات سنة ٨٥٥ هـ . (٣) هو شيخ الإسلام سراج الدين
أبو حفص عمر بن على بن فارس شيخ شيخوخ خانقاه شيخون المعروف بقارئ الهداية . سيذكره المؤلف
فى وفيات سنة ٨٢٩ هـ . (٤) هو السلطان الملك العزيز أبو المحاسن جمال الدين يوسف ابن
السلطان الملك الأشرف برسبائى الدقاق الظاهري . سيذكره المؤلف فى وفيات سنة ٨٦٨ هـ .
٢٠ (٥) سيذكره المؤلف فى وفيات سنة ٨٦٧ هـ . (٦) بعد هذه الكلمة يياض بالأصلين .
جع بقية القضاة الحنفية بعد هذا التاريخ فى حسن المحاضرة للسيوطي .

ببلاد المغرب على أتباع مذهب الإمام مالك - رضى الله عنه - ثم ملكت العبيدية مصر فحوا آثار السنة وولوا قضاء الشيعة وبطل الأربعة مذاهب من مصر إلى أن زالت دولتهم وتولى السلطان صلاح يوسف بن أيوب - رحمه الله - فولى قاضياً شافعيًا فقط كونه كان شافعيًا ، وأذهب الرافضة ، وأستمر ذلك نحو تسعين سنة حتى ولى الملك الظاهر بيبرس فجند المذاهب الثلاثة كما سقناه . انتهى .



ذكر القضاة المالكية

فالذى كان أولهم ولاية في دولة الظاهر بيبرس هو القاضي شرف الدين عمر السبكي المالكي تقدمه الله برحمته وجميع المسلمين ...



ذكر قضاة الحنابلة

فالذى ولّاه الملك الظاهر بيبرس هو قاضي القضاة شمس الدين أبو بكر محمد الجماعيلي الحنبلي إلى أن أمتحن وصُرف في ثاني شعبان سنة سبعين وستمائة ، ولم يَل بعد عزله بالقاهرة أحد من الحنابلة حتى توفى شمس الدين المذكور في يوم الخميس في العشر الأول من المحرم سنة ست وسبعين . ثم ولى بعده قاضي القضاة عز الدين

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٢٢ من هذا الجزء . (٢) لم يذكر المؤلف من قضاة المالكية غير شرف الدين السبكي المذكور ، ويوجد بالأصلين بعده بياض . ومن أراد استيفاء الكلام على بقية قضاة المالكية فليراجع حسن المحاضرة للسيوطي فإنه ذكرها بتفصيل راف .

(٣) هو قاضي القضاة شمس الدين أبو بكر وأبو عبد الله محمد ابن العباد إبراهيم بن عبد الواحد بن علي بن سرور بن رافع المقدسي الصالحى الدمشقي (لحن التبل الصافي وشذرات الذهب)

- عمر بن عبد الله^(١) [بن عمر] بن عوض في النصف من جمادى الأولى سنة ثمان وسبعين، فاستمر حتى مات سنة ست وتسعين وسبعمائة. ثم تولى بعده قاضى القضاة شرف الدين أبو محمد عبد الفنى الحراني^(٢) إلى أن مات في رابع عشرين شهر ربيع الأول سنة تسع وسبعمائة. ثم تولى بعده قاضى القضاة سعد الدين مسعود بن أحمد الحارثي^(٣) في ثالث شهر ربيع الآخر من السنة، وعزل بعد سنتين ونصف بقاضى القضاة تقي الدين ابن قاضى القضاة عز الدين عمر في حادى عشر شهر ربيع الأول سنة اثنتى عشرة وسبعمائة، بعد ما شغّر منصب القضاء ثلاثة أشهر، فلم تطل أيامه وعزل بقاضى القضاة موفق الدين عبد الله بن محمد بن عبد الملك المقدسى في نصف جمادى الآخرة سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة، فدام في المنصب إلى أن مات في المحرم سنة تسع وستين وسبعمائة. ثم تولى عوّضه قاضى القضاة ناصر الدين نصر الله بن أحمد بن محمد العسقلاني حتى مات في ليلة الحادى والعشرين من شهر شعبان سنة خمس وتسعين وسبعمائة. ثم تولى بعده أبنة قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن نصر الله حتى مات في ثامن شهر ربيع الأول سنة اثنتين وثمانمائة. ثم تولى عوّضه أخوه قاضى القضاة موفق الدين أحمد بن نصر الله، فدام حتى صُرف بقاضى القضاة نور الدين علي^(٤) [بن خليل بن علي بن أحمد بن عبد الله] الحكرى، فلم تطل مدة الحكرى.

- (١) التكملة عن المنهل الصافي وشذرات الذهب. (٢) هو قاضى القضاة شرف الدين أبو محمد عبد الفنى بن يحيى بن محمد بن بكر بن عبد الله بن نصر بن أبي بكر بن محمد الحراني (عن المنهل الصافي).
(٣) في الأصلين هنا: «الحراني». والتصحيح عما سيأتى ذكره للؤف في حوادث سنة ٧١١ هـ وشذرات الذهب وحسن المحاضرة وطبقات الحفاظ للذهبي. وهو قاضى القضاة سعد الدين أبو محمد وأبو عبد الرحمن مسعود بن أحمد بن مسعود بن زيد المحدث الحافظ العراقى المصرى. (٤) هو قاضى القضاة تقي الدين أحمد بن عمر بن عبد الله بن عمر بن عوض توفي سنة ٧٧٦ هـ (عن الدرر الكامنة).
(٥) كذا في الأصلين. ويلاحظ أنه مكث في القضاء ستا وعشرين سنة. (٦) الزيادة عن المنهل الصافي وشذرات الذهب. وسيذكره المؤلف في وفيات سنة ٨٠٦ هـ. والحكرى: نسبة إلى الحكر خارج القاهرة (عن المنهل الصافي).

- وَصُرِفَ . ثم أُعيد مُوفق الدين فاستمر إلى أن مات في سنة ثلاث وثمانمائة . ثم تولى بعده قاضي القضاة مجد الدين سالم [بن أحمد^(١)] في ثالث عشرين شهر رمضان من سنة ثلاث فاستمر في القضاء إلى أن صُرِفَ بقاضي القضاة علاء الدين علي^(٢) [بن محمود ابن أبي بكر] بن مُغلي في حدود سنة ست عشرة وثمانمائة ، فاستمر علاء الدين بن مغلي في القضاء إلى أن تُوِّقَ بالقاهرة في العشرين من صفر سنة ثمان وعشرين وثمانمائة .
- ثم تولى بعده قاضي القضاة مُحِبُّ الدين أحمد بن نصر الله [بن أحمد بن محمد بن عمر] البغدادي من التاريخ المذكور إلى أن صَرَفَهُ الملك الأشرف بقاضي القضاة عز الدين عبد العزيز [بن علي بن العزيز^(٣)] البغدادي في ثالث عشر جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين ، فدام القاضي عز الدين إلى أن صُرِفَ في يوم الثلاثاء ثاني عشر صفر سنة ثلاثين وثمانمائة . ثم أُعيد قاضي القضاة مُحِبُّ الدين ، وأستمر إلى أن مات في يوم الأربعاء خامس عشر جمادى الأولى سنة أربع وأربعين وثمانمائة :
- ثم تولى بعده قاضي القضاة بدر الدين محمد [بن محمد^(٤)] بن عبد المنعم البغدادي إلى أن مات في ليلة الخميس سابع^(٥) جمادى الأولى سنة سبع وخمسين وثمانمائة .
- ثم تولى بعده قاضي القضاة عز الدين أحمد في يوم السبت تاسع جمادى الأولى المذكور .

- (١) الزيادة عن المثل الصافي . وسيذكره المؤلف في وفیات سنة ٨٢٦ هـ .
- (٢) التكلة عن المثل الصافي وشذرات الذهب وما سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٨٢٨ هـ .
- (٣) الزيادة عن المثل الصافي ، وما سيذكره المؤلف في وفیات سنة ٨٤٤ هـ . (٤) الزيادة عن المثل الصافي ، وسيذكره المؤلف في وفیات سنة ٨٤٦ هـ . (٥) التكلة عن شذرات الذهب ، وما سيذكره المؤلف في وفیات سنة ٨٥٧ هـ . (٦) هو قاضي القضاة عز الدين أبو البركات أحمد بن إبراهيم بن نصر الله بن أحمد بن محمد بن أبي الفتح بن هاشم بن نصر الله بن أحمد الكافي السقلاقي . توفي سنة ٨٧٦ هـ (عن شذرات الذهب) .

قلت : وقد خرجنا عن المقصود في ترجمة الملك الظاهر بيبرس بالإطالة فيما ذكرناه، غير أن ذلك كله هو أيضا مما يُضاف إلى ترجمته ، ولا بأس بالإطالة مع تحصيل الفائدة ، ولنعُد إلى ذكر السلطان الملك الظاهر بيبرس .

- ثم أمر الملك الظاهر بأن يعمل بدمشق أيضا كذلك في سنة أربع وستين فوق ذلك، وولّى بها قضاة أربعة . ولما وقع ولايته القضاء من كلّ مذهب بدمشق (١) اتفق أنه كان لَقَبُ ثلاثة قضاة منهم شمس الدين، وهم : قاضى القضاة شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان الشافعى . وقاضى القضاة شمس الدين عبد الله بن محمد بن عطا الأدرعى الحنفى . وقاضى القضاة شمس الدين عبد الرحمن ابن الشيخ أبى عمر الحنبلى (٢) ؛ فقال بعض الشعراء رحمه الله في هذا المعنى :

- ١٠ أهل الشام استرابوا * من كثرة الحُكَّام
إذْهُمْ جميعاً شُمُوسٌ * وحائِمْ في ظلامٍ

وقال غيره :

بِدِمَشْقِ آيَةٌ قَدْ * ظهرت للناس عَلامًا
كَلِمًا وَلَوَّى شَمْسُ * قاضيا زادت ظلامًا

- ١٥ (١) هو قاضى القضاة شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم المعروف بابن خلكان المؤرخ المشهور .
سذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٨١ هـ . (٢) سذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٧٣ هـ .
(٣) هو قاضى قضاة دمشق شمس الدين أبو الفرج وأبو محمد عبد الرحمن بن أبى عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسى . سذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٨٢ هـ . (٤) في الأصلين :
« أبو عمرو » . والصحيح عن شذرات الذهب وتاريخ الدول والملوك لابن الفرات والسلوك وعيون التواريخ وما تقدم ذكره في حوادث سنة ٦٠٧ هـ . (٥) ذكر المؤلف هنا قاضى الشافعية والحنفية والحنبالية وترك قاضى المالكية قصدا لكونه لم يلقب بشمس الدين وهو رابعهم ، وهو عبد السلام بن على بن عمر بن سيد الناس أبو محمد الزوارى المالكى . سذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٨١ هـ . (عن المنهل الصافى والسلوك وعيون التواريخ) . (٦) رواية هذا البيت في المنهل الصافى وعيون التواريخ :
كَلِمًا أَزْدَادُوا شُمُوسًا * زادت الدنيا ظلامًا
وما أثبتناه عن المنهل الصافى وعيون التواريخ .

فتوحاته رحمه الله

ثم سافر الملك الظاهر من مصر إلى البلاد الشامية في هذه السنة (أعنى سنة أربع وستين) فخرج منها في يوم السبت مستهل شعبان ، وجعل نائبه بديار مصر ولده الملك السعيد ، وجعل الجيش في خدمته والوزير بهاء الدين بن حنّاء وسار الملك الظاهر حتى نزل عين جالوت وبعث عسكرياً مقدّمه الأمير جمال الدين أيدغديّ العززيّ ، ثم عسكرياً آخر مقدّمه الأمير سيف الدين قلاوون الألفي للإغارة على بلاد الساحل ، فأغاروا على عكا وصور وطرابلس وحصن الأكراد وسبّوا وغنموا مالا يَحصى ؛ ثم نزل الملك الظاهر بنفسه على صفد في ثامن شهر رمضان ، ونصب عليها المحانيق ، ودام الإهتمام بعمل الآلات الحربية إلى مستهل شوال شرع في الزحف والحصار وأخذ الثُغُوب من جميع الجهات إلى أن ملكها بكراً يوم الثلاثاء خامس عشر شوال ؛ واستمر الزحف والقتال ونصب السلام على القلعة وتسلمت عليها الثغوب ، والسلطان يَاشِر ذلك بنفسه ، حتى طلب أهل القلعة الأمان على أنفسهم وطلبوا اليمن على ذلك ، فأجلس السلطان الملك الظاهر الأمير كرمون^(١) [أغا] التتاريّ في دَسْت السلطنة ، وحضرت رُسُلُهُم فاستحلفوه لحلف^(٢) [لهم كرمون التتاريّ] وهم يظنونهم الملك الظاهر ، فإنه كان يُشبه الملك الظاهر . وكان في قلب الملك الظاهر منهم حرّازة ، ثم شَرَط عليهم ألا يأخذوا معهم من أموالهم شيئاً . فلما كان يوم الجمعة ثامن عشر شوال طلعت السناجق على قلعة صفد ، ووقف الملك الظاهر بنفسه على بابها وأخرج من كان فيها من الخيالة والرجالة والفلاحين ؛ ودخل الأمير بدر الدين بيليك الخازندار وتسلمها ، وأطلع على أنهم أخذوا شيئاً كثيراً من التحف

(١) الزيادة من السلوك (ص ٥٤٨) ونهاية الأرب (ج ٢٨ ص ٣٩) .

(٢) زيادة عن عيون التواريخ والسلوك .

- له قيمة، فأمر الملك الظاهر بضرب رقابهم فُضِرَت على تلِّ هناك، وكُتِبَت البشائر بهذا النصر إلى مصر والأقطار، وزُيِّنَت الديار المصرية لذلك. ثم أمر الملك الظاهر بعمارة قلعة صَفَد وتحصينها ونقل الذخائر إليها والأسلحة، وأزال دولة الكفر، منها، ولله الحمد، وأقطع بلدًا لمن رتبته لحفظها من الأجناد، وجعل مقدمهم الأمير علاء الدين الكبكي، وجعل في نيابة السلطنة بالمدينة الأمير عز الدين العَلَّاني، وولاية القلعة للأمير مجد الدين الطوري.

- ثم رحل الملك الظاهر إلى دِمَشق في تاسع عشر شوال. ولما كان الملك الظاهر نازلاً بصَفَد وصل إليه رسول صاحب صِهْيُون بهدية جليلة ورسالة مضمونها الاعتذار من تأخيرهِ عن الحضور، فقَبِلَ الملك الظاهر الهدية والعذر. ثم وصلت رُسُلُ صاحب سِيس أيضاً بهدية فلم يَقْبَلْها ولا سَمِعَ رسالتهم. ثم وصلت البريدية (٤) من متولِّي قُوص ببلاد الصَّعيد بنحبر أنه آسََتولى على جزيرة سواكن وأن صاحبها هَرَب، وأرسل يطلب من الملك الظاهر الدخول في الطاعة وإبقاء سواكن عليه، فرسم

(١) في الأصلين : «البكى» . وما أثبتناه عن التهج السديد وعيون التواريخ .

- (٢) في السلوك : « وفي سابع عشره رحل السلطان ... الخ » . (٣) سيس : عاصمة أرمينيا الصغرى (كلبيكية) وكانت مدينة كبيرة ذات أسوار، على جبل مستطيل ولها بساتين ونهر صغير، وهي الآن بلدة في جنوب آسيا الصغرى (أبو الفدا ص ٢٥٧ وفلسطين الإسلامية لاستراخ ص ٥٣٨ وقاموس الجغرافيا) . (٤) البريدية : نسبة إلى البريد . وقد أهتم بأمر البريد الملك الظاهر بيبرس لما ملك مصر والشام وحلَّ إلى القرات، وأراد تجهيز دولة إلى دِمَشق فعين لها نائباً ووزيراً وقاضياً وكاتباً للإنشاء، وكان صاحب شرف الدين أبو محمد عبد الوهاب كاتب الإنشاء، فلما مثل لديه ليودعه أوصاه بوصايا كثيرة أكدها مواصلة بالأخبار وما يتجدد من أخبار التار والفرنج، وقال له : إن قدرت ألا تبتنى كل ليلة إلا على خبر ولا تصبغنى إلا على خبر فافعل، ففرض له بما كان عليه البريد في الزمان الأول رأياً مخلصاً وعرضه عليه لحسن موقعه منه وأمر به . (راجع التصریف لابن فضل الله العمري ص ١٨٧) . (٥) سواكن : ميناء على البحر الأحمر، بينها وبين عطبرة التي على وادى النيل اتصال بالسكة الحديدية، وبينها وبين بربروكسلا طرق تجارية عظيمة، ولكن وجود بورسودان بالقرب منها قد أثر عليها . وبها تجارة واسعة .

له الملك الظاهر بذلك . ثم رحل الملك الظاهر من دمشق يوم السبت ثالث
 ذى القعدة وأمر العساكر بالتقدم إلى بلاد سبيس للإغارة عليها ، وقدم عليهم الملك
 المنصور صاحب حماة وتدير الأمور راجعاً إلى الأمير آق سنقر الفارقي^(١) ، فساروا
 حتى وصلوا إلى الدربند^(٢) الذي يدخلون منه إليها ، وكان صاحبها قد بنى عليها أبرجة
 فيها المقاتلة ؛ فلما رأوا العسكر تركوها ومضوا فأخذها المسلمون وهدموها ، ودخلوا
 بلاد سبيس فنهبوا وأسرُوا وقتلُوا ؛ وكان فيمن أسر ابن صاحب سبيس وابن أخته
 وجماعة من أكابرهم ، ودخلوا المدينة يوم السبت ثاني عشر ذى القعدة وأخذوا منها
 ما لا يحصى كثرة ، وعادوا نحو دمشق . فلما قاربوها خرج الملك الظاهر لتلقبهم
 في ثاني ذى الحجة ، وأجّاز بقارة^(٣) في سادسه ، فأمر بنهبها وقتل من فيها من الفرنج ،
 فأنهم كانوا يُخيفون السبيل ويستأسرون المسلمين ، فأراح الله منهم وجعلت كنيسة
 جامعا ، ورتب بقارة خطيبا وقاضيا ، ونقل إليها الرعية من المسلمين ؛ ثم ألتقى
 العساكر وخلص عليهم وعاد معهم ، فدخل دمشق ، والغنائم والأسرى بين يديه ، في يوم
 الاثنين خامس عشر شهر ذى الحجة فأقام بها مدة . ثم خرج منها طالبا الكرك في مستهل
 المحرم سنة خمس وستين وستمئة ، وأمر الملك الظاهر بعد خروجه من دمشق بعمارة جسر^(٤)

١٥ (١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٥٧ من هذا الجزء . (٢) في الأصلين : « وصلوا إلى
 الدرب » . وما أثبتناه عن حيون التواريخ . وراجع الحاشية رقم ٣ ص ٢٥٥ من الجزء السادس من
 هذه الطبعة . (٣) قارة : قرية كبيرة بين دمشق وحمص على نحو منتصف الطريق وهي منزلة
 للقوافل ، وغالب أهلها نصارى (عن تقويم البلدان لأبي الفدا إسماعيل) . (٤) في الأصلين :
 « يخافون السبيل » . والسياق يقتضى ما أثبتناه . (٥) في النهج السديد : « في خامس عشرين
 ذى الحجة » . (٦) هذا الحسرياق إلى يومنا هذا ، وقد تم بناؤه في سنة ٦٧١ هـ وكتب على
 العقد الأوسط فيه اسم المهندس الذي بناه بأمر بيبرس ولا تزال هذه الكتابة بخطها الثلث المين واضحة تقرأ
 في أربعة أسطر بحورها أسدان شعار الملك الظاهر ، ونصها كما يلي :
 "بسم الله الرحمن الرحيم وصلواته على سيدنا محمد وجميعه أجمعين" .

بِأَنْقُورَ عَلَى [نَهْرِ] الشَّرِيعَةِ ؛ وَكَانَ الْمُتَوَلَّى لِعِمَارَتِهِ جَمَالُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ نَهَارَ وَبَدْرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ رَحَالٍ وَهُمَا مِنْ أَعْيَانِ الْأُمَرَاءِ ؛ وَلَمَّا تَكَامَلَ عِمَارَتُهُ أَضْطَرَبَ بَعْضُ أَرْكَانِهِ ، فَتَقَلَّقَ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ لَذَلِكَ وَأَعَادَ النَّاسَ لِإِصْلَاحِهِ فَتَعَدَّرَ ذَلِكَ لَزِيَادَةِ الْمَاءِ ، فَاتَّفَقَ وَقُوفَ الْمَاءِ عَنْ جَرَّيَانِهِ حَتَّى أُمِكنَ إِصْلَاحُهُ ؛ فَلَمَّا تَمَّ إِصْلَاحُهُ عَادَ الْمَاءُ إِلَى حَالِهِ ؛ قِيلَ إِنَّهُ كَانَ وَقَعَ فِي النَّهْرِ قِطْعَةٌ كَبِيرَةٌ مِمَّا يُجَاوِرُهُ مِنَ الْأَمَاكِنِ الْعَالِيَةِ فَسَدَتْهُ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ . وَهَذَا مِنْ عَجِيبِ الْإِتِّفَاقِ .

ثُمَّ عَادَ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ إِلَى دِيَارِ مِصْرَ وَعِنْدَ عَوْدِهِ إِلَيْهَا وَصَلَ إِلَيْهِ رِسْلُ صَاحِبِ الْيَمَنِ الْمَلِكِ الْمُظْفَرِ^(٤) [شَمْسِ الدِّينِ] يَوْسُفَ بْنَ عَمْرِو وَمَعَهُمْ فِيلٌ وَحِمَارٌ وَحُشٌّ أَبْيَضٌ وَأَسْوَدٌ وَخِيُولٌ وَصِيْنِيٌّ وَنُحْفٌ ، وَطَلَبَ مَعَاضِدَةَ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ لَهُ وَشَرَطَ لَهُ أَنْ يُخْطَبَ لَهُ بِبِلَادِهِ . ثُمَّ خَرَجَ السُّلْطَانُ فِي يَوْمِ السَّبْتِ فِي ثَانِي جُمَادَى الْآخِرَةِ إِلَى بَرَكَةِ الْحَبِّ^(٥) .

عَازِمًا عَلَى قَصْدِ الشَّامِ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ ، وَجَعَلَ نَائِبُ السُّلْطَانَةِ عَلَى مِصْرَ الْأَمِيرَ يَزِيدَ بْنَ

== "أمر بعبارة هذا الجسر المبارك مولانا السلطان الأعظم الملك الظاهر ركن الدين بيبرس بن عبد الله" "في أيام ولده مولانا السلطان الملك السعيد ناصر الدين بركة خان أعز الله أنصارهما وغفر لهما وذلك" "بولاية البغد الفقير إلى رحمة الله علاء الدين على السوائي غفر الله له ولوالديه في شهر رمضان سنة إحدى وسبعين وستمائة" .

١٥

راجع المحلة الأسبوعية في الصورة والمقال الذي كتبه كيلر مونت جانوس سنة ١٨٨٨ م ص ٣٠٥ . وقد رسم السلطان بيئاته في سنة ٦٦٤ هـ على النهر الذي يشق غور الشام ويسمونه بالشرية وهو بقرب دامية فجا بينها وبين فراوى . (١) زيادة عن عيون التواريخ .

(٢) في الأصلين هنا : « بهادر » . وراجع الحاشية رقم ٢ ص ١٢١ من هذا الجزء .

(٣) الذي يفهم من عبارة المؤلف أن رسل صاحب اليمن وصلوا سنة ٦٦٥ هـ . ويفهم من عبارة عيون التواريخ أنه دخل القاهرة في شهر ربيع الأول سنة ٦٦٥ هـ ، وأن وصول رسل صاحب اليمن الملك المظفر كان في سنة ٦٦٦ هـ . (٤) هو الملك المظفر شمس الدين أبو الحسن يوسف ابن السلطان الملك المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول . سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٩٤ هـ .

(٥) في الأصلين : « إلى بركة الحبش » وهو خطأ ، وتصحيحه عن عيون التواريخ . وراجع الحاشية

٢٥

رقم ١ ص ١٨ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

الخازندار ، ورحل في سابع الشهر ، فوردت عليه رسل صاحب يافا في الطريق فأعتقلهم ، وأمر العسكر بلبس آلة الحرب ليلا وسار فأصبح يافا ، وأحاط بها من كل جانب ، فهرب من كان فيها من الفرنج إلى قلعتها ، فلما كان السلطان المدينة وطلب أهل القلعة الأمان ، فأمّنهم وعوّضهم عما نهب لهم أربعين ألف درهم ، فركبوا في المراكب إلى عكا ، وكان أخذ قلعة يافا في الثاني والعشرين من الشهر المذكور . وأمر بهدمها ؛ فلما فرغ السلطان من هدمها رحل عنها يوم الأربعاء ثاني عشر شهر رجب طالبا للثقيف ، فقتل عليه يوم الثلاثاء وحاصرها حتى تسلمها يوم الأحد تاسع عشرين رجب ؛ وكان الملك الظاهر أيضا ملك الباشورة بالسيف في السادس والعشرين منه ؛ ثم رحل الملك الظاهر عنها بعد أن رتب بها عسكرا في عاشر شعبان ، وبعث أكثر أنقائه إلى ديمشق وسار إلى طرابلس فشق عليها الغارة وأخرب قراها وقطع أشجارها وغور أنهارها . ثم رحل إلى حصن الأكراد ونزل بالمرج الذي تحته ، فحضر إليه رسول من فيه بإقامة وضيافة ، فردّها عليه وطلب منهم دية رجل من أجناده ، كانوا قتلوه ، مائة ألف دينار فارضؤوه . فرحل إلى حصن ثم إلى حماة ثم

(١) كذا في الأصلين والنهج السديد . وفي السلوك : « يوم الأربعاء تاسع عشر شهر رجب » . وكلتا الروايتين غير صحيحة لأنه يتعين أن أول رجب يوم الأحد حيث إن يوم التاسع والعشرين منه يوم الأحد ، كما يفهم من كلام المؤلف ومن النهج السديد في أول جمادى الآخرة . (٢) الثقيف : شقيق أرفون من أعمال دمشق بينها وبين الساحل بالقرب من بانياس ، وأرفون هذا اسم أعجمي نسبت إليه ، وهي قلعة حصينة على نهر ليطلة . وقد استعمل الظاهر في الاستيلاء عليها حيلة غريبة ذكرها صاحب نهاية الأرب (ج ٢٨ ص ٩٢ — ٩٣) وابن أبي الفضايل في النهج السديد ص ١٦٤ . وراجع هامش السلوك ص ٥٦٥ . وفلسطين الإسلامية لاسترانج (ص ٥٣٤ — ٥٣٥) . (٣) في الأصلين : « المساورة » . والتصحیح : « هامش السلوك ص ٥٦٥ والنهج السديد » . وراجع الحاشية رقم ٢ ص ١٩ من الجزء الرابع من هذه الطبعة . (٤) عبارة الأصلين : « ثم رحل ونزل على حصن الأكراد تحت البرج الذي للحصن » . وما أثبتناه من عيون التواريخ . وحصن الأكراد : من أعمال حصن وهو قلعة حصينة مقابل حصن من غربا على الجبل المتصل بجبل لبنان ولها ريف ، وكانت مقر ولاية النبطية قبل فتح طرابلس وهي على مرحلة من حصن وكذلك عن طرابلس وهي بين حصن وطرابلس . (تقويم البلدان ص ٢٥٨) .

- (١) إلى أَفَامِيَّة ثم سار ونزل منزلة أخرى؛ ثم رحل ليلاً وأمر المسكر بلئس آلة الحرب، ونزل أنطاكية في غرة شهر رمضان، فخرج إليه جماعة من أهلها يطلبون الأمان وشرطوا شروطاً لم يُجب إليها، وزحف عليها فلحقها يوم السبت رابع الشهر؛ ورُتب على أبوابها جماعة من الأمراء لئلا يخرج أحد من الخوفاشة بشيء من النهب، ومن يوجد معه شيء يؤخذ منه، فجمع من ذلك ما أمكن جمعه وفزقه على الأمراء والأجناد بحسب مراتبهم. وحُصر من قُتل بأنطاكية فكانوا فوق الأربعين ألفاً، وأُطلق جماعة من المسلمين كانوا فيها أسرى من الحليين، وكتب البشائر بذلك إلى مصر وإلى سائر الأقطار. وأنطاكية: مدينة عظيمة مشهورة، مسافة سورها اثنا عشر ميلاً، وعدد أبراجها مائة وستة وثلاثون برجاً، وعدد شرفاتها أربع وعشرون ألفاً. ولم يفتحها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب — رحمه الله — فيما فتح. (٢)

قلت : كم ترك الأول للآخر !

ولما ملك الملك الظاهر أنطاكية وصل إليه قُصَاد من أهل القَصِير يطلبون تسليمها إليه، فسير السلطان الأمير شمس الدين آق سنقر الفارقي بالعساكر إليها فوصلها

- (١) أفامية : مدينة حصينة في ساحل الشام وكورة من كور حمص . ويسمى بعضهم « فامية » بغير همز (عن معجم البلدان لياقوت) . (٢) كان بجيوند صاحب طرابلس وأنطاكية قد كثرت قديمه على بلاد الإسلام . وأخذ البلاد المجاورة له بعد زوال الأيام الناصرية (صلاح الدين يوسف) وكان من أكبر أعوان التتار، فلما وصل السلطان القاهرة إلى الشقيف طالباً أنطاكية وهرجوني الطرقات . ولم يمنع ذلك السلطان من الإغارة على أنطاكية ، فأغار عليها في مستهل رمضان ثم ملكها يوم السبت رابع الشهر كما في الأصلين . وكتب إلى بجيوند بخبر هذا الفتح وهو في طرابلس كتاباً كله تقريع وتهكم . راجع نص الكتاب في نهاية الأرب ص ٩٤ — ٩٥ من الجزء ٢٨ . وفي الصفحات ٩٦ — ٩٨ فذلك تاريخية ٢٠ عن أنطاكية فراجع هناك ، وانظر السلوك ص ٥٦٧ — ٥٦٨ (٣) يريد به حصن القصير وهي قلعة حصينة من فلاح حلب (ياقوت ج ٥ ص ٢٧) . وبعبارة عيون التواريخ والنهج السديد : « وصل إليه قُصَاد من بفراس يطلبون تسليمها إليه فسير الأمير شمس الدين الفارقي بالعساكر فوصل إليها وتسلمها . وصالح القصير على مناصفته ومناصفة الفلاح المجاورة له » .

ووجد أكثر أهلها قد برح منها، فقسّمها في ثالث عشر شهر رمضان؛ وكان قد تسلم دركوش^(١) بواسطة نحر الدين الجناحي في تاسع شهر رمضان وعاد إلى دمشق، فدخلها في سابع عشرين شهر رمضان، وعيّد السلطان بقلعة دمشق. ثم عاد إلى القاهرة فدخلها آخر نهار الأربعاء حادى عشر ذى الحجة. وبعد وصوله بمدة جلس في الإيوان بقلعة الجبل يوم الخميس تاسع صفر^(٢)، وأحضر القضاة والشهود والأعيان وأمر بتخليف الأمراء ومقدمى الحلقة لولده الملك السعيد بركة خان^(٣) [بولاية عهده وخليفته من بعده] فخلّفوا. ثم ركب الملك السعيد يوم الاثنين العشرين من الشهر بأبهة السلطنة في القلعة ومثنى والده أمامه، وكُتِبَ تقليد^(٤) [له] وقُرئ على الناس بحضور الملك الظاهر وسائر أرباب الدولة.

ثم في يوم السبت ثانى عشر جمادى الآخرة خرج الملك الظاهر من القاهرة متوجّهاً إلى الشام ومعه الأمراء بأمرهم جرائد، وأستتاب بالديار المصرية في خدمة ولده الأمير بدر الدين بيلىك الخازندار. ومن هذا التاريخ علّم الملك السعيد على التواقيع وغيرها: ولما صار الملك الظاهر بدمشق وصلت إليه كتب التتار ورسُلهم، والرسل: محب الدين دولة خان، وسيف الدين سعيد ترجمان وآخر، ومعهم جماعة من أصحاب سبيس، فأنزله السلطان بالقلعة وأحضرهم من الفد وأدوا الرسالة

(١) دركوش: حصن قرب أنطاكية من أعمال المواسم (عن معجم البلدان لياقوت). (٢) في عيون التواريخ: «في يوم الخميس سادس صفر» من سنة ٦٦٧ هـ. (٣) زيادة عن عيون التواريخ. (٤) أورد التويرى في نهاية الأرب في الجزء الثامن والعشرين نص هذا التقليد، وذكر أنه من إنشاء وخط المولى نحر الدين بن لقمان. وأوله: «الحمد لله الذى أبزل العطاء والمواهب... الخ». راجع هذا التقليد في لورحقى ٦٨، ٦٩ من الجزء المذكور. (٥) في الأصلين: «في يوم السبت ثالث جمادى الآخرة». وتصحيحه عن السلوك وما يفهم من التوفيقات الإلهامية لمختار باشا. (٦) في الأصلين: «ولما سار» بالسين.

(١) ومضمونها : أن الملك أَبَا بَنٍ هولا كَوَلَّمَ أخرج من الشرق مَلَك جميع البلاد ومن خالفه قُتِل وأنت (يعني لملك الظاهر) لو صَعِدْتَ إلى السماء أو هَبَطْتَ إلى الأرض ما تَخَلَّصْنَا ، فالمصلحة أن تجعل بيننا صلحاً ، وأنت مملوكٌ أُبِعْتَ في سيواس فكيف تتشاقق ملوك الأرض وأولاد ملوكها ! فأجابه في وقته بأنه في طلب جميع ما استولوا عليه من العراق والجزيرة والروم والشام وسفرهم إليه بسرعة . ثم في آخر شهر رجب خرج الملك الظاهر من دِمَشْق ونزل خَرِيبَةَ اللصوص فأقام بها أياماً ، ثم ركب ليلة الاثنين ثامن عشر شعبان ولم يشعر به أحد وتوجه إلى القاهرة على البريد بعد أن عزف الفارقي أنه يغيب أياماً معلومة ، وقرر معه أنه يُحْضِر الأطباء كلَّ يوم ويستوصف منهم ما يُعَالَج به متوَعِّكٌ يشكو تغيُّر مِرَاجِه ، ليُؤم الناس أن الملك الظاهر هو المتوَعِّك ؛ فكان يُدْخِل ما يصفونه إلى الخِجْمَةِ ليُؤم العسكر صحَّة ذلك ، وسار الملك الظاهر حتى وصل قلعة الجبل ليلة الخميس حادى عشرين شعبان ، فأقام بالقاهرة أربعة أيام ؛ ثم توجه ليلة الاثنين خامس عشرين الشهر على البريد ، فوصل إلى العسكر يوم تاسع عشرين الشهر . وكان غرضه بهذا السَّفر كشف أحوال ولده الملك السعيد وغير ذلك . ثم في يوم الأحد سادس عشر شهر رمضان

(١) رواية السلوك (ص ٥٧٤) وعيون السوارنج هكذا : « إن الملك أبنا لما خرج من الشرق تملك جميع العالم وما خالفه أحد ، ومن خالفه هلك وقتل ، فأتت لو صعدت إلى السماء أو هبطت إلى الأرض ما تحصلت منا ، فالمصلحة أن تجعل بيننا صلحاً » . وكان في المشاهدة : « أنت مملوك وأبعت في سيواس ، فكيف تتشاقق الملوك ملوك الأرض ؟ » (٢) أبنا (أو أبناغا) هو ابن هولا كوتول بعد أبيه في شهر ربيع الأول سنة ٦٦٣ هـ . وكانت هولا كوتول عدا أبناغا المذكور سنة عشر ولدا ذكورا (السلوك ص ٥٤١) . (٣) راجع الحاشية رقم ٦ ص ٣٠٦ من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٤) في الأصلين : « ما يوصفوا به » . (٥) في الأصلين والسلوك : « يوم الأحد سادس عشرين شهر رمضان » وتصحيحه عن التوقيعات الإلهامية وما سيأتى بعد قليل للزلف .

تسلم تواب الملك الظاهر قلعة بلاطنس^(١) وقلعة كرايل من عز الدين أحمد بن مظفر^(٢)
الدين عثمان بن منكورس صاحب صهيون^(٣)، وعوضه غيرهما قرية تعرف بالخميلة من^(٤)
أعمال شيزر^(٥). ثم في يوم الخميس العشرين من شهر رمضان توجه الملك الظاهر إلى
صق فاقام بها يومين ثم شق الغارة على بلد صور، وأخذ منها شيئاً كثيراً. ثم عاد
الملك الظاهر إلى دمشق وعيد بها^(٦). ثم خرج منها في خامس عشرين شوال يريد
الكرك فوصله في أوائل ذى القعدة. ثم توجه في سادسه إلى الحجاز، وصحبته يسيليك
الحازن دار والقاضي صدر الدين سليمان الحنفى ونفر الدين إبراهيم بن لقمان وتاج الدين
ابن الأثير ونحو ثمانية مملوك وجماعة من أعيان الحلقة، فوصل المدينة الشريفة
في العشر الأخير من الشهر فاقام بها ثلاثة أيام^(٧)، وكان جمار قد طرق المدينة وملكها،
فلما قدم الظاهر هرب، فقال الملك الظاهر: لو كان جمار يستحق القتل ماقتله!
لأنه في حرم النبي صلى الله عليه وسلم، ثم تصدق في المدينة بصدقات كثيرة، وخرج
منها متوجهاً إلى مكة فوصلها في ثامن ذى الحجة، فخرج إليه أبو نعيم وعمه إدريس
صاحباً مكة، وبذل له الطاعة فخلع عليهما وساراً بين يديه إلى عرفات، فوقف بها
يوم الجمعة ثم عاد إلى مئى، ثم إلى مكة وطاف بها طواف الإفاضة، وصعد الكعبة

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٤٠ من الجزء السادس من هذه الطبعة. (٢) بحثنا عن هذه
القلعة في المصادر التي تحت أيدينا فلم نهند إليها. (٣) في الأصلين: «مظفر الدين حماد».
والصحيح من عيون التواريخ وتاريخ أبي القدا. (٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ٤٠ من الجزء
السادس من هذه الطبعة. (٥) أطلعنا البحث عن هذا المكان في المصادر التي تحت يدا فلم نوفق
لعثور عليه. (٦) شيزر: (فتح الشين المعجمة وسكون اليا). مدينة من جند حمص غربي
حلب، وهي ذات أشجار في بساتين وفواكه كثيرة، ولها ذكر في شعر أرمئ القيس (صبح الأعشى ج ٤
ص ١٢٣ وتقوم البلدان ص ٢٦٣). (٧) جارة عيون التواريخ: «وعيد الملك الظاهر
بالجاية ثم رحل إلى القواد وأقام به إلى خامس عشرين شوال ثم توجه إلى الكرك».
(٨) هو جمار بن شيعة بن هاشم بن قاسم بن مهنا بن حسين بن مهنا بن الحسين الأصغر. توفي
سنة ٥٧٠ هـ. وقد ضبطت كتبنا جمار وشيعة بالعبارة في المنهل الصافي.

- وغسلها بماء الورد وطيبها ببيده، وأقام يوم الاثنين ثم ركب وتوجه إلى المدينة الشريفة، فزار بها قبر النبي صلى الله عليه وسلم ثانيا . ثم توجه إلى الكرك فوصله في يوم الخميس تاسع عشرين ذى الحجة فصلّى به الجمعة . ثم توجه إلى دمشق فوصل يوم الأحد ثاني المحرم سنة ثمان وستين وستمائة في السحر، فخرج الأمير جمال الدين آقوش فصادفه في سوق الخيل واجتمع به . ثم سار إلى حلب فوصلها في سادس المحرم ؛ ثم خرج منها في عاشره وسار إلى حماة ثم إلى دمشق ثم إلى مصر، وصحبته الأمير عز الدين الأقرم فدخلها يوم الأربعاء رابع صفر، وآتفق ذلك اليوم دخول ركب الحاج، وكانت العادة يوم ذاك بدخول الحاج إلى القاهرة بعد عاشر صفر، فأقام الملك الظاهر بالقاهرة أياما، وخرج منها في صفر المذكور إلى الإسكندرية ومعه ولده الملك السعيد وسائر الأمراء فنصّب أياما وعاد إلى نحو القاهرة في يوم الثلاثاء ثامن شهر ربيع الأول ، وخلع في هذه السفرة على الأمراء وفزق فيهم الخيل والحواسن الذهب والسيوف المحلاة والذهب والدرهم والقماش وغير ذلك، فلم يُقيم بالقاهرة إلا مدة يسيرة ، وخرج منها متوجّها إلى الشام في يوم الاثنين حادى عشرين شهر ربيع الأول في طائفة يسيرة من أمرائه وخواصه، فوصل إلى دمشق في يوم الثلاثاء سابع شهر ربيع الآخر، ولقي أصحابه في الطريق مشقة شديدة من البرد . ثم خرج عقيب ذلك إلى الساحل وأسرمك عكا ؛ وقتل وأسروسي . ثم

(١) في الأصلين : « وعاد إلى حماة » . وما أثبتناه عن عيون التواريخ .

(٢) في التوفيقات الإلهامية أن أول صفر من هذه السنة كان يوم الاثنين .

(٣) في الأصلين : « الثلاثاء سابع عشر شهر ربيع الآخر » . والتصحيح عن السلوك وما يفهم من سياق

كلام المؤلف فيا تقدّم . (٤) عبارة عيون التواريخ : « وخيم على الزينية وبلغه أن ابن

أخبت زيتون خرج من عكا، فساق الملك الظاهر بعد ما عرف عسكر دمشق فصادف ابن أخت زيتون قد خرج فالتفاه وكره وأسأسره وجاعة من أصحابه » .

قصد الغارة على المرقب فوجد من الأمطار والثلوج ما منعه، فرجع إلى حصن فأقام
 بها نحو عشرين يوما . ثم خرج إلى جهة حصن الأكراد ونزل تحتها، وأقام يركب
 كل يوم ويعود من غير قتال إلى الثامن والعشرين من شهر رجب، فبلغه أن
 مراكب الفرنج دخلت ميناء الإسكندرية وأخذت مركبين للمسلمين، فرحل من فوره
 إلى نحو الديار المصرية فوصلها ثاني عشر شعبان، فحين دخوله إلى مصر امر بجماعة
 القناطر التي على بحر أبي المنجا^(٤)، وهي من المباني العجيبة في الحسن والإتقان؛ وبينما
 هو في ذلك ورد عليه البريد من الشام أن الفرنج قاصدون الساحل، والمقدم عليهم

(١) المرقب: بلد وقعة حصينة حسة البناء تشرف على ساحل بحر الشام وبنياس اسم لبلدتها وبينهما
 قريب من فرسخ (من معجم البلدان لياقوت وتقيوم البلدان) . (٢) راجع الحاشية رقم ٤
 ص ١٤٢ من هذا الجزء . (٣) في الأصلين: «وأخذت المسلمون منهم مركبين». والتصحيح
 من ميوزن التواريخ وعقد الجمان . (٤) بحر أبي المنجا: يستفاد مما ورد في الجزء الخامس من كتاب
 الانتصار لابن دقاق ص ٤٦ عند الكلام عن سواق بحر أبي المنجا، وما ورد في الجزء الثاني ص ١٥١
 من الخطط المقرية عند الكلام على قناطر أبي المنجا: أن هذا البحر أنشأه أمير الجيوش الأفضل
 شاهنشاه وقت وزارته للخليفة الأمر بأحكام الله منصور بن أحمد الفاطمي في سنة ٥٠٦ هـ، تحت
 إشراف أبي المنجا يسعيا اليهودي الذي كان مشرفا على أعمال الري في ذلك الوقت، ولذلك عرف البحر
 باسم أبي المنجا .

وأقول بعد الاطلاع على ما ورد في كتابي وقف الملك الأشرف برسبای والملك الأشرف قايتباي وعلى
 ما ورد بخصوص عمارة قنطرة بحر أبي المنجا عند شين القناطر (ص ١٦٨ ج ١) من كتاب تاريخ مصر
 لابن إياس تبين لي من هذا ومن البحث أن بحر أبي المنجا هو الذي يعرف اليوم بترعة الشرفاوية من فيها
 القديم إلى شين القناطر ثم يسير باسم بحر أبي الأخضر إلى نهايته بترعة الروادي . وفي سنة ١٢٤٨ هـ .
 أنشئ فم جديد لترعة الشرفاوية بدل الفم القديم الذي أصبح خاصا بتغذية الترعة التي تعرف اليوم بترعة
 أبي المنجا لأنها فرع من فم القديم بالقرب من باسوس بمركز قلوب إلى ناحية سنديون .

وأما القناطر التي أنشأها الملك الظاهر بيبرس على هذا البحر في سنة ٦٦٥ هـ فلا تزال موجودة إلى اليوم وقد
 شاهدها واقعة غربي سكن ناحية ميتة بمركز قلوب، وبسبب تغير مجرى بحر أبي المنجا عند هذه القناطر وتركها
 بغير استعمال طمت عيوبها حتى أصبحت قائمة على أرض زراعية، ولا تزال هذه القناطر العظيمة ببنائة إحارة
 حفظ الآثار العربية حافظا لشكلها ومزينة بعدة من صور السباع التي هي ذلك (شعار) منشأه، رحمه الله .

- (١) شارل أخو ريدا فرنس ، وربما كان عظمهم عكاً؛ فتقدم الملك الظاهر إلى العسكر بالتوجه إلى الشام . ثم ورد الخبر أيضاً بأن أثنى عشر مرتباً للفرنج عبروا على الإسكندرية ودخلوا ميناءها وأخذوا مربكاً للتجار وأسأصلوا ما فيه وأحرقوه ، ولم يتحسر والى الإسكندرية أن يخرج الشوانى من الصناعة لثنية رئيسها في مهم استدعاه الملك الظاهر بسببه . ولما بلغ الملك الظاهر ذلك بعث امرأ بقتل الكلاب في الإسكندرية وألا يفتح أحد حانوتاً بعد المغرب ولا يؤقد ناراً في البلد ليلاً ، ثم تجهز بسرعة وخرج نحو دمياط يوم الخميس خامس ذى القعدة في البحر . وفي ذى الحجة أمر السلطان بعمل جسرين : أحدهما من مصر إلى الجزيرة (أغنى الروضة) ، والآخر من الجزيرة إلى الجزيرة على مراكب لتجوز العساكر عليهما . ثم عاد الملك الظاهر من دمياط بسرعة ولم يلق حرباً ؛ وخرج من مصر إلى عسقلان في يوم السبت عاشر ١٠ صفر سنة تسع وستين وستمئة في جماعة يسيرة من الأمراء والأجناد ، فوصل إلى عسقلان وهدم من سورها ما كان أهمل هدمه في أيام الملك الصالح ، ووجد فيها هدم كيزان مملوءان ذهباً مقدار ألفى دينار ففزعها على من صحبه ، وورد عليه الخبر وهو بعسقلان بأن عسكر ابن أمى بركة خان المغلى كسر عسكر أبقا بن هولاكو ، فمضى الملك الظاهر بذلك سروراً زائداً . وعاد إلى مصر يوم السبت ثامن شهر ١٥ ربيع الأول . وفي هذه السنة انتهى الجسر والقناطر الذى عمل على بحر أبى المنجا ، ووقف عليه الملك الظاهر وفقاً يعمر منه ما دثر منه على طول السنين . وفي هذه
- (١) في الأصلين : « شرون » . وما أثبتناه عن هامش السلوك (ص ٥٠٢) وهو شارل ملك صقلية أخو لويس التاسع ، وهو الذى تولى قيادة الجيوش في الحملة الصليبية الثامنة بعد وفاة أخيه لويس التاسع (ريدا فرنس) ملك فرنسا ، غير أن القائد الجديد أنصرف عن غرض الحملة إلى ما تطلبت مصالح مملكته الصقلية . (٢) هو الذى أسرى وقبضه دمياط وجن بدرا بن لقمان ، وراجع الحاشية رقم ١ ص ٣٦٦ من الجزء السادس من هذه الطبعة .
- (٣) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٢٠ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

السنة أيضا بنى الملك الظاهر جامع المنشية^(١)، وأقيمت فيه الخطبة يوم الجمعة^(٢) ثامن عشرين شهر ربيع الآخر من سنة تسع وستين وستمائة المذكورة . ثم في السنة المذكورة أيضا خرج الملك الظاهر من الديار المصرية متوجها إلى نحو حصن الأكراد في ثاني عشر جمادى الآخرة، ودخل دمشق يوم الخميس ثامن شهر رجب، وكان معه في هذه السفرة ولده الملك السعيد والصاحب بهاء الدين بن حنا، وأستخلف بمصر الأمير شمس الدين آقسنقر الفارغانى^(٣)، وفي الوزارة الصاحب تاج الدين ابن حنا . ثم خرج الملك الظاهر من دمشق في يوم السبت عاشره وتوجه بطائفة من العسكر إلى جهة، وولده وبيليك الخازندار بطائفة أخرى إلى جهة، وتواعدوا الاجتماع في يوم واحد بمكان معين^(٤) ليشتوا الغارة على جبلة^(٥) والأذقية^(٦) والمرقب^(٧) وعرة^(٨) ومريقة^(٩) والقليعات^(١٠) وصافينا^(١١) والمجدل وأنظرطوس، فلما اجتمعوا [على] أن يشتوا الغارة فتحوا صافينا والمجدل، ثم ساروا ونزلوا حصن الأكراد يوم الثلاثاء^(١٢) تاسع عشر شهر رجب من سنة تسع وستين وستمائة، وأخذوا في نصب المجانيق وعمل

(١) جامع المنشية، ذكر ابن دقاق في ص ١١٩ من الجزء الرابع من كتاب الانتصار أن هذا الجامع أنشأه الملك الظاهر بيبرس في سنة ٦٧١ هـ بمنشأة المهراني . وأقول: إن هذا الجامع كان واقعا في الأرض الواقعة على شارع قصر العيني تجاه معهد ومستشفى الكلب من الجهة الشرقية بقرب فم الخليج، وقد اندثر وليس له أثر اليوم . (٢) في التوفيقات الإلهامية أن أول ربيع الآخر من هذه السنة كان يوم الاثنين . (٣) راجع الحاشية رقم ٦ ص ٣٨ من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٤) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٠٥ من هذا الجزء . (٥) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٤٨ من هذا الجزء . (٦) راجع الحاشية رقم ٥ ص ١٩ من الجزء الرابع من هذه الطبعة . (٧) مريقة : قلعة في سواحل حصن (عن معجم البلدان لياقوت) . (٨) القليعات وصافينا والمجدل : فلاح من حصن الأكراد (راجع خريطة كتاب الصليبيون في المشرق لاستنق سوف طبع كبريدج سنة ١٩٠٧ م) . (٩) في الأصلين : « وصافينا » بالهاء المثناة . وما أثبتناه عن عيون التواريخ والنهج السديد وتاريخ الدول والملوك لابن القرات . (١٠) راجع الحاشية رقم ١ ص ١١٣ من الجزء الخامس من هذه الطبعة . (١١) في عقد الجبلان : « ونزلوا على حصن الأكراد في تاسع شهر شعبان من هذه السنة » .

- (١) السَّيْر، ولهذا الحصن ثلاثة أسوار ؛ فاشتدَّ عليه الزحف والقتال وفتحت الباشورة الأولى يوم الخميس حادى عشرين الشهر ، وفتحت الثانية يوم السبت سابع شعبان ، وفتحت الثالثة الملاصقة للقلعة في يوم الأحد خامس عشره ، وكان المحاصر لها الملك السعيد ابن الملك الظاهر ومعه يبيك الخازندار وبيسى ، ودخلت العساكر البلد بالسيف وأسروا من فيه من الجليية والفلاحين ثم أطلقوهم . فلما رأى أهل القلعة ذلك أذعنوا بالتسليم وطلبوا الأمان ، فأمنهم الملك الظاهر وتسلم القلعة يوم الاثنين ثالث عشرين شعبان ، وكُتبت البشائر بهذا الفتح إلى الأقطار ، وأطلق الملك الظاهر من كان فيها من الفرنج فوجهوا إلى طرابلس . ثم رحل الملك الظاهر بعد أن رتب الأمير عز الدين أيبك الأقرم لعمارتها ، وأقيمت فيه الجمعة ، ورتب نائبها وقاضياً . ولما وقع ذلك بعث صاحب أنطربطوس إلى الملك الظاهر يطلب المهادنة ، وبعث إليه بمفاتيح أنطربطوس فصالحه على نصف ما يتحصل من غلال بلده ، وجعل عندهم نائباً من قبله . ثم صالح صاحب المرقب على المناصفة أيضاً ، وذلك في يوم الاثنين مستهل شهر رمضان من سنة تسع وستين ، وقررت الهدنة عشرين وعشرة أشهر وعشرة أيام .
- ١٥ ثم سار الملك الظاهر في يوم الأحد رابع عشر شهر رمضان فأشرف على حصن ابن عكَّار ، وعاد إلى المَرج فأقام به إلى أن سار ونزل على الحصن المذكور ثانياً (٢) في يوم الاثنين ثاني عشرين شهر رمضان ، ونصب المجانيق عليه في يوم الثلاثاء ،

(١) في الأصلين : « وعمل الباسير » وما أتينا من عيون التواريخ والنهج السديد .

(٢) في الأصلين : « يوم الاثنين خامس عشرين شعبان » والتصويب عما تقدم وما سيأتى ذكره للؤلؤف .

(٣) في الأصلين : « على حصن من عكا » . وصوابه عن عيون التواريخ ونهاية الأرب والسلوك والنهج السديد . وهو حصن منى على جبل يسمى بنفس الاسم وموقعه شمال طرابلس . ويسمى أيضاً حصن عكار . انظر هامش السلوك (ص ٥٩٢) . (٤) المراد به مخرج صافيتا كما في عيون التواريخ .

وفي يوم الأحد ثامن عشرين رمى المنجنيق الذي قُبالة الباب الشرق رَمِيًّا كَثِيرًا
نَحَسَفَ خَسَفًا كَبِيرًا إِلَى جَانِبِ الْبَدَنَةِ ، وَدَامَ ذَلِكَ إِلَى اللَّيْلِ فَطَلَبُوا الْأَمَانَ عَلَى
أَنْفُسِهِمْ مِنَ الْقَتْلِ وَأَنْ يَمَكِّنَهُمْ مِنَ التَّوَجُّهِ إِلَى طَرَابُلُسَ فَأَجَابَهُمْ ، فَخَرَجُوا يَوْمَ
الثَّلَاثَاءِ سَلَخَ الشَّهْرَ ، وَكُتِبَتْ الْبَشَائِرُ بِالْفَتْحِ وَالنَّصْرِ إِلَى سَائِرِ الْأَقْطَارِ . ثُمَّ فِي يَوْمِ
السَّبْتِ رَابِعِ شَوَّالٍ خَيَّمَ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ بِعَسَاكِرِ [هـ] عَلَى طَرَابُلُسَ فَسَيَّرَ صَاحِبَهَا
إِلَيْهِ يَسْتَعِظُفُهُ فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ [فَارِسَ الدِّينَ] الْأَتَاكَ [و] سَيْفَ الدِّينِ
[بُلْبَانَ] ^(٣) الرُّومِيَّ عَلَى أَنْ يَكُونَ لَهُ مِنْ أَعْمَالِ طَرَابُلُسَ نِصْفٌ بِالسُّوِيَّةِ ، وَأَنْ يَكُونَ لَهُ دَارُ
وَكَالَةٍ فِيهَا ، وَأَنْ يُعْطَى جَبَلَةٌ وَاللَّادِيقَةُ بِخُرَاجِهِمَا مِنْ يَوْمِ خُرُوجِهِمَا عَنِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ
إِلَى يَوْمِ تَارِيخِهِ ، وَأَنْ يُعْطَى نَفَقَاتِ الْعَسَاكِرِ مِنْ يَوْمِ خُرُوجِهِ ؛ فَلَمَّا عَلِمَ الرِّسَالَةَ عَزَمَ
عَلَى الْقِتَالِ وَحَصَّنَ طَرَابُلُسَ ، فَنَصَّبَ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ الْمَجَانِيقَ ؛ ثُمَّ تَرَدَّدَتِ الرُّسُلُ
ثَانِيًا وَتَقَرَّرَ الصَّلْحُ أَنْ تَكُونَ عِرْقَةٌ وَجَبَلَةٌ وَأَعْمَالُهَا لِلْبُرْنَسِ صَاحِبِ طَرَابُلُسَ ، وَأَنْ
يَكُونَ سَاحِلُ ^(٦) أَنْطَرطُوسَ وَالْمَرْقَبِ وَبَانْيَاسَ وَبِلَادَ هَذِهِ النُّوَاحِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ الدَّوَاوِيَّةِ ،
وَالَّتِي كَانَتْ خَاصَالَهُمْ ، وَهِيَ بَارِينٌ وَنَحْصُ الْقَدِيمَةِ تَعُودُ خَاصَا لِلْمَلِكِ الظَّاهِرِ ، وَشَرَطَ
أَنْ تَكُونَ عِرْقَةٌ وَأَعْمَالُهَا ، وَهِيَ سِتٌّ وَنَحْسُونُ قَرْيَةٍ ، صِدْقَةٌ مِنَ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ عَلَيْهِ ،
فَتَقَوَّفَ صَاحِبُ طَرَابُلُسَ وَأَنْفَ ؛ فَلَمَّا بَلَغَ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ أَمْتِنَاعَهُ صَتَمَ عَلَى مَا شَرَطَ
عَلَيْهِ حَتَّى أَجَابَهُ ، وَعُقِدَ الصَّلْحُ بَيْنَهُمَا مَدَّةَ عَشْرِ سِنِينَ وَعَشْرَةَ أَشْهُرَ وَعَشْرَةَ أَيَّامَ .

(١) فِي الْأَصْلِينَ : « وَفِي يَوْمِ الْأَحَدِ خَامِسَ عَشْرِينَ » وَهُوَ خَطَأٌ وَتَصْحِيحُهُ عَنِ النَّهْجِ السَّيِّدِ
وَمَا تَقْدَمُ وَمَا سِيَّاقُ ذِكْرِهِ لِلْوَلَفِ . (٢) يَرِيدُ الْأَبْرَسَ صَاحِبَ طَرَابُلُسَ كَافِيَ النَّهْجِ السَّيِّدِ
وَمَا سِيَّاقُ بَعْدَ قَلِيلٍ ذِكْرُهُ لِلْوَلَفِ . (٣) زِيَادَةٌ عَنِ النَّهْجِ السَّيِّدِ . (٤) التَّكْلَةُ عَنْ عِيُونَ
التَّوَارِيخِ وَالسُّلُوكِ وَنَهَايَةِ الْأَرْبِ وَالنَّهْجِ السَّيِّدِ . (٥) فِي الْأَصْلِينَ هَكَذَا : « أَنْ تَكُونَ عِرْقَةٌ
وَمَسَلٌ وَأَعْمَالُهَا » . وَمَا أَثْبَتْنَاهُ عَنْ عِيُونَ التَّوَارِيخِ . (٦) فِي الْأَصْلِينَ : « وَأَنْ يَكُونَ صَاحِبُ
أَنْطَرطُوسَ ... الخ » . وَتَصْحِيحُهُ عَنْ عِيُونَ التَّوَارِيخِ وَالنَّهْجِ السَّيِّدِ . (٧) رَاجِعِ الْحَاشِيَةَ رَقْمَ ٣ ص ٣٣ مِنْ
الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنْ هَذِهِ الطَّبْعَةِ . (٨) رَاجِعِ الْحَاشِيَةَ رَقْمَ ٢ ص ٢٥ مِنْ الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنْ هَذِهِ الطَّبْعَةِ .

- وفي يوم السبت حادى عشر شوال رحل الملك الظاهر عن مَرَج صافيتا، وأذن إلى صاحب حمّاء وصاحب يَمْحَص بالعود إلى بلادهم، وسار الظاهر حتى دخل دِمَشْق يوم الأربعاء خامس عشر شوال، وعَزَلَ القاضي شَمْسُ الدِّين أحمد بن خَلْكَان عن قضاء دِمَشْق، وكانت مدّة ولايته عشر سنين، وولّى عِوضَه القاضي عِزَّ الدِّين محمد بن عبد القادر بن عبد الخالق المعروف بأَبْن الصَّائغ^(١). ثم في يوم الجمعة رابع^(٢) عشرين شوال خرج الملك الظاهر من دِمَشْق قاصداً القُرَيْن^(٣)، فنزل عليه يوم الاثنين سابع عشرين الشهر، ونصّب عليه المجانيق، ولم يكن به نساء ولا أطفال بل مُقَاتِلَة، فقاتلوا قتالا شديداً، وأخذت النُّقُوب لِلْحِصْن من كلّ جانب، فطلب مَنْ فِيهِ الأمان، فَأَمَّنُوا يوم الاثنين ثالث عشر ذى القعدة، وتسلّم السلطان الحِصْنَ بما فيه من السلاح ثمّ هدمه، وكان بناؤه من الحجر الصّلد وبين كلّ حجرين عُود حديد ملزوم بالرصاص، فَأَقَامُوا في هدمه آخى عشر يوما وفي حصاره خمسة عشر يوما.
- وفي يوم الاثنين سادس عشرين الشهر نزل الملك الظاهر على كردانة قرية قريبة من عَمَّا، وَلَيْسَ العسْكَرُ وسار إلى عَمَّا وأشرف عليها، ثم عاد إلى منزله. ثمّ رحل منها يوم الثلاثاء قاصداً مصر، فدخلها يوم الخميس ثالث عشر ذى الحجة، وكان جملة ما صرفه الملك الظاهر في هذه السّفرة من حين خروجه من مصر إلى حين عودته إليها ما يُنْفَى على مائة ألف دينار وثمانين ألف دينار عينا. وفي اليوم الثّاني من وصوله إلى قلعة الجبل قبض على جماعة من الأمراء منهم: الأمير علم الدين سَنَجَر

(١) سيذكر المؤلف سنة ٦٨٣ هـ (٢) في الأصلين: «يوم الجمعة خامس عشرين شوال» وهو خطأ كما يفهم مما تقدّم. (٣) القرين: حصن من حصون الأرمن، وكان لطائفة يقال لهم الإسبتار، وهو من أمتع الحصون على صفد (عن نهاية الأرب ج ٢٨ ص ١٠٣). (٤) في الأصلين: «ثامن عشرين» وهو خطأ. (٥) في عيون التواريخ: «سادس عشر القعدة». (٦) عبارة عيون التواريخ: «جملة ما صرفه السلطان في هذه السّفرة على العسكّر ثمانية ألف دينار».

الحلبي الكبير، الذي كان تسلطن بدمشق في أول سلطنة الملك الظاهر بيبرس،
والأمير جمال الدين آقوس المحمدي، والأمير جمال الدين أيدغدي الحاجبي الناصري،
والأمير شمس الدين سُنُقُر المساح^(١) والأمير سيف الدين بيدغان الركني^(٢) والأمير
علم الدين سَنَجَر طرطع وغيرهم، وحبسوا الجميع بقلعة الجبل؛ وسبب ذلك أنه
بلغه أنهم تأمروا على قبضه لما كان بالشقيف، فأسرّها في نفسه إلى وقتها. وكان
بلغ الملك الظاهر وهو على حصن الأكراد أن صاحب قبرص خرج منها في مراكبه
إلى عكا، فأراد السلطان اغتنام خلوها، فجهاز سبعة عشر شينياً، فيها الرئيس ناصر الدين
عمر بن منصور رئيس مصر وشهاب الدين محمد بن إبراهيم بن عبد السلام رئيس
الإسكندرية، وشرف [الدين] علوي بن أبي المجد بن علوي القسقلاني رئيس
ديباط، وجمال الدين مكي بن حسن يقدّم على الجميع؛ فوصلوا الجزيرة ليلاً،
فهاجت عليهم ريح طردتهم عن المرسى، وألقت بعض الشوانى على بعض،
فتحطم منها أكثر من أحد عشر شينياً وأخذ من فيها من الرجال والصناع أسراء،
وكانوا زهاء ألف وثمانمائة نفس، وسلم الرئيس ناصر الدين وأبن حسون في الشوانى
السامة، وعادت إلى مراكرها؛ فعظم ذلك على الملك الظاهر بيبرس إلى الغاية.
وفي يوم الاثنين سابع عشر ذى الحجة أمر الملك الظاهر بإرافة الخمر في سائر
بلاده، وأوعد من يعصرها بالقتل، فأريق على الأجناد والعوام منها مالا يُحصى
قيمته، وكان ضمن ذلك في ديار مصر خاصة ألف دينار في كلّ يوم، وكتب بذلك
توقيع قُرى على منبر مصر والقاهرة. وفي العشر الأخير من ذى الحجة أهتم الملك

(١) في الأصلين : « سفر النجاج » . وما أئتناه عن السلوك (ص ٥٩٥) وعيون التواريخ

ونهاية الأرب والتهج الجديد . (٢) في الأصلين : « طوغان » . وما أئتناه عن السلوك

وعيون التواريخ . (٣) زيادة عن عيون التواريخ .

الظاهر بإنشاء شَوَانٍ عَوْضًا عما ذهب على قُبْرُص، وأتتهى العمل من الشوانى في يوم الأحد رابع عشر المحرم سنة سبعين^(١)، وركب السلطان إلى الصنعة لإلقاء الشوانى في بحر النيل، وركب السلطان في شينى^(٢) منها ومعه الأمير بدر الدين بيليك الخازندار، فلما صار الشينى في الماء مال بمن فيه فوق الخازندار منه إلى البحر، فنهض بعض رجال الشينى ورعى بنفسه خلفه فأدركه وأخذ بشعره وخلصه، وقد كاد يهلك، نفع عليه الملك الظاهر وأحسن إليه.

وفي ليلة السبت السابع والعشرين منه خرج الملك الظاهر من الديار المصرية إلى الشام في نفر يسير من خواصه وأمرائه ودخل حصن الكرك، وخرج منه وصحب معه نائبه الأمير عز الدين أيدمر وسار إلى دمشق، فوصل إليه يوم الجمعة ١٠ ثاني عشر صفر، فعزل عنها الأمير جمال الدين آقوش النجيبى، وولى مكانه الأمير عز الدين أيدمر المعزول عن نيابة الكرك. ثم خرج منها إلى حماة في سادس عشره ثم عاد منها في السادس والعشرين.

وفى أمر ملك التتار أبقا بن هولاكو عساكره بقصد البلاد الشامية، فخرج عسكره في مئة عشرة آلاف فارس وعليهم الأمير صمغرا والبرواناه، فلما بلغهم أن الملك الظاهر بالشام أرسلوا ألقا ونعمسانة من المغل ليتجسسوا الأخبار ويغيروا ١٥

(١) الصناعة، يستفاد مما ورد في الجزء الثانى من المخطط المقرزبة (مر ١٨٩ — ١٩٧) عند ذكر المواضع المعروفة بالصناعة أن الصناعة، وهى مكان صناعة السفن، كانت في زمن الملك الظاهر ببيرس وفى زمن دولى المالك على النيل بساحل مصر القديمة بخط دير النحاس (وراجع الحاشية رقم ٤ ص ٩٩) بالجزء الرابع من هذه الطبعة. (٢) كذا في الأصلين وحيون التواريخ. وفى عقد الجمان ونهاية الأرب (ج ٢٨ ص ٥٩) وتاريخ الدول والملوك: «صمغار». (٣) البرواناه: لفظ فارسي، معناه ٢٠ فى الأصل الحاجب، وقد أطلق فى دول الروم السلاجقة بآسيا الصغرى على الوزير الأكبر. وهو سليمان ابن ط بن محمد بن حسن صاحب معين الدين البرواناه. توفى فى أواخر سنة ٦٧٦ هـ شهيدا فى واقعة التتار مع الملك الظاهر (عن المنهل الصافي وحيون التواريخ وشذرات الذهب).

على أطراف بلاد حلب ، وكانت مقدمهم ^(١) أمال بن بيجونين ^(٢) ووصلت غارتهم إلى عيتاب ^(٣) ثم إلى قسطن ^(٤) ووقعوا على تركان نازلين بين حارم وأنطاكية فاستأصلوهم ؛ فتقدم الملك الظاهر بتجفيف البلاد ليحمل التار الطمع فدخلوا فيتمكن منهم . وبعث إلى مصر بخروج العساكر فخرجت ومقدمها الأمير بيسرى ، فوصلوا إلى السلطان في خامس الشهر وخرج بهم في السابع منه ، فسبق إلى التار خبره ، فولوا على أعقابهم . وكان الظاهر لما مر بجماة استصحب معه الملك المنصور صاحب حماة ، ونزل الظاهر حلب يوم الاثنين ثاني عشر شهر ربيع الآخر من سنة سبعين وستمائة وخم بلبدان الأخضر ، ثم جهز الأمير شمس الدين آق سقر الفارقي في عسكر وأمره أن يمضي إلى بلاد حلب الشمالية ولا يتعرض ببلاد صاحب بيس ، وجهز الأمير علاء الدين طبرس الوزيري في عسكر وأمره بالتوجه إلى حران . فأما الفارقي فإنه سار خلف التار إلى مرعش فلم يجد منهم أحدا ، ثم عاد إلى حلب فوجد الملك الظاهر مقبلا بها ، وقد أمر بإنشاء دار شمالي القلعة كانت تعرف بدار الأمير بكتوت ، أستاذار الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب حلب وضاف إليها دارا أخرى ، ووكل بممارتها الأمير عز الدين أقوش الأفوم . ولما عاد الفارقي إلى حلب رحل الملك الظاهر منها نحو الديار المصرية في ثامن عشرين شهر ربيع الآخر ، ودخل مصر في الثالث والعشرين من جمادى الأولى .

(١) في النجديد : « أدالك بن بيجونين » . (٢) راجع معنى فونين في الحاشية رقم ٣ ص ٧٨ من هذا الجزء . (٣) عيتاب : بلدة كبيرة ، بها قلعة حصينة ورساق بين حلب وأنطاكية . (٤) في الأصلين : « مسطوق » وهو تحريف ، وتصحيحه عن النجديد . وقسطن : حصن كان بالروج من أعمال حلب (عن معجم البلدان لياقوت) . (٥) يريد شهر ربيع الآخر ، كما في عيون التواريخ وما يفهم من السلوك . (٦) في الأصلين : « ربيع الأول » . والذي قدماه عن عيون التواريخ يقتضى ذلك . (٧) مرعش : مدينة في التنور بين الشام وبلاد الروم ، لها سوران وخنق ، وفي وسطها حصن عليه سور (عن معجم البلدان لياقوت) .

ولما وصل الظاهر إلى مصر قبض على الأمراء الذين كانوا مجردين على قاقوت^(١) بسبب الفرنج لما أغاروا على الساحل ما عدا آقوش الشمسي ثم شُفِعَ فيهم فأطلقهم .
وفي يوم الأربعاء ثالث جمادى الآخرة عدّى الملك الظاهر إلى بئر الحيزة فأخبر أن^(٢) بوضير السدر مقارة فيها مطب ، فجمع لها خلقاً فحفرُوا مَدَى بعيداً ، فوجدوا قطاطاً ميتة وكلاب صيد وطيوراً وغير ذلك من الحيوانات ملفوفة في عصابات ونحرق ، فإذا حُلَّت اللفائف ولاقى الهواء ما كان فيها صار هباءً منثوراً ، وأقام الناس ينقلون من ذلك مدة ولم يتفد ما فيها ، فأمر الملك الظاهر بتركها وعاد من الحيزة .
وفي يوم السبت سابع عشرين جمادى الآخرة ركب السلطان الملك الظاهر إلى^(٣) الصنعة ليرى الشوانى التى عُحِلت وهى أربعون شينياً فُسِّرَ بها . وعند عودِهِ إلى القلعة ولدت زرافة بقلمة الجبل^(٤) [وهذا أمر لم يُعْهَد] وأرضع ولدها لبن بقرة .

١٠

ثم سافر الملك الظاهر إلى الشام في شعبان وسار حتى وصل الساحل وخيم بين قيسارية وأرسوف ، وكان مرَّكزاً بها الفارقاني فرحل الفارقاني عنها إلى مصر .
ثم إن الملك الظاهر شنَّ الغارة على عكا ، فطلب منه أهلها الصلح وترددوا في ذلك حتى تفقرت الهدنة بينهم مدة عشرين وعشرة أشهر وعشرة أيام وعشر ساعات ، أولها ثاني عشرين شهر رمضان سنة سبعين وستائة .

١٥

(١) قاقوت : حصن بفلسطين قرب الرملة . وقيل هو من عمل قيسارية من ساحل الشام (عن معجم البلدان لياقوت) . والمقصود هنا المعنى الثاني ، كما يفهم من عبارة المؤلف .

(٢) أبو صير السدر ، هى من القرى القديمة ، وردت في معجم البلدان لياقوت باسم بوضير السدر في كورة البحيرة . وفي الصفحة السنية لابن الجياني أبو صير السدر من أعمال البحيرة . ولا تزال هذه القرية موجودة إلى اليوم باسم « أبو صير » ضمن قرى مركز البحيرة بمديرية البحيرة عند حاجر الجبل الغربي غربى محطة الحوامدية على بعد خمسة كيلومترات . (٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٥٥ من هذا الجزء .

(٤) زيادة من عيون التواريخ .

ثم رحل الملك الظاهر إلى تحربة اللصوص، ثم سار منها إلى دمشق فدخلها في الثامن من شوال؛ وبينما هو في دمشق ترددت الرسل بينه وبين التنازل وأنفصل الأمر من غير اتفاق. وفي ذى الحجة توجه الملك الظاهر من دمشق إلى حصن الأكراد لينقل حجارة المجانيق إليها^(١) ورؤية ما عُمّر فيها ففعل ذلك^(٢). ثم سار إلى حصن عكا فاشرف عليها. ثم عاد إلى دمشق في خامس المحرم من سنة إحدى وسبعين وستمائة، وفي ثاني عشر المحرم المذكور أفرج^(٣) الملك الظاهر عن الأمير أيّك النجيب الصغير، وأيدمر الخلل العزيزي وكانا محبوبين بالقاهرة. ثم خرج الملك الظاهر من دمشق في انحرهم أيضا عائداً إلى الديار المصرية وصحبته الأمير بدر الدين بيسرى والأمير آقوش الرومي وجرمك الناصري^(٤)، فوصل إليها في يوم السبت ثالث عشرين المحرم، فأقام بالقاهرة إلى ليلة الجمعة تاسع عشرينه، خرج من مصر وتوجه إلى دمشق فدخل قلعتها ليلة الثلاثاء رابع صفر، فأقام بدمشق إلى خامس جمادى الأولى اتصل به أن فرقة من التنازل قصدت الرحبة، فبرز إلى القصير فبلغه أنهم عادوا من الرحبة ونزلوا على البيرة، فسار إلى حصن وأخذ مراكب الصيادين على الجمال ليجوز عليها، ثم سار حتى وصل إلى الباب من أعمال حلب،

١٥ (١) يريد إلى قلعة حصن الأكراد، كما يفهم من عبارة السلوك (ص ٦٠٢) وعبارة تاريخ الدول والملوك لابن القرات. (٢) عبارة تاريخ الدول والملوك لابن القرات، والسلوك للقريري: «وقتل معهم بنفسه». (٣) في الأصلين: «إلى حصن عكا». وما أثبتناه عن السلوك (ص ٦٠٢) وتاريخ الدول والملوك وراجع الحاشية رقم ٣ ص ١٥١ من هذا الجزء. (٤) راجعنا هذا الخبر في المصادر التي تحت أيدينا مثل عيون التواريخ وعقد الجمان وتاريخ الدول والملوك لابن القرات والسلوك للقريري وتاريخ أبي الفدا وتاريخ ابن الوردي في حوادث سنة ٦٧١ هـ فلم نجد له ذكراً في تلك المصادر. (٥) في النهج السديد: «وسيف الدين جريك».

٢٠ (٦) القصير: يريد القصير التي هي ضيعة أول منزل لمن يريد حصن من دمشق وهي غير حصن القصير الذي تقدم ذكره.

- وبعث جماعة من الأجداد والعُربان لكشف أخبارهم، وسار إلى مَنبج فعادوا وأخبروا أن طائفة من التَّار مقدار ثلاثة آلاف فارس على شطِّ الفُرات ممَّا إلى الجزيرة، فرحلَ ^(١) عن مَنبج يوم الأحد ثامن عشر بُحَادَى الأولى ووصل شطِّ الفُرات، وتقدَّم إلى العسكر بِخَوْضِهَا، فخاض الأمير سيف الدين قلاوون الأتقي والأمير بدر الدين بَيْسَرَى في أوَّل الناس، ثم تَبِعَهُمَا هو بنفسه وتبعته العساكر، فوقعوا على التَّار فقتلوا منهم مَقْتَلَةً عَظِيمَةً وَأَسْرَوْا تَقْدِيرَ مِائَتَيْ نَفْسٍ ولم يَبِجْ منهم إِلَّا القليل، وتَبِعَهُمْ بَيْسَرَى إلى قَرِيبِ سُرُوجِ ^(٢) ثم عاد . وكان على الْبِيرَةِ جماعة كثيرة من عسكر التَّار، وكانوا قد أَشْرَفُوا على أَخْذِهَا، فلَمَّا بلغهم الْخَبْرُ رَحَلُوا عن الْبِيرَةِ ودخلها السلطان في ثاني عشرين الشهر وخلَعَ على نَائِبِهَا وَفَرَّقَ في أَهْلِهَا مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ، وَأَنْهَمَ عَلَيْهِمْ بَعْضُ مَا تَرَكَ التَّارُ عِنْدَهُمْ لَمَّا هَرَبُوا . ثم رَحَلَ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ ١٠ عنها بِعَسَاكِرِهِ وعَادَ إلى دِمَشْقَ . وفي هَذِهِ النَّصْرَةِ قَالَ الْعَلَامَةُ شِهَابُ الدِّينِ أَبُو النَّاءِ محمود كاتب الإنشاء — رحمه الله — قصيدة طنانة؛ أَوَّلُهَا :

- سِرْ حَيْثُ شِئْتَ لَكَ الْمُهَيْمِنُ جَارُ * وَأَحْكُمْ قَطْعُوعُ مَرَادِكَ الْأَقْدَارُ
لَمْ يَبْقَ لِلدِّينِ الَّذِي أَظْهَرْتَهُ * يَا رَكْنَهُ عِنْدَ الْأَعَادَى نَارُ
لَمَّا تَرَاقَصَتِ الرُّعُوسُ وَحَرَّكَتْ * مِنْ مَطِيرَاتِ قِسْيِكَ الْأَوْتَارُ ١٥
خُضَّتِ الْفُرَاتُ بِسَايِحِ أَقْصَى مَنَى * هُوجُ الصَّبَا مِنْ نَعْلِهِ آثَارُ ^(٣)
حَلَنْكَ أَمْوَاجُ الْفُرَاتِ وَمَنْ رَأَى * بِحَرًّا سَوَاكَ يَقْلُهُ الْأَنْهَارُ
وَتَقَطَّعَتْ فِرْقًا وَلَمْ يَكْ طُودَهَا * إِذْ ذَاكَ إِلَّا جَيْشُكَ الْحَرَارُ

- (١) في الأصلين : « فدخل مَنبج » وتصحيحه عن عبون التواريخ وما يفهم من عبارة التبع السديد والمؤلف . (٢) راجع الحاشية رقم ٥ ص ١٨٠ من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٦ من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٤) سيذكره المؤلف سنة ٥٧٢٥ هـ . (٥) في الأصلين : « من نعله الأوتار » . والتصحيح عن عبون التواريخ .

رشت دماؤهم الصبيد فلم يطر * منهم على الجيش السعيد غبار
شكرت مساعيك المعقل والورى * والثرث والآساد والأطيار
هذى منمت وهؤلاء حميتهم * وسقيت تلك وعم ذاك الإيسار
فلأملأن الدهر فيك مدانحا * تبقى بقيت وتذهب الأعصار^(١)
وهى أطول من ذلك . وقال الشيخ ناصر الدين حسن بن النقيب الكافى الشاعر
- رحمه الله تعالى - قصيدة وكان حاضر الوقعة منها :

ولما ترامينا الفرات بخلنا * سكرناه منا بالقوى والقوائم^(٢)
فأوقفت التيار عن جريانه * إلى حيث عدنا بالغنى والفنائم

وقال الموفق عبد الله بن عمر الأنصارى - رحمه الله - وأجاد :

الملك الظاهر سلطاننا * نفيده بالأموال والأهل
إقحم الماء ليطفى به * حرارة القلب من المغل

ثم توجه الملك الظاهر إلى نحو الديار المصرية ، فخرج ولده الملك السعيد لتلقيه
في يوم الثلاثاء تاسع عشر جمادى الآخرة ، فاجتمع به بين القصير^(٤) والصالحية في يوم
الجمعة ثانى^(٥) عشرينه ، فترجلا وأعتقا طويلا ، ثم رجا وسارا جميعا إلى القلعة
وبين يديهم أسارى التار ركباً على الخيل ، ثم فى سابع شهر رجب أفرج الملك
الظاهر عن الأمير عز الدين أيبك الدماطى من الاعتقال ، وكانت مدة اعتقاله
تسع سنين وعشرة أيام ، ثم خلع الملك الظاهر على أمراء الدولة ومقدمى الحلقة وأعطى ،

(١) هو ناصر الدين الحسن بن شاور بن طرخان بن الحسن المعروف بالنفسى ويا بن النقيب الكافى .

سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٨٧ هـ . (٢) فى الأصلين : « سكاء » . وتصحيحه عن

عيون التواريخ والمجلد الصافى وفترات الوفيات . (٣) هو موق الدين أبو محمد عبد الله بن

عمر بن نصر الله الأنصارى المعروف بالورن . سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٧٧ هـ .

(٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ٨٣ من هذا الجزء . (٥) فى الأصلين : « حادى عشرينه » .

والصحيح عن التوفيقات الإلهامية وما تقدم ذكره لؤلف قريباً .

كُل واحد منهم ما يليق به من الخيل والذهب والحوائص والثياب والسيوف ، وكان قيمة ما صرفه فيهم فوق ثلثمائة ألف دينار، وفي سادس عشرين شعبان أفرج الملك الظاهر عن الأمير علم الدين سَنَجَر الحلبي الفَتَيْمى المِزَوى . وفي يوم الاثنين ثاني عشر شوال استدعى الملك الظاهر الشيخ خَضرًا إلى القلعة وأحضره بين يديه .

قلت : والشيخ خَضر هذا هو صاحب الزاوية بالحسينية بالقرب من جامع الظاهر . انتهى . وأحضر معه جماعة من الفقراء حاققوه على أشياء كثيرة مُنكَرة ، وكثُر^(١)

(١) زاوية الشيخ خضر، قال المقرئ في (ص ٤٣٠) من الجزء الثاني من خطه : إن هذه الزاوية خارج باب الفتوح من القاهرة بخط زقاق الكمل ، تشرف على الخليج الكبير ، هرفت بالشيخ خضر ابن أبي بكر بن موسى المهراني العدوي شيخ الملك الظاهر بيبرس ، بناها له الظاهر في سنة ٦٦٠ هـ ودفن الشيخ خضر بها في سنة ٦٧٦ هـ . وأقول : يتضح مما ذكر بالمصادر الخاصة بهذه الزاوية أنها كانت واقعة بزقاق الكمل خارج باب الفتوح وعلى الجانب الشرقى من الخليج المصرى تجاه أرض الطبالة ، وأنها كانت بالقرب من جامع الظاهر بخط الحسينية وأنها كانت موجودة لغاية القرن العاشر الهجرى بدليل أن الشيخ عبد الوهاب الشمراني الذى توفى سنة ٩٧٣ هـ قال : إن قبر الشيخ خضر ظاهر يزار . وبالبحث عن موقع زقاق الكمل تبين لى من المصادر الصريحة أن مكان هذا الزقاق اليوم الطريق الذى يسمى فى مصلحة التنظيم سكة الظاهر ، وعلى ألسنة العامة شارع المنسى فيما بين ميدان الظاهر وشارع المنسى . وبالبحث فى سكة الظاهر عن مكان زاوية الشيخ خضر تبين لى أنها اندثرت ودخلت فى المساكن . ومكانها اليوم المربع القائم عليه المنزلان رقم ٢٩ و ٣١ الواقعان فى نهاية شارع الإمامين من الجهة الشرقية على يسار الداخل من سكة الظاهر فيما بين هذه السكة وشارع الخليج المصرى .

(٢) جامع الظاهر ، ذكر المقرئ فى (ص ٢٩٩) من الجزء الثاني من خطه أن هذا الجامع أنشأه الملك الظاهر صاحب الترجمة فى ميدان قراقوش خارج باب الفتوح من القاهرة فى سنة ٦٦٥ هـ ويسمى جامع العافية . وأقول : إن هذا الجامع يقع بميدان الظاهر بين شارعى الظاهر والعباسية بالقاهرة وهو من أكبر جوامعها يبلغ مسطحه ١١٨٨٠ مترًا مربعًا وهو ما يقرب من ثلاثة أقدنة . وبالبحث تبين أن هذا الجامع تعطلت منه إقامة الشعائر من أول القرن العاشر الهجرى بسبب سعة وتعذر الصرف طيه ، ثم تحوّر وسقطت فيه الكثرة التى كانت فوق إيوان المهراب ، ثم سقطت مشدته ولم يبق منه الآن إلا جدرانها الخارجية المبنية باجر النعيت . وذكر الجبرئى أن هذا الجامع جعل فى العهد العثمانى مخزنًا للبهائم الحربية كالخيول والبروج وغيرها ، ثم جعل قلعة وثكنة للجند فى زمن الحملة الفرنسية ، ثم جعل مخزنًا للبراية ومعملًا للصابون فى زمن محمد على باشا الكبير ثم جعل فى زمننا مذهبًا لجيش الاحتلال الإنجليزي . وقد بطل القديح فيه من سنة ١٩١٥ ولهذا يعرف إلى اليوم باسم المذبح . وفى سنة ١٩١٨ غرست مصلحة التنظيم أرض ضمن الجامع وجعلته متروًا عامًا . وفى سنة ١٩٢٨ عمرت لجنة حفظ الآثار العربية الجزء الواقع عند المهراب وجعلته مصل .

بينه وبينهم فيها المقالة ورموه بفواحش كثيرة ونسبوه إلى قبائح عظيمة؛ فرسم الملك الظاهر بآعتقاله، وكان للشيخ خضر المذكور منزلة عظيمة عند الملك الظاهر بحيث أنه كان ينزل عنده في الجمعة المزة والمتزين ويأسيطه ويمازحه ويقبل شفاعته ويستصحبه في سائر سفرائه، ومتى قُتِح مكانا أفرض له منه أوفر نصيب، فأمنتت يد الشيخ خضر بذلك في سائر المملكة بفعل ما يختار لا يمنعه أحد من الثواب، حتى أنه دخل إلى كنيسة قسامة^(١) ذبح قسيسها بيده، وآتتهب ما كان فيها تلامذته، وهم كنيسة اليهود بدمشقي ونهبها، وكان فيها مالا يعبر من الأموال، وعمرها مسجدا وعمل بها ستماها ومد بها ستماطا . ودخل كنيسة الإسكندرية وهي عظيمة عند النصارى فنهبا وصيرها مسجدا، وسمّاها المدرسة الخضراء وأنفق في تعميرها مالا كثيرا^(٢)

- (١) قسامة (كنيسة القيامة) : أشهر الكنائس المسيحية طرا ، بقيا الملكة هيلانة أم الإمبراطور قسطنطين جاهل الامبراطورية الرومانية الشرقية ، ومؤسس مدينة القسطنطينية ، وهو أول إمبراطور نصر وأمر بنشر الديانة المسيحية وجعلها دين الحكومة الرسمي ، وكان القراغ من بنائها سنة ٣٣٥ م ومن ذلك التاريخ لأن هي الكنيسة التي يجمع إليها المسيحيون من كافة أصقاع الأرض ، هدمها الفرس أثناء غارتهم على سوريا وقلبيطن سنة ٦١٤ م وفي سنة ٦٢٨ م أجلى هرقل الفرس وأسرجع سوريا وخشبة الصليب ، ومن ثم أعاد بناءها الميديون سنة ٦٢٩ م ، ثم جاء الفتح الاسلامي سنة ٦٣٧ م . ودخل عمر القدس وزار كنيسة القيامة فلما أدركه الصلاة خرج منها وصل أمامها ولم يصل في القيامة خشية أن يدهمها المسلمون ويحولوها إلى مسجد . وقد كتب عنها جغرافيو العرب ومؤرخوهم كالغديسي والمسعودي وابن الأثير وناصر خسرو والإدرسي والهريري وياقوت وكلهم قالوا : إن كنيسة القيامة وسط المدينة يحيط بها سور عظيم وفيها مقبرة يسمنونها القيامة لاعتقادهم أن المسيح قامت قيامة منها . وهي تحوى على ٢٤ كنيسة ومصل ومدخل لجميع المسيحيين على اختلاف ألوانهم ومذاهبهم . (راجع فلسطين الاسلامية لاسترانج ص ٢٠٢ — ص ٢١٢ وبقيّة المصادر المذكورة) . (٢) عبارة عيون التواريخ : « مالا يعبر منه من الآلات والفرش » . (٣) المدرسة الخضراء . لما تكلم المقرئ على زاوية الشيخ خضر التي بالقاهرة في ص ٤٣٠ ج ٢ من خطه — قال : وهدم الشيخ خضر كنيسة الروم بالإسكندرية كانت من كراسى النصارى ويزعمون أن بها رأس يحيى بن زكريا . وعملها مسجدا سماه الخضراء . وأقول : تبين لي من البحث أن هذا المسجد هو بذاته المدرسة الخضراء التي تعرف اليوم بزاوية سيدي خضر الكائنة تحت رقم ١٠ شارع رأس التين بالإسكندرية .

من بيت المال . وبني له الملك الظاهر زواية بالحسنية ظاهر القاهرة ووقف عليها وحس عليها أرضا تجاورها تحتكر للبناء . وبني لأجله جامع الحسينية .

- وفي يوم الاثنين سابع المحرم سنة آئنتين ومبعمين وستمئة جلس الملك الظاهر^(١) بدار العدل وحكم بين الناس ونظر في أمور الرعية ، فأنصف المظلوم وحلص الحقوق ومال على القوى ورفق بالضعيف . وفي العاشر منه هُدمت غرفة على باب قصر من قصور الخلفاء الفاطميين بالقاهرة ، ويُعرف هذا الباب بباب البحر ، وهو من بناء الخليفة الحاكم بأمر الله منصور المقدم ذكره ، فوجد في القصر الذي هُدم امرأة في صندوق متقوش عليها كتابة أسم الملك الظاهر يبرس هذا وصفته ، وبقي منها ما لم يمكن قراءته .

- وفيها قبض على ملك الكرج وهو أنه كان قد خرج من بلاده قاصدا زيارة القدس الشريف متكررا في زى الرهبان ومعه جماعة يسيرة من خواصه ، فسلك بلاد

- (١) دار العدل : ذكر المقرئ في ص ٢٠٥ ج ٢ من خطه أن دار العدل القديمة أنشأها الملك الظاهر في سنة ٦٦١ هـ وأن موضعها كان تحت القلعة في المكان الذى يعرف بالطلبخانة ، ولما تكلم على الطلبخانة في ص ٢١٣ من هذا الجزء قال : إنها كانت تحت القلعة فيما بين باب السلسلة وباب المدرج . وأقول : إن باب السلسلة لا يزال موجودا ، وعرف قديما بباب الإصطبل وباب الانكشارية ، وأما اليوم فيعرف بباب العزب نسبة إلى طائفة من السكر تسمى عزبان ، وظيفتهم المحافظة على القلاع — وأن باب المدرج لا يزال موجودا غير مستعمل بجوار باب القلعة العموى الذى يعرف بالباب الجديد من الداخل . وما ذكر يتضح أن دار العدل مكانها اليوم في المنطقة الواقعة على يسار الداخل من باب العزب متجها إلى الشرق نحو الباب الجديد المشغولة بمخازن مهبات وملابس الجيش المصرى ، ويحدها من الغرب سكة المحجر ، ومن الشمال شارع الدقرخانة ، وهذا التحديد ينطبق أيضا على مكان الطلبخانة .

- (٢) راجع الحاشية رقم ٦ ص ٣٥ من الجزء الرابع من هذه الطبعة . (٣) قصة هذا الظلم مستفيضة في نهاية الأرب ج ٢٨ ص ٤٣ ، وفي المقرئ الخطط ج ١ ص ٤٣٣ — ٤٣٤ ، وتاريخ الدول والملوك ، والسلوك (ص ٦٠٩) فلتراجع هناك . (٤) الكرج (بالضم ثم السكون وآخره جيم) : جبل من الناس نصارى كانوا يسكنون في جبال القيق وبلد السرير ، فقويت شوكتهم حتى ملكوا مدينة قفليس ، ولم ولاية تسب إليهم . (من معجم البلدان لياقوت ج ٤ ص ٢٥١) .

الروم إلى سيسفركب البحر إلى عكا، ثم خرج منها إلى بيت المقدس فأطلع الأمير بدر الدين الخازندار على أمره وهو على يافا، فبعث إليه من قبض عليه، فلما حضر بين يديه بعثه مع الأمير ركن الدين منكورس إلى السلطان؛ وكان السلطان قد توجه إلى دمشق فوصل إلى دمشق في رابع عشر جمادى الأولى، فأقبل عليه السلطان وسأله حتى أعترف، فحبسه في بُرج من أبراج قلعة دمشق، وأمره أن يبحث من جهته إلى بلاده من يعرفهم بأمره، فبعث تَقَرَّين. وخرج الملك الظاهر من دمشق ثالث عشرين جمادى الآخرة، وقَدِم القاهرة يوم الخميس سابع شهر رجب من سنة اثنتين وسبعين المذكورة. ثم في يوم الخميس خامس عشرين شهر رمضان أمر السلطان العسكر أن يركب بالزينة الفاهرة ويلعب في الميدان تحت القلعة، فاستمر ذلك كل يوم إلى يوم عِيد الفِطْرِ حَتَّى السلطان الملك الظاهر ولده خَضرًا ومعه جماعة من أولاد الأمراء وغيرهم، وكان الملك السعيد ابن الملك الظاهر في يوم الأربعاء سابع عشر شهر رمضان خرج من القاهرة وتوجه إلى دمشق ومعه شمس الدين آقسنقر الفارقي وأربعون نفرا من خواصه على خيل البريد، وعاد إلى القاهرة في يوم الخميس الرابع والعشرين من شوال.

وفي يوم الأحد سابع صفر من سنة ثلاث وسبعين وستمائة ركب الملك الظاهر الهُجَين وتوجه إلى الكرك ومعه يَمَيرى وأَتَامِش السَّعْدِي، وسبب توجهه أن وقع بالكرك بُرج فأحب أن يكون إصلاحه بحضوره. ثم عاد إلى مصر فدخلها في يوم الثلاثاء ثاني عشرين شهر ربيع الأول، فأقام بها مدة يسيرة. ثم توجه إلى دمشق وأقام به إلى أن أرسل في رابع عشرين المحرم سنة أربع وسبعين وستمائة الأمير

(١) كذا في الأصلين وعقد الجمان. وفي السلوك وتاريخ الدول والممالك: « فدخل قلعة الجبل في رابع عشرين جمادى الآخرة ». (٢) في الأصلين: « ثالث عشر ». وهو خطأ. (٣) في الأصلين: « في رابع عشر المحرم ». وتصحيحه عن تاريخ الدول والممالك وعقد الجمان والسلوك.

- بدر الدين بيلىك الخايزندار على البريد إلى مصر لإحضار الملك السعيد، فعاد به إلى دمشق في يوم الأربعاء سادس صفر من السنة . وفي الثالث والعشرين من جمادى الأولى فتح حصن القصير وهو بين حارم وأنطاكية ، وكان فيه قسيس عظيم عند الفرنج يقصدونه للتبرك به ، وكان الملك الظاهر قد أمر التتجنن وبعض العرب بمحاصرته ، وبعد أخذه عاد الملك الظاهر إلى مصر فلم تطل مدته به .
- وعاد إلى دمشق ، فدخله يوم ثالث المحرم من سنة خمس وسبعين ، فأقام به مدة يسيرة أيضا ، وعاد إلى الديار المصرية في يوم الاثنين ثالث شهر ربيع الآخر ، وأمر بعمل عرس ولده الملك السعيد ، وأهتم في ذلك إلى يوم الخميس خامس جمادى الأولى أمر العسكر بالركوب إلى الميدان الأسود تحت القلعة في أحسن زى ، وأقاموا يركبون كل يوم كذلك ويتراكضون في الميدان ، والناس تزدحم للفرجة .
- عليهم خمسة أيام ، وفي اليوم السادس أفتقر الجيش فرقتين ، وحمّلت كل فرقة على الأخرى وجرى من اللعب والزينة مالا يوصف ، وفي اليوم السابع خلع على سائر الأمراء والوزراء والقضاة والتكاتب والأطباء مقدار ألف وثلثائة خلعة ، وأُرسل

- (١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٤٣ من هذا الجزء . (٢) في السلوك : « وعاد السلطان من حلب إلى مصر فدخل قلعة الجبل في رابع عشر ربيع الأول » . (٣) الميدان الأسود ، لما تكلم المقرئ في ص ١١١ من الجزء الثاني من خطه على ميدان القيق قال : إن هذا الموضع خارج القاهرة من شرقها فيما بين القرة التي يزل من قلعة الجبل إليها وبين قبة النصر التي تحت الجبل الأحمر تجاه قبة الأمير يونس الدوادار الظاهري ويقال له أيضا : الميدان الأسود ، وميدان العيد ، والميدان الأخضر ، وميدان السباق ، وهو ميدان الملك الظاهر بيسر البندقدارى بنى به مصطبة في المحرم من سنة ٦٦٦ هـ عند ما احتفل فيه برمي النشاب وحث الناس على أمور الحرب ولعب الرمح ورمي النشاب ونحو ذلك .
- وأقول : إن هذا الميدان مكانه اليوم الأرض المشغولة برب جبانة باب الوزير وقراة المجاورين وجبانة الممالك وينتهي عند قبة الأمير يونس الدوادار التي لا تزال موجودة بالجهة البحرية من مدفن السلطان برقوق وتعرف الآن بقبة أنس والد السلطان برقوق ، لأنها أنشئت باسمه ودفن فيها قبل أن ينقل رفاة إلى جامع ولده السلطان برقوق فكانت بشارع المعز لدين الله (شارع بين القصرين سابقا) .

إلى دِمَشْقِ الخَلْعَ ففرقت كذلك ، وفي يوم الخميس مَدَّ السَّباط في الميدان المذكور في أربعة خيم ، وحضر السَّباط مَنْ علا ومن دنا ، ورُسِّلُ التَّارُ ورُسِّلُ القُرْنَجُ ، وعليهم الخَلْعُ أيضاً ، وجلس السلطان في صدر الخيَّمة على تخت من آبنوس وعاج مصفَّح بالذهب مسَّمر بالفضة غَيرَ م عليه ألف دينار ؛ ولَمَّا آتَقَضَى السَّباط قدَمَ الأمراء الهدايا من الخيل والسلاح والتَّحف وسائر الملابس ، فلم يقبل السلطان من أحد منهم سوى ثوب واحد جَبَرًا له ؛ فَلَمَّا كَانَ وقت العَصْرِ رَكِبَ إلى القلعة وأخذ في تجهيز ما يَلِيْقُ بِالزَّفافِ والدخول ، ولم يَمُكِّنْ أحد من نساء الأمراء على الإطلاق من الدخول إلى البيوت ، ودخل الملك السعيد إلى الحَمَّام ثم دخل إلى بيته الذي هُمِّيَ له بأهله ، وَحُلِمَتِ العُرُوسُ فدخل عليها . ولَمَّا بلغ الملك المنصور صاحب حاة ذلك قَدِيمَ القاهرة مهتًا للسلطان ومعه هدية سنّية ، فوصل القاهرة في ثامن جُمادى الآخرة ، فركب الملك السعيد لتلقّيه ونزل بالكُشْبِ ، وأقام مدة يسيرة ثم عاد إلى بلده .

ثم خرج الملك الظاهر بعد ذلك من القاهرة في يوم الخميس العشرين من شهر رمضان بعد أن استناب الأمير آق سنقر القارقاني الأستاذار نائبًا عنه في خدمة ولده الملك السعيد ، وترك معه من العسكر بالديار المصرية لحفظ البلاد خمسة آلاف فارس ، ورحل من المتزلة يوم السبت ثاني عشر شَوَّال قاصدًا بلاد الروم فدخل دِمَشْقَ ثم خرج منها ودخل حلب يوم الأربعاء مستهل ذي القعدة ، وخرج منها

(١) المنصور محمد هذا سليل الملك المظفر تقي الدين عمر ، الذي أقطعه عمه صلاح الدين الأيوبي حاة سنة ٥٧٤ هـ ، وقد ظلت حاة بيد أبنائه هذا الفرع الأيوبي . وكان صاحبها أيام غارات التتار على الشام المنصور محمد المذكور ، تخضع لمولاكرو التتار ، ثم انقلب بعد هزيمتهم إلى مصادقة سلاطين المماليك والاعتراف بسيادتهم كما هو معروف مما سبق (السلوك هامش ص ٦١٤) .

(٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٧٢ من هذا الجزء .

يوم الخميس إلى حِلَّان^(١)، فتركها بعض الثقل، وأمر الأمير نور الدين على بن مجليّ نائب حلب أن يسوّحها إلى الساجور ويقيم على الفُرات بمن معه من عسكر حلب ويحفظ معابر الفُرات لئلا يعبر منها أحد من التار قاصدا الشام، ووصل إلى الأمير نور الدين الأمير شرف الدين عيسى بن مُهنا وأقام عنده، فبلغ نواب التار ذلك فجهزوا إليهم جماعة من عرب خفاجة لكيّسهم لحشدوا وتوجهوا نحوهم . فأتصل بالأمير على نائب حلب الخبر وكان يقظا، فركب إليهم وألقاهم وكسرم أقيح كسرة، وأخذ منهم ألفا ومائتي جمل .

وأما الملك الظاهر فإنه ركب من حِلَّان يوم الجمعة ثالث الشهر، وسار إلى عَيْتَاب^(٦)، ثم إلى دُلُوك^(٧)، ثم إلى منزلة أخرى ثم إلى كَيْنُوك^(٨)، ثم إلى كُكْ صُو (ومعناه الماء الأزرق باللغة التركية) . ثم رحل عنه إلى أَلْحَادَرَبَنْد فقطعه في نصف نهار؛

- (١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٧٥ من هذا الجزء . (٢) في الأصلين: « سيف الدين » . وما أثبتناه عن السلوك وعيون التواريخ ونهاية الأرب للنوري (ج ٢٨ ص ١١١) . وفي النهج السيد ونهاية الأرب: « على بن مجلي » بالحاء المهملة بدل الجيم . (٣) الساجور : اسم نهر ينبع (عن معجم البلدان لياقوت) . (٤) في الأصلين: « ووصل إليه الأمير نور الدين ابن الأمير شرف الدين ... » . وتصحيحه عن نهاية الأرب والسلوك . (٥) عرب خفاجة : هم بنو خفاجة بن عمرو بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . قال صاحب صبح الأعشى : وفيهم الإمرة بالعراق إلى الآن (صبح الأعشى أول ص ٣٤٣) . (٦) دُلُوك : بلدة من نواحي حلب بالعواصم ، كان بها وقعة أبي فراس بن حمدان (عن معجم البلدان لياقوت) . (٧) يريد منزلة مرج الديباج كما في نهاية الأرب وعيون التواريخ، وهو واد عجيب المنظر تزه بين الجبال، بينه وبين المصيبة عشرة أميال (عن معجم البلدان لياقوت) . (٨) كَيْنُوك : في الأصلين « كَيْنُوك » . وما أثبتناه عن عيون التواريخ ونهاية الأرب . وهي بلدة من بلاد الروم من أعمال آسيا الصغرى والعرب يسمونها « الحدث الحمراء » لأن سيف الدولة على بن حمدان بناها من حجارة حمراء، ولتنبي فيها شمر يمدح به سيف الدولة (انظر نهاية الأرب ج ٢٨ ص ١٠٥) . (٩) في عيون التواريخ وعقد الجمان وصبح الأعشى (ج ١٤ ص ١٤٣) والنهج السيد . « ومعناه النهر الأزرق » .
- (١٠) في الأصلين: « ثم رحل عنه إلى أن جاء إلى دريند » . وما أثبتناه عن صبح الأعشى (ج ١٤ ص ١٤٤) وما سيذكره المؤلف في هذه الترجمة . وألقا دريند : قرية على فم الطريق الجبل بين نهر كوكصو وأبلستين . راجع صبح الأعشى في الصفحة والجزء المتقدمين .

فلما خرجت عساكره وملكت المفاوز ، قَدَّمَ الأميرُ شمس الدين سُنْقَرَ الأشقر على جماعة من العسكر وأمره بالمسير بين يديه ، فوقع على كَيْبَةِ التَّارِ وَعِدَّتُهُمْ ثلاثة آلاف فارس ، ومَقَدَّمُهُمْ كَرَايَ فَهَزَمَهُمْ سُنْقَرُ الأشقر وأَسَرَّ مِنْهُمْ طَائِفَةً ، وذلك في يوم الخميس تاسع ذى القعدة .

ثم ورد الخبرُ على الملك الظاهر بأن عسكر الروم والتَّارِ مع البرِّ وَاَنَّهُ اجتمعوا على نهر جِيحَان ^(١) ، فلما صَعِدَ العسكرُ الجبلَ أَشْرَفَ على صحراءِ ^(٢) أَبْلُسْتَيْنِ فشهد التَّارُ قد رَبَّتُوا عساكرهم أَحَدَ عَشَرَ طُلُبًا في كُلِّ طُلُبٍ ألف فارس ، وَعَزَلُوا عسكر الروم عنهم خوفًا من باطنٍ يكون لهم مع المسامين ، وجعلوا عسكر الكُرْجِ طُلُبًا واحدًا ، فلما تَرَاهِىَ الْجَمْعَانِ حَمَلَتِ مَيْسِرَةُ التَّارِ حَمَلَةً واحدةً وصدموا سَنَجَقَ الملك الظاهر ، ودخلت طائفة منهم بنهم ، وشقوا المَيْسِرَةَ وساقوا إلى المَيْسِنَةِ ؛ فلما رَأَى الملك الظاهر ذلك أَرَدَ فُهُمْ بنفسه ، ثم لاحت منه أَلْفَانَةٌ فرَأَى المَيْسِرَةَ قد أَتَتْ عليها مَيْمَنَةُ التَّارِ ، فأمر الملك الظاهر جماعة من أصحابه الشُّجْعَانِ بِإِرْدَافِهَا ، ثم حَمَلَ هو بنفسه — رحمه الله — فلما رَأَتْهُ العساكر حَمَلَتْ نَحْوَهُ بِرُقَّتِهَا حَمَلَةً رجل واحد ، فترجَّل التَّارُ عن خيولهم وقاتلوا قتالَ الموت فلم يُقِنِ عنهم ذلك شيئًا ، وَصَبَرَ لهم الملك الظاهر وعسكره وهو يَكْرَهُ في القوم كالأسد الضَّارِي وَيَقْتَحِمُ الْأَهْوَالِ بنفسه وَيُشَجِّعُ أَصْحَابَهُ وَيُعَلِّبُ لهم الموت في الجهاد إلى أن أنزل الله تعالى نصره عليه ، وَأَنْكَسَرَ التَّارُ أَفْجَعُ كَسْرَةً وَقُتِلُوا وَأُسِرُوا وَقُتِلَ مِنْ نَجَا مِنْهُمْ ، فَأَعْتَصَمُوا بِالْجِبَالِ فَقَصَدَتْهُمُ الْعساكرُ الْإِسْلَامِيَّةُ وَأَحْاطُوا بِهِمْ ، فترجلوا عن خيولهم وقاتلوا فَقُتِلَ مِنْهُمْ جماعة كثيرة ، وَقُتِلَ

(١) جيحان (بالفتح ثم السكون) : نهر بالمصبغة بالنهر الشامي ونحرجه من بلاد الروم ويمر حتى يصب بمدينة تعرف بكفر يا بإزاء المصبغة . (عن معجم البلدان لياقوت) . (٢) أبلستين : مدينة مشهورة ببلاد الروم وسلطانها ولد فليح أرسلان السلجوقي قريبة من أبس مدينة أصحاب الكهف (ياقوت أول ٩٣ — ٩٤) .

- مَنْ قَاتَلَهُمْ مِنْ عَسَاكِرِ الْمُسْلِمِينَ الْأَمِيرُ ضِيَاءُ الدِّينِ [محمود^(١)] بْنِ الْخَطِيرِ، وَكَانَ مِنَ الشُّجْعَانِ الْفُرْسَانِ، وَالْأَمِيرُ شَرْفُ الدِّينِ قِرَانُ الْعَلَائِيّ، وَالْأَمِيرُ عَزَّ الدِّينِ أَخُو الْمُحَمَّدِيِّ، وَسَيْفُ الدِّينِ قَفْجَاقُ الْجَاشَنَكِيِّ، وَالْأَمِيرُ [عز الدين] أَيْبُكَ الشَّقِيقِيُّ^(٢) - رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى وَأَسْكَنَهُمُ الْجَنَّةَ - . وَأَمِيرٌ مِنْ بَكَارِ الرُّومِيِّينَ مُهَذَّبُ الدِّينِ ابْنُ مُعِينِ الدِّينِ الْبَرْوَانَاةِ، وَابْنُ بَنْتِ مُعِينِ الدِّينِ الْمَذْكُورِ، وَالْأَمِيرُ نُورُ الدِّينِ جَبْرِيلُ [بْنِ جَا جَا]، وَالْأَمِيرُ قُطْبُ الدِّينِ مُحَمَّدُ أَخُو مُحَمَّدِ الدِّينِ الْأَنْبَالِكِ، وَالْأَمِيرُ سِرَاجُ الدِّينِ إِسْمَاعِيلُ [بْنِ جَا جَا]، وَالْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ سَتَقْرَجَاهُ الزُّوْبَايَشِيُّ، وَالْأَمِيرُ نَصْرَةُ الدِّينِ بَهْمَنْ أَخُو تَاجِ الدِّينِ كِيوِي (يَعْنَى الصَّهْرَ) صَاحِبُ سِيَوَاسَ، وَالْأَمِيرُ كَمَالُ الدِّينِ إِسْمَاعِيلُ عَارِضُ الْجَيْشِ، وَالْأَمِيرُ حُسَامُ الدِّينِ كَاوُكُ، وَالْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ بِنِ الْجَاوَيْشِ، وَالْأَمِيرُ شَهَابُ الدِّينِ غَازِي بْنُ عَلِيٍّ شِيرُ التُّرْكُمَانِيِّ،

- (١) التَّكْلَفَةُ عَنْ عِيُونَ التَّوَارِيخِ وَالتَّهْجِ السَّيْدِيَّةِ . (٢) كَذَا فِي الْأَصْلَيْنِ وَعِيُونَ التَّوَارِيخِ وَنَهَايَةُ الْأَرْبِ وَصَبْحُ الْأَعَشَى . وَفِي السُّلُوكِ وَعَقْدُ الْجَمَانِ : « سَيْفُ الدِّينِ » . (٣) فِي الْأَصْلَيْنِ : « أَخُو الْمُحَمَّدِيِّ » . وَمَا أُتْبِنَاهُ عَنْ عِيُونَ التَّوَارِيخِ وَنَهَايَةِ الْأَرْبِ وَصَبْحِ الْأَعَشَى . (٤) فِي الْأَصْلَيْنِ : « قَلَقُ » . وَمَا أُتْبِنَاهُ عَنْ السُّلُوكِ . وَفِي التَّهْجِ السَّيْدِيَّةِ لِابْنِ أَبِي الْقَضَائِلِ ، وَعِيُونَ التَّوَارِيخِ : « قَلِيجُ » . (٥) زِيَادَةٌ عَنْ عِيُونَ التَّوَارِيخِ وَعَقْدُ الْجَمَانِ وَالتَّهْجِ السَّيْدِيَّةِ .
- (٦) فِي عَقْدِ الْجَمَانِ : « عَلَاءُ الدِّينِ بَكْلَارُ بَكِي بْنِ الْبَرْوَانَاةِ » . وَبَكْلَارُ بَكِي لَقَبُ تَرْكِي (مَعْنَاهُ أَمِيرُ الْأَمْرَاءِ) . وَهُوَ عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حَسَنِ . تُوُفِيَ سَنَةَ ٧٠٩ (عَنِ الْمُهَلِّ الصَّافِي) .
- (٧) فِي الْأَصْلَيْنِ : « تَقِ الدِّينِ » . وَالزِّيَادَةُ وَالتَّصْحِيحُ عَنْ عِيُونَ التَّوَارِيخِ وَعَقْدُ الْجَمَانِ وَالتَّهْجِ السَّيْدِيَّةِ .
- (٨) زِيَادَةٌ عَنْ عِيُونَ التَّوَارِيخِ وَنَهَايَةِ الْأَرْبِ وَالتَّهْجِ السَّيْدِيَّةِ ، وَهُوَ أَخُو نُورِ الدِّينِ الْمُتَقَدِّمِ .
- (٩) وَاضَتْ الْمَصَادِرُ الَّتِي تَحْتَ أَيْدِيْنَا الْأَصْلَيْنِ عَلَى أَنَّهُ « الزُّوْبَايَشِيُّ » . وَاقْتَرَدَ صَاحِبُ عَقْدِ الْجَمَانِ بِأَنَّهُ « سَتَقْرَجَاهُ السِّيَوَاسِيُّ » . (١٠) سِيَوَاسُ : بَلَدٌ كَبِيرَةٌ مَشْهُورَةٌ وَبِهَا قَلْعَةٌ صَغِيرَةٌ وَهِيَ ذَاتُ أَعْيُنٍ . وَالتَّشْجِيرُ بِهَا قَلِيلٌ وَنَهْرُهَا الْكَبِيرُ يَمْدُهَا بِمَقْدَارِ نِصْفِ فَرَسٍ ، وَ يَقُولُ الْمَسَافِرُونَ : إِنْ مَسَافَرْتُ الطَّرِيقَ بَيْنَ سِيَوَاسٍ وَقَيْسَارِيَّةِ سِتُونَ مِيلًا ، فِيمَا أَرْبَعُ وَمِثْرَوْنِ خَانَ السَّبِيلِ ، وَفِيمَا مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْمَسَافِرُونَ الْمُنْقَطِعُونَ ، لِأَسْمَا فِي أَيَّامِ الثَّلُوجِ ، وَفِي شَرْقِهَا مَدِينَةُ أَرْزَنُ الرُّومِ ، (عَنِ تَقْوِيمِ الْبُلْدَانِ لِأَبِي الْفَدَا إِسْمَاعِيلَ ص ٢٨٥) . (١١) كَذَا فِي الْأَصْلَيْنِ وَعِيُونَ التَّوَارِيخِ . وَفِي عَقْدِ الْجَمَانِ : « بَكَاوُكُ » .
- وَفِي نَهَايَةِ الْأَرْبِ : « بَرَكَاوُكُ » . وَفِي التَّهْجِ السَّيْدِيَّةِ : « بَوَكَاوُكُ » . (١٢) كَذَا فِي الْأَصْلَيْنِ وَعِيُونَ التَّوَارِيخِ وَالتَّهْجِ السَّيْدِيَّةِ . وَفِي نَهَايَةِ الْأَرْبِ وَعَقْدُ الْجَمَانِ : « وَالْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ جَالِيشُ » .

فوتجهم السلطان الملك الظاهر من كونهم قاتلوه في مساعدة التار الكفرة، ثم سلمهم لمن أحفظ بهم . وأسير من مقدمى التار على الألوف والمئين بركة صهر أبقا بن هولاًكو ملك التار، ومسرطق، وخيزكدوس ومركده وتماديه . ولما أيسر من أيسر وقيل من قتل نجما البرواناه وساق حتى دخل قيصرية يوم الأحد ثاني عشر ذى القعدة واجتمع بالسلطان غياث الدين، والصاحب نحر الدين، والأتابك محمد الدين، والأمير جلال الدين المستوفي، والأمير بدر الدين ميكائيل النائب فأخبرهم بالكفرة، وقال لهم : إن التار المنهزمين متى دخلوا قيصرية فتكوا بمن فيها حتماً على المسلمين، وأشار عليهم بالخروج منها فخرج السلطان غياث الدين بأهله وماله إلى توقات وبينها وبين قيصرية أربعة أيام . وعملت شعراء الإسلام في هذه الواقعة عدة قصائد ومدائح، من ذلك ما قاله العلامة شهاب الدين أبو النشاء محمود كاتب الدرج قصيده التي أولها :

كذا فلتكن في الله تمضي العزائم * وإلا فلا تجفوا الجفون الصواري

(١) في عيون التواريخ : وعقد الجمان والنهج السديد : « زريك » . وفي إحدى روايق النهج السديد « زريك » بدل « زريك » . (٢) في الأصلين هكذا : « جبرله » . وفي عقد الجمان : « جرديه » . وفي النهج السديد : « جبركير » . وما أثبتناه عن عيون التواريخ . (٣) في الأصلين : « شركوه » . وفي عقد الجمان : « بردكيه » وفي النهج السديد : « شركه » . وما أثبتناه عن عيون التواريخ . (٤) في النهج السديد : « وتماديه » بالتون بدل التاء المثناة من فوق . (٥) قيسارية : مدينة كبيرة عظيمة في بلاد الروم (آسيا الصغرى) وهي كرمي ملك بن سلجوق ملوك الروم أولاد طليج بن أرسلان . قال ابن سعيد : وهي منسوبة إلى قيصر وهي مدينة جليلة وفي شرقها مدينة سيواس وبين قيسارية وأقصر أربعة مراحل (عن ياقوت ج ٤ ص ٢١٤ وأبى الفدا ص ٣٨٣) . (٦) في الأصلين : « يوم الأحد ثاني عشر ذى القعدة » . والتصويب عن السلوك والنهج السديد .

(٧) في الأصلين : « تمكثوا » . وما أثبتناه عن عيون التواريخ وذيل مرآة الزمان وما يفهم من عبارة السلوك . (٨) توقات : بلدة في أرض الروم بين قونية وسيواس ذات قلعة حصينة وأبنية مكيّة ، بينها وبين سيواس يومان (عن معجم البلدان ياقوت) وقد ضبطه أبو الفدا إسماعيل في تقيوم البلدان (بضم التاء) المثناة . (٩) في الأصلين : « عز العزائم » . وما أثبتناه عن عيون التواريخ .

- عزائمُ حاذتْها الرياحُ فاصبحتُ * مخلفةً تبكى عليها النعائمُ
 سرتُ من حمى مصر إلى الرومِ فأحتوتُ * عليه [و] ^(١)سُوراهُ القُلبَا واللهاذِمُ
 يجيشُ تَقَلُّ الأرضُ منه كأنها * على سعة الأرجاءِ في الضيقِ خاتمُ
 كاتِبُ كالأبحرِ الخضمُ جياذها * إذا ما نهادتُ موجهُ المتلاطمُ
 تُحيطُ بمنصور اللواءِ مظهرٍ * له النصرُ والتأييدُ عبدٌ وخادمُ
 ملكُ يلود الدين من عزمايه * بركنٍ له الفتح المبين دعائمُ
 ملكُ لأبكارِ الأقاليمِ نحوه * حينئذٍ كذا تنهوى الكرامُ الكرائمُ
 فكم وطئتُ طوعاً وكرها جياذه * معاقِلُ قُرطاهَا السُّها والنعائمُ
 ملكُ به للدين في كلِّ ساعةٍ * بشائرُ للكُفَّارِ منها مآثمُ
 جلاحينَ أفدى [ناظرُ] الكفرِ للهدى * نفوراً بكى الشيطانُ وهى بواسمُ
 إذا رام شيئاً لم يعفهِ بعدها * وشقَّها عنه الإكَّامُ الطَّواسمُ
 فلو نازع النَّسْرَيْنِ أمراً لناله * وذا واقعٌ عجْزاً وذا بعدُ حاتمُ
 ولما رمى الرومُ المنيعَ بجياله * ومن دونه سدُّ من الصخرِ عاصمُ
 يرومُ عُقابُ الحقِّ قطعَ عَقابيه * إليه فلا تقوى عليها القوايدُ

ومنها :

- وسالتُ عليهم أرضهم بمواكِبِ * لها النصرُ طوعٌ والزمانُ مُسلمُ
 أدارتُ بهم سُوراً مَنيعاً مُشرقاً * بسمِرمالِ ما له الدهرُ هادمُ

(١) التكلة عن عيون التواريخ وذيل مرآة الزمان . (٢) في الأصلين هكذا : « فرقاها » .
 وما أثنائه عن عيون التواريخ وذيل مرآة الزمان . (٣) في الأصلين هكذا :

٢٠ * جلاحينَ أقرى الكفرِ للهدى *

التكلة والنصح عن عيون التواريخ .

(٤) في الأصلين : « إليهم » . وما أثنائه عن عيون التواريخ وذيل مرآة الزمان .

من التَّركِ أَمَا فِي الْمَغَانِي فَلَانَهُمْ * شَمُوسٌ وَأَمَا فِي الْوَعَى فَضَارُغُمُ
غَدَا ظَاهِرًا بِالظَّاهِرِ النَّصْرُ فِيهِمْ * تَبِيدَ اللَّيَالِي وَالْعِدَا وَهُوَ دَائِمُ
فَاهْمُوا إِلَى لَيْلِ الْأَيْسِنَةِ فِي الْوَعَى * كَانَتْهُمُ الْمُشَاقُّ وَهِيَ الْمَبَايِمُ
وَصَالَحَتْ الْبَيْضُ الصَّفَاحِ رِقَابُهُمْ * وَعَانَقَتِ السَّمَرُ الْقُدُودُ النَّوَامُ
فَنَكَمَ حَاكِمُهُمْ عَلَى أَلْفِ دَارِعٍ * غَدَا حَاسِرًا وَالرَّيْحُ [فِي] فِيهِ حَاكِمُ
وَكَمَ مَلِكٍ مِنْهُمْ رَأَى وَهُوَ مُوْتَقٌ * خَزَائِنَ مَا يَتَحْيَوِيهِ وَهِيَ غَنَامُ
ومنها :

فَلَا زَلَّتْ مَنْصُورَ السَّوَاءِ مُؤَيَّدًا * عَلَى الْكُفْرِ مَا نَاحَتْ وَأَبْكَتْ حَمَائِمُ
ثُمَّ جَرَدَ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ الْأَمِيرَ سُنْقَرَ الْأَشْقَرِ لِإِدْرَاكِ مَا فَاتَ مِنَ التُّرْكِ^(٢) وَالتَّوْجِهِ
إِلَى قَيْصَرِيَّةٍ ، وَكُتِبَ مَعَهُ كِتَابًا بِتَأْمِينِ أَهْلِهَا وَإِخْرَاجِ الْأَسْوَاقِ وَالتَّعَامُلِ بِالْدِرَاهِمِ
الظَّاهِرِيَّةِ . ثُمَّ رَحَلَ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ بِكَرَّةِ السَّبْتِ حَادِي عَشَرَ ذِي الْقَعْدَةِ قَاصِدًا
قَيْصَرِيَّةً ، فَتَرَفَى طَرِيقَهُ بِقَرْيَةِ أَهْلِ الْكَهْفِ^(٣) ثُمَّ إِلَى قَلْعَةٍ سَمَّنْدُو^(٤) فَتَزَلَّ إِلَيْهِ وَآلِهَا
مَذْعِنًا لِلطَّاعَةِ ، ثُمَّ سَارَ إِلَى قَلْعَةِ دَرَنْدَةِ^(٥) وَقَلْعَةٍ فَالَوْ فَعَلَّ مَتَوَلَّيْهَا كَذَلِكَ ، ثُمَّ نَزَلَ
بِقَرْيَةٍ مِنْ قُرَى قَيْصَرِيَّةٍ فَبَاتَ بِهَا ، فَلَمَّا أَصْبَحَ رَتَّبَ عَسَاكِرَهُ وَخَرَجَ أَهْلُ

- ١٥ (١) تَكَلَّمَ عَنْ عِيُونِ التَّوَارِيخِ وَذَيْلِ مَرَاةِ الزَّمَانِ . (٢) فِي عِيُونِ التَّوَارِيخِ وَالتَّهْجِ السَّيِّدِ
وَذَيْلِ مَرَاةِ الزَّمَانِ : « مَا فَاتَ مِنَ الْمَلِكِ » . (٣) هِيَ أُبَيْسُ (بِالْفَتْحِ ثُمَّ السُّكُونِ) : اسْمٌ لِمَدِينَةٍ
خَرَابَ قَرِبَ أَيْلُسْتَيْنَ مِنْ نَوَاحِي الرُّومِ يُقَالُ مِنْهَا لِأَصْحَابِ الْكَهْفِ وَارْتَقَمَ قَيْلُ هِيَ مَدِينَةُ دَقْيَانُوسَ ، وَفِيهَا
آثَارُ عَجَبِيَّةٍ مَعَ خَرَابِهَا ، وَرَاجِعُ الْحَاشِيَةِ رَقْمُ ٢ ص ١٦٨ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ . (٤) سَمَّنْدُو : فِي وَسْطِ
بِلَادِ الرُّومِ ، غَزَاهُ سَيْفُ الدَّوْلَةِ فِي سَنَةِ ٣٣٩ هـ وَهَرَبَ مِنْهُ الدَّمِسْقِيُّ ، فَقَالَ الْمُنْتَبِي :
رَضِينَا وَالدَّمِسْقِيُّ غَيْرُ رَاضٍ * بِمَا حَكَمَ الْقَوَاضِيبُ وَالرَّوْشِيحُ
فَإِنْ يَقْدَمُ فَقَدْ زَرْنَا سَمَّنْدُو * وَإِنْ يَحْجِمُ فَوَعْدُنَا الْخَلِيجُ
(عَنْ مَعْنَى الْبُلْدَانِ لِأَيُّقُوت) . (٥) دَرَنْدَةُ : مَدِينَةٌ فِي جِهَةِ الْغَرْبِ مِنْ مَطْلُيَّةٍ وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ حَلَبَ
خَمْسَةَ أَيَّامٍ . وَهِيَ قَرْيَةٌ مِنْ قِيَسَارِيَّةٍ (صَبْحِ الْأَعَشَى ج ٤ ص ١٣٢) .
(٦) فِي نَهَايَةِ الْأَرْبِ : « دَوَالُو » . وَفِي التَّهْجِ السَّيِّدِ وَذَيْلِ مَرَاةِ الزَّمَانِ : « قَلْعَةُ دَالُو » .

قَيْصَرِيَّةَ بِأَجْمَعِهِمْ مُسْتَبْشِرِينَ بَلْقَائِهِ ، وَكَانُوا لِنَزُولِهِ نَصَبُوا الْخِيَامَ بُوْطَاةً ، فَلَمَّا قَرِبَ الظَّاهِرُ مِنْهَا تَرَجَّلَ وَجْهَهُ النَّاسُ عَلَى طَبَقَاتِهِمْ وَمَشَوْا بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَى أَنْ وَصَلَهَا .

- فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ سَابِعَ عَشَرَ الشَّهْرِ رَكِبَ السُّلْطَانُ لِلْجُمُعَةِ ، فَدَخَلَ قَيْصَرِيَّةَ وَنَزَلَ دَارَ السُّلْطَنَةِ وَجَلَسَ عَلَى التَّخْتِ وَحَضَرَ بَيْنَ يَدَيْهِ الْقَضَاةُ وَالْفُقَهَاءُ وَالصُّوْفِيَّةُ وَالْقُرَّاءُ وَجَلَسُوا فِي مَرَاتِبِهِمْ عَلَى عَادَةِ مُلُوكِ السَّلْجُوقِيَّةِ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِمُ السُّلْطَانُ وَمَدَّ لَهُمْ سِمَاطًا فَأَكَلُوا وَأَنْصَرَفُوا ، ثُمَّ حَضَرَ الْجُمُعَةَ بِالْجَامِعِ وَخُطِبَ لَهُ ، وَحُضِرَ بَيْنَ يَدَيْهِ الدَّرَاهِمُ الَّتِي ضَرِبَتْ لَهُ بِاسْمِهِ . وَكُتِبَ إِلَيْهِ الْبَرْوَانَةُ يَهْنَأُ بِالْجُلُوسِ عَلَى تَخْتِ الْمُلْكِ بَقَيْصَرِيَّةَ ، فَكُتِبَ لِلْمَلِكِ الظَّاهِرِ إِلَيْهِ بِعَوْدِهِ لِيُوَلِّيَهُ مَكَانَهُ ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ يَسْأَلُهُ أَنْ يَنْتَظِرَهُ خَمْسَةَ عَشْرِ يَوْمًا ، وَكَانَ مُرَادُ الْبَرْوَانَةِ أَنْ يَصِلَ أَبْنَا وَيَحْتَنِي عَلَى الْمَسِيرِ لِيَدْرِكَ الْمَلِكَ الظَّاهِرَ بِالْبِلَادِ ، فَاجْتَمَعَ نَتَاوُونَ بِالْأَمِيرِ شَمْسِ الدِّينِ سَسَنْقَرِ الْأَشْقَرِ وَعَرَفَهُ مَكَرَ الْبَرْوَانَةِ فِي ذَلِكَ ، فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبًا لِرَحِيلِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ عَنْ قَيْصَرِيَّةَ مَعَ مَا أَنْضَافَ إِلَى ذَلِكَ مِنْ قَلَقِ الْعَسَاكِرِ ، فَارْحَلَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ ، وَكَانَ عَلَى الْبِرْكَ عِزُّ الدِّينِ أَيْكُ الشَّيْخِي ، وَكَانَ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ ضَرَبَهُ بِسَبَبِ سَبْقِهِ النَّاسَ فغَضِبَ وَهَرَبَ إِلَى النَّارِ . وَكَانَ أَوْلَادُ قُرْمَانَ قَدْ رَهَنُوا أَخَاهُمُ الصَّغِيرَ عَلَى بَكِ بَقَيْصَرِيَّةَ ، فَأَخْرَجَهُ الْمَلِكُ الظَّاهِرَ وَأَنْعَمَ عَلَيْهِ ، وَسَأَلَ السُّلْطَانَ فِي تَوَاقِعِ وَسَنَاجِقِ لَهُ وَإِخْوَتِهِ فَأَعْطَاهُ ، وَتَوَجَّهَ نَحْوَ إِخْوَتِهِ بِجَبَلٍ لَارَنْدَةَ .

(١) الوطاة : الأرض السهلة غير الجبلية . (٢) هو مقدم جيش النار ، كما في السلوك .
 (٣) في الأصلين : « البرك » وهو تصحيف . والبرك (محركة) : رئيس العسس ومن يراقب من مضى فيتبعه . فارسية . والنسبة إليها « يزك » . (٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٩٨ من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٥) لارندة : بلام وألف وراء مهلة مفتوحة ، وهي قرية من قونية على مسافة يوم بين الشرق والشمال (عن تقويم البلدان لأبي الفدا ص ٣٧٨) .

وطاد السلطان وأخذ في عَوْدِهِ أَيضًا عِدَّةَ بِلَادٍ إِلَى أَنْ وَصَلَ مَكَانَ الْمَعْرَكَةِ يَوْمَ السَّبْتِ ، فَرَأَى الْقَتْلَ ، فَسَأَلَ عَنْ مِثْلِهِمْ فَأُخْبِرَاتُ الْمَغْلُ خَاصَّةً سَنَةَ آلَافٍ وَسَبْعِمِائَةٍ وَسَبْعُونَ نَفْسًا ؛ ثُمَّ رَحَلَ حَتَّى وَصَلَ أَبْقَادَرَبَنْدُ^(١) ، بَعَثَ الْخَزَائِنَ وَالذَّهْلِيَّ وَالسَّجَاقِ صَحْبَةَ الْأَمِيرِ بَدْرِ الدِّينِ يَبْلِيكَ الْخَازِنْدَارَ لِيَعْبُرَ بِهَا الدَّرَبَنْدَ ، وَأَقَامَ السُّلْطَانُ فِي سَاقَةِ الْعَسْكَرِ بَقِيَّةَ الْيَوْمِ وَيَوْمَ الْأَحَدِ ، وَرَحَلَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ فَدَخَلَ الدَّرَبَنْدَ .

ثُمَّ سَارَ إِلَى أَنْ وَصَلَ دِمَشْقَ فِي سَابِعِ الْحَزَمِ سَنَةَ سِتٍّ وَسَبْعِينَ وَسَمِائَةٍ ، وَتَزَلَّ بِالْخَوْسَقِ الْمَعْرُوفِ بِالْقَصْرِ الْأَبْلَقِ جَوَارِ الْمَيْدَانِ الْأَخْضَرِ وَتَوَارَتْ عَلَيْهِ الْأَخْبَارُ بِوَصُولِ أَبْقَا مَلِكِ التَّارِ إِلَى مَكَانِ الْوَقْعَةِ ، فَجَمَعَ السُّلْطَانُ الْأَمْرَاءَ وَضَرَبَ مَشُورَةً ، فَوَقَعَ الْإِتِّفَاقُ عَلَى الْخُرُوجِ مِنْ دِمَشْقَ بِالْعَسَاكِرِ وَتَلَقَّيْهِ حَيْثُ كَانَ ، فَأَمَرَ الْمَلِكُ الظَّاهِرَ بِضَرْبِ الدَّهْلِيَّ عَلَى الْقَصْرِ ، وَفِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ وَصَلَ رَجُلٌ مِنَ التُّرْكَمَانِ وَأَخْبَرَ أَنَّ أَبْقَا عَادَ إِلَى بِلَادِهِ هَارِبًا خَائِفًا ؛ ثُمَّ وَصَلَ الْأَمِيرُ سَابِقُ الدِّينِ يَتِيمَرُ أَمِيرَ مَجْلِسِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ صَلَاحِ الدِّينِ ، وَهُوَ غَيْرُ يَتِيمَرِ الْكَبِيرِ ، وَأَخْبَرَ بِمِثْلِ مَا أَخْبَرَ التُّرْكَمَانِيَّ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ أَمَرَ الْمَلِكُ الظَّاهِرَ بِرَدِّ الدَّهْلِيَّ إِلَى الشَّامِ . وَكَانَ عَوْدُ أَبْقَا مِنَ الْطَافِ اللَّهُ تَعَالَى بِالْمُسْلِمِينَ ، فَإِنَّ الْمَلِكَ الظَّاهِرَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ نِصْفَ الْحَزَمِ مِنْ سَنَةِ سِتٍّ وَسَبْعِينَ أَبْتَدَأَ بِهِ مَرَضُ الْمَوْتِ .

(١) راجع الحاشية رقم ١٠ ص ١٦٧ من هذا الجزء . (٢) أمر بإنشائه السلطان الملك الظاهر بالميدان الأخضر بظاهر دمشق سنة ٦٦٥ هـ فصر على ما هو عليه الآن (زمن النوري صاحب نهاية الأرب) . وقد وقع في عمارته حادث غريب ذكره صاحب نهاية الأرب في الجزء ٢٨ ص ٤٠ ؛ فراجع . وسبق له شرح راف في ترجمة الملك السعيد .

ذكر مرض الملك الظاهر ووفاته

- لما كان يوم الخميس رابع عشر المحرم سنة ست وسبعين وثمانئة جلس الملك الظاهر بالجوسق الأبلق بميدان دمشق يشرب القيمز^(١) وبات على هذه الحالة، فلما كان يوم الجمعة خامس عشره وجد في نفسه ثوراً وتوعكاً فشكا ذلك إلى الأمير شمس الدين سنقر الألفي^(٢) السلحدار فأشار عليه بالقي، فاستدعاه فاستعصى عليه .
- القي، فلما كان بعد صلاة الجمعة ركب من الجوسق إلى الميدان على عادته، والألم مع ذلك يقوى عليه، وعند الغروب عاد إلى الجوسق . فلما أصبح أشتكى حرارة في بطنه فصنع له بعض خواصه دواء، ولم يكن عن رأى طبيب فلم يتجع وتضاعف ألمه، فاحضره الأطباء فانكروا استعماله الدواء، وأجمعوا على استعمال دواء مسهل فسقوه فلم ينفع، فحزوه بدواء آخر كان سبب الإفراط في الإسهال ودفع دماً، فتضاعفت حماته وضعت قواه، فتخيل خواصه أن كیده يتقطع وأن ذلك عن سم سقيه فوُلج بالجوهر، وأخذ أمره في انحطاط، وجهده المرض وتزايد به إلى أن قحى نجه يوم الخميس بعد صلاة الظهر الثامن والعشرين من المحرم، فاتفق رأى الأمراء على إخفائه وحمله إلى القلعة لئلا تشعر العامة بوفاته، ومنعوا من هو داخل من المسالك من الخروج ومن هو خارج منهم من الدخول . فلما كان آخر
- الليل حمّله من كبار الأمراء سيف الدين قلاوون الألفي وشمس الدين سنقر الأشقر، وبدر الدين يتسرى، وبدر الدين ييليك الخازن دار، وعمر الدين آقوس الأفرم،

(١) القيمز: نبيذ يعمل من لبن الخيل، واللفظ تترى الأصل، وقد كان السلطان بيبرس شغفا بهذا النوع من الشراب . (انظر السلوك حاشية رقم ٢ ص ٦٠٧) . (٢) سيذكر المؤلف وفاته سنة ٥٦٨٠ .

(٣) في الأصلين: « التاسع والعشرين » والصحيح عن التوقيعات الإلهامية وذيل مرآة الزمان والتهج والسديد وما تقدم ذكره للأول قبل ذلك بقليل .

وعز الدين أَيْتَك الحموي، وشمس الدين سُقْر الأثيني الظاهري، وعلم الدين سَنَجَر الحموي أبو خُرس، وجماعة من أكابر خواصه. وتولى غُسله وتحنيطه وتصويره وتكفينه مهتارهُ الشُّجاع عَنَبَر، والفقيه كمال الدين الإسكندري المعروف بابن المنبجي^(١)، والأمير عز الدين الأفرم؛ ثم جُعِل في تابوت وعُلِق في بيت من بيوت البحرية بقلعة دِمَشق إلى أن حصل الاتفاق على موضع دفنه. ثم كتب الأمير بدر الدين بيليك الخازندار إلى ولده الملك السعيد مطالعةً بيده وسيّرها إلى مصر على يد بدر الدين بَنَكُوت الجُوكَنْدَارِي الحموي، وعلاء الدين أَيْدُغُش الحَكِيمِي الجاشنكير، فلما وصلا وأوصلاه المطالعة خَلَعَ عليهما وأعطى كلّ واحد منهما خمسين ألف درهم، على أن ذلك إشارةٌ بَعُود السلطان إلى الديار المصرية. ولما كان يوم السبت ركب الأمراء إلى سوق الخيل بِدِمَشق على عادتهم ولم يُظهروا شيئاً من زِي الحزن. وكان أوصى أن يُدْفَن على الطريق السالكة قريباً من دارياً وأن يُنَى عليه هناك، فرأى ولده الملك السعيد أن يَدْفِنه داخل السور، فأبتاع دار العقيق^(٢) بمِثْنَاة وأربعين ألف درهم نفقة، وأمر أن تُغَيَّر معالمها وتُبنى مدرسة [للشافعية والحنفية] : إِتْمَى .

وأما الملك السعيد فإنه جهّز الأمير علم الدين سنجر الحموي المعروف بأبي خُرس، والطواشي صفى الدين جوهر الهندي إلى دِمَشق لدفن والده الملك الظاهر، فلما وصلاها اجتمعوا بالأمير عز الدين أَيْدُمر نائب السلطنة بِدِمَشق، وعزّفاه المرسوم

(١) المهتار : ناظر الخاصة . (٢) المنبجي : نسبة إلى منبج، وراجع الحاشية رقم ٢

ص ٩٧ من الجزء الثالث من هذه الطبعة . (٣) راجع الحاشية رقم ٦ ص ٢٨٦ من

الجزء الخامس من هذه الطبعة . (٤) في عيون التواريخ : « بستين ألف درهم » .

(٥) سيأتي لها شرح وافٍ عن صبح الأعشى في هذا الجزء . (٦) زيادة عن ذيل مرآة الزمان وهيون التواريخ .

فبادر إليه ، وحمل الملك الظاهر من القلعة إلى التربة ليلاً على أعناق الرجال ،
وُثِنَ بها ليلة الجمعة خامس شهر رجب القُرد ، وكان قد ظهر موته بِدَمَشَق في يوم
السبت رابع عشر صفر ، وُشِرَ العمل في أعزيتِه بالبلاد الشامية والديار المصرية .
قال الأمير بيبرس الدَّوَادَار في تاريخه — وهو أعرف بأحواله من غيره -

- قال : وكان القَمَر قد كَسَفَ كُسُوفًا كاملاً أظلم له الجو وتآول ذلك المتأولون بموت
رجل جليل القُدْر ، ف قيل : إن الملك الظاهر لما بلغه ذلك حذر على نفسه وخاف
وقصد أن يُصرف التأويل إلى غيره لعله يَسَلَمَ من شره ، وكان بِدَمَشَق شخص من
أولاد الملوك الأيوبيّة ، وهو الملك القاهر بهاء الدين عبد الملك ابن السلطان الملك
المعظم عيسى ابن السلطان الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، فاراد انظاهر ، على
ما قيل ، أغتياله بالسم ، فأحضره في مجلس شرابه فأمر الساقِي أن يَسْقِيَه قِيْزًا مزوجًا ،
فما يقال ، بسم ، فسقاه الساقِي تلك الكأس فأحس به وخرج من وقته ، ثم
عَلِط الساقِي وملاً الكأس المذكورة وفيها أثر السم ، ووقعت الكأس في يد الملك
الظاهر فشربه ، فكان من أمره ما كان . انتهى كلام بيبرس الدَّوَادَار باختصار .
قلت : وهذا القول مشهور وأظنّه هو الأصحّ في علّة موته ، والله أعلم .

- وكانت مدّة مُلْكِه تسع عشرة سنة وشهرين ونصفًا ، ومَلِك بعده ابنه الملك
السعيد ناصر الدين محمد المعروف ببركة خان ؛ وكان تسلطن في حياته من مدّة سنين
حسب ما تقدّم ذكره .

وكان الملك الظاهر رحمه الله مَلِكًا شجاعاً مقداماً غازیاً مجاهدًا مُرابطاً
خليقاً بالملك خفيف الوطأة سريع الحركة يُبَاشِر الحروب بنفسه .

(١) هو الأمير ركن الدين بيبرس بن عبد الله المنصورى الدوادار صاحب التاريخ . سيذكره المؤلف

قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي في تاريخه بعد ما أثنى عليه : « وكان خليفًا بالملك لولا ما كان فيه من الظلم ، والله يرحمه ويغفر له ، فإن له أيامًا بيضاء في الإسلام ومواقف مشهورة وفتوحات معدودة » . انتهى كلام الذهبي باختصار .

وقال الشيخ قطب الدين اليونيني في الذيل على مرآة الزمان في موت الملك (١) الظاهر هذا نوعًا مما قاله الأمير بيترس الداوآدار لكنه زاد أمورًا تحكيها ، قال : حكى لي ابن شيخ السلامة عن الأمير أزدمر العلاني نائب السلطنة بقلعة صفد قال : كان الملك الظاهر مؤتمًا بالنجوم وما يقوله أرباب التقاويم ، كثير البحث عن ذلك ، فأخبر أنه يموت في سنة ست وسبعين ملكًا بالسم ، فحصل عنده من ذلك تركيب ، وكان عنده حسد شديد لمن يوصف بالشجاعة ، وأتفق أن الملك القاهر عبد الملك بن المعظم عيسى الآتي ذكره لما دخل مع الملك الظاهر إلى الروم ، وكان يوم المصاف ، فدام الملك القاهر في القتال فتأثر الظاهر منه ، ثم أنضاف إلى ذلك أن الملك الظاهر حصل منه في ذلك اليوم فتور على خلاف العادة ، وظهر عليه الخوف والندم على تورطه في بلاد الروم ، فحدثه الملك القاهر عبد الملك المذكور بما فيه نوع من الإنكار عليه والتوبيخ لأفعاله ، فأتى ذلك عنده أثرًا آخر . فلما عاد الظاهر من غزوته سمع الناس يلهجون بما فعله الملك القاهر ، فزاد على ما في نفسه وحقد عليه ، فحبل في ذهنه أنه إذا سمع كان هو الذي ذكره أرباب النجوم ، فأحضره عنده ليشرب القميز معه ، وجعل الذي أعد له من السم في ورقة

(١) هذه القصة واردة في ذيل مرآة الزمان وفي تاريخ الإسلام للذهبي في ترجمة الملك القاهر

عبد الملك بن عيسى بن محمد بن أيوب المتوفى سنة ٦٧٦ هـ .

(٢) هو تاج الدين نوح بن إسحاق بن شيخ السلامة كما في ذيل مرآة الزمان وتاريخ الإسلام .

(٣) عبارة السلوك : « فأمر له السلطان ذلك » .

في جيبه من غير أن يَطْلِع على ذلك أحد، وكان للسلطان هَنَابَاتٌ ^(١) ثلاثة مَخْتَصَةٌ به مع ثلاثة سُقَاة لا يَشْرَب فيها إلَّا مَنْ يُكْرِمه السلطان، فأخذ الملك الظاهر الكأس بيده وجعل فيه ما في الورقة خَفِيَّةً، وأسقاه للملك القاهر، وقام الملك الظاهر إلى الخلاء وعاد، فنَبَسِي الساقى وأسقى الملك الظاهر فيه وفيه بقايا السم . انتهى كلام قطب الدين .

وخلف الملك الظاهر من الأولاد : الملك السعيد ناصر الدين محمد بركة خان . ومولده في صفر سنة ثمان وخمسين وستمائة بضواحي مصر ، وأمُّه بنت الأمير حُسام الدين بركة خان بن دولة خان الحَوَارِزْمِي . والملك [نجم الدين] ^(٢) خِضْرًا، أمُّه أم ولد . والملك بذَر الدين سَلَامُش . وولِد له من البنات سبع . وأما زَوَجاتُه فأتم الملك السعيد بنت بركة خان ، وبنت الأمير سيف الدين نوْكَاي التَّتَارِي ، وبنت الأمير سيف الدين كراي التَّتَارِي ، وبنت الأمير سيف نوغاي التَّتَارِي ، وشَهْرُزُورِيَّة تزوجها لما قَدِم غَزَّة وحالف الشَّهْرُزُورِيَّة قبل سلطته، فلما تسلطن طَلَّقها .

وأما وزرائه — لما تولى السلطنة استمَرَزَين الدين يعقوب بن عبد الرَفِيع بن الزُّيَرِي، ثم صرفه واستوزر الصاحب بهاء الدين علي بن محمد بن سليم بن حِثَّا . وكان للملك الظاهر أربعة آلاف مملوك مُشْتَرِيَاتُ أمراء وحَاصِيكِيَّة وأصحاب وظائف .

(١) هَنَابَات ، جمع هَنَاب ، وهو قدح الشراب (عن هامش السلوك ص ٦٠٧) .

(٢) زيادة عن عيون التواريخ والذيل على مرآة الزمان ونهاية الأرب للتوحي وتاريخ الدول والملك لابن الفرات . (٣) كذا في الأصلين . وفي الذيل على مرآة الزمان :

« نوْكَاس » . وفي نهاية الأرب : « نوْكِه » . وفي السلوك : « نوْكَلِي » .

(٤) الخاصكية : جعل ذلك علما عليهم لأنهم يدخلون على الملك في أوقات خلواته وفراغه ، وينالون من ذلك ما لا يناله أكابر المتقدمين ، ويحضرون طرف كل نهار في خدمة القصر والاسطبل ، ويركبون لركوب الملك لبلا ونهارا ولا يتخلفون في قرب ولا بعد ، ويميزون عن غيرهم في الخدمة بجلهم سيوفهم ولباسهم =

وأما سيرته وأحكامه وشرف نفسه حكي : أن الأشرف صاحب حصص كتب إليه يستأذنه في الحج ، وفي ضمن الكتاب شهادة عليه أن جميع ما يملكه أنتقل عنه إلى الملك الظاهر ، فلم يأذن له الملك الظاهر في تلك السنة غضباً منه لكونه كتب ذلك ، واتفق أن الأشرف مات بعد ذلك فنسلم الملك الظاهر حصونه التي كانت بيده ولم يتعرض للتركة ، ومكن ورثته من الموجود والأملاك ، وكان شيئاً كثيراً إلى الغاية ، ودفع الملك الظاهر إليهم الشهادة وقد تجنبوا التركة لعلمهم بالشهادة . ومنها أن شعراً^(١) بانياس وهي إقليم يشتمل على أرض كثيرة عاطلة بحكم استيلاء الفرنج على صفد ، فلما أفتح صفد أفناه بعض العلماء باستحقاق الشعراء فلم يرجع إلى الغنم ، وتقدم أمره أن من كان له فيها ملك قديم فليسلمه .

وأما صدقاته فكان يتصدق في كل سنة بعشرة آلاف إردب قمح في الفقراء والمساكين وأرباب الزوايا ، وكان يرتب لأيتام الأجناد ما يقوم بهم على كثرتهم ، ووقف وقفاً على تكفين أموات الغرباء بلقاهرة ومصر ، ووقفاً ليشتري به خبز ويفرق في فقراء المسلمين ، وأصلح قبر خالد بن الوليد - رضى الله عنه - بمحضر ، ووقف وقفاً على من هو راتب فيه من إمام ومؤذن وغير ذلك ، ووقف على قبر أبي عبيدة بن الجراح - رضى الله عنه - وقفاً مثل ذلك ، وأجرى على أهل الحرمين والحجاز وأهل بئر وغيرهم ما كان أنقطع في أيام غيره من الملوك .

== الطرز الزركشي ، ويدخلون على الملك في خلواته بغير إذن ، ويتوجهون في المهمات الشريفة ، ويتأفقون في ركوهم وملبوسهم ، وكانوا في القديم لا يزيدون على أربعة وعشرين بمسد الأمراء المقدمين ، والآن يزيدون على الأربعمائة ، ولهم الرزق الواسع والعطايا الجزيلة من الملوك (كترميرج ٢ ص ١٥٩) .
٢٠ وتخاب زبدة كشف المسالك وبيان الطرق والمسالك لفرس الدين خليل بن شاهين الطاهري (ص ١١٥ - ١١٦) . (١) شعراء : في الجنوب الشرق من بانياس (عن صبح الأعشى ج ٤ ص ١٠٤) . (٢) في ذيل امرأة الزمان : « يشتمل على قرى كثيرة » .

وأما عمائره : المدارس والجماعات والأسيلة والأريطة فكثيرة ، وغالبها معروفة به ، وكان يُخرج كل سنة جملةً مستكثرة يستفك بها من حبسه القاضي من المُقِلين ، وكان يُرتَّب في أول شهر رمضان بمصر والقاهرة مطابخ لأنواع الأطعمة ، وتُفرَّق على الفقراء والمساكين .

- وأما حُرْمَتُهُ ومهابته ، منها : أن يهودياً دَفَنَ بقلعة جَعَبَرٍ عند قصد التَّارِهَا مَصَاغاً وَذَهَباً وَهَرَبَ بِأَهْلِهِ إِلَى الشَّامِ وَأَسْتَوطن حَمَاةً ، فَلَمَّا أَمِنَ كَتَبَ إِلَى صَاحِبِ حَمَاةٍ يُعْرِفُهُ وَيَسْأَلُهُ أَنْ يُسِيرَ مَعَهُ مَنْ يَحْفَظُهُ لِيَأْخُذَ خِيَّتَهُ وَيُدْفَعَ لِبَيْتِ الْمَالِ نِصْفَهُ ، فَطَالَعَ صَاحِبُ حَمَاةِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ بِذَلِكَ ، فَرَدَّ عَلَيْهِ الْجَوَابَ أَنَّهُ يُوجِّهُهُ مَعَ رَجُلَيْنِ لِيَقْضِيَ حَاجَتَهُ ؛ فَلَمَّا تَوَجَّهُوا مَعَ الْيَهُودِيِّ وَوَصَلُوا إِلَى الْفُرَاتِ أَمْتَنَعَ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنَ الْعُبُورِ فَعَبَّرَ الْيَهُودِيُّ وَحْدَهُ ، فَلَمَّا وَصَلَ وَأَخَذَ فِي الْحَقْرِ هُوَ وَأَبْنَاهُ وَإِذَا بِطَائِفَةٍ مِنَ الْعَرَبِ عَلَى رَأْسِهِ ، فَسَأَلُوهُ عَنْ حَالِهِ فَأَخْبَرَهُمْ ، فَأَرَادُوا قَتْلَهُ وَأَخَذُوا الْمَالَ ، فَأَخْرَجَ لَهُمْ كِتَابَ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ مُطْلَقاً إِلَى مَنْ عَسَاهُ يَقِفُ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا رَأَوْا الْمُرُومَ كَفُّوا عَنْهُ وَسَاعَدُوهُ حَتَّى اسْتَخْلَصَ مَالَهُ . ثُمَّ تَوَجَّهُوا بِهِ إِلَى حَمَاةٍ وَسَلَّمُوهُ إِلَى صَاحِبِ حَمَاةٍ ، وَأَخَذُوا خَطَّهُ بِذَلِكَ .

- ومنها : أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ التُّجَّارِ خَرَجُوا مِنْ بِلَادِ الْعِجْمِ قَاصِدِينَ مِصْرَ ، فَلَمَّا مَرُّوا بِسَيْسٍ مِنْهُمْ صَاحِبُهَا مِنَ الْعُبُورِ ، وَكَتَبَ إِلَى أَبْنَاءِ مَلِكِ التَّارِ ، فَأَمَرَهُ أَبْنَاءُ بِالْحَوَاطَةِ عَلَيْهِمْ وَإِرْسَالِهِمْ إِلَيْهِ ، وَبَلَغَ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ خَبْرَهُمْ ، فَكَتَبَ إِلَى نَائِبِ حَلَبَ بِأَنْ يَكْتُبَ إِلَى نَائِبِ سَيْسٍ ، إِنَّهُ هُوَ تَعَزَّضَ لَهُمْ بِشَيْءٍ يُسَاوِي دَرَاهِمًا وَاحِدًا أَخَذْتُ عَوَضَهُ مِرَارًا ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ نَائِبُ حَلَبَ بِذَلِكَ فَأَطْلَقَهُمْ ، وَصَانَعَ أَبْنَاءُ بْنُ هَوْلَاكُو

(١) عبارة الذيل على مرآة الزمان : « أخذتك عوضه » .

على ذلك بأموالٍ جلييلة حتى لا يُخالف مرسومَ الظاهر ، وهو تحت حُكم غيره
لا تحت حكم الظاهر .

ومنها : أن تواقيعه التي كانت بأيدي التجار المترددين إلى بلاد القَبْجَاق^(١)
[بإعفاثهم من الصادر والوارد] كان يُعمل بها حيث حلُّوا من مملكة بركة خان
ومنكوتمر وبلاد فارس وكرمان .

ومنها : أنه أعطى بعض التجار مالا ليشتري به ممالك وجواري من الترك
فشيرت نفس التاجر في المال فدخل به قراقوم^(٢) من بلاد الترك وأستوطنها ، فوقع
الملك الظاهر على خبره ، فبعث إلى منكوتمر في أمره فأحضره إليه تحت الحوطة
إلى مصر . وله أشياء كثيرة من ذلك .

وكان الملك الظاهر يُحب أن يُطلع على أحوال أمرائه وأعيان دولته حتى لم
يَخَفْ عليه من أحوالهم شيء . وكان يُقرب أرباب الكالات من كل فن وعلم . وكان
يُميل إلى التاريخ وأهله ميلًا زائدًا ويقول : سماعُ التاريخ أعظمُ من التجارب .
وكانت ترد عليه الأخبار وهو بالقاهرة بحركة العدو ، فيأمر العسكر بالخروج وهم
زيادة على ثلاثين ألف فارس ، فلا يبيت منهم فارسٌ في بيته ، وإذا خرج من
القاهرة لا يمكن من العود إليها ثانياً .

قلت : كان الملك الظاهر - رحمه الله - يسير على قاعدة ملوك التتار
وغالب أحكام جنكيز خان من أمر «اليسق والتورا» ، واليسق : هو الترتيب ، والتورا :

(١) هذه الزيادة عن الذيل على مرآة الزمان .

(٢) في الأصلين : « قراقوم » . وما أثبتناه عن ذيل مرآة الزمان بتقويم البلدان لأبي الفداء .
وقراقوم : من أقصى بلاد الترك الشرقية ، وكانت قاعدة التاروق جهاتها بلاد المغل ، وهم خالصة النار ،
ومنها خاناتهم .

(٣) في الأصلين : « لا يمكن من العود إليها ثانياً » . وما أثبتناه عن ذيل عن مرآة الزمان .

- المذهب باللغة التركية؛ وأصل لفظة اليَسَق: يسي يَسَا، وهي لفظة مركبة من كلمتين صدر الكلمة: يسي بالعجمي، وعجزها يَسَا بالتركي، لأن يسي بالعجمي ثلاثة، ويَسَا بالمُعْليّ - الترتيب، فكأنه قال: الترتيب الثلاثة. وسبب هذه الكلمة أن يَجْنِكُزْخَانَ مَلِكَ الْمُغُلِّ كان قَسَمَ ممالكه في أولاده الثلاثة، وجعلها ثلاثة أقسام، وأوصاهم بوصايا لم يَخْرُجُوا عنها التُّرك إلى يومنا هذا، مع كثرتهم واختلاف أديانهم، فصاروا يقولون: يسي يَسَا (يعني الترتيب الثلاثة التي رتبها يَجْنِكُزْخَانَ)، وقد أَوْضَحْنَا هذا في غير هذا الكتاب^(١) بأوسع من هذا. انتهى. فصارت التُّرك يقولون: «يسي يَسَا» فنَقَّلَ ذلك على العامة فحرفوها على عادة تحاريفهم، وقالوا: سِيَّاسَة. ثم إن التُّرك أيضا حذفوا صَدْرَ الكلمة، فقالوا: يَسَا مدَّة طويلة، ثم قالوا: يَسَق، وأستمر ذلك إلى يومنا هذا. انتهى.

١٠

- قلت: والملك الظاهر هذا هو الذي ابتدأ في دولته بأرباب الوظائف من الأمراء والأجناد، وإن كان بعضها قبله فلم تكن على هذه الصيغة أبدًا؛ وأمثلة لذلك مثلاً فيقاس عليه، وهو أن الدَّوَّادَارَ كان قديمًا لا يُبَاشِرُهُ إِلَّا مُتَعَمِّمٌ يَحْمِلُ الدَّوَاةَ ويحفظها. وأمير مجلس هو الذي كان يَحْرُسُ مجلس قعود السلطان وفرشه. والحاَجِب هو البواب الآن، لكونه يحجب الناس عن الدخول؛ وقس على هذا. ١٥
- بجاء الملك الظاهر جَدَّدَ جماعة كثيرة من الأمراء والجند ورتبهم في وظائف:

(١) تقدّم الكلام على هذين اللفظين في ص ٢٦٨ — ٢٦٩ من الجزء السادس من هذه الطبعة.

(٢) سيأتي للؤلّف بعد قليل شرح لما يخالف هذا الشرح ويوافق ما ذكر في صبح الأعشى.

(٣) راجع الكلام على المجبوبة في صبح الأعشى (ج ٤ ص ١٩) وسيذكر المؤلف شرحا لها

كالدَّوَادَارِ وَالْحَايَازِدَارِ وَأَمِيرِ أَخُورِ وَالسَّرَاخُورِ وَالسَّقَاةِ وَالْجَمْدَارِيَّةِ وَالْمُجْتَابِ وَرُؤُوسِ
النُّوبِ وَأَمِيرِ سِلَاحِ وَأَمِيرِ مَجْلِسِ وَأَمِيرِ شِكَّارِ .^(٥)

فأما موضوع أمير سلاح في أيام الملك الظاهر فهو الذي كان يَتَحَدَّثُ على
السِّلَاحِ دَارِيَّةً ، ويُناوِلُ السلطان آلة الحرب والسِّلَاحِ في يوم القتال وغيره ، مثل
يوم الأضْحَى وما أشبهه . ولم يكن إذ ذاك في هذه المَرْتَبَةِ (أعني الجلوس رأس ميسرة
السلطان) ، وإنما هذا الجلوس كان إذ ذاك مَخْتَصًّا بِأَطَابِكِ . ثم بعده في الدولة
الناصرية محمد بن قلاوون برأس نوبة الأمراء كما سيأتي ذكره في محله . وتأيد
ذلك يأتي في أول ترجمة الملك الظاهر بَرَقُوقَ ، فَإِنَّ بَرَقُوقَ نَقَلَ أمير سلاح قُطْلُوْبَغَا^(٧)

(١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٩٩ من هذا الجزء . (٢) في الأصلين : «السراخور» .
والسراخور هو الذي يتحدث على طرف الدواب من الخيل وغيرها . وهو مركب من لفظين فارسيين ،
أحدهما «سرا» ومعناه الكبير ، والثاني «خور» ومعناه اللطف ، ويكون المعنى كبير اللطف ، والمراد
كبير الجماعة الذين يتولون طرف الدواب . والعامية يقولون : سراخوري بلبات ياء النسب في آخره ولا
وجه له . ونشهد الكتاب يدلون الرأ فيه لاما (كما ذكره المؤلف) فيقولون : سلاخوري : وهو خطأ
(صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٦٠) . (٣) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٥ من هذا الجزء .
(٤) وظيفة رأس النوبة ، معناها الحكم على المالك السلطانية والأخذ على أيديهم ، وقد جرت
العادة أن يكونوا أربعة أمراء ، واحد منهم مقدم ألف وثلاثة طليحانة . (صبح الأعشى ج ٤ ص ١٨) .
(٥) أمير شكار هو لقب على الذي يتحدث على الجوارح من الطيور وغيرها وسائر أمور الصيد .
وهو مركب من لفظين : أحدهما عربي وهو أمير ، والثاني فارسي وهو شكار (يكسر الشين المعجمة)
ومعناه : صيد فيكون المراد أمير الصيد (صبح الأعشى ج ٥ ص ١٦١) .

(٦) الأطابك هو الأتابك ، ومعناه الولد الأمير ، وأول من لقب بذلك نظام الدولة وزير ملكشاه
ابن ألب أرسلان السلجوقي حين فُوض إليه ملكشاه تدبير المملكة سنة ٤٦٥ هـ . وقيل : أطابك معناه
أمير آب ، والمراد به أبو الأمراء وهو أكبر الأمراء المقدمين بعد النائب الكافل ، وليس له وظيفة
ترجع إلى حكم وأمر ونهى ، وغايته رفة المهل وعلو المقام (صبح الأعشى ج ٤ ص ١٨) .

(٧) في الأصلين : «الطنبا» . وتصحيحه عن ابن أبياس (ج ١ ص ٢٦٠) والمنهل الصافي
في ترجمة قطلوبغا الكوكائي المذكور ، وهما من الجزء الخامس من النجوم الزاهرة ص ٢٦٨ طبع كاليغورنيا
سنة ١٩٣٣ . وهو قطلوبغا بن عبد الله الكوكائي الأمير سيف الدين نسب إلى معتقه الأمير كوكاي صاحب
التربة والمنطقة تجاه قبة النصر بالصحراء ، توفي في حدود سنة ٧٩٦ هـ (عن المنهل الصافي) .

الْكُوكَايِي إلى حِجُوبِيَّةِ المِجَنَاب . وأمير مجلس كان موضوعها في الدولة الظاهرية يَبْرُس يَحْتَلُّ على الأَطْبَاء والكَحَالِين والمُجَبَّرِينَ ، وكانت وظيفة جليلة أكبر قدراً من أمير سلاح .

- وأما الدَّوَادَارِيَّة فكانت وظيفة سافلة . كان الذي يليها أولاً غير جندي ، وكانت نوعاً من أنواع المباشرة ، فجعلها الملك الظاهر يَبْرُس على هذه الهيئة ، غير أنه كان الذي يليها أمير عشرة . ومعنى دَوَادَارٍ باللغة العجمية : ماسك الدَّوَاة ، فإن لفظة « دار » بالعجمي : ماسك ، لا ما يفهمه عوام المصريين أن داراً هي الدار التي يُسْكَن فيها ، كما يقولون في حق الزَّمام : زمام الأدر ، وصوابه زمام دار . وأول من أحدث هذه الوظيفة ملوك السُلْجُوقِيَّة . والجَمْدَار ، الجَمَى هي البُقْجَة باللغة العجمية ، ودار تقدم الكلام عليه ، فكأنه قال : ماسك البُقْجَة التي للقماش . وقس ١٠ على هذا في كل لفظ يكون فيه دار من الوظائف .

- وأما رأس نوبة فهي عظمة عند التَّار ، وَيَسْمُون الذي يليها « يَسَوول » بتفخيم السين . والملك الظاهر أول من أحدثها في مملكة مصر . والأمير آخور أيضاً وظيفة عظيمة ، والمُغَل تسمى الذي يليها « آق طشي » . وأمير آخور لفظ مركب من فارسي وعربي ، فأمير معروف وآخور هو اسم المِذْدُودِ بالعجمي ، فكأنه يقول : ١٥ أمير المِذْدُود الذي يأكل فيه الفَرَس . وكذلك السلاخوري وغيره ؛ مما أحدثها الملك الظاهر أيضاً .

- وأما المِجُوبِيَّة فوظيفة جليلة في الدولة التركية ، وليس هي الوظيفة التي كان يليها حجة الخلفاء ، فأولئك كانوا حجةً يَحْجُبُونَ الناس عن الدخول على الخليفة ، ليس من شأنهم الحكم بين الناس والأمر والنهي ؛ وهي مما جدده الملك ٢٠

(١) هذه الحملة في الأملين هكذا : « وكذلك السلاخوري وغيره ومن أحدثها ... الخ » .

الظاهر بيبرس ، لكنها عظمّت في دولة الملك الناصر محمد بن قلاوون حتى
عادت النياحة ^(١) .

وأما ما عدا ذلك من الوظائف فأحدثها الملك الناصر محمد بن قلاوون كما
سيأتي بيانه في تراجمه الثلاث من هذا الكتاب ، بعد أن جدّد والده الملك المنصور
قلاوون وظائف أئمر كما سيأتي ذكره أيضا في ترجمته على ما شرطناه في هذا الكتاب
من أن كل من أحدث شيئا عزيّناه له . ومما أحدثه الملك الظاهر أيضا البريد
في سائر ممالكه ، بحيث إنه كان يصل إليه أخبار أطراف بلاده على أنساع مملكته
في أقرب وقت .

وأما ما أفتحه من البلاد وصار إليه من أيدي المسلمين فعدة بلاد وقلاع .
والذي أفتحه من أيدي الفرنج — خذلهم الله — : قيسارية ، وأرسوف ، وصفد ،
وطبرية ، ويافا ، والشقيف ، وأنطاكية ، وبقراس ، والقصير ، وحصن الأكراد
وعكار ، والقرين ، وصافيتا ، ومرقبة . وناصفهم على المرقب وبانياس وبلاد
أنطوطوس وعلى سائر ما بقي في أيديهم من البلاد والحصون وغيرها . وأستعاد من
صاحب بيس دزبساك ، ودركوش ، ورعبان ، والمرزبان وبلاداً أخرى . والذي

(١) النياحة ، ويسمى عن صاحبها بالنائب الكافل ، وكافل الممالك الإسلامية ، وهو يحكم في كل
ما يحكم فيه السلطان ويعلم في التقاليد والتواقيع والمناسير وغير ذلك مما هو من هذا النوع على كل ما يعلم
عليه السلطان . وسائر النواب لا يعلم الرجل منهم إلا على ما يتعلق بخاصة نيابته ، وهذه رتبة لا يخفى ما لها
من التميز (صج الأئمة ج ٤ ص ١٦) . (٢) في الأصلين : « عكا » . والتصويب عن
عيون التواريخ والذيل على مرآة الزمان والسلوك . وراجع الحاشية رقم ٣ ص ١٥٣ من هذا الجزء .
(٣) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٥٣ من هذا الجزء . (٤) في الأصلين : « درعيان » بالياء .
أمر الحروف . والتصحيح عن السلوك وعيون التواريخ والذيل على مرآة الزمان . وهي مدينة بالتفوريين
حلب وسميطا قرب الفرات معدودة في المواسم ، وهي قلعة تحت جبل (عن معجم البلدان لياقوت) .
(٥) عرف هذا اللفظ أبو القدا إسماعيل في تقويم البلدان في الكلام على قلعة الروم بأنه نهر يحيى .
من ناحية الجبل ويسب في الفرات تحت قلعة الروم (تقويم البلدان ص ٢٦٩) .

١٥

٢٠

- صار إليه من أيدي المسلمين: دِمَشْقُ وَبَعْلَبَكُ وَغُلُوكُنْ وَبُصْرَى وَصَرْخَدَ وَالصَّلْتُ ، وكانت هذه البلاد التي تغلب عليها الأمير علم الدين سَنَجَرُ الحَلَبِيُّ بعد موت الملك المظفَر قُطُزَ، لما تسلطن بِدَمَشْقَ وتلقب بالملك المجاهد . انتهى . وخص ، وتُدْمَرُ ، والرَّجْبَةُ ، ودلوياء ، وتَلْ باشر ، وهذه البلاد آنتقلت إليه عن الملك الأشرف صاحبِ خص في سنة آئنتين وستين وستمائة . وصيَّوْنُ وَبَلَّاطُنُسُ ، وبرُزِيَّةُ ، وهذه مُتَقِلَّةٌ إليه عن الأمير سابق الدين سليمان بن سيف الدين أحمد وعمه عز الدين . وحصون الإسماعيلية وهي : الكهف ، والقَدْمُوسُ ، والمِيتَقَةُ ، والمُليقَةُ ، والحواري ، والرَّصَافَةُ ، ومِصْيَافُ ، والقُلَيْبَةُ . وأما ما آنتقل إليه عن الملك المغيث ابن الملك العادل أبي بكر ابن الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب : الشَّوَبَكُ ، والكَرْكُ . وما آنتقل إليه عن التَّار : بلاد حلب الشمالية بأسرها ، وشيْزَرُ ، والبيْرةُ .

- (١) في الذيل على مرآة الزمان : « زلوياء » . وفي عيون التواريخ : « زوليا » . وفي المبعج السديد : « زلوتنا » وقد بحثنا في كتب المعاجم عن كل هذه الأسماء . فلم نوفق إلى معرفة الصواب فيها .
- (٢) في الأصلين : « آئنتين وسبعين » . وما أثبتناه من الذيل على الروضتين وعيون التواريخ .
- (٣) وتسمى أيضا قلاع الدعوة ، سميت بذلك لأنها كانت بيد الإسماعيلية من الشيعة المنتسبين إلى إسماعيل بن جعفر الصادق ، وهم يسون أنفسهم أصحاب الدعوة الهادية ، وهؤلاء هم المعروفون في ديوان الإنشاء بالقصاد ، وبين العامة بالقدارية . قال صاحب صبح الأعشى (ج ٤ ص ١٤٦ - ١٤٧) وهي سبع قلاع ، كانت كلها مضافة إلى طرابلس ثم نقلت مصياف منها إلى دمشق وقد أروضها صاحب صبح الأعشى وبين مواقعها فراجع . (٤) في الأصلين : « الميطة » . وما أثبتناه من ذيل مرآة الزمان وصبح الأعشى . (٥) في الأصلين : « الحواني » . وما أثبتناه عن صبح الأعشى وفي ذيل مرآة الزمان وعيون التواريخ والنهج السديد . (٦) في الأصلين والذيل على مرآة الزمان وعيون التواريخ : « مصبات » بالهاء المثناة . وما أثبتناه من صبح الأعشى ونهاية الأرب للنويري والسلوك . (٧) كذا في الأصلين وعيون التواريخ . ولعلها : « القليعات » التي تقدم ذكرها في ص ١٥٠ من هذا الجزء .

(١١) وَقَعَ الله على يديه بلاد النوبة ، وفيها من البلاد ممّا على أسوان جزيرةٌ بِلّاقْ ؛ ويلي (٢)

- (١) يطلق اسم بلاد النوبة أو اتيو بيا السفلى على الأراضى التى تمتد على شاطئ النيل من شلال أسوان إلى مدينة مروى قرب الشلال الرابع . وتنقسم بلاد النوبة إلى قسمين : وهما النوبة السفلى والنوبة العليا . فأما بلاد النوبة السفلى وهى الشالية فتقع بين شلال أسوان وبين شلال وادى حلفا ، ويطلق عليها اسم بلاد الكنوز نسبة إلى بنى الكنز وهم عرب من قبيلة ربيعة ، وهذه المنطقة تشمل اليوم ثلاث قرى من مركز أسوان وهى الشلال ودابود ودهيت ، ثم تشمل جميع قرى مركز الدر ، ثم عشر قرى من مركز وادى حلفا التابع للسودان المصرى . وأما بلاد النوبة العليا وهى الجنوبية فتقع بين شلال وادى حلفا وبين الشلال الرابع ، وهذه المنطقة تشمل اليوم مديرتى وادى حلفا ودقطة التابعتين للسودان المصرى . وأما بلاد اتيو بيا العليا فتمتد من الشلال الرابع إلى أقاصى بلاد الحبشة وهى تشمل باقى مديريات السودان المصرى وبلاد الحبشة . وكلمة اتيو بيا : معناها الوجه الأسود أو المحرق ، وهو الاسم الذى أطلقه اليونان على جميع بلاد السود الشديدي الحرارة .
- (٢) جزيرة بلاق : يستفاد مما ذكره الإدريسي عن مدينة بلاق فى ص (٦٤ ج ١) من كتاب نزهة المشتاق ؛ وما ذكره ياقوت فى معجم البلدان أن بلاق هذه مدينة واقعة فى أول بلاد النوبة على الشاطئ الشرقى للنيل جنوبى أسوان ، وتتصل بها بطريق البر ، ولكن لما تكلم المخرزبى على بلاق فى (ص ١٩٩ ج ١) من خطه قال : بلاق أجل حصن للسليمن وهى جزيرة تقرب من الجنادل (يقصد شلال أسوان) يحيط بها الماء وفيها بلد كبير يسكنه خلق كثير من الناس ، وبها جامع بمنبر ونخيل عظيم وإليها تنهى سفن النوبة وسفن المسلمين وبينها وبين أسوان أربعة أميال .
- وذكر جغرافيو الإفرنج أن جزيرة بلاق واقعة فى النيل تجاه محطة الشلال جنوبى أسوان بمسافة عشرة كيلومترات ، واسمها المصرى بيلاك والرومى فيل (بكسر الفاء وبإالة اللام) والقبلى بيلاخ والعربى بلاق وهو المصرى محرقا . ولما زرت هذه الجهة بحثت هذا الموضوع فى مكانه فبينت لى وجود ناحيتين : إحداهما كانت تسمى بلاق والثانية جزيرة بلاق نسبة إلى بلدة بلاق الواقعة تجاهها . أما ناحية بلاق فهى بلدة تقع على الشاطئ الشرقى للنيل وإليها تنهى السكة الحديدية المصرية التى تربطها بأسوان كما تنهى إليها أيضا السفن الفاهية إلى بلاد النوبة والعائدة منها . وبلاق هذه مكانها اليوم تجمع محطة الشلال الواقعة فى نهاية السكة الحديدية ، ونجح ابتكول ونجح الباب القبلى ، وهذه النجوع من توابع ناحية الشلال التابعة لمركز أسوان بمديرتى أسوان . وأما جزيرة بلاق فهى عبارة عن جزيرة صغيرة مساحتها تسعة أقدية تقريبا مشغولة بمبانى بعض الهياكل والمعابد المصرية القديمة ، وليس فيها من الفضاء ما يسمح بوجود بلد كبير حتى ولا قرية صغيرة ، ولا تصلح أن تكون حصنا للسليمن كما ذكر المخرزبى . وهذه الجزيرة تسمى اليوم جزيرة قصر أنس الوجود أو جزيرة القصر أو جزيرة البربا أو جزيرة المبد وهى أشهر الجزر التابعة لناحية الشلال ولا يزال يوجد بجزيرة بلاق هذه بقايا معابد مصرية قديمة من عهد الملك نعتان الثانى ، وأعتبر آثارها المعبد الكبير الذى أنشأه الملك بسمنوس الثانى فيلادلف . وعلى بعد ١٧ قصبة =

(١) هذه البلاد بلاد العلى وجزيرة ميكائيل ؛ وفيها بلاد وجزائر الجنادل وهي

= من جزيرة بلاق إلى الغرب توجد جزيرة أخرى أكبر منها تسمى بيجة وأسمها المصري «سنيث» و يوجد أيضا غرب جزيرة بيجة جزيرة أخرى أكبر من بيجة بكثير تعرف بجزيرة الهيسة ، وهي أكبر الجزر التابعة لناحية الشلال ، وكان بها مساكن وجامع ونخيل قبل إنشاء خزان أسوان سنة ١٩٠٢ . ويحتل كثيرا أنت جزيرة الهيسة هي التي يقصدها المقيري لا تساعها ووقوعها في صدر مجرى النيل على رأس هذه الجزر من جهة بلاد النوبة . وبسبب بناء قناطر خزان أسوان الذي يقال له «السد» ووقوع هذه الجزر أمام قناطر الجزر (أي من جهة المياه الواردة) فالياه الهزونة أصبحت بسبب ارتفاع منسوبها تسمى أرض هذه الجزر وما فيها من المساكن والنخيل والآبار في المدة من شهر ديسمبر إلى يوليو سنويا . وأما وقت فيضان النيل فتضخ القناطر كلها من شهر أغسطس إلى نوفمبر سنويا . وفي هذه المدة يكون النيل في منسوبه العادى فتكشف الأرض وتظهر الآثار وبذلك يمكن مشاهدتها .

(١) بلاد العلى أو بلاد علوة : يستفاد مما ذكره المقيري في ص (١٩١ ج ١) من خطه عند الكلام على ذكر تشعب النيل من بلاد علوة وما ورد في كتاب تاريخ السودان لمؤلفه نعم شقير بك أن بلاد علوة وهي المعروفة ببلاد النوبة العليا أو بمملكة المنج كانت تطلق على منطقة الأراضي التي تمتد اليوم على شاطئ النيل من أول الشلال الرابع وهو شلال كسنجر إلى أرض جزيرة سنار الواقعة بين النيل الأبيض والنيل الأزرق ، وكانت قاعدة بلاد علوة مدينة «سوبة» الواقعة على النيل الأزرق جنوبي الخرطوم بمسافة ٢٤ كيلومترا .

(٢) جزيرة ميكائيل : لما تكلم المقيري في ص (١٩٩ ج ١) من خطه على البقظ (وهو اسم للجزيرة التي كانت للملك مصر على بلاد النوبة) ذكر جملة حوادث منها أن الملك الظاهر بيبرس أرسل في أول شعبان سنة ٦٢٤ هـ بجريدة تحت قيادة الأمير شمس الدين آق سنقر الفارقي والأمير عز الدين أيبك الأفرم رد اعتداء تلك النوبة ، ولما وصل الجند إلى أرض النوبة اقتتل الفريقان قتالا عنيفا انهزم فيه عسكر النوبة وأغار الأفرم على قلعة الدروا وغل الفارقي في أرض النوبة برا وبحرا يقتل ويأمر حتى نزل بجزيرة ميكائيل برأس الجنادل .

وأقول : بالبحث تبين لي أن الجنادل المقصودة بالذكري هنا هي شلال وادى حلفا وأن جزيرة ميكائيل هي التي تعرف اليوم باسم جزيرة «جانا الساب» ويقال «جانساب» وهذه الجزيرة واقعة في النيل على رأس شلال وادى حلفا تجاه خور موسى باشا .

(٣) الجنادل : مفردا جندل ويقال لها الشلالات مفردا شلال وهو عبارة عن مجتمع صخور كبيرة وجزر صخرية صغيرة تتعرض مجرى النيل فتتهد من فوقها المياه بقوة عظيمة ويسمع لها دوى هائل . ولا تمر منها المراكب إلا بالخطوة ودلالة الخيرين بأوضاعها وطرفها من الصيادين . والشلالات التي في النيل تقع في المنطقة التي بين مدينتي أسوان والخرطوم يبعد بعضها عن بعض على مسافات مختلفة ، وهي كثيرة بين كبيرة وصغيرة . فأما الشلالات الكبيرة فأشهرها ستة وهي : الأول شلال أسوان ، والثاني شلال وادى حلفا ويقال له شلال عبكة ، والثالث شلال حنك ، والرابع شلال وادى الأدمية ويقال له شلال كسنجر (وهو اسم محطة السكة الحديدية الواقعة تجاه هذا الشلال) ، والخامس شلال وادى الحمار ويقال له =

أيضا بلاد ؛ ولما فتحها أنعم بها على ابن عم المأخوذة منه ، ثم ناصفه عليها ، ووضع عليه عبيدا وجواري ونجنا وبقرا ، وعن كل بالغ من رعيته دينارا في كل سنة . وكانت حدود مملكة الملك الظاهر من أقصى بلاد النوبة إلى قاطع الفرات . وقد عليه من التار زهاء عن ثلاثة آلاف فارس ، فمنهم من أمره ببلعناها ، ومنهم من جعله أمير عشرة إلى عشرين ، ومنهم من جعله من السقا ، ثم جعل منهم سلعديرية وحمدارية ومنهم من أضافه إلى الأمراء .

وأما مبانيه فكثيرة منها ما هدمه التار من المعقل والحصون . وعمر بقلة الجبل دار الذهب ، ورجبة الجبارج قبة عظيمة محمولة على اثني عشر عمودا من الرخام الملون ، وصور فيها سائر حاشيته وأمرائه على هيتهم ، وعمر بالقلة أيضا طبقتين مئنتين على رجبة الجامع وأنشأ برج الزاوية المجاورة لباب القلة ، وأخرج منه

== شلال جزيرة العشير (لوقوعها أمامه) ، والسادس شلال سيلوكه وهو أقربها إلى الخرطوم . ويوجد في أعلى النيل من الشلالات الكبيرة شلال الروميرص في النيل الأزرق وشلال القولة في النيل الأبيض .

وبسبب بناء خزان أسوان فوق مخور شلال أسوان أنشئ في نهايته الغربية قناة وهويس بأبواب معدنية كبيرة تفتح وتغلق لحفظ توازن المياه عند مرور المراكب الصاعدة والنازلة من الشلال المذكور . (١) في الأصلين هكذا : « ورجبة الخارج فيه قبة » . وما أثبتناه من ذيل مرآة الزمان وفوات الوفيات لابن شاكر . (٢) الجامع : المقصود هنا الجامع الذي كان موجودا بالقلة في ذلك العهد . ويستفاد مما ذكره المقرئ في ص (٣٢٥ ج ٢) من خطه عند الكلام على جامع القلة أن الجامع المذكور قد هدمه الملك الناصر محمد بن قلاوون وأدخله في الجامع الذي أنشأه بالقلة سنة ٧١٨ هـ . وهذا الجامع لا يزال موجودا ، ويعرف بجامع الناصري بقلة الجبل بجوار جامع محمد علي باشا الكبير .

(٣) برج الزاوية : هذا البرج لا يزال موجودا في الزاوية البحرية الغربية من السور القديم البحري للقلة ، ولما جدد محمد علي باشا الكبير سورها الحال أصبح البرج في داخله وملوه الآن الجناح الغربي لمستشفى الجيش بالقلة . (٤) باب القلة : المقصود هنا باب القلة العموي القديم الذي أنشأه صلاح الدين في سنة ٥٧٩ هـ . وورد في المخطط المقرئ (ج ١ ص ٢٠٤) باسم الباب المدرج ، ولا يزال موجودا ولكن بطل استعماله وسد الطريق الذي كان يصل بينه وبين حوش القلة بسبب وجود الباب الجديد الذي أنشأه محمد علي باشا الكبير في سنة ١٢٤٢ هـ بجوار الباب القديم المذكور ، والباب الحال يعرف بالباب الجديد أو الباب العموي أو الباب البحري . وفي ذيل مرآة الزمان وفوات الوفيات : « برج الزاوية المجاور لباب السر » .

- رواشن، وبنى عليه قبة وزخرف سقفها، وأنشأ جواره طباقا للمالك أيضا .
 وأنشأ^(١) برجبة باب القلعة دارا كبيرة لولده الملك السعيد، وكان في موضعها حَجَيزٌ فمقد عليه ستة عشر عقداً، وأنشأ دوراً كثيرة بظاهر القاهرة [تأ على القلعة وإصطبلات]^(٢)
 برسم الأمراء، فإنه كان يكره سكنى الأمير بالقاهرة مخافة من حواشيه على الرعية .
 وأنشأ^(٣) حماماً بسوق الخليل لولده الملك السعيد، وأنشأ^(٤) الجسر الأعظم والقنطرة التي على الخليج، وأظن أنها قنطرة السباع، وأنشأ^(٥) الميدان بالبورجى ونقل إليه النخيل بالثمن الزائد من الديار المصرية، فكانت أجرة نقله ستة عشر ألف دينار، وأنشأ به
 (١) في الأصلين : « وأنشأ تجاه برجيه بباب القلعة داراً ... الخ » . وما أئتمناه عن ذيل امرأة الزمان وفوات الوفيات . (٢) زيادة عن فوات الوفيات والذيل على امرأة الزمان .
 (٣) حمام سوق الخليل : لما تكلم صاحب الخطط التوفيقية على أعمال الظاهر بيبرس (في ص ٢٨ ج أول) قال : إن هذا الحمام هدم وعمله القره قول وبعض عمارة والده الخديوى إسماعيل باشا بجهة ميدان محمد على . وأقول إن هذا الحمام هو الذى كان يعرف أخيراً باسم حمام الهندو، وإن القره قول الذى يشير إليه هومبى قسم بولس الخليفة القديم وقد هدم هذا المبنى أيضاً، ومكانه اليوم القضاء الواقع شرق عمارة خليل آغا بينها وبين ميدان صلاح الدين . (٤) الجسر الأعظم : ذكر المقرئى (في ج ٢ ص ١٦٠) من خطه أن الجسر الأعظم كان يفصل بين بركة فارودن بركة القيل ثم صار شارفاً مسلوكة يمشى فيه من الكبش إلى قناطر السباع . وأقول : إن الجسر المذكور لا يزال طريقاً عاماً يعرف الآن بشوارع مراسينا ويوصل بين ميدان السيدة زينب حيث كانت قناطر السباع وبين جامع الجاولى الواقع تحت قلعة الكبش وهناك يتقابل مع شارع الخضيرى . (٥) هى بذاتها قنطرة السباع ، يؤيد ذلك ما ذكره عنها المقرئى في (ص ١٤٦ ج ٢) من خطه حيث قال : إن قناطر السباع أنشأها الملك الظاهر بيبرس ونصب عليها سباعاً من الحجارة لأن رنكها (شعاره) كان على شكل سبع فليل لها قناطر السباع . وسماها ابن دقاق في كتاب الانتصار بالقنطرة الظاهرية . وأقول : إن هذه القنطرة كانت موجودة على الخليج المصرى ومعروفة كما شاهدتها باسم قنطرة السيدة زينب ، وكانت تتكون من قنطرتين أحدهما توصل بين شارع الكوى وبين شارع السد . والثانية كانت توصل بين شارع مراسينا وبين شارع الكوى وفى سنة ١٨٩٨ تم ردم الجسر الوسط من الخليج وبرداه أخفت هذه القنطرة من تلك الستة تحت ميدان السيدة زينب ، الذى دخل فيه جزء من شارع الكوى وجزء آخر من شارع مراسينا . (٦) الميدان بالبورجى : لما تكلم المقرئى على اللوق (في ص ١١٧ ج ٢) من خطه ذكر بستان البورجى بين البساتين التى كانت في حدود بستان ابن نعلب، ومن هذا وما ذكره مؤلف هذا الكتاب يعلم أن المنطقة الواقعة غربى باب اللوق كانت تعرف قديماً بالبورجى، ولما تكلم المقرئى في (ص ١٩٨ ج ٢) من خطه على الميدان الظاهرى قال : إنه كان بطرف أراضى اللوق يشرف على النيل بينه وبين قنطرة قنطرة دار الواقعة بجهة باب اللوق، أنشأه الملك الظاهر بيبرس ، فى الأرض التى انحصر عنها ماء النيل غربى الميدان الصالحى، وما زال الملك =

المناظر والقاعات والبيوتات . وجدد جامع الأنور^(١) (أعني جامع الظافر العبيدي^(٢)) المعروف الآن بجامع الفاكهيين والجامع الأزهر^(٣)، وبني جامع العافية بالحسنية وأنفق عليه فوق الألف ألف درهم، وأنشأ قريبا منه زاوية الشيخ خيضر وحامها وطاحونا وفرتا وعمر بالمقياس قبة ربيعة [من حرفة^(٤)]، وأنشأ عدة جوامع بالديار المصرية، وجدد قلعة الجزيرة^(٥)، وقلعة العمودين ببرقة^(٦)، وقلعة السويس^(٧)، وعمر جسرا بالقلوبية، والقناطر على

= الظاهر يلعب فيه بالكرة هو ومن خلفه من ملوك مصر إلى سنة ٧١٤ هـ . ثم عمه الملك الناصر محمد ابن قلاوون بسنا، وأقول : إن قطرة قداد التي كانت على الخليج الناصري هي التي وردت في خريطة الحملة الفرنسية باسم قطرة المدافع، ومكانها اليوم نقطة تلاق شارع جامع جركس بشارع الحوياتي، ومن هذا الوصف يتضح أن الميدان الظاهري كان في المنطقة التي تحد اليوم من الشرق بشارع الحوياتي ومن الشمال بشارع الأتيكمان ومن الغرب النيل ومن الجنوب شارع الخديوي إسماعيل بقسم عابدين بالقاهرة .

(١) في فوات الوفيات : « الجامع الأقر » . وراجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٩٠ من الجزء الخامس من هذه الطبعة . (٢) الجامع الأزهر، قال المقرئ في (ص ٢٣٧ ج ٢) من خطه في الكلام على الجامع الأزهر : ما يفيد أن الأمير عن الدين أيذر الحل تبرع بمبلغ عظيم من المال في إصلاح الجامع الأزهر في سنة ٦٦٥ هـ وأن الملك الظاهر بيبرس أطلق أيضا جملة من المال لهارته في تلك السنة .

(٣) هو بذاته جامع الظاهر وراجع الحاشية رقم ٢ ص ١٦١ من هذا الجزء . (٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٦١ من هذا الجزء . (٥) المقصود هنا مقياس النيل بجزيرة الروضة، وراجع الحاشية رقم ٣ ص ٩٩ من الجزء الرابع من هذه الطبعة . (٦) زيادة عن فوات الوفيات وذيل مرآة الزمان . (٧) قلعة الجزيرة : المقصود هنا قلعة جزيرة الروضة التي أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب

في سنة ٦٣٨ هـ وقد سبق الكلام عليها وعلى مكانها وحدودها في الحاشية رقم ٣ ص ٣٢٠ من الجزء السادس من هذه الطبعة . ويستفاد مما ذكره المقرئ في (ص ١٨٣ ج ٢) من خطه أن الملك المعز أيك

التركاني قد هدمها وعمر منها المدرسة المعزية على النيل بمدينة مصر، ولما صارت ملكة مصر إلى الملك الظاهر بيبرس اهتم بعمارة هذه القلعة وأصلح بعض ما تهدم منها وأعادها إلى ما كانت عليه وفرق أبراجها على الأمراء،

وأمر أن تكون بيوتهم وإصطبلاتهم فيها، ولكن لم تطل عمرتها فانه لما تولى الملك المنصور قلاوون حكم مصر هدم هذه القلعة ونقل منها كل ما احتاج إليه من العمد الصوان والرخام لبناء المدرسة المنصورية

والمارستان والقبعة التي دفر فيها بشارع (المعز لدين الله بن القصيرين سابقا)، ثم أخذ منها أيضا الملك الناصر محمد بن قلاوون ما احتاج إليه لبناء الإيوان والجامع بالقلعة والجامع الجديد على النيل بمدينة مصر، وبذلك ذهبت هذه القلعة في زمن قصير كأنها لم تكن . (٨) كذا في الأصلين والنيل على الروستين .

وفي فوات الوفيات : « قلعة العمد » . (٩) قلعة السويس، هذه القلعة قد اندثرت إلا أن مكانها لا يزال معروفا إلى اليوم باسم قلعة القلزم، وهي عبارة عن تل مرتفع واقع في الجهة الشمالية الشرقية من سكن مدينة السويس ويشرف على خليج السويس .

- (١) بحر أبي المنبج وقنطرة بمينة السرج، وقنطرتين عند القصير على بحر إبراش بسبعة أبواب
مثل قنطرة بحر أبي المنبج، وأنشأ في الجسر الذي يسلك فيه إلى دمياط ست عشرة قنطرة،
وبنى على خليج الإسكندرية قريبا من قنطرتها [القديمة] قنطرة عظيمة بعقد واحد،
وحفر خليج الإسكندرية وكان قد آرتدم بالطين، وحفر بحر أشموم، وكان قد عمى،
وحفر ترعة الصلاح وخور سحنا وحفر المحامدى والكافورى، وحفر في ترعة
أبي الفضل ألف قصبة، وحفر بحر الصمصام بالقلوبية، وحفر بحر مردوس .

- (١) راجع الحاشية رقم ٤ ص ١٤٨ من هذا الجزء . (٢) قنطرة بمينة السرج : هذه
القنطرة كانت واقعة على ترعة قديمة تعرف اليوم بالترعة البولاكية ، كانت تأخذ مياهها من النيل جنوبى بولاق
ثم دمت في المسافة الواقعة بين المباني في قسى بولاق وشبرا بمدينة القاهرة ولا زالت بقايا هذه التربة تهر
بجوار ناحية مينة السرج بضواحي القاهرة . وأما القنطرة فقد كانت تجاه مينة السرج وليس لها أثر اليوم .
(٣) كذا في الأصلين والذيل على مرآة الزمان . وفي فوات الوفيات : « قنطرة عند القصير » .
(٤) زيادة عن ذيل مرآة الزمان . (٥) خليج الإسكندرية : يستفاد مما ذكره المقرئ
عند الكلام على خليج الإسكندرية في (ص ١٦٩ ج ١) من خطه أن الملك الظاهر أمر بحفر هذا الخليج
في سنة ٥٦٦٢ هـ ، ٥٦٦٤ هـ ، ومن البحث تبين لى أن الخليج المذكور كان في ذلك الوقت واقعا على فرع
النيل الغربى في قطعة بأراضى ناحية مينة بيبج شرق سكن ناحية كنيسة الضميرية وكان الحفر من في هذا
الى القيدى أى الى ترعة القيدى التى كانت وقتها هى المجرى الأصل للخليج المذكور . ومن ذلك الوقت
عرفت مينة بيبج بالظاهرية نسبة الى الملك الظاهر وهى التى تعرف اليوم بالضميرية إحدى قرى مركز إيتاى
البارود بمديرية البحيرة . (٦) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٢٨ من الجزء السادس من هذه الطبعة .
(٧) ترع الصلاح والمحامدى والمجابرى والنجارى والكافورى وأبى الفضل ، كانت هذه الترع قديما
مخصصة للرى بالوجه البحرى وقد أخفت أسماءها الآن ، إما بسبب اندثارها وإما بسبب تغير أسمائها
بأخرى من زمن قديم ولذلك أصبحت مجهولة في زماننا هذا . (٨) في الأصلين : « خور منبج » .
وما اشتهر عن فوات الوفيات . وفي الذيل على مرآة الزمان « خور سحنا » .
(٩) بحر الصمصام : يستفاد مما ذكره المقرئ في خطه عند الكلام على بحر أبى المنبج (ص ٨٧ ج ١)
أن إقليم الشرقية كان يروى قبل حفر بحر أبى المنبج من بحر مردوس ومن الصمصام . والبحث تبين
لى أن بحر الصمصام أو الصمصام صار بعد حفر بحر أبى المنبج يأخذ مياهه من بحر أبى المنبج المذكور وبذلك
أصبح فرعا منه ويعرف اليوم بترعة المصبغة المحسرة عن الصمصام بمركز قليوب . وبما أن بحر أبى المنبج
يعرف اليوم بالترعة الشرقية التى بمديرية القليوبية فترعة المصبغة تأخذ مياهها الآن من ترعة الشرقية
في شمال ناحية ميت حقا بمركز قليوب . (١٠) بحر مردوس : سمى بهذا الاسم نسبة الى قرية
مردوس التى كانت واقعة على النيل عند فم هذا البحر وأندثرت وقد ورد اسمها في كتاب التحفة السنية لابن =

وَتَمَّ عِمَارَةُ حَرَمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَمِلَ مِثْبَرُهُ ، وَجَعَلَ بِالضَّرِيجِ النَّبَوِيَّ دِرَازِينَا ، وَذَهَبَ سَقُوفُهُ وَجَدَّدَهَا وَبَيَّضَ حِيطَانَهُ ؛ وَجَدَّدَ الْبِيَارِستانَ بِالْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ ، وَنَقَلَ إِلَيْهِ سَائِرَ الْمَعَاجِينَ وَالْأَكْخَالَ وَالْأَشْرِبَةَ ، وَبَعَثَ إِلَيْهِ طَبِيبًا ^(١) [مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ] .

وَجَدَّدَ فِي الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قُبَّتَهُ ، وَرَمَّ شَعْنَتَهُ وَأَصْلَحَ أَبْوَابَهُ [وَمِيضَاتِهِ ^(٢)] وَبَيَّضَهُ وَزَادَ فِي رَاتِبِهِ . وَجَدَّدَ بِالْقُدْسِ الشَّرِيفِ مَا كَانَ قَدْ تَهْتَمَ مِنْ [قُبَّةِ ^(٣)] الصَّخْرَةِ ، وَجَدَّدَ قُبَّةَ السَّلْسَلَةِ وَزَحْرَفَهَا وَأَنْشَأَ بِهَا خَانًا لِلسَّبِيلِ ، نَقَلَ بِابِهِ مِنْ دِهْلِيْزِ كَانَ لِلْخُلَفَاءِ الْمِصْرِيِّينَ بِالْقَاهِرَةِ ، وَبَنَى بِهِ مَسْجِدًا وَطَاحُونًا وَفُرْنًا وَبُستانًا . وَبَنَى عَلَى قَبْرِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قُبَّةً وَمَسْجِدًا ، وَهُوَ عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ قَبْلَى أَرِيحَا ^(٤) وَوَقَفَ عَلَيْهِ وَقَفًا . وَجَدَّدَ بِالكَرْكِ بُرْجَيْنِ كَانَا صَغِيرَيْنِ فَهَدَمَهُمَا وَغَيَّرَهُمَا . وَوَسَّعَ عِمَارَةَ ^(٥) مَشْهَدِ جَعْفَرِ الطَّيَّارِ — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ — وَوَقَفَ عَلَيْهِ وَقَفًا زِيَادَةً عَلَى وَقْفِهِ عَلَى الزَّائِرِينَ لَهُ وَالْوَافِدِينَ عَلَيْهِ . وَعَمَّرَ جَسْرًا بِقَرْيَةِ دَائِمِيَّةٍ بِالْفُورِ عَلَى نَهْرِ الشَّرِيعَةِ ، وَوَقَفَ عَلَيْهِ وَقَفًا بِرَسْمٍ مَا عَسَاهُ يَتَهَدَّمُ مِنْهُ . وَأَنْشَأَ جَسورًا كَثِيرَةً بِالْفُورِ وَالسَّاحِلِ .

= الْجَمْعَانِ مَعَ قَرْيَةِ بَيْسُوسَ الَّتِي يَقَالُ لَهَا الْيَوْمَ بَاسُوسَ بِمَرْكَزِ قَلْبُوبَ . وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ دَقَاقٍ فِي مَخَابِرِ الْإِسْتِصَارِ ص ٤٧ ج ٥ عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى قَلْبُوبَ أَنَّ هَذَا الْبَحْرَ كَانَ يَمُرُّ عَلَيْهِا . وَبِالْبَحْثِ تَبَيَّنَ أَنَّ هَذَا الْبَحْرَ قَدْ ائْتَدِرُولُ يَبْقَى مِنْهُ إِلَّا تَرْتَةً صَغِيرَةً تَعْرِفُ بِتَرْتَةِ الزَّيْتُونِ تَأْخُذُ مِيَاهَهَا مِنْ تَرْتَةِ أَبْنِ الْمَنْجَا الْخَارِجَةِ مِنَ النَّيْلِ بِأَرَاضِي بَاسُوسَ بِمَرْكَزِ قَلْبُوبَ ثُمَّ تَسِيرُ إِلَى الشَّامِ حَيْثُ تَمُرُّ بِجَوَارِ سَكْنِ بِلْدَةِ قَلْبُوبَ مِنَ الْجَهَةِ الْغَرْبِيَّةِ .

(١) زِيَادَةُ عَنْ فَوَاتِ الْوَفَايَاتِ وَالذَّيْلُ عَلَى مَرَاةِ الزَّمَانِ .
(٢) زِيَادَةُ عَنْ فَوَاتِ الْوَفَايَاتِ وَالذَّيْلُ عَلَى مَرَاةِ الزَّمَانِ . (٣) أَرِيحَا ، وَقَدْ رَوَاهُ بَعْضُهُمْ بِأَنْشَاءِ الْمَعْجَمَةِ . وَهِيَ مَدِينَةُ الْجَبَّارِينَ فِي الْفُورِ مِنْ أَرْضِ الْأُرْدُنِ بِالشَّامِ ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ يَوْمَ الْفَارَسِ فِي جِبَالِ صَعْبَةِ الْمَلِكِ (عَنْ مَعْجَمِ الْبِلْدَانِ لِيَاقُوتَ) . (٤) فِي الذَّيْلِ عَلَى مَرَاةِ الزَّمَانِ وَفَوَاتِ الْوَفَايَاتِ : « فَهَدَمَهُمَا وَكَبَّرَهُمَا وَعَلَاهُمَا » . (٥) هُوَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الطَّيَّارِ أَبْنِ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . أَسْلَمَ قَدِيمًا وَاسْتَعْمَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى غَزْوَةِ مُؤْتَةَ ، وَهِيَ قَرْيَةٌ مِنْ فَرَى الْبَلْقَاءِ فِي حُدُودِ الشَّامِ رَقِيلٌ فِي مَشَارِفِ الشَّامِ ؛ اسْتَشْهَدَ بِهَا جَعْفَرُ الطَّيَّارِ وَبِهَا قَبْرُهُ (رَاجِعْ تَهْذِيبَ التَّهْذِيبِ وَمَعْجَمِ الْبِلْدَانِ لِيَاقُوتَ فِي الْكَلَامِ عَلَى مُؤْتَةَ) .

وأنشأ قلعة قاقون^(١) وبني بها جامعا ووقف عليه وقفا، وبني على طريقها حوضا للسبيل . وجدّد جامع مدينة الرملة ، وأصلح جامعا لبنى أُميّة^(٢) ووقف عليه وقفا . وعدّة جوامع ومساجد بالساحل .

وجدّد باشورة لقلعة صفد وأنشأها بالمجر المرقلي^(٣)، وعمّر لها أبراجا وبدنات، وصنّع بقلات مصفحة دائر الباشورة بالمجر المنحوت، وأنشأ بالقلعة صهريما كبيرا مدرجا من أربع جهاته ، وبني عليه برجا زائدا^(٤) [الارتفاع] ، قيل إن ارتفاعه مائة ذراع، وبني تحت البرج حماما، وصنّع الكنيسة جامعا وأنشأ رباطا ثانيا، وبني حماما ودارا لنائب السلطنة .

وكانت قلعة الصبيبة قد أحربها التتار، ولم يُبقوا منها إلا الآثار بفخدها، وأنشأ لحامعها منارة، وبني بها دارا لنائب السلطنة، وعمل جسرا يمشى عليه إلى القلعة .
وكان التتار قد هدموا شراريف قلعة دمشق، ورعّوس أبراجها، بفخذ ذلك كله، وبني فوق بُرج الزاوية المِطَل على الميادين وسوق الخيل طارمة كبيرة، وجدّد منظرة على قائمة مُستحّدة على البرج المجاور لباب النصر، وبَيّض البَحْرة وجدّد دِهان سقوفها : وبني حماما خارج باب النصر بدمشق ، وجدّد ثلاثة إسطبلات على الشرف الأعلى ، وبني القصر الأبلق بالميدان بدمشق وما حوله من العائز . وجدّد مشهد زين العابدين رضى الله عنه بجامع دمشق ، وأمر بتخيم الحائط الشمالى،

(١) في الأصلين : « قاقون » . وفي فوات الوفيات « قاقون » وسياق كلام المؤلف يقتضى ما أثبتناه . وقاقون : حصن بفلسطين قرب الرملة ، وقيل هو من عمل قيسارية من ساحل الشام (عن معجم البلدان لياقوت) . (٢) في الأصلين غير واضح . وما أثبتناه عن ذيل مرآة الزمان . (٣) في الأصلين : « وعمره » . والسياق يقتضى ما أثبتناه . (٤) الزيادة عرب الذيل على مرآة الزمان .
(٥) في الأصلين : « وبني جامعا » . وما أثبتناه عن ذيل مرآة الزمان وفوات الوفيات .

وتجديد باب البريد وفرشه بالبلاط . ورمّ شعث مغارة الدم . وجدّد المباني
التي هدموها التتار من قلعة صرخد . وجدّد قبر نوح عليه السلام بالكرك . وجدّد
أسوار حصن الأكراد ، وعمر قلعتها . وعمر جوامع ومساجد بالساحل يطول الشرح
في ذكرها حذفها خوف الإطالة .

وُثِنَ في أيامه بالديار المصرية ما لم يُثِنَ في أيام الخلفاء المصريين ، ولا ملوك
بنى أيوب من الأبنية والرّباع والخانات والقواسير والدّور والمساجد والحمامات ،
من قريب مسجد التّين ^(٣) إلى أسوار القاهرة إلى الخليج وأرض الطّباله ^(٤) ، وأتصلت
المائر إلى باب المقسم ^(٥) إلى اللوق ^(٦) إلى البورج ^(٧) ، ومن الشارع إلى الكبش ^(٨)

(١) باب البريد ، هو الباب الثاني لدمشق ، كما في نزهة الأنام في محاسن الشام (ص ٢١) .
(٢) في الأصلين : « قبة الدم » . وما أثبتناه من فوات الوفيات . ومغارة الدم : مغارة تزارحسة
في خلف الجبل الذي يعرف بجبل قاسيون . سميت بذلك لأن بها حجرا عليه شئ . كالدّم . وزعم أهل الشام أنه
الحجر الذي قتل قابيل به هابيل (عن معجم البلدان لياقوت) .
(٣) مسجد التين : ذكره المقرئ في (ص ٤١٣ ج ٢) من خطه أن هذا المسجد خارج القاهرة
عما على الخندق قريبا من المطرية ، بنى سنة ١٤٥ هـ وعرف بمسجد البرو ومسجد الجيزة . وفي زمن الدولة
الإخشيدية عمره الأمير تير أحد الأمراء الأكابر في أيام الأستاذ كافر الإخشيدى فصرف بمسجد تير
وتسميه العامة مسجد التين وهو خطأ . وأقول : إن هذا المسجد لا يزال قائما إلى اليوم باسم زاوية الشيخ
محمد التيرى في وسط أرض زراعية تابعة لسراى القبة ، وفي الشمال الغربى لمحة حمامات القبة وبالقرب منها .
(٤) راجع الحاشية رقم ٥ ص ١٢ من الجزء الخامس من هذه الطبعة . (٥) باب المقسم :
يستفاد مما ذكره المقرئ في آخر كلامه على المقسم (ص ١٢١ ج ٢) من خطه أن باب المقسم
ويعرف بباب البحر كان واقعا بقسرية المقسم التي يقال لها المقسم في نهاية السور الشمالى لمدينة القاهرة
من الجهة الغربية ، ويعرف هذا الباب اليوم بباب الحديد وينسب إليه ميدان باب الحديد الواقع بجوار
ميدان محطة مصر ، ويفترق منه شوارع : الملكة نازلى وإبراهيم باشا وفم باب البحر وكوت بك والقجالة ،
وكان هذا الباب واقعا على مدخل شارع فم باب البحر من جهة الميدان المذكور .

(٦) اللوق ، لما تكلم المقرئ على اللوق في (ص ١١٧ ج ٢) من خطه قال : ويطلق اللوق في زماننا
على المكان الذى يعرف اليوم بباب اللوق المجاور لجامع البلاط . وأقول : وغرض المؤلف أنه يشير
إلى أن المباني في زمن الظاهر بيبرس كانت امتدت خارج القاهرة الأملية حتى وصلت إلى باب اللوق الذى
مكانه اليوم مدخل سارع الصنابيرى تجاه جامع البلاط بميدان باب اللوق بقسم هايدن . (٧) راجع
الحاشية رقم ٦ ص ١٩١ من هذا الجزء . (٨) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٧٢ من هذا الجزء .

(١) وحدره أبْنُ مُقْبِحة إلى تحت القلعة ومشهد السيدة نفيسة رضى الله عنها إلى
السُّورِ الْقَرَأَوِشِيِّ (٢) . وكل ذلك من كثرة عدله وإنصافه للرعية والنظر في أمورهم
وإنصاف الضعيف من المستضعف والذب عنهم من العدو المخذول رحمه الله
وعفا عنه .

- ذِكْرُ مَا كَانَ يَنْوِبُ دَوْلَتَهُ مِنَ الْكُلْفِ — كانت عِدَّةُ الْعَسَاكِرِ بِالْدِيَارِ
الْمِصْرِيَةِ أَيَّامَ الْمَلِكِ الْكَامِلِ مُحَمَّدٍ وَوَلَدِهِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ أَيُّوبَ عَشْرَةَ آلَافٍ فَارِسٍ ،
فَضَاعِفَهَا أَرْبَعَةَ أَضْعَافٍ ؛ وَكَانَ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَهُ الْعَشْرَةَ آلَافٍ مُقْتَصِدِينَ
فِي الْمَلْبُوسِ وَالنَّفَقَاتِ وَالْعُدَدِ ، وَهَؤُلَاءِ (أَعْنَى عَسْكَرَ الظَّاهِرِ الْأَرْبَعِينَ أَلْفًا) ، كَانُوا
بِالضَّدِّ مِنْ ذَلِكَ ؛ وَكَانَتْ كُلُّفٌ مَا يَلُودُ بِهِمْ مِنْ إِقْطَاعِهِمْ ، وَهَؤُلَاءِ كُلُّفُهُمْ عَلَى الْمَلِكِ
الظَّاهِرِ ؛ وَلِذَلِكَ تَضَاعَفَتْ الْكُلْفُ فِي أَيَّامِهِ . فَإِنَّهُ كَانَ يُصَرِّفُ فِي كُلِّفٍ مَطْبِخٍ
أُسْتَاذِهِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ أَيُّوبَ أَلْفَ رَطْلٍ [لَحْمٍ] ^(٤) بِالْمِصْرِيِّ خَاصَّةً نَفْسَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ ؛

- (١) فِي الْأَصْلَيْنِ : « حَوْضُ قَبِيحَةٍ » . وَالتَّصْوِيبُ عَنِ الْجُزْءِ الْأَوَّلِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ ص ٤٣
وَيَسْتَفَادُ مِمَّا ذَكَرَهُ الْمَقْرِزِيُّ عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى الْخَطِّ الْقَائِمَةِ بِمَدِينَةِ مِصْرَ فِي (ص ٢٩٦ ج ١)
فِي كَلَامِهِ عَلَى تَحْدِيدِ الْجَمْعَاتِ ، وَمَا ذَكَرَهُ عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى الْعَسْكَرِ فِي (ص ٣٠٤ ج ١) فَيَاخْتَصُّ بِمَارِسْتَانِ
أَحْمَدَ بْنِ طُولُونٍ وَتَحْدِيدِ الْعَسْكَرِ وَالْقَطَاعِ ، وَمَا ذَكَرَهُ عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى بَرَكَةِ قَارُونِ فِي (ص ١٦١ ج ٢)
أَقُولُ : يَسْتَفَادُ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ الْحَدْرَةَ كَانَتْ وَاقِعَةً عَلَى الْحَافَةِ الْغَرْبِيَّةِ مِنْ جَبَلٍ يُشْكِرُ فِي الْجِهَةِ
الْجَنُوبِيَّةِ الْغَرْبِيَّةِ مِنْ قَلْعَةِ الْكَبِشِ . وَمَكَانُهَا الْيَوْمَ الْمَوْضِعُ الْمُنْعَدُّ مِنْ تَلَوِّ زَيْنِ الْعَابِدِينَ حَيْثُ يَزُولُونَ مِنْهَا
إِلَى خَلْقِ الْبَغَالَةِ وَالْمَذْبَحِ فِي نَقْطَةِ تَلَاقِ شَارِعِ الْعَسْكَرِ بِشَارِعِ أَمِيرِ الْجَيْشِ فِي مَنَاطِقِ التَّلَوِّ الْمَذْكُورَةِ بِقِسْمِ
السَّيْدَةِ زَيْنَبٍ بِالْقَاهِرَةِ . وَلِهَذَا الْمُنَاسِبَةُ أَذْكَرُ : أَوَّلًا أَنَّ صَاحِبَ الْخَطِّ التَّوْفِيقِيَّ لَمَّا تَكَلَّمَ عَلَى شَارِعِ قَلْعَةِ
الْكَبِشِ فِي الْجُزْءِ الثَّانِي ص ١١٧ مِنْ خَطِّهِ قَالَ : إِنَّ حَدْرَةَ أَرْنَ قَبِيحَةٍ هِيَ الْحَدْرَةُ الْوَاقِعَةُ فِي أَوَّلِ شَارِعِ
قَلْعَةِ الْكَبِشِ بِجَوَارِجَاعِ صَرْغَتَشٍ مِنَ الْجِهَةِ الْغَرْبِيَّةِ وَيَصْعَدُ مِنْهَا إِلَى قَلْعَةِ الْكَبِشِ ، ثَانِيًا أَنَّ مَصْلَحَةَ
التَّنْظِيمِ أَطْلَقَتْ اسْمَ هَذِهِ الْحَدْرَةِ عَلَى زَقَاقٍ فِي عَطْفَةِ الثَّانِيَةِ بِشَارِعِ السَّيْدَةِ عَاشَةِ جَنُوبِي جَامِعِ الْبَرْدِيِّ
بِقِسْمِ الْخَلِيفَةِ . وَأَقُولُ : إِنَّ كَلَامَ الْوَضْعَيْنِ خَطَأً وَالصَّوَابُ مَا ذَكَرْتُهُ . (٢) رَاجِعِ الْحَاشِيَةَ رَقْمَ ٢
ص ٣٧٨ مِنَ الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنْ هَذِهِ الطَّبْعَةِ . (٣) رَاجِعِ ص ٤٩ مِنَ الْجُزْءِ الرَّابِعِ مِنْ هَذِهِ الطَّبْعَةِ .
(٤) زِيَادَةٌ عَنْ ذَيْلِ مِرْآةِ الزَّمَانِ .

والمصرف في مطبخ الملك الظاهر عشرة آلاف رطل كل يوم عنها وعن توابلها
 عشرون ألف درهم نفقة^(١)، ويصرف في خزانة الكسوة في كل يوم عشرون ألف درهم،
 ويصرف في الكلف الطارئة المتعلقة بالرسل والوفود في كل يوم عشرون ألف درهم،
 ويصرف في عن قُرط دوابه ودواب من يلود به في كل سنة مائة ألف درهم،
 ويقوم بكلف الخيل والبغال والجمال والحُمير من العلوفات خمس عشرة ألف عليقة
 في اليوم، عنها ستمائة إردب^(٢)؛ وما كان يقوم به لمن أوجب نفقته وألزمها عليه
 تُطحن وتُحمل إلى المخازن المَعْدَّة لعمل الجرايات خلا ما يصرف على أرباب الرواتب
 في كل شهر عشرون ألف إردب^(٣)؛ وذلك بالديار المصرية خاصة. وهذا خلاف
 الطوارئ التي كانت تَقْد عليه فما يُمكن حصرها. وكُلُّ أسفاره وتجديد السلاح
 في كل قليل؛ وما كان عليه من الجوامك والجرايات لمالكه ولأرباب الخدم؛
 فكان ديوانه يفي بذلك كله؛ ويحمل لحاصله جملة كبيرة في السنة من الذهب.
 وكان سبب ذلك أنه رَفَعَ أيدى الأقباط من غالب تعلقاته فافتقر أكثرهم في أيامه؛
 وباشروا الصنائع كالنجارة والبناية؛ ولا زال أمرهم على ذلك حتى تراجع في أواخر
 الدولة الناصرية محمد بن قلاوون. انتهت ترجمة الملك الظاهر بيبرس، رحمه
 الله تعالى.

- (١) الدراهم النفقة: أصل موضوعها أن يكون ثلثاها من فضة وثلثاها من نحاس، وتقطع بدور الضرب
 بالسكة السلطانية، ويكون منها دراهم صحاح وقراضات مكسرة والمبرة في وزنها بالدرهم، وهو معتبر بأربعة
 وعشرين قيراطا وقد رُبست عشرة حبة من حب الخروب فتكون كل خروبتين ثمن درهم وهي أربع حبات
 من حب البر المعتدل (عن صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٤٣). (٢) في الأصلين: «في جراية
 الكسوة». وما أُشْتُناه عن فوات الوفيات والذيل على مرآة الزمان. (٣) عبارة فوات
 الوفيات: «ويصرف للخازن الجرايات»، خلا ما يصرف لأرباب المراتب لمصر خاصة كل شهر عشرون
 ألف إردب. (٤) عبارة الذيل على مرآة الزمان: «وأما الطوارئ التي كانت تطرأ عليه
 فما يمكن حصرها». (٥) في ذيل مرآة الزمان «الجاميكات».

ونذكر بعض أحواله ، إن شاء الله تعالى ، في حوادث سنته كما هو عادة هذا الكتاب على سبيل الاختصار . وقد أطلت في ترجمته وهو مستحق لذلك ، لأنه فرع فاق أصله ، كونه كان من جملة مماليك الملك الصالح نجم الدين أيوب فزادت محاسنه عليه .

- وأما مَنْ يَأْتِي بَعْدَهُ فَلَا سَبِيلَ إِلَيْهِ . وَيُعْجِبُنِي فِي هَذَا الْمَعْنَى الْمَقَالَةُ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ مِنْ قَوْلِ الشَّيْخِ الْإِمَامِ الْعَالِمِ الْعَارِفِ الرَّبَّانِيِّ شَرَفَ الدِّينِ عَبْدِ الدِّينِ الْمُؤْمِنِ بْنِ هَبَةِ اللَّهِ الْأَصْفَهَانِيِّ الْمَعْرُوفِ بِشَوْرُوَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ الَّذِي فِي اللُّغَةِ وَتَمَاهٍ « أَطْبَاقُ الذَّهَبِ » يَشْتَمِلُ عَلَى مِائَةِ مَقَالَةٍ [وَأَتْنَتَيْنِ] أَحْسَنَ فِيهَا غَايَةُ الْإِحْسَانِ ، وَهِيَ :

« لَيْسَ الشَّرِيفُ مَنْ تَطَاوَلَ وَتَكَاثَرَ ، إِنَّمَا الشَّرِيفُ مَنْ تَطَوَّلَ وَآثَرَ ؛ وَلَيْسَ

- ١٠ الْحَسَنُ مَنْ رَوَى الْقُرْآنَ ، إِنَّمَا الْحَسَنُ مَنْ أَرَوَى الظَّمْآنَ ؛ وَلَيْسَ الْبِرُّ إِيَابَةُ الْحُرُوفِ بِالْإِمَالَةِ وَالْإِشْبَاعِ ، لَكِنَّ الْبِرَّ إِغَاثَةُ الْمَلْهُوفِ بِالْإِنَالَةِ وَالْإِشْبَاعِ ؛ وَلَا خَيْرَ فِي زُكَاةٍ لَا يُسَدِّى (٣) مَعْرُوفًا ، وَلَا بَرَكَةٍ فِي لَبَنَةٍ لَا تُرَوَّى نَحْرُوفًا ؛ فَوَا [هَا] لَكَ ، لِمَنْ تَذِيرُ أَمْوَالَكَ ! أَنْفَقَ (٤) أَلْفَكَ ، قَبْلَ أَنْ يُقْسَمَ خَلْقُكَ ؛ إِنَّ مَنَازِلَ الْخَلْقِ سَوَاسِيَةٌ ، إِلَّا مَنْ لَهُ يَدٌ مُوَاسِيَةٌ ؛ فَارْفَعُهُمْ أَنْفَعُهُمْ ، وَأَسْوِدَّهُمْ أَجْوَدُهُمْ ، وَأَفْضَلُهُمْ أَبْذَلُهُمْ ؛ وَخَيْرُ النَّاسِ مَنْ سَقَى مِلْوَاحًا ، (٧)

- (١) فِي الْأَصْلَيْنِ : « بِشَفْرُوَّةٍ » . وَتَصْحِيحُهُ عَنْ تَرْجُمَةٍ بِأَوَّلِ إِحْدَى نَسَخِ هَذَا الْكِتَابِ الْمَخْطُوطَةِ الْمَحْفُوظَةِ بِدَارِ الْكُتُبِ الْمِصْرِيَّةِ تَحْتَ رَقْمِ ١٠٩٠٩ . أَدَب . وَقَدْ ضَبَطَ بِالْقَلَمِ فِي النُّسخَةِ الْمَذْكُورَةِ (بِالْثَّانِيَنِ الْمَعْجَمَةِ وَالْوَاوِ وَسُكُونِ الرَّاءِ وَنَحْوِ الْوَائِ الثَّانِيَةِ ثُمَّ هَاءٍ) . (٢) فِي أَطْبَاقِ الذَّهَبِ : « مَنْ تَطَاوَلَ وَكَثُرَ بِلَ الشَّرِيفِ ... الخ » . (٣) زَكَاةٌ (كَهْمَزَةٌ) مِنْ يَكْتَرُ إِعْطَاءَ الزَّكَاةِ . (٤) اللَّبَنَةُ مِنَ الْإِبِلِ وَالْفَنَمُ : الْغَزِيرَةُ اللَّبَنُ . (٥) فِي أَطْبَاقِ الذَّهَبِ : « لَا تَشْبِعْ » . (٦) تَكَلَّمَ عَنْ أَطْبَاقِ الذَّهَبِ . (٧) الْمُلَوَّاحُ : هُنَا الْمَطْلُوحَانِ .

وَنَصَّبَ لِلجَنَّةِ مِلْوَاحًا^(١)، وَالكَرْمَ نَوْعَانِ، أَحْسَنَهُمَا إِطْعَامَ الْجَوَاعَانِ؛ وَالْحَازِمُ مِنْ قَدَمِ الزَادِ لَعْقَبَةُ الْمُقْبَى، وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى . « . اِنْتَهتِ الْمَقَالَةُ . وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ .



• السَّنةُ الْأُولَى مِنْ وِلَايَةِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ بَيْرْسِ الْبُنْدُوقْدَارِيِّ عَلَى مِصْرَ، وَهِيَ سَنَةٌ تَسَعُ وَخَمْسِينَ وَسِتِّمِائَةً ، عَلَى أَنَّهُ حَكَمَ فِي آخِرِ السَّنَةِ الْمَاضِيَةِ نَحْوَ الشَّهْرِ .

قلت : وَدَخَلَتْ سَنَةٌ تَسَعُ وَخَمْسِينَ الْمَذْكُورَةَ وَلَيْسَ لِلْسَّامِينَ خَلِيفَةٌ ، وَكَانَ أَوَّلُهَا يَوْمَ الْأَثْنَيْنِ لِأَيَّامِ خَلَوْنٍ مِنْ كَانُونِ أَحَدِ شَهْرِي الرُّومِ ؛ وَكَانُونٌ بِالْقِبْطِيَّةِ كَيْهَكَ . فَدَخَلَتْ السَّنَةُ وَالسُّلْطَانُ بِدْيَارِ مِصْرَ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ بَيْرْسِ ، وَصَاحِبُ مَكَّةَ^(٢) نَجْمُ الدِّينِ أَبُو نَعْمَى بْنُ أَبِي سَعْدٍ الْحَسَنِيُّ ، وَصَاحِبُ الْمَدِينَةِ بَهَّازُ بْنُ شَيْخَةِ الْحُسَيْنِيِّ ، وَصَاحِبُ دِمَشْقَ وَبَغْلَبَكْ وَبَآيَاسَ وَالصُّبَيْيَّةِ الْأَمِيرُ عَلَمُ الدِّينِ سَنَجَرُ الْحَلَبِيِّ ، تَقَلَّبَ عَلَيْهَا وَتَسَلَطَنَ وَتَقَلَّبَ بِالْمَلِكِ الْمُجَاهِدِ ، وَنَائِبُ حَلَبٍ مِنْ قِبَلِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ بَيْرْسِ الْأَمِيرُ حَسَامُ الدِّينِ لِأَجِينِ الْجُوْكَندَارِ الْعَزِيزِيِّ ، وَصَاحِبُ الْمَوْصِلِ الْمَلِكُ الصَّالِحُ إِسْمَاعِيلُ ابْنُ الْمَلِكِ الرَّحِيمِ لَوْثُو ، وَصَاحِبُ جَزِيرَةِ ابْنِ عَمْرِو أَخُوهُ الْمَلِكِ الْمُجَاهِدِ سَيْفُ الدِّينِ إِسْمَاقُ بْنُ لَوْثُو الْمَذْكُورِ ، وَصَاحِبُ مَآرِدِ الدِّينِ الْمَلِكِ السَّعِيدِ نَجْمُ الدِّينِ إِيْلَفْزَارِيُّ الْأَرْتُقِيُّ ، وَصَاحِبُ بِلَادِ الرُّومِ رُكْنُ الدِّينِ قَلِيجُ أَرْسَلَانُ ابْنُ السُّلْطَانِ غِيَاثِ الدِّينِ كَيْخُسْرُو بْنُ عَلَاءِ الدِّينِ كَيْقُبَادِ السَّلْجُوقِيِّ وَأَخُوهُ عَزَّ الدِّينِ كَيْكَكَاوُسُ ،

(١) الْمِلْوَاحُ : أَنْ يَمُدَّ إِلَى يَوْمَةٍ فَيَنْخِيطَ عَيْنَهَا وَيَشُدَّ فِي رِجْلِهَا صُوفَةٌ سَوْدَاءُ . وَيَجْعَلُ لَهَا مِرْبَاةً يَرْتَمِي الصَّائِدُ فِي الْفِتْرَةِ وَيَطِيرُهَا سَاعَةً بَعْدَ سَاعَةٍ فَإِذَا رَأَى الصَّقْرَ أَوْ الْبَازِيَّ سَقَطَ عَلَيْهِ فَأَخَذَهُ الصَّيَادُ فَالْبُومَةُ وَمَا يَلْبِهَا تَسْمَى مِلْوَاحًا ، وَالْمُرَادُ مَا يَقْدَمُهُ مِنْ فَعْلٍ أَخْيَرُ حَتَّى يَصِلَ إِلَى الْجَنَّةِ .

(٢) هُوَ نَجْمُ الدِّينِ أَبُو نَعْمَى إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي سَعْدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ قَتَادَةَ الْحَسَنِيِّ .

- والبلاد بينهما مناصفة ، وصاحب الكرك والشوبك الملك المغيث ^(١) [فتح الدين عمر] ابن الملك العادل ابن الملك الكامل ابن الملك العادل بن أيوب ، وصاحب حماة الملك المنصور محمد الأيوبي ^(٢) ، وصاحب حمص وتدمر والرجبة الملك الأشرف مظفر الدين موسى ، وصاحب مراکش من بلاد المغرب أبو حفص عمر الملقب بالمرتضى ، وصاحب تونس أبو عبد الله محمد بن أبي زكريا ، وصاحب اليمن الملك المظفر شمس الدين يوسف بن عمر التركماني ^(٣) من بني رسول .

وفيها كانت كسرة التتار على حمص ، وقد تقدم ذكر ذلك .

- وفيها ملك السلطان الملك الظاهر دمشق وأخرج منها علم الدين سنجار الحلبي ، وولى نيايتها الأمير علاء الدين أيديكين البندقداري ، أستاذ الملك الظاهر بيبرس هذا ، الذي أخذه الملك الصالح نجم الدين أيوب منه ، حسب ما ذكرنا ذلك أول ترجمة الملك الظاهر .

وفيها وصل الخليفة المستنصر بالله إلى القاهرة وبُوع بالخلافة ، وسافر ضجة الملك الظاهر إلى الشام ، ثم فارقه وتوجه إلى العراق فقتل ، وقد مر ذكر ذلك كله أيضا .

- وفيها توفي الملك الصالح نور الدين إسماعيل ابن الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن محمد بن أسد الدين شيركوه الكبير ، كان الملك الصالح هذا صاحب حمص

(١) الزيادة عن عقد الجمان . (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٥٧ من هذا الجزء .

(٣) هو صاحب المغرب المرتضى أبو حفص عمر بن إبراهيم بن يوسف بن حفص القيسي المؤمى ، رلى الملك بعد عمه المعتضد . توفي سنة ٦٦٥ هـ (عن المنهل الصافي وشذرات الذهب) .

(٤) هو أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد الواحد بن عمر الأمير المستنصر بالله المقتاني البربري الموحدي المغربي صاحب تونس . توفي سنة ٦٧٥ هـ (عن المنهل الصافي وشذرات الذهب) .

(٥) هو السلطان الملك المظفر شمس الدين أبو المحاسن يوسف ابن السلطان الملك المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول . سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٩٤ هـ .

ملكها بعد موت أبيه ، وكان له اختصاص كبير بابن عمه الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب حلب والشام ، وكان الصالح هذا يُدَارِي التَّارَ وَلَا يُشَاقِقُهُمْ ، وآخر الأمر أنه قُتِلَ في وقعة هولاكو بيد التَّارِ رحمه الله تعالى لما توجَّه إليهم بحجة الملك الناصر صلاح الدين يوسف المذكور ، وكان عنده حَزْمٌ ونجاعة .
 وفيها تُوفِّيَ الشيخ الأديب الفقيه مُخْلِص الدين إسماعيل بن عمر^(١) [بن يوسف] ابن قُرَآنِص الحمويّ الشاعر المشهور ، كان فصيحاً شاعراً من بيت علم وأدب . ومن شعره رحمه الله تعالى :

أَمَّا وَاللهِ لَوْ شَقَّتْ قُلُوبٌ * لُيَعْلَمَ مَا بَهَا مِنْ قَرُوطٍ حُجِّي
 لِأَرْضَاكَ الَّذِي لَكَ فِي فَوَادِي * وَأَرْضَانِي رِضَاكَ بَسَقَ قَلْبِي

وفيها تُوفِّيَ الملك السعيد إِبِلَغَازِي نجم الدين [أبن أبي الفتح أَرْتُقِي بن إِبِلَغَازِي ابن أَلِي بن تَمِرْتَاش بن إِبِلَغَازِي] الأَرْتُقِي صاحب ماردين ، مات في سادس صفر ، وقيل في ذي الحجة سنة ثمان وخمسين .

وفيها تُوفِّيَ الشيخ الإمام الواعظ المحدث أبو عمرو عثمان بن مَكِّي بن عثمان السَّعْدِيّ الشَّارِعِيّ الشَّافِعِيّ ، سَمِعَ الكثير وأَعْنَى به والده فأَسَمِعَهُ من نفسه وغيره ، وكان يُنْشِدُ لِأَبِي الْعَتَاهِيَةِ :

إَصْبِرْ لِدَهْرِ نَالٍ مِنْكَ فَهَكَذَا مَضَتْ الدُّهُورُ
 فَارْحَ وَحُزْنُ مَرَّةٍ * لَا الْحُزْنَ دَامَ وَلَا الشُّرُورُ

وفيها تُوفِّيَ الأديب الفاضل نور الدين أبو الحسن عليّ بن يوسف بن أبي المكارم عبد الله الأنصاريّ المِصْرِيّ المعروف بِالْعَطَّارِ ، كان شاعراً فاضلاً ، مات قبل الأربعين سنة من عُمره . ومن شعره مُلْفِزاً فِي كَوْرِ الزَّرِيرِ :

(١) الكلمة عن السلوك (ص ٤٦٦) . (٢) الزيادة عن المنهل الصافي .

وَذِي أَذْنٍ بِلَا سَمْعٍ * لَهُ قَلْبٌ بِلَا لُبٍّ^(١)
 مَدَى الْأَيَّامِ فِي خَفِيضٍ * وَفِي رَفْعٍ وَفِي نَصَبٍ
 إِذَا أَسْتَوَى عَلَى الْحُبِّ * فَقَلَّ مَا شُئْتَ فِي الصَّبِّ^(٢)

- وفيهما كانت مقتلة السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف ، وكُتِبَتْهُ
 أبو المظفر، ابن السلطان الملك العزيز محمد ابن السلطان الملك الظاهر غازي
 ابن السلطان صلاح الدين يوسف ابن الأمير نجم الدين أيوب الأيوبي الحلبي، وكان
 صاحب حلب ثم صاحب الشام. وُلِدَ بقلعة حلب في شهر رمضان سنة سبع وعشرين
 وستمائة ، وسلطنوه عند موت أبيه سنة أربع وثلاثين ، وقام بتدبير مملكته الأمير
 شمس الدين لؤلؤ الأيمنى ، وعز الدين بن المحلى ، والوزير الأكرم جمال الدين
 القفطى ، والطواشي جمال الدولة إقبال الخاتونى ، والأمر كله راجع لأُم [أبيه]^(٣)
 ١٠ الصاحبة صفية خاتون بنت الملك العادل أبي بكر بن أيوب . وماتت سنة أربعين
 واستقل الملك الناصر هذا وأمر ونهى . ووقع للملك الناصر هذا أمور وقائع^(٤)
 ويحمن ، وهو الذى كان الملك الظاهر بيبرس لما خرج من مصر في نوبة البحرية
 توجه إليه وصار في خدمته . وقد مر ذكره في مواطن كثيرة من هذا الكتاب ،
 من قدومه نحو القاهرة في جفلة التتار ، ورجوعه من قطية إلى البلاد الشامية ،
 ١٥ وغير ذلك ، ثم آل أمره إلى أن توجه إلى ملك التتار هولاكو وتوجه معه أخوه

(١) رواية عيون التواريخ وشذرات الذهب : * له جسم بلا قلب * .

(٢) في الأصلين : * قل ما شئت في الحب * وما أثبتناه عن عيون التواريخ وشذرات الذهب .

(٣) في المهمل الصافي : « عز الدين ابن المهمل » بالجم . (٤) هو الوزير الأكرم جمال الدين

٢٠ على بن يوسف الشيباني القفطى ، وراجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٦١ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

(٥) التكملة عن عيون التواريخ وشذرات الذهب والمهمل الصافي .

(٦) في الأصلين : « بدان أشنت ولدها الملك ... الخ » . وما أثبتناه عن عيون التواريخ

(٧) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٧٧ من هذا الجزء .

الملك الظاهر سيف الدين غازي ، وكان رُئِخَ لُئُكْ ، والملك الصالح نور الدين إسماعيل صاحب حصن المقدم ذكره في هذه السنة ؛ ولما وصل الملك الناصر إلى هولاكو أحسن إليه وأكرمه إلى أن بلغه كُسرُهُ عَيْنَ جالوت غَضِبَ عليه وأمر بقتله ، فاعتذر إليه فأُمسك عن قتله ، لكن أعرض عنه ، فلما بلغه كُسرُهُ بَيْدَرًا ^(١) على حصن قتلَه وقَتَلَ أخاه سيف الدين غازيَا المذكور ، وقَتَلَ الملك الصالح نور الدين صاحب حصن وجميع من كان معه سوى ولده الملك العزيز . وكان الملك الناصر مَلِيحَ الشكل إلا أنه كان أحول ؛ وكان عنده فصاحةٌ ومعرفةٌ بالأدب ، وكان كريمًا عاقلاً فاضلاً جليلاً متجملًا في ممالكه وملبسه ومركبه ، وكان فصيحًا شاعرًا لطيفًا . قال ابن العديم ^(٢) : أنشدني لنفسه . (يعني الملك الناصر هذا) .

١٠ البدر ينجح للغروب ومهجتي * لفراقٍ مشبهٍ أسي تنقطعُ
والشربُ قد خاط النعاسُ جفونهم * والصبحُ من جلبابه يتطلعُ

قال وأنشدني لنفسه رحمه الله تعالى :

اليومُ يومُ الأربعاء * فيه يطيب المرتقى
يا صاحبي أما ترى * شمل المني قد جُمعا
وقد حوى مجلسنا * جل السرور أجمعا
فقم بنا لشربها * ثلاثة وأربعاً

(١) هو بيدرا مقدم التار من قبل هولاكو ، وهو الذي وقعت بينه وبين الأمير حسام الدين الجوكندار مقدم عساكر حلب والملك المنصور صاحب حماة والملك الأشرف صاحب حصن موقعة عظيمة انهزم التار فيها وهرب بيدرا إلى هولاكو بحجة وصغار (عن المنهل الصافي) . (٢) في الأصلين هنا : « سيف الدين علي » . وما أثبتناه عن شذرات الذهب والمنهل وما تقدم ذكره للؤف قريبا وهو الملك الظاهر سيف الدين غازي ابن الملك العزيز محمد بن غازي بن صلاح الدين يوسف بن أيوب .

(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٧٢ من هذا الجزء .

من كَفَّ ساقِ أهيف * شَيْبِهِ بِدِرٍ طَلَعَا

في خَدِّهِ وَتَغْرِهِ * وَرَدُّ وَدَرٍ صُنِعَا

يَسْطُو وَيَزْنُو نَارَةً * وَاللَيْثُ وَالظُّيُّ مَعَا

وله لما مَرَّتْ به التَّنَارُ على حَلَب ، وهى خَاوِيَةٌ على عُروِشِهَا وقد تَهَدَّمَتْ

والتَّيْرَانِ بِهَا تَعْمَلُ ، فقال :

يَعُزُّ عَلَيْنَا أَنْ نَرَى رَبَّكُمْ يَبْلُ * وَكَانَتْ بِهِ آيَاتٌ حُسْنِكُمْ تُثَلِّ

وله يَشْتَأِقُ إِلَى حَلَب وَمَنَازِلِهَا :

سَقَى حَلَبَ الشَّهْبَاءِ فِي كُلِّ لَزِيَّةٍ * سَحَابَةٌ غِيثٌ نَوَّهَهَا لَيْسَ يُقْلِعُ^(١)

فَنَلَكْ دِبَارِي لَا الْعَقِيْقُ وَلَا الْغَضَا * وَتَلَكْ رَبْعِي لَا زَرُودُ وَلَعَلَّ

قلت : وقد ذكرنا من محاسنه وفضله نُبْدَةً كَبِيرَةً في تَارِيخِنَا « المنهل الصافي » ،

وَالْمُسْتَوْفَى بِعَدِّ الْوَاقِي « إِذْ هُوَ كِتَابُ تَرَاجِمِ يَحْسُنُ التَّطْوِيلُ فِيهِ . انتهى .

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها تُوُفِّيَ الْجَمَالُ عُثْمَانُ بْنُ مَكِّيَ

ابن السَّعْدِيِّ الشَّارِعِيِّ الْوَاعِظِ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ ، وَلَهُ خَمْسٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً .

وَأَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ الْأَنْجَبِ بْنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الصُّوفِيِّ فِي رَجَبٍ ، وَلَهُ ثَلَاثٌ وَثَمَانُونَ^(٢)

سَنَةً . وَحَافِظُ الْمَغْرِبِ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ يَحْيَى بْنِ سَيِّدٍ

النَّاسِ الْيَعْمُرِيُّ بَتُونِسَ فِي رَجَبٍ ، وَلَهُ وَاحِدٌ وَسِتُّونَ عَامًا . وَكَمَالُ الدِّينِ أَبُو حَامِدٍ

مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاضِي صَدْرِ الدِّينِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَيْسَى بْنِ دِرْبَاسَ الصَّدْرِ الْعَدْلُ فِي شَوَّالٍ ،

وَلَهُ اثْنَتَانِ وَثَمَانُونَ سَنَةً . وَصَاحِبُ الشَّامِ الْمَلِكُ النَّاصِرُ يَوْسُفُ بْنُ الْعَزِيزِ قُتِلَ صَبْرًا ،

(١) رواية هذا البيت في الأصلين والمنهل الصافي :

سقى حَلَبَ الشَّهْبَاءِ فِي كُلِّ لَزْمَةٍ * سَحَابَةٌ غِيثٌ نَوَّهَهَا لَيْسَ يَطْلُعُ

٢٠

وما أُثْبِتَ عَنْ عِيُونِ التَّوَارِيخِ .

(٢) في الأصلين غير ظاهر . وما أُثْبِتَ عَنْ شَذَرَاتِ الذَّهَبِ وَشَرْحِ الْقَصِيدَةِ اللَّامِيَةِ فِي التَّارِيخِ .

وله اثنتان وثلاثون سنة ، وقُتِلَ معه شقيقه الملك الظاهر غَازِي ، والملك الصالح إسماعيل ابن الملك المجاهد أسد الدين شيركوه صاحب حمص . وتُوفِّي بِصِهْيُون صاحبها مظفر الدين عثمان بن منكورس في شهر ربيع الأول عن سنِّ عالية ؛ تملك بعد أبيه ثلاثاً وثلاثين سنة^(١) ، وولى بعد ابنه محمد .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وعشرون إصبعا .
مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وثلاث عشرة إصبعا .



السنة الثانية من ولاية الملك الظاهر بيبرس على مصر ، وهي سنة ستين وستائة .

١٠ فيها استولى الملك الظاهر بيبرس صاحب الترجمة على دِمَشْق وبَلْبَك والصُّبَيْيَّة وحلب وأعمالها خلا البيرة .

وفيهما استولى التَّار على الموصل ، وقتلوا الملك الصالح صاحبها الذي كان خرج مع الخليفة المستنصر من ديار مصر ؛ على ما يأتى ذكرهما في محله من هذه السنة .

١٥ وفيها تَوَفَّى الخليفة أمير المؤمنين المستنصر بالله أبو القاسم أحمد ابن الخليفة الظاهر بأمر الله محمد ابن الناصر لدين الله أحمد ، الذي بُويع بالقاهرة بالخلافة بعد مُشْغُور الخلافة نحو ستين ونصف ، وخرج الملك الظاهر بيبرس معه إلى البلاد الشامية ، وقد مرَّ ذكرُ قدومه القاهرة وبيعته وسفّره وقُتْلِهِ ورفْعُ نسبه إلى العباس رضي الله عنه في ترجمة الملك الظاهر هذا ، ولا حاجة للإعادة ؛ ومنَّ أراد ذلك فليُنظره هناك .

٢ (١) في الأصلين : « ثلاثا وعشرين سنة » . وما أثبتناه عن شذرات الذهب وما يفهم من عبارة التل الصافي .

وفيهما قُتِلَ الملك الصالح إسماعيل ابن الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل .
وقد ذكرنا وقُودَه على الملك ونروجه مع أخيه والخليفة المستنصر بالله المقدم ذكره ،
فلا حاجة لذكره هنا ثانياً ، قُتِلَ بأيدي التتار في ذى القعدة ، وكان مارقاً عادلاً
حسن السيرة .

وفيهما تُوُفِيَ الأمير سيف الدين بَلْبَانُ الزردكاش ، كان من أعيان أمراء دِمَشْقَ ،
وكان الأمير طَيْرَسُ الوزيرى نائبُ الشام إذا خرج من الشام آستنابه عليها ، وكان
دِينًا خَيْرًا . مات بدمشق في ذى الحجة .

وفيهما تُوُفِيَ الحسن بن محمد بن أحمد بن نجا الشيخ الأديب أبو محمد الغنوي
النصيبى الشافعى الإزبلى المنشأ الضيرير الملقب بالعز . قال صاحب الذيل على مرآة
الزمان : المشهور بعدم الدين والزندقة . كان فاضلاً في العربية والنحو والأدب
وعلوم الأوائل ، منقطعاً في منزله يتردد إليه من يقرأ عليه تلك العلوم ، وكان يتردد إليه
جماعة من المسلمين واليهود والنصارى والسامرة يُقْرَأُ الجميع ، قال : وكان يفسد
عنه من الأقوال ما يُشعرُ بتحلال عقيدته . ومات في شهر ربيع الآخر بدمشق . ومن
شعره قوله :

١٥ تَوْهَمَ وَاشِينَا بَلِيلَ مَزَارِهِ * فَهَمَ لَيْسَى بَيْنَنَا بِالتَّبَاعِدِ
فَعَاقَبْتُهُ حَتَّى اتَّخَذْنَا تَعَانِقًا * [فَلَمَّا] ^(٣) أَنَا مَا رَأَى غَيْرَ وَاحِدٍ
قال الشهاب محمود : وَلَمَّا أَتَشَدْتُ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ يَعْنِي قَوْلَ الْعِزِّ .
* تَوْهَمَ وَاشِينَا بَلِيلَ مَزَارِهِ *

(١) هو بلبان بن عبد الله الأمير سيف الدين كان من أمراء أعيان دمشق (عن المنهل الصافي) .
(٢) هو طيرس بن عبد الله الوزيرى الأمير الكبير الحاج علاء الدين صهر الملك الظاهر بيبرس .
سيد ذكره المؤلف في حوادث سنة ٥٦٨٩ هـ . (٣) تكلمة عن عيون التواريخ وشذرات الذهب
والمنهل الصافي . (٤) راجع الحاشية رقم ٤ ص ١٥٩ من هذا الجزء .

بين يدي الملك الناصر صلاح الدين صاحب دِمَشْق قال : لَا تَلْمُهُ فَوَاتَهُ لَزِمَهُ
لَزُومَ أَعْمَى ؛ فَلَمَّا بَلَغَ الْعِرَاقُ الْمَلِكَ النَّاصِرَ ؛ قَالَ : وَاللهِ هَذَا الْكَلَامُ أَحْلَى مِنْ شِعْرِي .

وفيهما تُوِّفَى الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ عِزُّ الدِّينِ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْعَزِيزِ
ابْنُ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ الْمُهَذَّبِ السَّلْمِيِّ الدَّمَشْقِيِّ
الشَّافِعِيِّ الْمَعْرُوفِ بِأَبْنِ عَبْدِ السَّلَامِ . مولده سنة سبع أو ثمانٍ وسبعين وخمسمائة .
قال الذهبي : وتفقه على الإمام نَحْرَ الدِّينِ ابْنِ عَسَاكِرَ ، وقرأ الأصول والعريضة ،
ودرس وأفتى وصنف وبرع في المذهب وبلغ رتبة الاجتهاد ، وقصده الطلبة من
الآفاق وتخرج به أئمة ، وله التصانيف المفيدة والفتاوى السديدة ، وكان إماما
ناسكا عابدا ، وتولى قضاء مصر القديمة مدة ، ودرس بعدة بلاد . ومات في عاشر
جُمَادَى الْأُولَى .

وفيهما تُوِّفَى الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْوَاعِظُ عِزُّ الدِّينِ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْعَزِيزِ ابْنُ الشَّيْخِ
الْإِمَامِ الْعَلَّامَةِ أَبِي الْمَظْفَرِ شَمْسِ الدِّينِ يَوْسُفَ بْنِ قَزَّوْغَلِي الدَّمَشْقِيِّ الْحَنَفِيِّ هُوَ ابْنُ
صَاحِبِ مِرْآةِ الزَّمَانِ . كان عِزُّ الدِّينِ فقيها واعظا فصيحاً مفتناً درس بعد أبيه
في المدرسة المِيعَرِيَّةِ ووعظ وكان لوعظه موقعٌ في القلوب ، وكانت وفاته بِدِمَشْقَ
في شَوَّالٍ وَدُفِنَ عِنْدَ أَبِيهِ بِسَفْحِ قَاسِيُونِ .

وفيهما تُوِّفَى الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ كَمَالُ الدِّينِ أَبُو الْقَاسِمِ عَمْرُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ هَبَةَ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ
ابْنِ هَبَةَ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى بْنِ زُهَيْرٍ بْنِ هَارُونَ بْنِ مُوسَى بْنِ عِيسَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ

(١) عبارة عيون التواريخ وشذرات الذهب : « قال صاحب كمال الدين بن العديم : لما سمع هذين
اليتين ، قال : سكة سكة أعمى » . (٢) هو عبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن هبة الله
ابن عبد الله بن الحسين بن الإمام الحق نحر الدين أبو منصور الدمشقي الشافعي المعروف بابن عساكر شيخ
الشافعية بالنام . تقدمت وفاته سنة ٦٢٠ هـ . وفي الأصلين : « نحر الدين بن شاكر » والتصحيح عن
المثل الصافي وشذرات الذهب .

- أن محمد بن أبي جرادة عامر بن ربيعة بن خُوَيْلِد بن عَوْف بن عامر بن عُقَيْل
 الْعُقَيْلِيّ الحُلْبِيّ الفقيه الحنفي الكاتب المعروف بأبن الْعَدِيم ، ورفّع نسبه بعض
 المؤرخين إلى خَيْلَانَ . مولده بحلب في العشر الأول من ذى الحجة سنة ست وثمانين
 ونعمسمائة ، وسمع الحديث من أبيه وعمه أبي غانم محمد ومن غيرهما ، وحدث بالكثير
 في بلاد متعددة ، ودرس وأفتى وصنف ، وكان إماما عالما فاضلا مُفْتَنًا في علوم
 كثيرة ، وهو أحد الرؤساء المشهورين والعلماء المذكورين . وأما خُطّه في غاية
 الحسن يُضاهي ابن البواب الكاتب ؛ وقيل : إنه هو الذي اخترع قلم الحواشي ،
 وعرض بهذا في شعره القيسراني رحمه الله تعالى بقوله :

بوجه معدّبي آياتُ حسني * فقل ما شئتَ فيه ولا تُخاشي
 ونسخة حسنة قرئت وصحت * وهاخطُ الكمال على الحواشي

- وجمع حلب تاريخا كبيرا في غاية الحسن ، ومات وبعضه مسودة .
 قلت : وذيل طيه القاضي علاء الدين عليّ - ابن خطيب الناصرية قاضي قضاة
 الشافعية بحلب ذيلًا إلا أنه قصير إلى الرُكبة ، وقفتُ عليه فلم أجده جال حول الحمى ،
 ولا سلك فيه مسلك المذيل طيه من الشروط ، إلا أنه أخذ لم التاريخ بقوة
 الفقه ، على أنه كان من الفضلاء العلماء ولكنه ليس من خيل هذا الميدان ، وكان
 يقال في الأمثال : مَنْ مُدِح بما ليس فيه فقد تمزض للضحكة . انتهى .

- (١) هو محمد بن هبة بن محمد بن هبة الله بن أبي جرادة أبو غانم . توفي سنة ٦٢٨ هـ (من الجواهر
 المضية في طبقات الحنفية) . (٢) ابن البواب هو علي بن هلال الإمام الأستاذ أبو الحسن صاحب
 الخط المنسوب المعروف بابن البواب . ويقال خط منسوب : ذوقه . تمّدت وقته سنة ٤١٣ هـ .
 (٣) هو قاضي قضاة حلب علاء الدين علي بن محمد بن سعد بن محمد بن علي بن همام الحلبي الشافعي .
 سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٨٤٣ هـ . (٤) هو « المنتخب في تاريخ حلب » في أربعة
 مجلدات ، كما في المنهل الصافي .

ومحاسن ابن العديم كثيرة وعلومه غزيرة، وهم يث علم ورياسة وعزاقة .
يأتى ذكر جماعة من ذريته وأقاربه فى هذا الكتاب إن شاء الله تعالى . ومن شعر
المصاحب كمال الدين المذكور مما كتبه على ديوان الشيخ أيدمر مولى وزير
الجزيرة، وهو :

وكنْتُ أَظُنُّ التُّرْكَ تَخْتَصُّ أَعْيُنَ * لَمْ يَنْ رَنَّتْ بِالسَّحْرِ مِنْهَا وَأَجْفَانُ

إِلَى أَنْ أَتَانِى مِنْ بَدِيعِ قَرِيضِهِمْ * قَوَافِى مِى السَّحْرِ الْحَلَالُ وَدِيَاُنُ

فَاقْبَنْتُ أَنَّ السَّحْرَ أَجْمَعَهُ لَمْ * يُقَرُّ لَمْ هَارَوْتُ فِيهِ وَتَحَبَّانُ ^(١)

ومن شعره أيضا رحمه الله وأجاد فيه إلى الغاية :

فَوَاعِجِبَا مِنْ رِيْقِهَا وَهُوَ طَاهِرٌ * حَلَالٌ وَقَدْ أَمْسَى عَلَى مُحَرَّمَا

هُوَ الْخَمْرُ لَكِنْ أَيْنَ لِلْخَمْرِ طَعْمُهُ * وَلَذَّتْهُ مَعَ أَتْنِى لَمْ أَذُقْهُمَا

الذين ذكر الذهبى وفاتهم فى هذه السنة ، قال . وفيها توفى العلامة عز الدين
عبد العزيز بن عبد السلام السلمى - الدمشقى بالقاهرة فى جمادى الأولى عن ثلاث
وثمانين سنة . والمصاحب كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله بن العديم العقلى - بعد
ابن عبد السلام بأيام ، وكان له اثنتان وسبعون سنة . ونقيب الأشراف بهاء الدين
على بن محمد بن إبراهيم بن أبى الجحْ الحُسَيْنِ - فى رجب عن إحدى وثمانين سنة .
وضياء الدين عيسى بن سليمان التَّغَلْبِى - فى رمضان ، وله تسعون سنة . وأسقُشَهْد
فى المصافق المستنصر بالله أحمد ابن الظاهر محمد ابن الناصر فى أوائل المحرم بالعراق ،

(١) هو علم الدين أيدمر بن عبد الله المحيوى نفي الترك عتيق يحيى الدين محمد بن محمد بن سعيد بن ندى
(عن فوات الوفيات) . (٢) كذا فى عيون التواريخ وتاريخ الدول والملوك . وفى الأصلين :

فَاقْبَنْتُ أَنَّ السَّحْرَ رَاجِعَهُ لَمْ * يَقَرُّ لَمْ هَارَوْتُ فِيهَا وَتَحَبَّانُ

(٣) فى الأصلين : « ابن أبى الحسن » . وتصحيحه عن شذوات الذهب والذيل على الروضتين .

وتفرق جمعه . وقَتَلَت السَّارُّ في ذى القعدة الملك الصالح ركن الدين إسماعيل بن لؤلؤ صاحب الموصل بعد الأمان . وفي شهر ربيع الآخر العزَّ الضرير الفيلسوف حسن ابن محمد بن أحمد الإريلى ، وله أربع وسبعون سنة .

§ أمر النيل في هذه السنة - الماء القديم ست أذرع وسبع أصابع . مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا سواء .



السنة الثالثة من ولاية السلطان الملك الظاهر بيبرس على مصر ، وهي سنة إحدى وستين وستمائة .

فيها بايع السلطان الملك الظاهر بيبرس المذكور الخليفة الحاكم بأمر الله أبا العباس أحمد ابن الأمير أبي علي الحسن ؛ وقيل : ابن محمد بن الحسن بن علي القمي .
١٠ ابن الخليفة الراشد ، وهو التاسع والثلاثون من خلفاء بني العباس ، وهو أول خليفة من بني العباس سكن بمصر ومات بها ؛ وبُويِع يوم الخميس تاسع المحرم من سنة إحدى وستين وستمائة ، وكان وصوله إلى الديار المصرية في السنة الحالية .

وفيها هلك ريذا فرنس^(١) ، وأسمه بواش المعروف بالفرنسيس ملك الفرنج الذي كان ملك ديباط في دولة الملك الصالح أيوب .

وفيها توفى المحدث الفاضل عز الدين أبو محمد عبد الرزاق [بن رزق الله]
١٥ ابن أبي بكر بن خلف الرسني^(٢) ، كان إماما فاضلا شاعرا محدثا . ومن شعره :

[و]لو أنب إنسانا يُبلغ لوعي * وشوقي وأشجاني إلى ذلك الرشا^(٣)

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٤٩ من هذا الجزء . (٢) التكلة عن شذرات الذهب وعبون

التواريخ والسلوك . (٣) الرسني : نسبة إلى رأس عين . وفي الأضلين : « الرسني » بالعين

المعجمة وهو صحيف . (٤) التكلة عن عبون التواريخ .

لأُسْكُتْهُ عَنِّي وَلَمْ أَرْضَهَا لَهُ * فَلَوْلَا لَيْبَ الْقَلْبِ أَسْكُتَهُ الْحَشَا
 وَفِيهَا تُؤَوَّى الْأَمِيرُ بِحَيْرِ الدِّينِ أَبُو الْهَيْجَاءِ [بْن] عَيْسَى الْأَزْكَيْنِي الْكُرْدِي
 الْأُمَوِي، كَانَ عَنْ أَعْيَانِ الْأَمْرَاءِ وَتُجَمَّعَانِهِمْ، وَلَمَّا وَلِيَ الْمَلِكُ الْمَظْفَرُ قُطْرُ السُّلْطَةِ،
 وَوَلَّى الْأَمِيرُ عِلْمَ الدِّينِ سَنَجَرَ الْحُلْبِي نِيَابَةَ الشَّامِ جَعَلَهُ مَشَارِكًا لَهُ فِي الرَّأْيِ وَالتَّدِيرِ
 فِي نِيَابَةِ الشَّامِ، وَكَانَ الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ مُوسَى بْنُ الْعَادِلِ يَجْتَنِي مَدَّةً لِأَمْرِ أَقْضَى
 ذَلِكَ . فَلَمَّا كَانَ فِي السَّجْنِ كَتَبَ بَعْضُ الْأَدْبَاءِ يَقُولُ :

يَا أَحْمَدُ مَا زِلْتَ عِمَادَ الدِّينِ * يَا أَشْجَعَ مَنْ أَمْسَكَ رَحْمًا يَمِينِ
 لَا تَبْتَئِسْ إِنْ حَصَلَتْ فِي بَعْضِهِمْ * هَا يَوْسُفُ قَدْ أَقَامَ فِي السَّجْنِ سِنِينَ
 وَكَانَ مَوْلَدُهُ بِمِصْرَ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَسِتِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ؛ وَمَاتَ فِي جُمَادَى الْأُولَى بِمَدِينَةِ
 أَرْدَبِل . ١٠

الَّذِينَ ذَكَرَ الذَّهَبِيُّ وَفَاتِهِمْ فِي هَذِهِ السَّنَةِ، قَالَ : وَفِيهَا تُؤَوَّى عَبْدُ الْغَنِيِّ بْنُ سُلَيْمَانَ
 أَبْنُ بَيْنِ الْبَنَاتِي فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ، وَلَهُ سِتٌّ وَثَمَانُونَ سَنَةً، وَهُوَ آخِرُ مَنْ رَوَى
 عَنْ عُمَرَ . وَالْعَلَّامَةُ عِلْمُ الدِّينِ الْقَاسِمُ بْنُ أَحْمَدَ الْأَنْدَلُسِيِّ فِي رَجَبِ بَدْمَشَقْ، وَلَهُ سِتٌّ
 وَثَمَانُونَ سَنَةً . وَالْإِمَامُ تَقِيُّ الدِّينِ أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ مُرْهَفٍ النَّاشِرِيُّ الْمِصْرِيُّ
 الْمَقْرِيُّ فِي شَعْبَانَ، وَلَهُ إِحْدَى وَثَمَانُونَ سَنَةً . وَالْإِمَامُ كَلَالُ الدِّينِ عَلِيُّ بْنُ شُجَاعِ
 ابْنِ سَالِمِ الْعَبَّاسِيِّ الْقَضْرِي فِي ذِي الْحِجَّةِ، وَلَهُ تِسْعُونَ سَنَةً إِلَّا شَهْرًا . ١٥

- (١) فِي الْأَصْلَيْنِ : « مَجْدُ الدِّينِ » . وَتَصْحِيحُهُ عَنِ السُّلُوكِ وَالذَّيْلِ عَلَى الرَّوْثَيْنِ وَهَقْدُ الْجَمَانِ .
 (٢) التَّكْلُفَةُ عَنِ السُّلُوكِ وَهَقْدُ الْجَمَانِ وَأَبْنُ كَثِيرٍ . (٣) فِي هَقْدِ الْجَمَانِ وَالذَّيْلِ عَلَى الرَّوْثَيْنِ :
 « وَأَبُوهُ الْأَمِيرُ حَسَامُ الدِّينِ مَاتَ مَحْبُوسًا مَعَ عِمَادِ الدِّينِ أَمِينَ الْمُشْطُوبِ فِي الْبِلَادِ الشَّرْقِيَّةِ الَّتِي لَا شَرْفَ » .
 (٤) كَذَا فِي الْأَصْلَيْنِ . وَفِي حَسَنِ الْمَخَاضَةِ لِلْسُّيُوطِيِّ (ج ١ ص ٢١٥) وَشُعْرَاتُ الذَّهَبِ :
 « وَبِمِصْرَ مِنْ شَعْرِ الْحَنْبَلِيِّ فَكَانَ آخِرَ أَصْحَابِهِ » . (٥) فِي الْأَصْلَيْنِ : « النَّاشِرِيُّ » وَالتَّصْحِيحُ عَنْ نَائِيَةِ
 النَّهَايَةِ وَشُعْرَاتُ الذَّهَبِ . وَالنَّاشِرِيُّ : نَسَبٌ إِلَى نَاشِرَةٍ، جَدُّهُ .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وسبع أصابع . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وثلاث عشرة إصبعا .



السنة الرابعة من ولاية السلطان الملك الظاهر بيبرس على مصر، وهي سنة
أثنتين وستين وستمائة .

فيها آتته عمارة مدرسة السلطان الملك الظاهر بيبرس بين القصرين
من القاهرة . وقد تقدم ذكرها في ترجمته .

وفيهما استدعى الملك الظاهر الأمير علاء الدين أيديكين البندقداري إلى القاهرة؛
وأمره أن يعجل نائبه بحلب بعد خروجه الأمير نور الدين على بن مجمل ففعل ذلك،
وقدم القاهرة؛ فلما وصل إليها عزله وأقام نور الدين عوضه في نيابة حلب . وقد
تقدم أن علاء الدين أيديكين هو أستاذ الملك الظاهر بيبرس الذي اشتراه منه الملك
الصالح نجم الدين أيوب .

وفيهما كان الغلاء بديار مصر فبلغ الإردب القمح مائة درهم وخمسة دراهم
نقرة^(٢)، والشعير سبعين درهما الإردب، وثلاثة أرطال خبز المصري بدرهم نقرة،
ورطل اللحم المصري وهو مائة وأربعة وأربعون درهما بدرهم^(٣)؛ وكان هذا الغلاء
عظيما بديار مصر . فلما وقع ذلك تفرق الملك الظاهر الفقراء على الأغنياء والأمراء
وألزمهم بإطعامهم، ثم تفرق من شؤنه القمح على الزوايا والأربطة، ورتب للفقراء

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٢٠ من هذا الجزء . (٢) في عيون التواريخ : « فبلغ

الإردب القمح مائة وخمسين درهما نقرة » . (٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٩٨ من هذا الجزء .

(٤) في السلوك : « والهم كل رطل بدرهم وثلاث » . وفي عيون التواريخ : « ورطل اللحم المصري
بدرهم ونصف نقرة » .

كلّ يوم مائة إردبّ مخبوزة تُفَرَّقُ بجماع ابن طولون . ودام على ذلك إلى أن دخلت السنة الحديدية والمُغَلّ الحديد؛ وأبيع القمح في الإسكندرية في هذا الغلاء الإردبّ بثلاثمائة وعشرين درهما .

وفيها أُحْضِرِينَ يدي السلطان طفلٌ مَيّت له رأسان وأربع أعين وأربع أيد وأربع أرجل ، فأمر بدفنه .

وفيها توفّي القاضي كمال الدين أبو العباس أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الأسديّ الحلبيّ الشافعيّ المعروف بابن الأستاذ قاضي حلب ، مولده سنة إحدى عشرة وستمائة ، تميّع الكثير وحدث ودّس ، وكان فاضلا عالما مشكور السيرة مات في شوال .

وفيها توفّي شيخ الشيوخ صاحب شرف الدين عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن بن منصور الأنصاريّ الأوسيّ الدمشقيّ المولود الحميميّ الدار والوفاء الإمام الأديب العلامة ، مولده يوم الأربعاء ثاني عشرين جمادى الأولى سنة ست وثمانين وخمسمائة ، وسميّع الحديث وتفقه وبرّع في الفقه والحديث والأدب ، وأفقى ودّس وتقدّم عند الملوك ، وترسل عنهم غير مرّة . وكانت له الوجاهة التامة وله اليد الطوّلى في الترسل والنظم ، وشعره في غاية الحسن . ومن شعره — رحمه الله — قوله :

إِنْ قَوْمًا يَلْحَوْنَ فِي حُبِّ سَعْدَى * لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا

(١) عل هامش أحد الأصلين بخط غير خط الأصل : « ولقد رأينا في سنة اثنتين وثمانين بعد الألف مجلدا جنيئا تام الأعضاء له رأسان وأربع أعين وعنتان وأربع قوائم وذنب واحد ، خرج من بقرة مذبوحة ، فسبحان الخالق » . (٢) في السلوك : « أبو بكر أحمد » .

(٣) في الأصلين : « عبد العزيز بن عبد المحسن بن محمد بن منصور الأنصاري » . وتصحيحه عن السلوك وشذرات الذهب والمنهل الصافي وطبقات الشافعية وما سيذكره المؤلف فيمن تقل وفاتهم عن الذهبي .

سَمِعُوا وصفها ولا مَوَّاهيها • أَخَذُوا طَبِّبًا وَأَعْطَوْا خَيْشًا
وله رحمه الله :

قُلْتُ وَقَدْ عَقِرْتُ صُدْقًا لَهُ • عَنْ شِقَّةِ الْحَاجِبِ لَمْ يُجَبِّبْ
قُدْسَتْ يَارَبَّ الْجَمَالِ الَّذِي • أَلْفَ بَيْنِ النُّونِ وَالْعَقْرِيبِ
وله عفا الله عنه :

مَرِضْتُ وَلِي جِيعَةٌ كُلُّهُمْ • عَنْ الرُّشْدِ فِي صَحْبِي حَائِدُ
فَأَصْبَحْتُ فِي النِّقْصِ مِثْلَ الَّذِي • وَلَا صِلَّةٌ لِي وَلَا عَائِدُ
وله غفر الله له :

وَلَقَدْ عَجِبْتُ لِعَاذِلٍ فِي حُبِّهِ • لَمَّا دَجَى لَيْلُ الْعِذَارِ الْمُظْلِمِ
أَوْمًا دَرَى مِنْ سُنَّتِي وَطَرِيقَتِي • أَتَى أَمِيلَ مَعَ السَّوَادِ الْأَعْظَمِ ١٠

قُلْتُ : وَقَدْ اسْتَوْعَبْنَا تَرْجَمَةَ شَيْخِ الشُّيُوخِ بِأَوْسَعِ مِنْ ذَلِكَ فِي تَارِيخِنَا « الْمَنْهَلِ
الصَّافِي » وَذَكَرْنَا مِنْ عَاسِنِهِ وَشَعْرِهِ نَبْذَةً كَبِيرَةً ، وَكَانَتْ وَفَاتِهِ لَيْلَةُ الْجُمُعَةِ ثَامِنِ شَهْرِ
رَمَضَانَ بِحَمْدَةِ رَحِمَةِ اللَّهِ تَعَالَى .

وَفِيهَا تُوُفِّيَ الْمَلِكُ الْمُتَنَبِّئُ فَتَحَ الدِّينَ أَبُو الْفَتْحِ عَمْرٌ صَاحِبُ الْكَرْكِ ابْنُ السُّلْطَانِ
الْمَلِكِ الْعَادِلِ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدُ ابْنُ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْكَامِلِ مُحَمَّدُ ابْنُ الْمَلِكِ الْعَادِلِ أَبِي بَكْرٍ ١٠
مُحَمَّدُ ابْنُ الْأَمِيرِ نَجْمِ الدِّينِ أَيُّوبِ الْأَيُّوبِيِّ الْمَصْرِيِّ ثُمَّ الْكَرْكِيِّ . وَقَدْ ذَكَرْنَا مِنْ أَمْرِهِ
نَبْذَةً كَبِيرَةً فِي تَرْجَمَةِ عَمِّهِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ فِي عِدَّةٍ تَرَاوَجَ لَا سِيَّمَا لَمَّا تَوَجَّهَ
إِلَيْهِ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ بَيْبَاسٌ مَعَ جَمَاعَةِ الْبَحْرِيَّةِ ، وَأَقَامَ عِنْدَهُ وَحَرَّكَهُ عَلَى مُلْكِ مِصْرَ حَسَبِ
مَا تَهْتَمُّ ذِكْرُ ذَلِكَ كُلِّهِ . انْتَهَى .

قلتُ : ومولد الملك المغيث هذا بالديار المصرية ورُبِّيَ يتيمًا عند عمته القطيَّات بنات الملك العادل ، والقطيَّات عُرفن بالقطيَّات لأنهنَّ أشقاء الملك المفضل قطب الدين ابن الملك العادل ، وبقي المغيث هذا عندهنَّ إلى أن أُخرج إلى الكرك وأعتقل بها ثم مَلَكَها بعد موت عمه الملك الصالح نجم الدين أيوب ، ووقع له بها أمور ، إلى أن قَدِمَ في العام الماضي على الملك الظاهر بيبرس بمصر ، فقبض عليه وقتله في محبسه ، رحمه الله تعالى ، لَمَّا كان في نفسه منه أيام كان بخدمته في الكرك مع البحرية .

وفيها توفِّيَ الأمير حُسام الدين لاجين بن عبد الله العزيزي [الجوكدار] ^(٢) ، كان من أكابر الأمراء وأعظمهم ، وكان شجاعًا جَوَادًا دَيِّبًا له اليد البيضاء في غزو التتار ، وكان يجمع الفقراء ويصنع لهم الأوقات والساعات ، وكان كبير القدر عظيم الشأن ، رحمه الله تعالى .

وفيها توفِّيَ الشيخ محي الدين أبو بكر محمد بن محمد بن إبراهيم بن الحسين بن سُراقَة الأنصاريّ الأندلسيّ الشاطبيّ ، كان فاضلاً محدثاً ، سَمِعَ الكثير ووليّ مشيخة دار الحديث بحلب ، ثم وليّ مشيخة الحديث بمصر بالمدرسة الكاملية وحدث بها . ومن شعره ، رحمه الله تعالى :

وصاحب كالزُّلال يمحو * صفأؤه الشك باليقين

لم يُخَيِّصْ إلَّا الجميلَ مِنِّي * كأنه كاتبُ اليمين

(١) في الأصلين هنا : « الأفضل » . والتصويب عما تقدّم ذكره في الحاشية رقم ١٦ ص ١٧٢ من الجزء السادس من هذه الطبعة .
(٢) زيادة عما تقدّم ذكره غير مرة والمنهل الصافي وتاريخ الدول والملوك لابن الفرات .
(٣) كذا في الأصلين . ولعلها محرفة عن « الإقامات » لأنه تقدّم ذكرها للوفد في غير موضع .
(٤) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٢٩ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

قلت : وهذا بعكس قول الأديب شهاب الدين المتأزى^(١)، رحمه الله تعالى :

وصاحب خلقه خليلاً * وما جرى غدره ببالي

لم يُحصِ إلا القبيح مني * كأنه كاتب الشمال

وفيهما توفى الملك الأشرف مظفر الدين موسى ابن الملك المنصور إبراهيم بن

- الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن محمد ابن الملك المنصور أسد الدين شيركوه
الكبير، ملك الأشرف هذا يخص بعد وفاة أبيه، وطالت مدته به ووقع له أمور،
وكان فيه مدارأة، للتأثر واستمر على ذلك إلى أن توفى بمصر في حادى عشر صفر
قبل صلاة الجمعة، ودُفن ليلاً على جده الملك المجاهد أسد الدين شيركوه .

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال : وفيها توفى المحدث ضياء الدين

- علي بن محمد البالي^(٢) في صفر، وله سبع ونمسون سنة . وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم
الأنصارى الباشري في شهر ربيع الأول . والحافظ رشيد الدين أبو الحسين يحيى
ابن علي الأموى العطار المالكي في جمادى الأولى ، وله ثمان وسبعون سنة . وأبو
الطاهر إسماعيل بن صارم الخياط بعده بأيام . والخطيب عماد الدين عبد الكريم
[ابن جمال الدين أبي القاسم عبد الصمد] بن محمد الأنصارى بن الحرساني^(٣)
في جمادى الأولى . والورع الزاهد أبو القاسم بن منصور في شعبان . والإمام يحيى الدين^(٤)

(١) في الأصلين : « شهاب الدين الأنباري » وهو خطأ والتصويب عن شذرات الذهب وعبود
التواريخ وفوات الوفيات . وهو أبو نصر أحمد بن يوسف السليكي المتأزى توفى سنة ٤٣٧ هـ .
والتأزى : نسبة إلى منازل برزخية مكسورة وبسطها راء ساكنة ثم دال ، وهي مدينة عند
خرتير التي هي حصن زياد المشهور (عن ابن خلكان) .

- (٢) البالي : نسبة إلى بالس ، وراجع الحاشية رقم ٥ ص ٣١٩ من الجزء الثاني من هذه الطبعة .
(٣) كذا في الأصلين والمثل الصافي . وفي شذرات الذهب : « إسماعيل بن سالم » .
(٤) تكملة عن عبود التواريخ وشذرات الذهب والسلوك وتاريخ الدول والملوك .
(٥) راجع الحاشية رقم ١ ص ٦٤ من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٦) في تاريخ الدول
والملوك : « محمد بن يحيى وقيل ابن منصور » يكنى ألقاسم ويعرف بالقبائري الإسكندراني .

أبو بكر محمد بن محمد بن سُراقَة الشاطبي بمصر ، وله سبعون سنة . وشيخ الشيوخ
شرف الدين عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن الأنصارى بجَمَاة في رمضان . والملك
المُفَيْت فتح الدين عمر بن العادل أبي بكر بن الكامل محمد صاحب الكَرَك ، أعدمه
الملك الظاهر . والأمير الكبير حسام الدين لاجين الجُوكَنْدَار العزيمى في المحرم ،
ودفن بقايسون . وصاحب خِص الملك الأشرف موسى ابن المنصور إبراهيم بن
أسد الدين بجمُص في صفر ، وله خمس وثلاثون سنة .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وأربع عشرة إصبعا .
مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وأثنتا عشرة إصبعا .



١٠ السنة الخامسة من ولاية الملك الظاهر بيبرس على مصر ، وهى سنة ثلاث
وستين وستمائة .

فيها تولى الملك الظاهر بيبرس من كل مذهب قاضياً وقد تقدم ذكر ذلك .
وفيها توفى الأديب البارع شرف الدين عاسن [الكتبى] ^(١) الصُورى ، كان عالماً
فاضلاً أديباً شاعراً ، ومات في شهر رجب . ومن شعره ، رحمه الله :

عَتَبْتُ عَلَى فَقُلْتُ إِنِّ عَاتَبْتُهَا * كَانَ الْعِتَابُ لَوْصِلَهَا أَسْتَهْلَاكَ
وَأَرَدْتُ أَنْ تَبْقَى الْمَوَدَّةُ بَيْنَنَا * مَوْفُوفَةً فَفَرَّكَتْ ذَاكَ لَذَاكَ

وفيها توفى الأمير جمال الدين موسى بن يَغْمُور بن جلدك بن بُلَيَّان بن عبد الله ^(٢)
أبو الفتح ، مولده في جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وستمائة بالقُوب من أعمال ^(٣)

(١) زيادة عن عيون التواريخ . (٢) كذا في الأصلين . وفي تاريخ الدول والملوك :
« ابن بلهان » . وفي عقد الجمان ، « ابن بلهان » . (٣) القُوب أو قرية ابن يغمور : من
قرى سمهود من أعمال قوص . لما تكلم الادموى على بلاد الصبيه الأعلى في مقدمة كتابه الطالع السعيد =

^(١) قُوص بصعيد مصر وسمي الحديث، وتنقل في الولايات الجليلة مثل نيابة السلطنة بالقاهرة ونيابة دمشق، ولم يكن في الأمراء من يضاهيه في منزله وشجاعته وقربه من الملوك، وكان أميراً جليلاً خبيراً حازماً سيوساً مدبراً جواداً ممدحاً، وكان الملك الظاهر إذا عمل مشورة وتكلم جمع خُشداشيته من الأمراء فلا يصنى إلا إلى قول ابن يغمور هذا ويفعل ما أشار به عليه . وكانت وفاته في مستهل شعبان ^(٢) بالقصير من أعمال الفاقوسية بين القراي والصالحية . ومن شعره قوله :

ما أحسن ما جاء كتاب الحب * يُبدي حرقاً كأنه عن قلبي
فأزددت بما قرأت شوقاً وضماً * لا يُبرده إلا نسيم القرب

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيما توفي المحدث معين الدين إبراهيم بن عمر بن عبد العزيز القرشي الزكوي . والحافظ زين الدين أبو البقاء خالد ابن يوسف بن سعد النابلسي بدمشق، وله ثمان وسبعون سنة في سلخ جمادى الأولى . والأمير الكبير جمال الدين موسى بن يغمور . والتجيب فراس بن علي بن زيد السقلاني التاجر . وقاضي الديار المصرية بدر الدين يوسف بن الحسن السنجاري في رجب . والشيخ أبو القاسم الحواري الزاهد .

١٥ ذكر قرية ابن يغمور بين سمهود وبخانس . وباليبحث تبين لي أن قرية ابن يغمور تقع في الجهة الجنوبية من سمهود وأنها هي القرية التي وردت في تاريخ (دقر المساحة) سنة ١٢٣١ هـ باسم كوم عقوب ثم حرف اسمها في تاريخ سنة ١٢٧٥ هـ إلى كوم يعقوب بقسم فرشوط . وبما ذكر يوضح أن القوب هي القرية التي تعرف اليوم باسم كوم يعقوب إحدى قرى مركز نجع حمادى بمديرية قنا .

(١) راجع الحاشية رقم ٢٩٢ من الجزء الخامس وص ٣٨٣ من الجزء السادس من هذه الطبعة .
(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٨٣ من هذا الجزء . (٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٥ من الجزء الخامس من هذه الطبعة . (٤) في الأصلين : « الجوزى » . وتصحيحه من المشتبه وعقد الجمان وشذرات الذهب . وضبط بالقلم في المشتبه . وهو أبو القاسم يوسف بن أبي القاسم بن عبد السلام الأموي الحواري الموفى الزاهد المشهور الخليل .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم سبع أذرع وإصبعان . مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وأربع عشرة إصبعاً .



السنة السادسة من ولاية الملك الظاهر بيبرس على مصر، وهي سنة أربع وستين وثمانئة .

فيها توفى شهاب الدين أبو العباس أحمد بن صالح ، كان فاضلاً أديباً . ومن شعره ، رحمه الله ، في مكارٍ مَلِيح :

طَلِفْتُهُ مُكَارِيًّا * شَرَّدَ عَنْ عَيْنِي الْكَرَى
قَدْ أَشْبَهَ الْبَدْرَ فَلَا * يَمَلُّ مِنْ طُولِ السَّرَى

- ١٠ وفيها توفى طاغية التتار وملكهم هُولاكُو وقيل هُولاوُون وقيل هولاء بن تُولِي خان بن جُنِكُر خان المُنْغَلِي التُّرْكِي ، مَلَك مكان أبيه بعد موته وكان من أعظم ملوك التتار ، وكان حازماً شجاعاً مدبراً ، استولى على الممالك والأقاليم في أيسر مئة ، وفتح بلاد خراسان وأذربيجان وعِراق العجم وعِراق العرب والمَوْصِل والجزيرة وديار بكر والشام والروم والشرق وغير ذلك . وهو الذي قَتَلَ الخليفة المستعصم
- ١٥ المقدم ذكره ، وكان على قاعدة المُنْغَل لا يتدين بدين ، وإنما كانت زوجته ظفر خاتون قد تنصرت ، فكانت تَعُضِدُ النصارى وتُقيم شعائرهم في تلك البلاد . وكان هُولاكو سعيدياً في حروبه لا يروم أمراً إلا ويسهل عليه ، وكانت وفاته بَعْلَةَ الصَّرْع ، وكان الصَّرْع يَعتَرِيهِ من عدة سنين في كل وقت ، حتَّى إنه كان يَعتَرِيهِ في اليوم الواحد المِزَّة والمِزتين والثلاث ، ثم زاد به فَرَض ولم يزل ضعيفاً نحو شهرين وهلك ، فاخفوا
- ٢٠ موته وصبروه حتى حضر ولده أبنًا وجلس مكانه في الملك ، وقيل : إنه لم يدفن

وطُفِّقَ بسلاسل، ومات وله ستون سنة أو نحوها. وخلف من الأولاد المذكور سبعة عشر ولدًا: وهم أبقا الذي ملَّك بعده وأشموط وتمشين وتِكْنِي (١) وكان [تِكْنِي فاتكا] (٢) جبارا، وأجائ وتُسْتَر (٣) ومنكوتمر الذي ألتقى مع الملك المنصور قلاوون على حمص وأنهزم جريحا، كما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى، وباكودر وأرغون وتغاي تَمُر (٤) والملك أحمد وجماعة أخر.

- الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها تُوِّفَ أبو الفضل إسماعيل ابن إبراهيم بن يحيى القرشي بن الدَّرَجِي (٥) في صفر. والشيخ جمال الدين أحمد بن عبد الله بن شُعَيْب التَّمِيمِي (٦) في شهر ربيع الآخر، وله آثنتان وسبعون سنة. ورَضِيَ الدين إبراهيم بن البرهان عمر الواسِطِي (٧) التاجر بالإسكندرية في رجب، وله إحدى وسبعون سنة، وخلف أموالاً عظيمة. والأمير الكبير جمال الدين أَيْدُغْدِي الْعَزِيزِي (٨). والشيخ أحمد بن سالم المصري النحوي في شَوَّال بِدَمَشْق. والطاغية هولاءكو بمراغة.

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وسبع وعشرون إصبعا. يبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وآثنتا عشرة إصبعا.



- ١٥ السنة السابعة من ولاية الملك الظاهر بيبرس على مصر، وهى سنة خميس وستين وستمائة.

- (١) في عقد الجمان: «تشرين» بالباء الموحدة بدل الميم. (٢) في تاريخ الإسلام: «بكشي» بالباء أيضا بدل التاء. (٣) زيادة عن تاريخ الإسلام. (٤) في تاريخ الإسلام: «يستر» بالياء التحتية. (٥) في تاريخ الإسلام: «نخاي دمر» بالثون في تغاي، والله في تمر. (٦) في تاريخ الإسلام وشذرات الذهب: «توفي في السادس والعشرين من شهر ربيع الأول». (٧) في تاريخ الإسلام وشذرات الذهب: «توفي في جمادى الأولى ليلة خامسة». (٨) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٨٤ من الجزء الثالث من هذه الطبعة.

فيها تُوفِّي بركة خان [بن تُوشِي^(١)] بن چنكرخان مَلِك التتار، هو ابن عم هولاكو
المقدّم ذكره، وكانت مملكته عظيمة متسعة جداً وهي بعيدة عن بلادنا وله عساكر
وافرة العدد، وكان بركة هذا يميل إلى المسلمين ميلاً زائداً ويُعظّم أهل العلم ويُقصد
الصلحاء ويتبرك بهم . ووقع بينه وبين ابن عمه هولاكو، وقاتله بسبب قتله للخليفة
المستعصم بالله وغيره من المسلمين؛ وكان بينه وبين الملك الظاهر مودةً ويُعظّم رُسُلَه ،
وكان قد أسلم هو وكثير من جنده وبني المساجد وأقيمت الجمعة ببلاده ، وكان
جَوَاداً عادلاً شجاعاً، ومات ببلاده في هذه السنة وهو في عشر السنين، وقام مقامه
مَنْكُوتَمُر .

وفيها تُوفِّي الأمير ناصر الدين أبو المعالي حسين بن عزيز بن أبي الفوارس
القيصري^(٢)، كان من أكابر الأمراء وأجلهم قدراً وأكبرهم شأناً، وكان شجاعاً كريماً
عادلاً ، وكان الملك الظاهر قد جعله مقدّم العساكر بالساحل فتوجّه إليه فأت به
مرابطاً في يوم الأحد ثالث عشر شهر ربيع الأول، وهو صاحب المدرسة القيصرية^(٣)
بدمشق ، وكان على الهمة بضاهي السلاطين في موكبه وخيله ومماليكه
وحواشيه .

وفيها تُوفِّي القاضي تاج الدين عبد الوهاب بن خَلَف بن محمود بن بدر أبو محمد
العَلَامِي^(٤) الفقيه الشافعي المعروف بابن بنت الأعزّ، كان إماماً عالماً فاضلاً وولى

(١) التكملة عن تاريخ الإسلام والمنهل الصافي . وفي عقد الجمان : « بركة خان بن صابن خان
ابن دوشى خان بن چنكرخان » . وفي عيون التواريخ : « بركة خان بن تولى خان بن چنكرخان » .
وفي السلوك (ص ٥٦١) : « بركة خان بن دوشى خان » . (٢) في الأصلين : « حسن بن عزيز » .
والصواب عن تاريخ الإسلام وعيون التواريخ وشذرات الذهب وابن كثير والسلوك . (٣) القيصرية ،
من مدارس الشافعية بدمشق ، تعرف اليوم باسم القيصرية الجوانية بحارة القيصرية . دُرس بها جملة من فقهاء
الشافعية ، ولا تزال معروفة (عن خطط الشام لكردي علي ج ٥ ص ٨٨) . (٤) ضبطه صاحب
عقد الجمان بالقلم (بفتح العين واللام مع التخفيف) .

المناصب الجليلة كنظر الدواوين والوزارة وقضاء القضاة ودرّس بالشافعي، وكانت له مكانة عند الملك الظاهر، ومولده سنة أربع عشرة وستمائة، ومات ليلة السابع والعشرين من شهر رجب ودُفن من الغد بسفح المقطم .

وفيها تُوِّفِّي الشيخ الإمام المحدث تاج الدين أبو الحسين عليّ بن أحمد بن عليّ^(١) ابن محمد بن الحسن بن عبد الله بن أحمد بن ميمون القيسي المصري المالكي المعروف بأبن القسطلاني، وُلِدَ سنة ثمان وثمانين وخمسمائة بمصر، وبها تفقه وسمع الحديث من جماعة كثيرة وحَدَّث بالكثير ودرّس وأقْبَى وتولّى مشيخة دار الحديث الكاملية بالقاهرة إلى أن مات بكرة السابع والعشرين من شوال ودُفن من يومه بسفح المقطم .

وفيها تُوِّفِّي الشيخ الإمام الفقيه المحدث شمس الدين ملكشاه بن عبد الملك ابن يوسف بن إبراهيم المقدسي الأصل المصري المولود الدمشقي^(٢) الدار الحنفي المعروف بقاضي بيسان، كان فقيها عالما فاضلا مُفْتَنًا في علوم، وُلِدَ بحارة زويله بالقاهرة سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة ومات في سادس عشر صفر بدمشق، رحمه الله .

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال : وفيها تُوِّفِّي أبو الحجاج يوسف^(٣) ابن مكثوم السويدي الحبال، والشيخ الصالح الأثري محمود بن أبي القاسم [اسفنديار ابن بدران بن أبيان]^(٤) بالدمشقي بالقاهرة في رجب . وقاضي القضاة تاج الدين

(١) في الأصلين : « ابن الحسين » . وما أثبتناه عن تاريخ الإسلام والمنهل الصافي .

(٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٢٩ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

(٣) في تاريخ الإسلام : « في سابع عشر شوال » . (٤) في الأصلين غير واضح . وما أثبتناه

عن تاريخ الإسلام للذهبي . (٥) راجع الحاشية رقم ٥ ص ٥٢ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .

(٦) السويدي : نسبة إلى سويد ، رجل . (٧) التكلّة عن تاريخ الإسلام والمنهل

الصافي . (٨) الدمشقي : نسبة إلى دشت قرية بأصهان (عن لب الباب) .

عبد الوهاب بن خلف بن بنت الأعز في رجب، وله إحدى وستون سنة. والعلامة^(١)
 شهاب الدين أبو شامة^(٢) أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي ثم الدمشقي
 في رمضان، وله ست وستون سنة. والإمام تاج الدين علي بن الشيخ أبي العباس
 أحمد بن علي القسطلاني بمصر، وله سبع وسبعون سنة. والسلطان بركة خان بن
 توشى بن چنگرخان. والأمير الكبير ناصر الدين حسين بن عزيز بن أبي الفوارس
 القيمري صاحب القيمرية^(٣).

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وأربع عشرة إصبعا.
 مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وأربع عشرة إصبعا.



١٠ السنة الثامنة من ولاية الملك الظاهر بيبرس على مصر، وهي سنة ست
 وستين وثمانية.

فيها توفى الرئيس كمال الدين أبو يوسف أحمد بن عبد العزيز بن محمد بن
 عبد الرحيم بن الحسن بن عبد الله الحلبي المعروف بأبن العجيج، كان شاعرا رئيسا
 عالما فاضلا حسن الخط والإنشاء، كتب للناصر صلاح الدين يوسف،
 وكان من أعيان الكتاب وأماثلهم، بلغ من العمر ستا وأربعين سنة، ومات بظاهر
 صور من بلاد الساحل في العشر الأول من ذي الحجة وحمل إلى ظاهر دمشق فدفن^(٤)
 بها. ومن شعره في خال مليح، قال:

(١) هذا يخالف لما تقدم ذكره فلو لم يكن مولده كان سنة ٦١٤ هـ وواقعه عليه بعض المصادر
 التي تحت يدنا مثل الذهب وشذرات الذهب وغيرها. (٢) في عقد الجمان: «أبو شامة
 وأبو محمد وأبو القاسم». (٣) في الأصلين هنا: «ابن تولى». والنصح عما تقدم ذكره
 قريبا في ص ٢٢٢ وتاريخ الإسلام والمنهل الصافي. (٤) يريد المدرسة القبرية بدمشق التي تقدم
 ذكرها في الحاشية رقم ٣ ص ٢٢٢ من هذا الجزء. (٥) في أحد الأصلين: «في العشر الأواخر».

وما خاله ذاك الذي خاله الورى * على خده نَقَطًا من المِسْك في وَرْدٍ
ولكنَّ نارَ الخَدِّ للقلبِ أحرقت * فصار سوادُ القلبِ خالاً على الخَدِّ

قلت : يعجبنى قولُ ابنِ صابرِ المُنَجِّبِيِّ^(١) في هذا المعنى :

أهلاً بوجهِ كالبدْرِ حسناً * صيرني حُبَّه هِلاًلاً

قد رَقَّ حتَّى لحظْتُ فيه * سوادَ عيني فخلْتُ خالاً

ومثل هذا أيضاً قول القائل في هذا المعنى، ولم أدْرِ لمن هو غيرُ أنى أحفظه

قديماً ، وهو في خالٍ تحتِ العِذار .

له خالٌ تَفْشَاهُ هلالٌ * يفوت العينَ إنْ نَظَرْتُ إليه

كُشُخْرُورٍ تَحْتِياً في سِياجٍ * خَافَةَ جَارِجٍ مِنْ مُقْلَتَيْهِ

وفي هذا المعنى للعز الموصلي^(٢) وأبدع إلى الغاية :

لَحَظْتُ مِنْ وَجْهَتِهَا شامَةً * فَأَبْتَسَمْتُ تَعَجَّبَ مِنْ حَالِي

قالتِ قَفُّوا وَأَسْتَمِعُوا ما جَرَى * قد هام عَمَى الشَّيْخُ في حَالِي

وفي هذا المعنى :

تَفَاخَرُ الحَسَنُ في أَنْسابِ^(٣) * لما بَدَا خالُه الأنيقُ

فَقالتِ العينُ ذَا أَبْنُ أَخْتِي * وقال لي الخَدُّ ذَا شَقِيقُ

وقد استوعبنا هذا النوع وغيره في كتابنا « حلية الصفات في الأسماء

والصناعات » فليُنظر هناك .

(١) هو يعقوب بن صابر بن أبي البركات . توفي سنة ٦٢٦ هـ (عن الشذرات والوافى بالوفيات) .

(٢) هو علي بن الحسين بن علي بن أبي بكر بن محمد بن أبي الخير عن الدين الموصلي ثم الدمشقي

الشاعر ؛ صاحب البديعية المشهورة وهي قصيدة مثوية عارض بها بديعية الصفي الحلبي رزاد عليه أن التزم أن يودع كل بيت اسم النوع البديعي بطريق التورية أو الاستخدام . توفي سنة ٧٨٩ هـ (عن الدرر الكامنة والمنهل الصافي) . (٣) في أحد الأصلين : « في أبْتَسَام » .

وفيها تُوِّقَ عَفِيفُ الدِّينِ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عَدْلَانَ بْنِ حَمَادِ بْنِ عَلِيٍّ الْمَوْصِلِيِّ^(١)
النَّحْوِيِّ الْمُتَرَجِّمِ ، كَانَ إِمَامًا عَالِمًا أَدِيبًا مُفْتَنًا شَاعِرًا ، مَاتَ بِمِصْرَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ
تَاسِعِ شَوَّالٍ . وَمِنْ شَعْرِهِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ :

لَا تَعْجَبَنَّ إِذَا مَا فَانَكَ الْمَطْلَبُ * وَعَوْدَ النَّفْسِ أَنْ تَشْقَى وَأَنْ تَتَّعَبَ
إِنْ دَامَ ذَا الْفَقْرِ فِي الدُّنْيَا فَلَا تَعْجَبَ * مَاتَ الْكَرَامَ وَمَا فِيهِمْ فَتَى أَعْقَبَ

وفيها تُوِّقَ السُّلْطَانُ رَكْنُ الدِّينِ كَيْقَبَادُ بْنُ السُّلْطَانِ غِيَاثُ الدِّينِ كَيْخُسْرُو بْنُ
السُّلْطَانِ عَلَاءِ الدِّينِ كَيْقَبَادِ بْنِ كَيْخُسْرُو بْنِ قَلِيجِ أَرْسَلَانَ بْنِ مَسْعُودِ بْنِ قَلِيجِ
أَرْسَلَانَ بْنِ سَلْيَانَ بْنِ قُطْلُمِشَ بْنِ أَتِسْزِ بْنِ إِسْرَائِيلَ بْنِ سَلْجُوقِ بْنِ دُقْمَاقِ السَّلْجُوقِيِّ^(٢)
صَاحِبِ الرُّومِ ، كَانَ مَلِكًا جَلِيلًا شَجَاعًا لَكِنَّهُ كَانَ غَيْرَ سَدِيدِ الرَّأْيِ ، كَانَ جَمَلُ
أَمْرِهِ بِيَدِ الْبَرْوَانَةِ فَاسْتَفْجَلَ أَمْرُ الْبَرْوَانَةِ ، فَأَرَادَ رَكْنُ الدِّينِ هَذَا قَتْلَهُ فَعَاجَلَهُ
الْبَرْوَانَةُ وَعَمِلَ عَلَى قَتْلِهِ حَتَّى قُتِلَ (وَكَيْقَبَادُ بَفَتْحِ الْكَافِ وَسُكُونِ الْيَاءِ آخِرَ الْحُرُوفِ
وَضَمِّ الْقَافِ وَفَتْحِ الْبَاءِ ثَانِيَةَ الْحُرُوفِ وَبَعْدَ الْأَلْفِ دَالٌ مَهْمَلَةٌ سَاكِنَةٌ) . وَكَيْخُسْرُو
مِثْلُ ذَلِكَ غَيْرَ أَنَّ الْخَاءَ الْمَعْجَمَةَ مَضْمُومَةٌ وَبَعْدَهَا سَيْنٌ مَهْمَلَةٌ سَاكِنَةٌ وَرَاءَ
مَهْمَلَةٍ مَضْمُومَةٍ . وَقَلِيجُ أَرْسَلَانَ بِكَسْرِ الْقَافِ وَاللَّامِ وَسُكُونِ الْيَاءِ وَالْجِيمِ مَعًا .
وَأَرْسَلَانَ مَعْرُوفٌ .

الَّذِينَ ذَكَرَ الذَّهَبِيُّ وَفَاتَهُمْ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، قَالَ : وَفِيهَا تُوِّقَ أَيُّوبُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ
عُمَرُ الْحَمَّامِيُّ ابْنُ الْفُقَّاعِيِّ^(٣) . وَجَدَّ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ [بْنِ أَبِي الْغَنَائِمِ الْمُسْلِمِ بْنِ^(٤)

(١) فِي الْأَصْلَيْنِ : « ابْنُ خَالِدٍ » . وَالصَّحِيحُ عَنْ تَارِيخِ الْإِسْلَامِ الذَّهَبِيِّ وَعَيُونِ التَّوَارِيخِ
وَعَقْدِ الْجَمَانِ وَفَوَاتِ الْوَفَايَاتِ وَالسُّلُوكِ وَبُيُوتِ الْوَعَاةِ لِلْسَّيُوطِيِّ . (٢) فِي الْأَصْلَيْنِ غَيْرُ وَاضِحٍ .
وَمَا أُتْبِنَاهُ عَنْ تَارِيخِ الْإِسْلَامِ وَعَيُونِ التَّوَارِيخِ . (٣) فِي الْأَصْلَيْنِ : « أَيُّوبُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ
ابْنُ عَمْرِو » . وَمَا أُتْبِنَاهُ عَنْ عَقْدِ الْجَمَانِ وَتَارِيخِ الْإِسْلَامِ وَالْمَنْهَلِ الصَّافِيِّ .
(٤) التَّكْلِفَةُ عَنْ تَارِيخِ الْإِسْلَامِ .

حماد بن محفوظ [بن ميسرة الأزدي^(١) ابن الحلوانية في شهر ربيع الأول . والشيخ
 القدوة إبراهيم بن عبد الله ابن الشيخ أبي عمر] محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة^(٢)
 المقدسي في شهر ربيع الأول ، وله ستون سنة . وأبو بكر عبد الله بن أحمد بن ناصر
 النحاس في ذي القعدة . وفيها قُتِلَ التتار السلطان ركن الدين كيقيباد ابن السلطان
 غياث الدين كيخسرو ابن السلطان علاء الدين كيقيباد صاحب الروم ، وله ثمان
 وعشرون سنة وأجلسوا ولده كيخسرو على التخت وهو ابن عشر سنين .
 § أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وعشرون إصبعا .
 مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا سواء .



١٠ السنة التاسعة من ولاية الملك الظاهر بيبرس على مصر ، وهى سنة سبع
 وستين وستمائة .

فيها توفى الأمير عز الدين أيّدمر بن عبد الله الحليّ الصالحى - النجمي - ، كان من
 أكبر أمراء الدولة وأعظمهم محلاً عند الملك الظاهر ، وكان نائب السلطنة عنه
 بالديار المصرية في غيبتة عنها لوثوقه به واعتماده عليه ، وكان قليل الخبرة لكن
 رُزِقَ السعادة .

١٥

قلت : له أسوةٌ بمثاله . قال : وكان محظوظاً من الدنيا له الأموال الجمة والمتاجر
 الكثيرة والأموال الوفرة . وأما ما خلفه من الأموال والحيول والجمال والبغال

(١) الزيادة عن تاريخ الإسلام والمنهل الصافي . (٢) في تاريخ الإسلام للذهبي : « توفى
 في السادس والعشرين من شوال » - (٣) في أحد الأصلين والمنهل الصافي : « الحلي » بالباء
 الموحدة . وما أثبتناه من الأصل الآخر وتاريخ الإسلام وعيون التواريخ والسلوك وعقد الجمان .
 (٤) في الأصلين : « مخصوصا » . وما أثبتناه عن المنهل الصافي .

والعدد فيقصر الوصف عنه . ومات بقلمة دَسْتَق في يوم الخميس سابع شعبان ودفن بقرنته بجوار مسجد الأمير موسى بن يَمُور . ومات وقد نيف على الستين .

وفيهما تُوِّفَ الشيخ المحدث عماد الدين محمد بن محمد بن عليّ أبو عبد الله ، كان فاضلاً سَمِيعَ الكثير، ومات بدمشق في شهر ربيع الأول ؛ ولما كان بحلب كتب إليه أخوه سعد الدين سعد يقول :

ما للنَّوَى رِفْقَةً تَرَى لِمَكْتَبِ * حُرَّانٍ فِي قَلْبِهِ وَالدَّمْعُ فِي حَلِي
قد أصبحتْ حَلْبُ ذاتِ العِمَادِ بكم * وَجِلْتُ لِمَا هَذَا مِنَ العَجَبِ

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال : وفيها تُوِّفَ زَيْنُ الدِّينِ إِسْمَاعِيلُ ابْنُ عَبْدِ الْقَوَى بْنِ عَزْزُونَ الْأَنْصَارِيِّ فِي الْمُحَرَّمِ . وَالْإِمَامُ مُحَمَّدُ الدِّينِ عَلِيُّ بْنُ وَهَبٍ الْقُشَيْرِيُّ [وَالِدُ] ابْنِ دَقِيقِ الْعِيدِ . وَالْحَافِظُ زَيْنُ الدِّينِ أَبُو الْفَتْحِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ [بْنِ أَبِي بَكْرٍ] الْأَبْيُورْدِيُّ الصُّوفِيّ فِي جُمَادَى الْأُولَى . وَاللُّغَوِيُّ مُحَمَّدُ الدِّينِ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ أَبِي الْفَرَجِ [بْنِ مُحَمَّدٍ] الرُّوْذَرَاوِرِيُّ بِدِمَشْقَ فِي صَفَرِ .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وست عشرة أصبعاً . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وسبع أصابع .



السنة العاشرة من ولاية الملك الظاهر بيبرس على مصر ، وهي سنة ثمانٍ وستين وستمائة .

(١) في أحد الأصلين : « ابن عسرون » وهو خطأ . وفي الأصل الآخر : « ابن عرون » وهو تصحيف . وتصحيحه عن تاريخ الإسلام وعقد الجمان وشذرات الذهب . (٢) التكلفة عن تاريخ الإسلام والمنهل الصافي . (٣) الزيادة عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب . (٤) زيادة عن تاريخ الإسلام . (٥) في الأصلين : « الروزراوردي » . والتصحيح من تاريخ الإسلام وشذرات الذهب والسلوك .

فيها تُوفِّي الشيخ موفَّق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة الخَزَرَجِيّ المعروف بأبن أبي أَصْبِيْعَة الحكيم الفاضل صاحب المصنّفات منها « طبقات الأطباء » . مات بصَرْخَد في جمادى الأولى ، وقد نيف على سبعين سنة ، وكان فاضلاً عالماً في الطَّبِّ والأدب والتاريخ وله شِعْر كثير ، من ذلك ما مَدَح به الصاحب ^(١) أمين الدولة ، وهي قصيدة طنانة أولها :

فَوَادِي فِي مَحَبَّتِهِمْ أَسِيرُ * وَأَنْتِ سَارِ رُكْبَهُمْ يَسِيرُ
يَجْنِي إِلَى الْعَذِيبِ وَسَاكِينِهِ * حَنِينًا قَدْ تَضَمَّنَهُ سَعِيرُ
وَيَهْوَى نَسَمَةً هَبَّتْ سُحَيْرًا * بِهَا مِنْ طِيبِ نَشِيرِهِمْ عَيْبِيرُ
وَأَنْتِ قَانِعٌ بَعْدَ التَّدَانِي * بِطِيفٍ مِنْ خِيَالِهِمْ يَزُورُ
وَمَعْسُولُ اللَّمَى مَرُّ التَّجَنِّي * يَحْوَرُّ عَلَى الْمَحَبِّ وَلَا يُجِيرُ
تَصَدَّى لِلصَّدُودِ فِي فَوَادِي * بِوَأَفْرِ هَجْرِهِ أَبَدًا هَجِيرُ
وَقَدْ وَصَلَتْ جَفُونِي فِيهِ سُهْدِي * فَاهْذِي الْقَطِيعَةَ وَالنَّفُورُ
وهي طويلة كلها على هذا النمط ^(٢) .

وفيها تُوفِّي الأمير عزَّ الدين أَيْبُكُ بن عبد الله الظاهريّ نائب حمص ، كان فيه صَرَامَةٌ مُفْرِطَةٌ ، وكان موصوفاً بالعُسْفَ والظلم وسيرة قبيحة ، ومع هذه المساوئ كان أيضاً فيه رَفَضٌ . مات بِحِمَص وقرَّح بموته أهل بلده .

(١) هو أمين لدولة السامري أبو الحسن بن غزال المسلمين وزير الصالح إسماعيل . تقدّمت وفاته سنة ٦٤٨ هـ . (٢) هذه رواية عيون الأنبا في طبقات الأطباء (ج ٢ ص ٢٣٧) . وفي أحد الأصلين : « وأين سار » وهو محرف عن هذه الرواية . وفي الأصل الآخر : « وحبب يسير » . (٣) عدة أبحاثها كما في عيون الأنبا في طبقات الأطباء اثنان وثلاثون بيتاً .

وفيهما توفى الأمير عز الدين أبيك بن عبدالله المعروف بالزَّراد ، كان نائب قلعة دمشق ، وكان من المالِك الصالحية النجّية ، وكانت حرمة وافرة وسيرته جميلة . ومات في ذى القعدة .

وفيهما توفى موسى بن غانم بن علي بن إبراهيم بن عساكر بن حسين الأنصاري^(١١) المقدسي ، كان كبير القدر صدراً كبيراً شجاعاً وافر الحمة ، تولى مشيخة الحرم بالقدس الشريف ، وكان كريماً وله شُعبةٌ وصيتٌ . مات بالقدس في المحرم وقد جاوز سبعين سنة .

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها توفى المحدث زين الدين أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسي في رجب ، وله ثلاث وتسعون سنة . وقاضي القضاة محي الدين يحيى بن محمد بن الزكي القرشي في رجب ، وله اثنتان وسبعون سنة . وأبو حفص عمر بن محمد بن أبي سعد الكرماني^(١٢) الواعظ في شعبان ، وله ثمان وتسعون سنة . وفيها قُتل في المصاف صاحب المغرب الملك أبو دُبوس أبو العلاء^(١٣) [الواتق بالله] إدريس بن عبد الله بن محمد المؤمني^(١٤) .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم ست أذرع وأثنتان وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وأثنتان وعشرون إصبعا .

(١) لم نجد هذا الاسم في المصادر التي تحت يدينا ، غير أننا وجدنا في وفيات هذه السنة في تاريخ الإسلام وعقد الجمان وتاريخ الدول والملوك وفاة : « أبي عبدالله محمد بن أبي الفتح الحسن ابن الحافظ الكبير ثقة الدين أبي القاسم علي بن هبة الله بن عساكر » .

(٢) في الأصلين : « ابن أبي سعيد » . وما أجتناه عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب .

(٣) في الأصلين هكذا : « أبو دُبوس أبو السلاء » . والتصحيح والزيادة عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب والسلوك (ص ٥٨٨) . (٤) كذا في الأصلين وشذرات الذهب والسلوك .

وفي تاريخ الإسلام : « إدريس بن أن عبد الله بن أبي حفص » . وفي السلوك : « إدريس بن عبدالله ابن يعقوب » .



السنة الحادية عشرة من ولاية الملك الظاهر بيبرس البندقداري على مصر،
وهي سنة تسع وستين وستمائة .

فيها توفى الشيخ شمس الدين أبو إسحاق إبراهيم بن المسلم بن هبة الله [المعروف
بـ] ابن البارزي - الفقيه الحموي - الشافعي - ، مولده سنة ثمانين وخمسمائة ، وكان فقيها فاضلا
وربما ، وله شعر جيد وأقوى ودرس بميزة الثمان وغيرها ، ومات في شعبان بمكة .
ومن شعره ، رحمه الله ، يصف دمشق :

دِمَشْقُ لَهَا مَنْظَرٌ رَائِقٌ * وَكُلُّ إِلَى وَصْلِهَا تَائِقٌ ^(١)

وَأَنَّى يُقَاسَ بِهَا بِلَدَةٌ * أَبِي اللَّهِ وَالْجَامِعُ الْفَارِقُ

وفيها توفى القاضي كمال الدين أبو السعادات أحمد بن مقدم بن أحمد بن شكر
المعروف بـ] ابن القاضي الأعز ، كان أحد الأكابر بالديار المصرية متأهلا للوزارة
وغيرها ، وتولى المناصب الجليلة ، وكان له يد في النظم ومعرفة بالأدب ومشاركة
في غيره . ومات في شهر رمضان بالقاهرة .

وفيها توفى الأمير علم الدين سنجر بن عبد الله الصيرفي ، كان من أعيان الأمراء
بالديار المصرية ومن يُحتسب جانبه ، فلما تمكن الملك الظاهر بيبرس أخرجه إلى
دمشق ليأمن غائلته وأقطعها بها خبزا جيدا ، فدام به إلى أن مات ببعلبك وهو
في عشر الستين .

(١) الزيادة عن ميون التواريخ .

(٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٩ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .

(٣) في الأصلين : * وكل إلى وصفها تائق * وما أئتمناه عن ميون التواريخ . ٢٠

وفيها تُوِّفِّي الأمير قطب الدين سَنَجَر بن عبد الله المستنصرى البغدادى المعروف ^(١) باليَافِغِز، كان من ممالك الخليفة المستنصر بالله، وكان محترماً في الدولة الظاهرية وعنده معرفةٌ وحسنُ عشرةٍ ومحاضرةٌ بالأشعار والحكايات .

وفيها تُوِّفِّي الملك الأجمد تقي الدين عباس ابن الملك العادل أبى بكر محمد بن أيوب ابن شادى، وكنيته أبو الفضل ^(٢)، كان محترماً عند الملك الظاهر لا يرتفع عليه أحدٌ في المجالس، وهو آخرُ مَنْ مات من أولاد الملك العادل لصلبه، وكان دَمِث الأخلاق حسن العشرة لا تُتمَلِّ مجالسته . ومات بدمشق في جُهادى الآخرة ودُفِن بسَقِّع قاسيون .

وفيها تُوِّفِّي قطب الدين عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن محمد بن نصر ابن محمد بن سبعين أبو محمد المُرسى الرُّقُوطى ^(٣) الصوفى المعروف بابن سبعين . قال الذهبي في تاريخ الإسلام : كان صوفياً على قاعدة زُهاد الفلاسفة وتصوفهم، وله كلامٌ كثير في العِرْفان على طريق الاتحاد والزَّندقة . وقد ذكرنا محطَّ هؤلاء الجنس في ترجمة ابن الفارض وابن العَرَبى ^(٤) وغيرهما، فيا حسرةً على العباد ! كيف لا يفضيبن لله تعالى ولا يقومون في الذَّبِّ عن معبودهم، تبارك الله وتقدَّس في ذاته عن أن يمتزج بحلقه أو يُحَلَّ فيهم ، وتعالى الله عن أن يكون هو عين السموات والأرض وما بينهما، فإن هذا الكلام شُرِّم من مقالة مَنْ قال يَقْدَم العالم .

(١) في الأصلين : « المعروف بالباغر » . وما أئْتِناه عن عيون التواريخ وتاريخ الإسلام والوافى بالوفيات للصفدى .

(٢) في نهاية الأرب (ج ٢٨ ص ٥٦) : « أبو الفضائل » .

(٣) في الأصلين : « الرُّقُوطى » . وفي عيون التواريخ : « البرقوطى » . وفي المهمل الصافي « المرقوطى » . والتصحیح عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب وعقد الجمان وابن كثير .

(٤) هو شرف الدين أبو حفص عمر بن أبي الحسن على بن المرشد بن علي المعروف بابن الفارض .

تقدمت وفاته سنة ٦٣٢ هـ . (٥) هو يحيى الدين أبو بكر محمد بن علي بن محمد المعروف بابن العربي الطائي الحاتمي . تقدمت وفاته سنة ٦٣٨ هـ .

وَمَنْ عَرَفَ هَؤُلَاءِ الْبَاطِنِيَّةَ عَدَرْنِي أَوْ هُوَ زَيْنْدِيقٌ مُبْطِنٌ لِلْإِتِّحَادِ يُدْبُّ عَنِ الْإِتِّحَادِيَّةِ وَالْحُلُولِيَّةِ، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْهُمْ فَاللَّهُ يُثْبِتُهُ عَلَى حَسَنِ قَصْدِهِ. ثُمَّ قَالَ بَعْدَ كَلَامٍ طَوِيلٍ : وَأَشْتَهَرُ عَنْهُ (يَعْنِي عَنْ أَبِي سَبْعِينَ هَذَا) أَنَّهُ قَالَ : لَقَدْ تَحَجَّرَ أَبُو أَمْنَةَ وَاسْعًا بِقَوْلِهِ : ”لَا تَنْبِيَّ بَعْدِي“ . ثُمَّ سَاقَ الذَّهَبِيُّ أَيْضًا مِنْ جِنْسِ هَذِهِ الْمَقُولَةِ أَشْيَاءَ أَضْرَبْتُ عَنْهَا إِبْجَالًا فِي حَقِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِأَجْلِ هَذَا النَّجَسِ .

قُلْتُ : إِنْ صَحَّ عَنْهُ مَا نَقَلَهُ الْحَافِظُ الذَّهَبِيُّ وَهُوَ حُجَّةٌ فِي نَقْلِهِ فَهُوَ كَافِرٌ زَيْنْدِيقٌ مَارِقٌ مِنَ الدِّينِ مَطْرُودٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى . إِنْ تَنَهَى . وَالرُّقُوطِيُّ نِسْبَةً إِلَى حَصْنٍ مِنْ عَمَلٍ مُرْسِيَّةٍ يُقَالُ لَهُ رُقُوطَةٌ .

وَفِيهَا تَوْفَى الْأَمِيرُ شَرْفُ الدِّينِ أَبُو مُحَمَّدٍ عَيْسَى بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ كَامِلِ الْكُرْدِيِّ الْهَكَارِيِّ، كَانَ أَحَدَ أَعْيَانِ الْأُمَرَاءِ سَمِعَ الْحَدِيثَ وَحَدَّثَ، وَمَوْلَدُهُ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةَ بِالْقُدْسِ، وَكَانَ أَحَدَ الْأُمَرَاءِ الْمَشْهُورِينَ بِالشَّجَاعَةِ وَالْإِقْدَامِ وَلَهُ وَقَائِعٌ مَعْدُودَةٌ وَمَوَاقِفٌ مَشْهُورَةٌ مَعَ الْعَدُوِّ بِأَرْضِ السَّاحِلِ، وَلِي الْأَعْمَالِ الْجَلِيلَةَ وَقَدَّمَهُ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ بَيْتَرُ بْنُ عَلِيٍّ الْمَسَاكِينِي فِي الْحُرُوبِ غَيْرَ مَرَّةٍ، وَمَاتَ بِدِمَشْقَ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ . وَمِنْ شَعْرِهِ مِمَّا كَتَبَهُ لِلْوَزِيرِ شَرْفِ الدِّينِ بْنِ الْمُبَارَكِ وَزِيرِ إِرْبِيلَ :

أَحِبَّابُنَا إِنْ غِبْتُ عَنْكُمْ وَكَانَ لِي * إِلَى غَيْرِ مَقْنَأٍ كَمِ مَرَاكِحٍ وَلَمْ يَنْسَأَمْ
فَمَا عَنِ رِضَا كَانَتْ سُلَيْمَى بِدِيلَةٍ * بَلَيْلَى وَلَكِنْ لِلضَّرُورَاتِ أَحْكَامُ

وَفِيهَا تَوْفَى مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَنَعَمِ بْنِ نَصَرَ [اللَّهُ] بْنُ جَعْفَرِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ حَوَّارَى الْفَقِيهِ الْأَدِيبِ أَبُو الْمَكَارِمِ تَاجُ الدِّينِ التَّنُوخِيُّ الْمَعَرِّيُّ الْأَهْلِي الْحَنَفِيُّ الدَّمَشْقِيُّ الْمَوْلَدُ

والدار والوفاة المعروف بابن شُقَيْر. ^(١) وُلِدَ سنة ست وستمائة وسميع وحدث بِدِمَشْق والقاهرة، وكان فقيها محدثا فاضلا بارعا أدبيا وعنده رياسة ومكارم ودمانة أخلاق وحسن محاضرة، وهو معدود من شعراء الملك الناصر ^(٢) صلاح الدين يوسف بن العزيز [ومات في صفر . ومن شعره :

قد أقبل الصيف وولّى الشتاء * وعن قريب نشتكي الحزنا
أما ترى البان بأغصانه * قد قلب القرو إلى برا
وقال ، رحمه الله :

وأحيرة القمرين منه إذا بدا * وإذا آتني وانجملة الأغصان
كتب الجمال وبالله من كاتب * سطرين في خديه بالريحان
قلت : ويعجبني قول ابن المعتز في هذا المعنى وقد أبدع في التشبيه فقال :
كأن خط عذار شق عارضه * ميدان آس على ورد ونيرين
وخط فوق حجاب الدر شاربهُ * بنصف صايد ودار الصدغ كالنون
ولمحمد بن يوسف ^(٣) [بن عبد الله المعروف بآ] نحياط الدمشقي في معنى العذار :

عذار حبي دقيق معنى * تجل عن حسنه الصفات
حلا لرائيه وهو نبت * هذا هو السكر النبات

(١) في الأصلين : « ولد سنة سبع وستمائة » . والتصحيح عن المثل الصافي وتاريخ الإسلام
وميون التواريخ والخواهر المضية في طبقات الحنفية . (٢) زيادة عن المصادر المتقدمة .
(٣) هو أمير المؤمنين أبو العباس عبد الله ابن الخليفة المعتز بالله محمد ابن الخليفة المتوكل على الله
جعفر ابن الخليفة المنصور بالله محمد ابن الخليفة هارون الرشيد . تخدمت وفاته سنة ٢٩٦ هـ

(٤) زيادة عن المثل الصافي وما سيذكره المؤلف في وفاته سنة ٢٥٦ هـ

ولابن نبأته :^(١)

وبمجهتي رشاً يمس قوامه * فكأنه نشوان من شفتيه

شُف العذار بجنده وراه قد * نعت لواحظه فذب عليه

والصفدي :^(٢)

عيناه قد شهدت بأني مخطئ * وأتت تحط عذاره تذكاراً

يا حاكم الحب أتشد في قيتي * فالحط زور والشهود سكارى

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال : وفيها توفي الشيخ حسن

ابن أبي عبد الله بن صدقة الصقلي المقرئ في شهر ربيع الأول وقد نيف على سبعين .

وشيع السبعينية قطب الدين عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن سبعين المرسى بمكة^(٣)

في سؤال ، وله خمس وخمسون سنة . ومجد الدين محمد بن إسماعيل بن عثمان

ابن مظفر بن هبة الله بن عساكر في ذى القعدة . وقاضى حمات شمس الدين إبراهيم^(٤)

ابن المسلم بن البارزي في شعبان ، وله تسع وثمانون سنة .

§ أمرا النيل في هذه السنة - الماء القديم ست أذرع وإحدى وعشرون إصبعا .

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وأثنا عشرة إصبعا .

١٥



السنة الثانية عشرة من ولاية الملك الظاهر بيبرس على مصر، وهي سنة

سبعين وستائة .

(١) هو جمال الدين أبو بكر محمد بن محمد بن الحسن بن صالح بن علي بن يحيى بن طاهر بن محمد

ابن الخطيب أبي يحيى عبد الرحمن بن نبأته الفارقي الأصل المصري المولد والدار المعروف بابن نبأته .

سيرة المؤلف في حوادث سنة ٥٧٦٨ هـ . (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٧٣ من الجزء

السادس من هذه الطبعة . (٣) السبعينية : مریدوه وأتباعه (عن المنهل الصافي) . (٤) في المنهل

الصافي : « عثمان بن أبي مظفر هبة الله » . (٥) في الأصلين : « وله إحدى وثمانون سنة »

وتصحيحه عن شذرات الذهب والمنهل الصافي وتاريخ الإسلام .

فيها توفى الملك الأعمد محمد الدين أبو محمد الحسن ابن الملك الناصر داود ابن الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، كان الملك الأعمد هذا من الفضلاء وعنده مشاركة جيدة في كثير من العلوم ، وله معرفة تامة بالأدب .

وفيها توفى الشيخ عماد الدين عبد الرحيم بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن ابن الحسن بن عبد الرحمن بن طاهر بن محمد بن محمد بن الحسين الحلبي الشافعي المعروف بأبي العجمي^(١) ، كان فاضلاً سمع الحديث وتفقه وحديث ودرس وتولى الحكم بمدينة القيوم من أعمال مصر وغيرها وناب في الحكم بدمشق ، وكان مشكور السيرة . ومات بحلب في رابع^(٢) عشر شهر رمضان . ومولده في سنة خمس وستمائة بحلب .

وفيها توفى الأديب أمين الدين علي بن عثمان بن علي بن سليمان ابن علي^(٣) أبو الحسن المعروف بأمين الدين السلياني الصوفي الإربلي الشاعر المشهور ، ولد سنة آنتين وستمائة . ومات بمدينة القيوم من أعمال مصر في جمادى الأولى ، وكان فاضلاً مقتدرًا على النظم ، وهو من أعيان شعراء الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب الشام ، وكان أولًا جنديًا ثم ترك ذلك وتزهد . ومن شعره وقد أرسل إلى بعض الرؤساء هدية فقال :

١٥ (١) في الأصلين : « عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم » . وما أثبتناه عن تاريخ الإسلام وعيون التواريخ وهما المصدران الدان ترجحنا له من المصادر التي تحت يدينا . (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٥٤ من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٣) في عيون التواريخ وتاريخ الإسلام : « في رابع رمضان » . (٤) في الأصلين : « أمين الدولة » . وتصحيحه عن تاريخ الإسلام وعيون التواريخ والمنهل الصافي والسلوك .

٢٠ (٥) في الأصلين : « علي بن عماد بن علي » . والتصويب عن المصادر المتقدمة وعقد الجمان . (٦) في الأصلين : « أبو الحسين » . وتصحيحه عن المنهل الصافي وعقد الجمان والسلوك . (٧) كذلك في الأصلين وعيون التواريخ . وفي المنهل الصافي : « ولد سنة ثلاث وستمائة » .

هدية عبيد مخلص في ولائه * لها شاهد منها على عدم المال
وليس على قدرى ولا قدر مالكى * ولكنها جاءت على قدر الحال

وقال رحمه الله :

ألا فأحفظ لسانك فهو خير * وطرفك وأستمع نصيحي ووعظي
فرب عداوة حصلت بلفظ * ورب صباية حصلت بلفظ

- وفيها توفي الرئيس الصدر عماد الدين أبو عبد الله محمد بن سالم بن الحسن بن
هبة الله بن محفوظ بن الحسن بن محمد بن الحسن بن أحمد بن الحسين بن صصري^(١)
التغلي^(٢)، البلدي^(٣) الأصل الدمشقي المولد والدار والوفاة العدل الكبير، مولده سنة
ثمان وتسعين وخمسمائة وسمع الكثير وحدث، وكان شيخا جليلا من بيت العلم
والحديث، وقد حدث هو وأبوه وجده وجد أبيه وجد جده وغير واحد من بيته .
ومات في ذى القعدة .

- الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفي العلامة الكمال سلا بن
الحسن الإربلي الشافعي في جمادى الآخرة، ومعين الدين أحمد بن القاضي
زين الدين علي بن يوسف الدمشقي العدل بمصر في رجب . والإمام جمال الدين
عبد الرحمن بن سلمان الحزاني البغدادى الحنبلي في شعبان، وله خمس وثمانون سنة .
والقاضي عماد الدين أبو عبد الله محمد بن سالم بن الحسن بن هبة الله الدمشقي ابن

- (١) « أحمد بن الحسين » . هذان الجدان غير موجودين في أحد الأصلين ولا في المصادر التي بحث
يدنا . (٢) في الأصلين : « الرضى » وما أثبتناه من السلوك وتاريخ الإسلام وما تقدم ذكره
في وفاة أبي القاسم الحسن بن هبة الله بن محفوظ أحد أجداده سنة ٦٢٦ هـ . (٣) البلدي :
نسبة إلى بلد الحطب بقرب الموصل (عن لب الباب) . (٤) في أحد الأصلين :
« كمال الدين » والتصحيح عن الأصل الآخر وشذرات الذهب وتاريخ الإسلام للذهبي .
(٥) في الأصلين : « ابن سليمان » والتصحيح عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب .
(٦) في تاريخ الإسلام : « البغدادى » .

صَصْرِي فِي ذِي الْقَعْدَةِ . وَالْمَلِكُ الْأَمَجْدُ السَّيِّدُ الْجَلِيلُ حَسَنُ ابْنِ النَّاصِرِ دَاوُدَ صَاحِبُ
الْكُرْكُ فِي جُمَادَى الْأُولَى كَهَلًا . وَالصِّدْرُ وَجِيهُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ ^(١) [بْنِ أَبِي طَالِبٍ]
ابْنِ سُؤَيْدٍ التَّكْرِييْتِيُّ النَّاجِرُ فِي ذِي الْقَعْدَةِ .

§ أَمْرُ النَّيْلِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ — الْمَاءُ الْقَدِيمُ سَبْعَ أَذْرَعٍ وَإِصْبَعَانِ . مَبْلَغُ الزِّيَادَةِ
ثَمَانِي عَشْرَةَ ذِرَاعًا وَإِحْدَى عَشْرَةَ إِصْبَعًا .

السَّنَةُ الثَّلَاثَةُ عَشْرَةَ مِنْ وَلَايَةِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ بَيْتَرَسَ عَلَى مِصْرَ، وَهِيَ سَنَةُ
إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَسِتِّمِائَةً .

فِيهَا تُوُفِيَ الْأَدِيبُ الْفَاضِلُ مُخْلِصُ الدِّينِ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ هَبَةَ اللَّهِ
ابْنِ أَحْمَدَ بْنِ قُرْنَاصٍ الْخَزَاعِيُّ الْحَوِيُّ الشَّاعِرُ الْمَشْهُورُ، كَانَ أَدِيبًا فَاضِلًا وَلَهُ الْيَدُ
الطُّوَلُ فِي النِّظْمِ، وَمَاتَ بِحِمَاةِ يَوْمِ الْأَحَدِ رَابِعَ شَوَّالٍ . وَمِنْ شِعْرِهِ :

لَيْسَ وَلَيْلُكَ يَا سُؤْلِي وَيَا أَمْلِي * ضِدَانُ هَذَا بِهِ طُولٌ وَذَا قِصَرُ
وَذَاكَ أَنْتَ جَفَوْنِي لَا بُلِيمَ بِهَا * نَوْمٌ وَجَفْنُكَ لَا يَحْفَى بِهِ السَّهَرُ

قُلْتُ : وَهَذَا يَشْبَهُ قَوْلَ الْقَائِلِ وَمَا أَدْرَى أَيُّهُمَا أَسْبَقَ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى وَهُوَ :

لَيْلٍ وَلَيْسَ قَتَى نَوْمِي اخْتِلَافُهُمَا * بِالطُّوْلِ وَالطُّوْلُ يَأْطُو بِي لَوْ أَعْتَدَلَا
يَجُودُ بِالطُّوْلِ لَيْسَ كُلُّمَا يَخِلْتُ * بِالطُّوْلِ لَيْسَ وَإِنْ جَادَتْ بِهِ يَخِلَا

(١) تَكْلَمَةُ عَنْ هَذَا الْجَمَانِ وَتَارِيخِ الْإِسْلَامِ . (٢) لَمْ تَذَكَرْ الْكُتُبَ الَّتِي تَرَجَمْتُ لَهَا هَذِهِ النِّسْبَةُ .

(٣) تَقْدِمُ ذِكْرَ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ فِي مَوْضِعَيْنِ : فِي الْجُزْءِ الْخَامِسِ ص ٢٠٣ ، وَالْجُزْءِ السَّادِسِ ص ١٩٥
مِنْ هَذِهِ الطَّبْعَةِ . وَذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ أَنَّهُمَا مِنْ قَوْلِ الْفَضْلِ بْنِ عَبْدِ الْقَاهِرِ جَدِّ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْمُنْهَاجِ بْنِ أَبِي الْمَكَارِمِ
وَهُوَ أَقْدَمُ مِنْ هَذَا الشَّاعِرِ فَقَدْ تُوُفِيَ سَنَةَ ٥٥٠٥ .

وفيهما توفى الشريف شرف الدين أبو عبد الله محمد بن رضوان بن علي بن أبي المظفر بن أبي العنّاهية المعروف بالشريف الناصح . مات بدمشق في شهر ربيع الآخر، وكان من الفضلاء وله مشاركة في كثير من العلوم وله اليد الطولى في النظم والنثر . ومن شعره :

- عانقته عند الوداع وقد جرت * عني دموعاً كالنجيع القاني
ورجمت عنه وطرفه في قتره * يُملي عليّ مقاتل الفرسان
قلت : وما أحسن قول القاضي ناصح الدين الأرجاني في هذا المعنى :
إذا رأيت الوداع فأصبر * ولا يهمنك العباد
وأنْتَظِر المَوَدَّ من قريب * فإنَّ قلب الوداع عادوا

• وأجاد أيضاً من قال في هذا المعنى :

- فإنَّ يَـرَرتُ بالجنان عنكم فإني * أخلف قلبي عنكم وأسيرُ
فكونوا عليه مُشفقين فإنه * رهين لديكم في الهوى وأسيرُ
وفيهما توفى المحدث شرف الدين أبو المظفر يوسف بن الحسن بن بدران بن الحسن ابن مغترج بن بكار التابلسي الأصل الدمشقي المولد والدار والمنشأ والوفاة المحدث المشهور ، كان فاضلاً وسمع الكثير وحدث ، وكانت لديه فضيلة ومشاركة ومعرفة بالأدب . ومن شعره :

عَرَّجَ بعبيسك وأحسب أيها الحادي * عند الكتيب وعرض يمتة الوادي .

(١) في الأصلين هنا : «ناصر الدين» والنصوب عن ابن خلكان وما تقدم ذكره للولف في حوادث سنة ٥٤٤ هـ . وهو القاضي الإمام الأديب العلامة ناصح الدين أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسين الأرجاني قاضي تستر . توفي في السنة المذكورة .

وَأَقَرَّ السَّلَامَ عَلَى سُكَّانِ كَاظِمِيَةِ * مِنِّي وَعَرَّضَ بَنِيَّائِي وَسَهَادِي
وَقُلَّ مُحِبُّ بَنَارِ الشُّوقِ مُحْتَرِّقُ * أودَى بِهِ الْوَجْدُ خَلْفَنَاهُ بِالنَّادِي^(١)

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال : وفيها توفى الخافظ شرف الدين أبو المظفر يوسف بن الحسن بن النابلسي الدمشقي في المحرم . وخطيب المقياس أبو الفتح عبد الهادي بن عبد الكريم القيسي المقرئ ، وله أربع وتسعون سنة في شعبان . والمحذث شمس الدين محمد بن عبد المنعم بن عمار بن هامل الحتراني^(٢) في رمضان . وأبو العباس أحمد بن هبة الله بن أحمد السلمي الكهنفي في رجب . وصاحب « التعجيز » الإمام تاج الدين أبو القاسم عبد الرحيم بن محمد بن محمد أبو يونس الموصليل في جمادى الأولى ببغداد ، وله ثلاث وسبعون سنة .

١٠ § أمر النيل في هذه السنة - الماء القديم سبع أذرع وإحدى عشرة إصبعا .
مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وثلاث عشرة إصبعا .



السنة الرابعة عشرة من ولاية الملك الظاهر بيبرس على مصر، وهي سنة
أثنتين وسبعين وستمائة .

- ١٥ (١) في الأصلين : « خلفناه بالوادي » . وما أثبتناه من عيون التواريخ والذيل على مرآة الزمان .
(٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٩٩ من الجزء الرابع من هذه الطبعة . (٣) كذا في الأصلين والمجلد الصافي وعيون التواريخ وشذرات الذهب وشرح القصيدة اللامية في التاريخ وذييل مرآة الزمان . وفي تاريخ الإسلام : « ابن كاهل » . (٤) في الأصلين : « الهني » . والتصحيح عن شذرات الذهب وتاريخ الإسلام . والكهنفي : نسبة إلى كهف جبل قاسيون ، وراجع الحاشية رقم ١ ص ٢٤٦ من الجزء الرابع من هذه الطبعة . (٥) هو التعجيز في مختصر الوجيز في فروع الشافعية كما في كشف الظنون . (٦) في الأصلين : « ابن يوسف » . والتصحيح عن تاريخ الإسلام وعيون التواريخ وشذرات الذهب وعقد الجمان وكشف الظنون وذييل مرآة الزمان .

فيها ملك الملك الظاهر بيبرس^(١) برقة بعد حروب كثيرة .

وفيها توفى الصاحب محي الدين أحمد بن علي بن محمد بن سليم الصاحب محي الدين أبو العباس ابن الصاحب بهاء الدين بن حنّا في ثامن شعبان بمصر ودُفن بسفح المقطم ، ووجد عليه والده وجداً شديداً ، وعُلمت له الأعززية والحتم ، وكان فاضلاً وسميع من جماعة وحدث ودرس بمدرسة والده التي أنشأها بزقاق القناديل بمصر إلى حين وفاته .

وفيها توفى المحدث مؤيد الدين أبو المعالي أسعد بن المظفر بن أسعد بن حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي المعروف بأبن القلّانسي ، مولده يدمشق سنة ثمان أو تسع وتسعين وخمسمائة ، وسمع الكثير وحدث يدمشق ومصر ، وهو من البيوتات

- ١٠ (١) وصف برقة ياقوت واليعقوبي وأبن دقاق بأنها صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الإسكندرية وإفريقية (تونس) أي ساحل طرابلس . ووصفها أحد كتاب الافرنج بأنها نوع جزيرة صحيرية راقصة بين البحر الأبيض المتوسط من خليج بومبي إلى مدوة العظمى . وغور عظيم يختلف ارتفاع أرضه عن سطح البحر من مترين إلى ثلاثة أمتار ، وقد يزيد ارتفاع الجبل الأخضر المهادي للسطح عن ألف متر . ومن محصولاتها الزراعة الجيوب بأفراعها كالقمح والشعير ، وتكثر بها المراعى فيجود الضأن والماعز والبقرة .
١٥ ربه أشجار الفاكه المختلفة خصوصا التي تفرس في البلاد الحارة كالنخيل والموز . ومن أشهر مدنها نفر بن غازي ، وعدد سكانه أكثر من ثلاثين ألفا .

- وكانت طرابلس بما فيها برقة تابعة لقرطاجنة ثم للروم . وفي القرن السابع آلت للعرب . وفي سنة ١١٤٦م صارت تابعة للملك نابلي بإيطاليا ، ثم احتلها الأسبان سنة ١٧١٤م ثم امتلكها الترك إلى سنة ١٩١١م ثم احتلها إيطاليا ، ثم تملكها بعد حروب طويلة بين الترك والعرب وهي الآن ضمن أملاكها (من البيان رأفت بك ص ٣٤٩ وقاموس الأمكنة لعل بك بهجت ص ٥٠) .

- ٢٠ (٢) في الأصلين : « تاج الدين » . وتصحيحه عما تقدم ذكره لؤلؤف غير مرة والتبديل على مرآة الزمان وتاريخ الإسلام وشذرات الذهب . (٣) هي مدرسة الصاحب بهاء الدين بن حنّا . ويستفاد مما ذكره المقرئ عند الكلام على المدرسة صاحبة البهاية في ص ٣٧٠ ج ٢ من خطه أن هذه المدرسة قد اندثرت ولم يبق لها أثر من سنة ٥٨١٧هـ . وأما زقاق القناديل الذي كانت به المدرسة فقد كان واقعاً في الجهة الشرقية من جامع عمرو بمصر القديمة ، وسمى زقاق القناديل لأنه كان سكن الأعراف وكانت أبواب الدور يعلق على كل واحد منها قنديل . وراجع الحاشية رقم ٢ ص ١٧ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

المشهوره بالحديث والعدالة والتقدم . ومات في ثالث [عشر^(١)] المحرم ببستانه ظاهر دمشق ، وكان وافر الحرمة متأهلاً للوزارة كثير الأملاك واسع الصدر

وفيهما توفى الأمير فارس الدين أقطاي بن عبد الله الأتابكي المعروف بالمستعرب الصالحى النجيبى ، كان من أكابر الأمراء وأعيانهم ، وكان الملك المظفر قطز قربه وجعله أتابكاً وعلق جميع أمور المملكة به . فلما تسلطن الملك الظاهر قام معه وحلف له وسلطنه فلم يسع الملك الظاهر إلا أن أبقاه على حاله ، وصار الظاهر فى الباطن يتبرم منه ولا يسعه إلا تعظيمه لعدم وجود من يقوم مقامه ، فإنه كان من رجال الدهر حزمًا وعزمًا ورأيًا ، فلما أنشأ الملك الظاهر بيليك الخازندار أمره بملازمته والاقبتاس منه فلازمه مدة ، فلما علم الظاهر منه الاستقلال جعله مشاركاً له فى الجيش ، وقطع الرواتب التى كانت لأقطاي المذكور ، فجمع أقطاي نفسه وتملأ قريبا السنة وصار يتدأوى إلى أن مات ، وكان أظهر أن به طرف جُذام^(٢) ولم يكن به شيء من ذلك ، رحمه الله تعالى .

وفيهما توفى مجاهد بن سليمان بن مرهف بن أبى الفتح التميمى المصرى الخياط الشاعر المشهور ، وكان يعرف بابن أبى الربيع . مات فى جمادى الآخرة بالقراقة الكبرى ، وكان بها سكنه وبها دُفن ، وكان فاضلاً أدبياً . ومن شعره فى أبى الحسين الجزار وكان بينهما مهاجاة :

(١) الزيادة عن تاريخ الإسلام والذيل على مرآة الزمان . (٢) فى الأصلين : « أظهر

أن به هرق جذام » . وما أشتاء عن المنهل الصافي والذيل على مرآة الزمان وشتذوات الذهب ،

وما يفهم من عبارة تاريخ الإسلام . (٣) فى أحد الأصلين : « مجاهد الدين » . وما أشتاء

عن الأصل الآخر وذيل مرآة الزمان وعيون التواريخ وفوات الوفيات .

أبا الحسين تَأَدَّبَ * ما الفخرُ بالشُّعْرُ فخرُ
وما ترشَّحتَ منه ^(١) * بقطرة وهو بحرُ

وفيه يقول أيضا :

إن تاه جزاركُم عليكم * يَفْطِنِيْ عِنْدَهُ وَكَيْسُ
فليس يرجوه غيرُ كَلْبٍ * ولبس يَخْشَاهُ عَيْرُ تَيْسِ

ومن شعره قوله : لُغْزِيْ إِبْرَة وَكُتْبَان :

ثَلَاثَةٌ فِي أَمْرِ خَصَمَيْنِ * إَلْفَيْنِ لَكِنْ غَيْرِ إَلْفَيْنِ
هُمَا قَرِيْبَان وَإِنْ فَرَقْتَ * بَيْنَهُمَا أَيَّامُ فَرْقَيْنِ
فَوَاحِدٌ يَمْضِيْهِ وَاحِدٌ ^(٢) * وَيُمْضِيْهِ الْآخِرُ بَآثْنَيْنِ

١٠ تراهما بينهما وقعة * لَأَذْنَعُ الْعَيْنَ عَلَى الْعَيْنِ

^(٣)

وفيهما تُوَفِّي الشَّيْخُ الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ [بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ] بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَلِيٍّ - الْمَعَارِفِيُّ - الشَّاطِئِيُّ - الْمُقَرَّرِيُّ الزَّاهِدُ تَزِيلُ الْإِسْكََنْدَرِيَّةُ ، قَرَأَ بِالسَّبْعِ فِي الْأَنْدَلُسِ وَبَرَّجَ فِي الْقُرَآءَاتِ وَالتَّفْسِيرِ وَلَهُ تَفْسِيرٌ صَغِيرٌ . وَمَاتَ فِي الْعَشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَلَهُ سَبْعٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً .

١٠ وفيها تُوَفِّي الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَلَامَةُ فَرِيدُ عَصْرِهِ جَمَالُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ [بْنُ عَبْدِ اللَّهِ] ^(٤) بْنِ مَالِكِ النَّحْوِيِّ - الْجَبْيَانِيِّ - الشَّافِعِيِّ - الطَّائِيَّ - الْعَالِمُ الْمَشْهُورُ

(١) كَذَا فِي الْأَصْلَيْنِ وَالذَّيْلُ عَلَى مَرَاةِ الزَّمَانِ . وَرَوَايَةُ الْمُهَلِّ الصَّالِي وَفَوَاتِ الْوَفَاةِ :

* وَمَا تَبَلَّتْ مِنْهُ *

(٢) رَوَايَةُ هَذَا الْبَيْتِ فِي الْأَصْلَيْنِ :

٢٠ وَوَاحِدٌ يَمْضِيْهِ وَاحِدٌ * وَبَعْضُ الْآخَرِ اثْنَيْنِ

وَمَا أُسْتَبْنَاهُ عَنِ الذَّيْلِ عَلَى مَرَاةِ الزَّمَانِ . (٣) التَّكْلَةُ عَنْ غَايَةِ النِّهَايَةِ وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ .

(٤) التَّكْلَةُ عَنِ الْمَصْدَرِ بَيْنَ الْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُتَخَبِّرِينَ . (٥) الْجَبْيَانِيُّ : نَسَبُهُ إِلَى جَبَانَ : يَدُّ بِالْأَنْدَلُسِ .

صاحب التصانيف في النحو والعربية نزيل دِمَشْق مولده سنة إحدى وستمئة ،
وسَمِعَ الحديث وتصدّر بجلب لإقراء العربية ، وصَرَفَ قِمتَه إلى النحو حتى بلغ فيه
الغاية ، وصنّف التصانيف المفيدة ، وكان إماماً في القراءات ، وصنّف فيها أيضاً
قصيدة مرموزة في مقدار الشاطيئة ، وكان إماماً في اللغة .

قلت : وشهرته تُنْفَى عن الإطناب في ذكره . ومات في ثاني عشر شعبان وقد
نَيْفَ على السبعين ، رحمه الله تعالى .

الذين ذكر الذهي وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها نُوْق مؤيد الدين أسعد
أبن المظفر التميمي - أبن القلايسبي - عن ثلاث وسبعين سنة في المحرم . والسيد نجيب الدين
عبد اللطيف بن أبي محمد عبد المنعم [بن علي^(١) بن نصر بن منصور بن هبة الله
أبو الفرج أبن الإمام الواعظ أبي محمد] بن الصَّبَّاح الحراني في صفر ، وله خمس
وثمانون سنة . والمسند نقي الدين إسماعيل بن إبراهيم بن أبي اليسر [شاذلي^(٢) بن عبد الله]
التُّونُجِي الكاتب في صفر ، وله ثلاث وثمانون سنة . وأبو عيسى عبد الله بن عبد الواحد
ابن محمد [بن عبد الواحد^(٣)] بن علاق الأنصاري الرزاز في شهر ربيع الأول عن ست
وثمانين سنة . والقاضي كمال الدين عمر بن بُسْدار التُّفَيْلِسِي بمصر في شهر ربيع الأول
وقد جاوز السبعين . والمحلت نجم الدين علي بن عبد الكافي الرُّبَيْي الشافعي في شهر
ربيع الآخر شأبا . والشيخ كمال الدين عبد العزيز بن عبد المنعم في شعبان عن ثلاث
وثمانين سنة . والعلامة جمال الدين محمد بن عبد الله [بن عبد الله] بن مالك الطائي
الحِمْيَاني في شعبان عن نحو سبعين سنة . والأمير الكبير أتابك المُسْتَعْرِب ، وأسمه

(١) زيادة عن تاريخ الإسلام وذيّل مرآة الزمان . (٢) زيادة عن المصادر المتقدمين
وشذرات الذهب . (٣) تكملة عن تاريخ الإسلام والسلوك (ص ٦١٤) .
(٤) في الأملين : « الرَّدَاد » . وما أثبتناه عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب .

فارس الدين أقطاي الصالحى، وقد ولي نيابة المظفر قُطُز، توفى في جمادى الأولى،
 والزاهد الكبير الشيخ محمد بن سليمان^(١) [بن محمد بن سليمان] الشاطبى بالإسكندرية
 وخوaja [محمد بن محمد بن الحسن أبو عبد الله] نصير^(٢) [الدين] الطوسى في ذى الحجة.
 § أمر النيل في هذه السنة - المساء القديم ست أذرع وإحدى وعشرون أصبعا.
 • مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وست أصابع.



السنة الخامسة عشرة من ولاية الملك الظاهر بيبرس على مصر، وهى سنة
 ثلاث وسبعين وسفانة.

فيها كانت أنجوبة في السابع والعشرين من شعبان وهو أنه وقع رمل بمدينة
 الموصل ظهر من الفيلة وأنشربميناً وشمالاً حتى ملأ الآفاق وُعْثبت الطُرق، فخرج
 العالم إلى ظاهر البلد، ولم يزالوا يبتهلون إلى الله تعالى بالدعاء إلى أن كشف الله
 ذلك عنهم.

وفيها توفى الأمير شهاب الدين أبو العباس أحمد بن موسى بن يعقوب بن جلدك.
 وقد تقدم ذكر والده الأمير جمال الدين موسى، كان شهاب الدين هذا، مروفاً بالشجاعة
 والشهامة والصرامة والحرمة، ولأه الملك الظاهر المحلة وأعمالها من الغربية من إقليم
 مصر، فهدبها ومهد قواعد وأباد المفسدين بها بحيث إنه قطع من الأيدي والأرجل
 ما لا يحصى كثرة، وشنق ووسط نخافه البرى، والسقيم، ومات بالجملة في الرابع والعشرين^(٣)

(١) النكتة عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب وعيون التاريخ والنيل على مرآة الزمان

وعند الجمان. (٢) في الأصلين: « جمال الدين ». والباقي يقتضى ما أتينا به.

(٣) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٢٦ من الجزء السادس من هذه الطبعة. (٤) في الأصلين
 « في راجع عشر جمادى الأولى ». وبها أتينا به عن عهد الجمان وعيون التاريخ وذيل مرآة الزمان.

من بُجَادي الأولى، وكان عنده رياسة وحِشمة وِرْلَمَن بِقِصْدِهِ؛ وله نظمٌ وعنده فضيلة.
ومن شعره يُخاطب الأمير علم الدين الدَّوَادَارِي ^(١) :
إِنْ صَدَدْتُمْ عَنْ مَقَلِّي فَلَكُمْ فِي يَدِهِ نِشَاءٌ كُنْتُمْ رَوْضَ بَهِيٍّ
أَوْ رَدَدْتُمْ فَأَنَا الْمَحَبُّ الَّذِي مِنْ * آلِ مُوسَى فِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ

وله :

خَطْبُ أَتَى مُسِيرًا فَأَذَى * أَصْبَحَ جَسْمِي بِهِ جَدَاذَا
خَفَضَ قَلْبِي وَعَمَّ غَيْرِي * يَا لَيْتَنِي يَتُّ قَبْلَ هَذَا
وَلَهُ فِي مَلِيحٍ نَحْوِي :

ومليح تعلم النحو يَحْكِي * مَشْكَلَاتٍ لَهُ بَلْفِظٌ وَجِيزٍ
مَا تَمَيَّزَتْ حَسَنَتُهُ قَطُّ إِلَّا * قَامَ أَرَى نَصَبًا عَلَى التَّمْيِيزِ

وفيه هلك يَمْنَدُ الْفَرَنْجِيُّ مَمْلَكَ طَرَابُلُسَ بِهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَّلِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ
وَدُفِنَ فِي كَنِيسَةٍ بِهَا ، وَتَمَلَّكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ ، وَكَانَ حَسَنَ الشَّكْلِ مَلِيحَ الصُّورَةِ .

وفيه تُوُفِيَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ أَبُو مُحَمَّدٍ شَمْسُ الدِّينِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنُ شَرْفٍ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ
عَطَاءٍ الْأَذْرَعِيُّ الْأَصْلُ الدَّمَشْقِيُّ الْوَفَاةُ الْحَنَفِيَّةُ ، كَانَ إِمَامًا فَاقِيًا مُفْتِيًّا عَالِمًا مُفْتَنًّا ،

أَفْتَى وَدَرَسَ بِمَدَنَةِ مَدَارَسَ ، وَهُوَ أَوَّلُ قَاضٍ وَلِيَ الْقَضَاءَ اسْتِقْلَالًا بِدَمَشَقٍ مِنْ
الْحَنَفِيَّةِ فِي الْعَصْرِ الثَّانِي . وَأَمَّا أَوَّلُ الزَّمَانِ فَوَلِيَهَا جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ فِي أَوَائِلِ
الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ . وَحَسُنَتْ سِيرَتُهُ فِي الْقَضَاءِ إِلَى الْغَايَةِ ؛ وَفَصَّتْهُ مَعَ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ
بِإِيرَسَ مَشْهُورَةً لَمَّا أَوْقَعَ الظَّاهِرُ الْحَوَاطَةَ عَلَى الْأَمْلَاقِ وَالْهَسَاتِينَ بِدَمَشَقٍ ، وَقَعَدَ

(١) عبارة الذيل على مرآة الزمان ويعيون التواريخ : « وقال يخاطب صاحباً له ورد عليه من
الإسكندرية إلى المحلة » . (٢) في الأصلين : « خضض » . (٣) في الأصلين :
« البليكي » . وما أتيته من الجواهر المحببة في طبقات الحنفية وتاريخ الإسلام وشذرات الذهب
والمنهل الصافي ومقد الجمان والسلوك .

- الظاهر في دار العدل يَدْمَشْقُ وجرى الحديث في هذا المعنى بحضور القضاة الأربعة والعلماء وغيرهم ، فكلُّ من القضاة الآن له القول وخشيَ سَطْوَةَ الملك الظاهر إلا شمس الدين هذا ، فإنه صدَّعَ بالحق وقال : ما يحلُّ لمسلم أن يتعرض لهذه الأملاك والبساتين ! فإنها بيد أربابها ويُدْمُ ثابتةٌ عليها . فغَضِبَ الملك الظاهر من هذا القول وقام من دار العدل وقال : إذا كنَّا ما نحن مسلمون إيش قعودنا ! فشرع
- الأمراء يتألفوه ولا زالوا به حتى سكن غضبه ؛ فلما رأى الظاهر صلابة دينه حَفِظَ عنده وقال : أثبتوا كتبنا عند هذا القاضي الحنفى وعظَّم في عينه وهابه .
- وكان من العلماء الأعيان تامُّ الفضيلة وافرُ الديانة كريمُ الأخلاق حسنُ العشرة كثيرُ التواضع عديمُ النظير ، وأنتفع بعلمه جمٌ غفير ، رحمه الله تعالى .

- ١٠ وفيها تُوِّفَى الشيخ جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن أحمد بن محمود بن أحمد ابن محمد التكريتي الجلي ، الموصلى - الأب ، الدمشقي - المولد ، المحلى الوفاة المعروف - بابن الطحان الشهير بالحافظ اليعموري ، كان فاضلاً سميعاً كثير بعثة بلاد ، وكان له مشاركة في فنون ، وكان أديباً شاعراً . ومن شعره :

رجع الودُّ على رَغْمِ الأعادى * وأتى الوصلُ على وفقِ مرادى

- ١٥ ما على الأيام ذنبٌ بعد ما * كَفَرُ القربُ إساءاتِ البعاد

الذين ذكر الذهبى وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها توفى الحافظ وجيه الدين أبو المظفر منصور بن سليم الحمداني بالإسكندرية في سؤال . وقاضى القضاة

(١) في المنهل الصافي وتاريخ الإسلام : « فشرع الأمراء في التلطف ... الخ » .

(٢) في الأملين . « الهداني » . والتصحيح عن الذيل على مرآة الزمان وتاريخ الإسلام وعقد

الجلان . والحمداني « بكون الميم » : نسبة إلى القبيلة المشهورة ، كما في شذرات الذهب .

شمس الدين عبدالله بن محمد بن عطاء الحنفى فى جمادى الأولى وهو فى عشر الثمانين .
 وأبو الفتح عمر بن يعقوب الإربلى الصوفى فى يوم النحر .
 § أمر النيل فى هذه السنة المباركة — الماء القديم خمس أذرع وأربع أصابع .
 مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وثلاث أصابع .



السنة السادسة عشرة من ولاية الملك الظاهر بيبرس على مصر، وهى
 سنة أربع وسبعين وستمائة .

فبها توفى الأمير عز الدين أبو محمد أئبك بن عبدالله الإسكندراني الصالحى
 النجمى ، كان أستاذه الملك الصالح نجم أيوب يسبق به ويعتمد عليه وولاه
 الشوبك ، وجعل عنده جماعة كثيرة من خواصه : منهم الأمير عز الدين أيدهر
 الحلى ، والأمير سنجر الحصىنى^(١) ، والأمير أئبك الززادى ، وكان عنده كفاية وخبرة تامة
 وصرامة شديدة ومهابة عظيمة يقيم الحدود على ما يجب ، ثم نُقل فى عتة وظائف
 إلى أن مات فى شهر رمضان بقلمة الرحبة ودُفن بظاهرها .

وفبها توفى الحسن بن علي بن الحسن بن ماهر^(٢) بن طاهر أبو محمد نخر الدين
 الحسينى نقيب الأشراف وابن نقيبهم ، مولده سنة ثمان وستمائة ، ومات يوم الأحد
 تاسع شهر ربيع الأول ببغلبك ، وكان عنده فضيلة ومعرفة بأنساب العلويين ونظم
 نظما متوسطا وكان مبدرا للأموال .

(١) فى الأصلين : « الحلى » . وما أئبناه من ذيل مرآة الزمان . وهو الأمير علم الدين سنجر
 الحصىنى كان من أمراء الأتوف وكان فى وقت نائب السلطنة بدشتو . ومات فى هذه السنة (عن الوافى
 بالوفيات للصفدى) . (٢) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٣٢٨ من الجزء السادس من هذه الطبعة .
 (٣) فى الذيل على مرآة الزمان : « ماهر » .

وفيهما توفى الأمير الكبير ركن الدين خاص ترك بن عبد الله الصالحى النجمى،
وكان شجاعاً مقداماً مقدماً عند الملوك . مات في شهر ربيع الأول بدمشق .

وفيهما توفى الشيخ زين الدين أبى المظفر عبد الملك بن عبد الله بن عبد الرحمن
أبن الحسن بن عبد الرحمن بن طاهر الحلبى الشافعى المعروف بأبن العجمى، مولده
بجلب سنة إحدى وتسعين وخمسمائة، وسمع الحديث وحديث وكان شيخاً فاضلاً .
مات في ذى القعدة بالقاهرة ، ودُفن بسفح المقطم وهو خال قاضى القضاة
كمال الدين أحمد بن الأستاذ .^(١)

وفيهما توفى الشيخ بهاء الدين أبو عبد الله محمد بن عيسى الله [بن جبريل] كان
صَنَدَرًا كبيراً عالماً فاضلاً شاعراً . مات بالقاهرة ودُفن بالقرافة وهو في عشر
الستين م ومن شعره ، رحمه الله تعالى :

ولقد شكوتُ لِمُتَلَفِي * حالى وَلَقَطْتُ العبارة

فَكَاتَى أشكوا لى * حَجْرٍ وَإِنْ من المِجَارَةِ

وله :

يا راحلاً قد كُذِّتْ أَقْضَى بَعْدَهُ * أَسْفًا وَأَحْشَانِي عَلَيْهِ تَقَطَّعُ

شَطَّ الْمَزَارُفِ الْقُلُوبِ سِوَاكُنْ * لَكِنْ دَمْعَ الْعَيْنِ بَعْدَكَ يَنْبَغُ^(٢)

وفيهما توفى الشيخ الإمام تاج الدين أبو التناء محمود بن عابد بن الحسين بن محمد
[بن] الحسين بن جعفر بن عمارة بن عيسى بن على بن عمارة التيمى الصرخدى^(٣)

(١) هو كمال الدين أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن الأستاذ الشافعى المعروف بأبن الأستاذ .
تقدمت وفاة سنة ٦٦٢ هـ . (٢) كذا في الأصلين وذيل مرآة الزمان . وفي المنهل الصافي
وتاريخ الإسلام والسلوك : « زين الدين » . (٣) زيادة عن تاريخ الإسلام وذيل مرآة الزمان
والمنهل الصافي وعيون التواريخ . (٤) في الأصلين « ابن عابد » بالياء المتأخرة آخر الحروف ،
وهو تصحيف . يتضح من عيون التواريخ وذيل مرآة الزمان والمنهل الصافي وشذرات الذهب
والسلوك . (٥) التكلفة عن الذيل على مرآة الزمان .

الحنفى^(١)، مولده سنة ثمان وسبعين وخمسمائة بصرخد . ومات ليلة الجمعة السادس والعشرين من شهر ربيع الآخر بدمشق ، ودُفن بمقابر الصوفية عند قبر شيخه جمال الدين الحصري^(٢)، كان من الصلحاء العلماء العاملين ، كان كثير التواضع قنوعاً من الدنيا معرضاً عنها ، وكانت له وجاهة عظيمة عند الملوك وأنتفع به جم غفير من الطلبة ، وكانت له اليد الطولى في النظم والنثر . ومن شعره قوله :

ما نلتُ من حُبٍّ من كلفتُ به * إلا غراماً عليه أو ولماً^(٣)
ومحنتي في هواه دائرة * آخرها ما يزال أولماً^(٤)

قلت : وأرشق من هذا من قال :

محبتي ما تنقضي * لحنفي تُبطلها
صكاتها دائرة * آخرها أولماً

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال : وفيها توفى المحدث مكي بن الدين أبو الحسن بن عبد العظيم الحصري المصري في رجب، وله أربع وسبعون سنة . وسعد الدين أبو الفضل محمد بن مهلهل بن بدران الأنصاري الحنفي المصري سميع الأرتاحي . وتوفى تاج الدين محمود بن عابد التيمي الصرخدي الحنفي الشاعر المشهور

(١) كذا في الأصلين وذيل مرآة الزمان وقد الجمان وما يفهم من عبارة السلوك . وفي تاريخ الإسلام وعيون التواريخ والمنهل الصافي : « ولد بصرخد سنة ثمان وتسعين وخمسمائة » . (٢) هو محمود ابن أحمد بن عبد السيد الشيخ الإمام جمال الدين بن الحصري الحنفي . تقدمت وفاته سنة ٦٣٦ هـ . (٣) رواية هذا المصراع في الأصلين : * ما قلت من حب من ذا كلفت به *

والتصحیح عن حيون التواريخ وذيل مرآة الزمان . (٤) في الأصلين : « ومحنتي في هواه ... الخ » . وما أئبناه من ذيل مرآة الزمان . (٥) كذا في الأصلين . وفي حسن المحاضرة : « محمد بن بدران سعد الدين أبو الفضل الهشمي » . وقد أوردته في تذكرة الحفاظ في ترجمة الحافظ عبد الغنى وقال عنه : « محمد بن مهلهل الحنفي » بالخاء والياء وهو من روى عن الحافظ المذكور . ولم يرد هذا الاسم في الذهبي وفي وفيات هذه السنة . (٦) هو أبو العباس أحمد بن حامد بن أحمد ابن حديد الشيخ المقرئ الأنصاري الأرتاحي ثم المصري الحنبلي . توفى سنة ٦٥٩ هـ (عن المنهل الصافي وتذكرة الحفاظ وحسن المحاضرة للسيوطي) .

في شهر ربيع الآخر عن نيف وتسعين سنة . وسعد الدين الخضر بن شيخ الشيوخ
 فاج الدين عبد الله [بن شيخ الشيوخ أبي الفتح عمر] بن حمويه الجويني في ذى الحجة^(٢)
 عن ثلاث وثمانين سنة . وأبو الفتح عثمان بن هبة الله بن عبد الرحمن [بن مكي^(٣)
 ابن إسماعيل] بن عوف الزهرى آخر أصحاب أبي موقا في شهر ربيع الآخر^(٤)
 بالإسكندرية .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم القاعدة لم تحوّر لاختلاف المؤرخين .
 مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا ونحس عشرة إصبعا .



السنة السابعة عشرة من ولاية الملك الظاهر بيبرس على مصر، وهى سنة
 خمس وسبعين وستمائة .

فيها توفى إبراهيم بن سعد [الله] بن جماعة بن على بن جماعة بن حازم بن محضر^(٦)
 أبو إسحاق الحموي الكائن المعروف بأبن جماعة، سمع الفخر بن عساكر وغيره^(٧)
 وحلث . ومولده يوم الاثنين منتصف رجب سنة ست وتسعين وخمسمائة بحماة ،
 وهو والد القاضي بدر الدين بن جماعة . مات يوم عيد النحر^(٨)

- ١٥ (١) سماء الذهبي أيضا مسعود بن عبد الله، وواقفه في ذلك عيون التواريخ والذيل على مرآة الزمان
 وتاريخ الدول والملوك لابن القرات والسلوك . (٢) التكلة عن حسن المحاضرة وتاريخ الإسلام
 وشذرات الذهب . (٣) التكلة عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب وعيون التواريخ .
 (٤) هو أبو القاسم عبد الرحمن بن مكي بن حمزة بن موقا الأنصارى الإسكندراني الناجر . تقدمت
 وفاته سنة ٥٥٩٩ . (٥) وقد راجعنا أيضا كنز الدرر ودرر التيجان فلم يكتبنا عن الماء القديم شيئا .
 ٢٠ (٦) التكلة عن تاريخ الإسلام للذهبي والذيل على مرآة الزمان والمهمل الصافي وعقد الجمان وتاريخ
 الدول والملوك . (٧) هو عبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين
 نضر الدين بن عساكر . تقدمت وفاته سنة ٥٦٢٠ . (٨) في الأصلين : « سنة سبع وتسعين » .
 والتصحيح عن تاريخ الإسلام وعيون التواريخ وعقد الجمان وتاريخ الدول والملوك . (٩) هو القاضي
 بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الحموي الكائن . سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٥٧٣٣ .

- وفيهما توفى الأمير ناصر الدين محمد بن أيك^(١١) [بن عبد الله بن] الإسكندريّ،
 وكان تَمَن جمع بين حسن الصورة وحسن السيرة ووفور العقل والرياسة ومكارم
 الأخلاق . مات غريباً ، مَرَّ بفرسه على جسر حجر فزَلِق الفرس ووقع به في النهر
 ونرج الفرس سباحةً ومات هو . فكانَ الجلال بن الصقار الماردنيّ عنه بقوله :
 يَأْيِهَا الرَّشَاءُ المَكْحُولُ نَظَرُهُ * بالسَّحَرِ حَسْبُكَ قَدْ أَحْرَقَتْ أَحْشَانِي^(١٢)
 لَمَّا أَنْفَاسُكَ فِي التَّيَارِ حَقَّقَ أَتَّ الشَّمْسُ تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ مِنَ الْمَاءِ
 أو بقوله أيضاً . وقيل لهما لأبي إسحاق الشيرازي^(١٣) ، والله أعلم :
 غَرِيقٌ كَانَ الْمَوْتَ رَقَّ لِحُسْنِهِ * فَلَانَ لَهُ فِي صَفْحَةِ الْمَاءِ جَانِبُهُ
 أَبِي اللَّهِ أَنْ يَسْأَلُوهُ قَلْبِي فَإِنَّهُ * تَوَفَّاهُ فِي الْمَاءِ الَّذِي أَنَا شَارِبُهُ
 وفيها تُوفِيَ الشَّيْخُ الْمُتَعَدِّدُ الصَّالِحُ أَبُو الْفَتَيَّانِ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ [بن محمد]^(١٤)
 ابْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمُقَدِّسِيُّ الْأَصْلُ الْبَدَوِيُّ الْمَعْرُوفُ بِأَبِي اللَّتَّامَيْنِ السُّطُوحيّ . مولده^(١٥)

- (١) زيادة عن ذيل مرآة الزمان . (٢) في الأصلين : « فقال فيه الجلال ... » .
 وتصحيحه عن ذيل مرآة الزمان . وهو جلال الدين الماردنيّ علي بن يوسف بن شيبان المعروف
 بابن الصقار ، كاتب الإنشاء للوك الناصر ناصر الدين أرتق صاحب ماردن . قتل بيد التار
 سنة ٦٥٨ هـ أي قبل وفاة هذا المتحدث عنه بسبع عشرة سنة . وقد قال هذين البيتين في غلام ملج
 غرق في الماء كما في المنهل الصافي وفوات الوفيات . (٣) رواية هذا المصراع
 في فوات الوفيات : * إلى أعينك من نار بأحشائي * (٤) عبارة الأصلين :
 « وقال فيه أيضاً » وفي ذيل مرآة الزمان : « وإبراده بقوله أيضاً » . والسياق يقتضي ما أثبتناه .
 (٥) هو أبو إسحاق الفيروزابادي الشيرازي إبراهيم بن علي بن يوسف الشافعي . تقدّمت وفاته
 سنة ٤٧٦ هـ . وقد ذكر المؤلف في ترجمته أنه قال هذين البيتين في غريق في الماء ، وروايتهما تختلف
 عما هنا قليلاً . (٦) تكلية عن شذرات الذهب والمخطوط التوفيقي . (٧) كذا في أحد
 الأصلين . ولعلها : « الفاسي » لأن مولده كان بفاس من بلاد المغرب . والأصل الآخر لم يبرم له .
 (٨) السطوح : نسبة إلى السطوح لأنه مكث على السطوح مدة اثنتي عشرة سنة .

سنة ست وتسعين وخمسمائة ، وتوفي في سنة خمس وسبعين في شهر ربيع الأول ،
وُدِّفَ بِطَنْدَنَا وَفَبِهِ يُقْصَدُ لِلزَّيَارَةِ هُنَاكَ ، وَكَانَ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ الْمَشْهُورِينَ ، وَسُمِّيَ
بِأَبِي الْكَلْبَانَيْنِ لِلْمَلازِمَةِ الْكَلْبَانَيْنِ صَيْفًا وَشِتَاءً ، وَكَانَ لَهُ كِرَامَاتٌ وَمَنَاقِبٌ جَمَّةٌ ، رَحِمَهُ
الله تعالى ونفعنا ببركاته .

- وفيها تُوُفِيَ الْعَلَمَةُ بِدْرِ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حَقَّازِ السُّلَمِيِّ الْحَنْفِيِّ الْمَعْرُوفِ بِأَبْنِ الْفُؤَيْرَةِ ^(٢١) . مَاتَ بِدِمَشْقِ
فِي يَوْمِ السَّبْتِ حَادِي عَشْرِينَ جُمَادَى الْأُولَى وَقَالَ الْحَافِظُ عَبْدُ الْقَادِرِ فِي طَبَقَاتِهِ :
رَأَيْتُ بِحُطِّ الْحَافِظِ الدَّيْمَالِيِّ فِي مَشِيعَتِهِ أَنَّهُ تُوُفِيَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ لِحَاقَةِ مَنَاصِفِ شَهْرِ
رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ . وَكَانَ إِمَامًا عَالِمًا مُتَبَحِّرًا فِي الْعُلُومِ ، دُرِّسَ

- ١٠ (١) هي المدينة الشهيرة التي تعرف اليوم باسم طنطا قاعدة مديرية الغربية وهي من المدن المصرية
القديمة اسمها المصري « تناسو » والرومي « تانيناد » وقد وردت في الكتب العربية بأسماء . « طنتنا »
« وطنتنا » « وطنلة » « وطنندا » « وطنندا » ثم أسقطت الهمزة التخفيف فصارت « طنتنا » ثم نزلت
الهاء فصارت « طنطا » وهو اسمها الحالي .

- وكانت مدينة المحلة الكبرى قاعدة لإقليم الغربية من أيام الفتح العربي لمصر ، فلما عين عباس باشا
١٥ حلي الأول مديرا الغربية في سنة ١٢٤٩ هـ قبل ولايته على مصر سعى لدى جده محمد علي باشا الكبير لتقل
قاعدة المديرية من المحلة الكبرى إلى طنطا فوافق جده على ذلك ، وأصبحت مدينة طنطا قاعدة لمديرية
الغربية من سنة ١٢٥٢ هـ = ١٨٣٦ م . وهذه المدينة قد زادت شهرتها من يوم أن دفن بها
ولي الله تعالى السيد أحمد البدرى المتوفى سنة ٦٧٥ هـ فان وجود قبره بها كان سببا في زيادة شهرتها حيث
يحتفل فيها سنويا بأعياء ذكرى مولده العظيم ، ويقصدها خلق كثير من لترك هذا الولي الذي له في طنطا
ضريح تطوءه قبة عظيمة لاحتلو يوبا من الزائرين . وله جامع من أكبر الجوامع الحافظة بطلبة العلم والمصلين .
٢٠ وإليه ينسب المعهد الديني الأحمدي .

وطنطا من أكبر مدن مصر وأشهرها ، وما زاد في عمارتها وأهميتها التجارية وقوعها في وسط الوجه
البحري ووجود محطة كبيرة بها تنفّرع منها شبكة من السكك الحديدية المنتشرة في الوجه البحري .

- (٢) ضبطه صاحب المثل الصافي والجواهر المضية في طبقات الحنفية بالعبرة فقالا : ففتح الحاء
المهمل (تشديد الفاء) . (٣) ضبطه صاحب الجواهر المضية بالعبارة فقال : (بكسر الراء
٢٥ المهمل . وأشتهر بين الناس بفتح الراء ، كذا قال لي شيخنا قطب الدين) .

بالشَّيْلِيَّةُ^(١) [بجبل] الصالحية وأفتى سنين وبرع في الفقه والعربية وسمع الكثير، وكان يكتب خطاً حسناً، وله معرفة أيضاً بالأصول والأدب وله نظمٌ رائعٌ، وكان رئيساً وعنده ديانة ومروءة ومكارم أخلاق. ومن شعره [في ملبح شاعر] :
 وشاعير يسحرني طرفه * ورقة الألفاظ من شعره
 أنشدني نظماً بديعاً فـ * أحسن ذلك النظم من غيره
 وله في معتر :

عاينت حبة خاله^(٢) * في روضة من جلتار
 فنسدا فزادی طائرًا * فأصطاده شرك العذار
 وله :

كانت دموعي حمرًا يوم بينهم * فُدْنَاوًا قصرتها لوعة الحرق
 قطفت باللفظ وردًا من خدودهم * فاستفطر البعد ماء الورد من حدي
 وقيل إنه ربي في المنام بعد موته فسئل عما لقي بعد موته فكان جوابه .
 ما كان لي من شافع عنده * إلا اعتقادي أنه واحد

وفيها توفى الشيخ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب بن منصور
 الحنبلاني الحنبلي، كان فقيهاً إماماً عالماً عارفاً بعلم الأصول والحلاف والفقه ودرس

(١) المدرسة الشبلية من أقدم مدارس الحنفية بدمشق بسفح فاسيون بالقرب من جسر توره . أنشأها شبل الدولة كافور الحسامي الرومي طواشي حسام الدين بن لاجين ولدت الشام سنة ٦٢٦ هـ وقد دفن بها وهي فوق جسر توره من طريق عين الكرش لم يبق منها إلا قطعة يسيرة قاومت صروف الزمان . درس بها عطاء من الفقهاء منهم الصفي السنجاري والشمس ابن الجوزي وابن قاضي آمد وابن الفورية والبصروي والأذري والكاشفري والطوسي والكفيري والتركاني والهاد الجبيل وابن بشار وغيرهم . (خطب الشام للآستاذ محمد كرد علي ص ٩٣ ج ٦) . (٢) في الأصلين : « ودرس بالشبلية وبالصالحية » .
 والتصحيح والزيادة عن ذيل مرآة الزمان وحيون التواريخ . (٣) زيادة عن حيون التواريخ .
 (٤) في الأصلين : « جنة خاله » . وما أثبتناه عن حيون التواريخ وذيل مرآة الزمان وشذرات الذهب .

وأفتى وأشتغل [على الشيخ علم الدين القاسم في الأصول والعريضة] ومات في جُمادى الأولى . ومن شعره قوله :

طار قلبي يوم ساروا فرقاً * وسواءً فاض دمي أورقاً

حار في سُقي من بعدهم * كل من في الحى دأوى أورق

بعدهم لأطل وأدى المنحنى * وكذا بان الحى لا أورقاً

- وفيها توفي الأديب الشاعر شهاب الدين أبو المكارم محمد بن يوسف بن مسعود ابن بركة الشيباني التلعفري^(٢) الشاعر المشهور، مولده سنة ثلاث وتسعين وخمسةائة بالموصل، ومات بجمّة في شوال . كان أديباً فاضلاً حافظاً للأشعار وأيام العرب وأخبارها، وكان يتشيع، وكان من شعراء الملك الأشرف موسى شاه أرمن، وكان التلعفري هذا مع تقدّمه في الأدب وبراعته أثبت بالقياس، ووقع له بسبب القهار أمور منها: أنه نُودي بحلب من قبل السلطان: من فامر مع الشهاب التلعفري قطعنا يده، فضاقت عليه الأرض، فغاه إلى دمشق ولم يزل يستجدي ويقامر حتى بقى في أثون من الفقر .

قلت : وديوان شعره لطيف في غاية الحسن وهو موجود بأيدي الناس . ومن

- شعره قصيدته المشهورة :

أتى دمع من الجفون أسالة * لاذ أثنه مع النسيم رسالة

حمته الرياح أسرار عريق * أودعها السحاب المطالة

يا خليل وتحليل حقوق^(٣) * واجبات الأداء في كل حالة

- (١) زيادة عن تاريخ الاسلام وذيل مرآة الزمان وعيون التواريخ . (٢) التلعفري (يفتح أثله واللام المشددة والقاف وسكون المهمله وراء) : نسبة الى التل الأعفر، موضع بنواحي الموصل (عن شذرات الذهب) . وضبطه صاحب الباب يفتح التاء واللام المخففة) . (٣) في الأصلين والمثل الصافي وغزوات الوفيات : « واجبات الأحوال ... الخ » . وما أثبتناه عن ديوانه الملتوح في بيروت .

- سَلَّ عَقِيقَ الْيَمَى وَقَلَ إِذْ تَرَاهُ * خَالِيًا مِنْ ظِلَابِهِ انْتَحَالَه
 أَيْنَ تَلَكِ الْمَرَاثِفُ الْعَلِيَّةِ * مَا تُوْنَكَ الْمَاعِطُ الْعَسَالَةَ
 وَلِيَالٍ قَضِيَّتْهَا كِلَالٌ * بَغْزَالٍ تَفَارُ مِنْهُ النَّزَالَةَ
 بِأَمْلَى الْأَلْحَاطِ وَالرَّسَقِ وَالْأَذَلِ * غَاطِظٌ كُلُّ مَدَامَةٍ سَلْسَالَةَ
 مِنْ بَحَى التَّرُّكِ كَلَمًا جَدَّبَ الْقَوَى * مَن رَأَيْتَ فِي بُرْجِهِ بَدْرَهُ هَالَهُ
 أَوْقَعَ الْوَهْمَ حِينَ يَرَى فَلََمْ تَد * رِيْدَاهُ أَمْ عَيْنُهُ النَّبَالَةَ^(١)
 قَلْتُ لِمَا لَوَى دِيُونََ وَصَالِي * وَهَوْمِي وَفَادِرُ لَحَالِهِ
 بَيْنَا الشَّرْعُ قَالَ سِرْبِي فَعَنْدِي * مِنْ صَفَاتِي لِكُلِّ دَعْوَى دَلَالَهُ
 وَشَهْوِي مِنْ خَالِ حَدِّي وَ[مَنْ] قَدْ ذِي شَهْوَدٌ مَعْرُوفَةٌ بِالْقَدَالَةِ^(٢)
 أَنَا وَكَلْتُ مُقْلَتِي فِي دَمِ الْخَلِّ * بَقِي فَقَالَتْ قِيلَتْ هَذِي الْوَكَالَةَ^(٣)
 ١٠ وله موشحة مدح بها شهاب الدين الأعزازی^(٤) ، ثم وقع بينهما وتهاجبا .
 وأقول الموشحة :

ليس يَروى ما بقلبي من ظَمًا * غَيْرَ بَرَقٍ لَانَحَ مِنْ إِصْمٍ^(٥)

* إِنْ تَبَدَّى لَكَ بِأَنَّ الْأَجْرَجِ *

* وَأَثْنَلَتْ النَّفْسُ مِنْ لَطَلَجِ *

١٥

(١) كذا في الأصلين والمنهل الصافي . ورواية ديوانه : * مَن رَأَيْتَ فِي كَفِّهِ بَدْرَهُ هَالَهُ *

(٢) هذه رواية الديوان . ورواية الأصلين والمنهل الصافي :

يَقْطَعُ الْوَهْمَ حِينَ يَرَى وَلَا تَد * رِيْدَاهُ أَوْ عَيْنُهُ النَّبَالَهُ

(٣) التكلفة عن الديوان وفوات الوفيات . (٤) في الأصلين : « فقال » . وما أثبتناه

من ديوانه وفوات الوفيات والمنهل الصافي . (٥) هو شهاب الدين أحمد بن عبد الملك بن

عبد المنعم بن عبد العزيز الأعزازی الأديب الشاعر . سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٧١٠ هـ .

(٦) كذا في ديوانه وفوات الوفيات . وفي الأصلين : « كيف يروى ... الخ » .

* يا خَلِيلِي قف على الدَّارِمِيِّ *
 * وتأمل كم بها من مَصْرِع *
 وأحترزوا أحذر فاحداق الدُّمَى * كم أراقت في رُباهَا من دم
 * حظ قلبي في الضَّرامِ الوَلَهْ *
 * فمذولى فيك مالى وَلَهْ ^(١) *
 * حسبي اللَّيْلُ فما أطولَهْ ^(٢) *
 * لم يزل آخرَهْ أوْلَهْ *
 في هوى أهيف معسولِ اللَّمَى * ريقه كم قد شفى من ألم ^(٣)

وله في القِيَار :

ينشريح الصدرُ لَمَنْ لَاعِنِي * والأَرْضُ بى ضيقَه فُروجُها
 كم شَوشت شيوشها عَقْلِي وكَم * عهدًا سقَتني عامدًا بنو جُها ^(٤)

ومن شعره وأجاد ، عفا الله عنه :

أُحِبُّ الصَّالِحِينَ وَلَسْتُ مِنْهُمْ * رجاءً أن أنال بهم شِفَاعَه
 وَأُبْغِضُ مَنْ بِهِ أَثْرُ الْمَعَاصِي * وإن كُنَّا سِوَاءَ فِي الْبِضَاعَه

- ١٠ الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال : وفيها توفى القاضي شمس الدين
 علي بن محمود الشهرزوري^(٥) مدرس القيمرية في شوال . والشيخ قطب الدين أحمد بن
 عبد السلام [بن المطهر بن عبد الله بن محمد بن هبة الله بن علي] بن أبي عَصْرُون بحلب

(١) في الأصلين : « فمذول في الهوى ... الخ » . والتصحيح عن حيون التواريخ .

(٢) رواية هذا المصراع في الأصلين : * حتى الليل على ما أطولَه *
 والتصحيح عن ديوانه ونفوات الوفيات .

٢٠ (٣) والموشحة أكثر من هذا كما في ديوانه ونفوات
 الوفيات والمثل الصافي . (٤) في الأصلين : « شوتها » . وفي الذيل على مرآة الزمان هكذا « شتوشها »
 والسباق يقتضى ما أثبتناه . (٥) التكلة عن ذيل مرآة الزمان وتاريخ الإسلام والمثل الصافي والسلوك .

في جُمادى الآخرة . والإمام شمس الدين محمد بن عبد الوهاب بن منصور الحِزْرَانِيّ الحنبليّ في جُمادى الأولى . والشهاب محمد بن يوسف بن مسعود التَّلْمَقَرِيّ الشاعر بَحْمَة في شَوّال، وله ثلاث وثمانون سنة .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم ستّ أذرع وثلاث عشرة إصبعا .
مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وإحدى عشرة إصبعا .

(١) الى هنا انتهى الجزء الثالث من تجزئة المؤلف وها هي صورة ما جاء في آخر الأصل الفتوغرافي المأخوذ عن النسخة المخطوطة الموجودة بمكتبة أياصوفيا بالآستانة :

« انتهى الجزء الثالث من كتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة على يد الفقير إلى الله تعالى الراجي عفوره الفتي محمد بن عبد العزيز البلقيني الشافعي ، غفر الله له ولوالديه ولؤلؤه ولبن نظريه ودعا لهم بالمغفرة وجميع المسلمين . وكان الفراغ من ذلك في اليوم المبارك العشرين من شهر ذي الحجة الحرام عام خمس وثمانين وثمانمائة . »

يتلو الجزء الرابع من أول ترجمة الملك السعيد ناصر الدين أبي المعالي محمد المعروف ببركة خان . إن شاء الله تعالى . وصل الله على سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين . »

وصورة ما جاء في آخر الأصل الفتوغرافي المأخوذ عن النسخة المخطوطة الموجودة بالمكتبة الأهلية بباريس :

« انتهى الجزء الثالث من كتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة على يد كاتبه عليّ المرزوقي في خامس عشرين شهر ربيع الأول سنة إحدى وستين وثمانمائة . نقلت من نسخة بخط المؤلف . فصح الله في مدته وأسكنه جنة محمد وآله وصحبه وعترته آمين . »

وورد في آخره أيضا — بعد العبارة المتقدمة — ذكر ما اشتمل عليه هذا الجزء من ملوك مصر : فأولهم

الحافظ لدين الله أبو اليمون عبد الحميد العبيدي الفاطمي أحد خلفاء الفاطميين ، ثم من بعده ولي الظاهر بالله أبو منصور إسماعيل العبيدي الفاطمي ، ثم من بعده الفاتر بنصر الله أبو القاسم عيسى بن الظاهر العبيدي الفاطمي ، ثم من بعده العاضد بالله أبو محمد عبد الله ابن الأمير يوسف ابن الخليفة الحافظ بالله عبد الحميد المتقدم ذكره . والعاضد هذا هو آخر خلفاء بني عبيد بمصر وأقرض بموته دولة الرض بالله الحمد .

وملكت بنو أيوب الديار المصرية ، فأولهم : السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، ثم من بعده ولده الملك العزيز عماد الدين أبو الفتح عثمان ، ثم من بعده ولده الملك المنصور محمد وقيل أخوه الأفضل والأول أصح ، ثم من بعده عمه الملك المعادل الكبير أبو بكر محمد بن أيوب إلى أن مات ، ثم من بعده الملك الكامل محمد ناصر الدين أبو المعالي محمد إلى أن مات ، ثم من بعده ولده الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك محمد بن الكامل إلى أن خلع من الملك ، فعلى من بعده أخوه الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل محمد إلى أن مات ، ثم من بعده ابنه الملك المعظم نوران شاه مدة يسيرة وخلع ، وتولت =

ذكر ولاية السلطان الملك السعيد محمد

أبن الملك الظاهر بيبرس على مصر

- هو السلطان الملك السعيد ناصر الدين أبو المعالي محمد المدعو بركة خان
أبن السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقدارى الصالحى النجمي^(١) ، الخامس من
ملوك الترك بمصر . سُمي بركة خان على اسم جدّه لأُمّه بركة خان بن دولة خان
الخوارزمي .

- تسلطن الملك السعيد هذا في حياة والده حسب ما ذكرناه في ترجمة والده
في يوم الخميس ثالث عشر شوال سنة اثنتين وستين وستمائة . وأقام على ذلك ستين ،
وليس له من السلطنة إلا مجزء الأسم ، إلى أن توفى أبوه الملك الظاهر بيبرس في يوم
الخميس بعد صلاة الظهر التاسع والعشرين من المحرم من سنة ست وسبعين وستمائة
بدمشق . آخى رأى الأمراء [على] إخفاء موت الظاهر ، وكتب للأمير بيليك
الخازنदार عرف الملك السعيد هذا بذلك على يد الأمير بدر الدين بكتكوت

- == بعده شجرة الدر أم خليل جارية الملك الصالح نجم الدين أيوب وأم ولده خليل أشهراً ، ثم من بعده الملك
المزايك الصالحى التركاني أول ملوك الترك بالدار المصرية إلى أن مات قتيلاً ، ثم من بعده ابنه الملك
المنصور على بن أيك مدة إلى أن خلع ، ثم من بعده الملك المظفر قطز المعزى إلى أن قتل ، وتولى الملك الظاهر
بيبرس البندقدارى الصالحى النجمى أحد البحرية ، إلى أن مات رحمه الله . انتهى ملوك هذا الجزء
وقه الحمد .

- (١) هذا ابتداء الصف الأول من الجزء الرابع من بحرته المؤلف وأوله : « بسم الله الرحمن الرحيم
وصل الله على سيدنا محمد وآله وسلم » . (٢) سيذكر المؤلف وفاته في هذه الترجمة .
(٣) في الأصلين : « في يوم الخميس تاسع صفر سنة سبع وستين وستائة » وقد ذكر المؤلف ذلك
أيضاً في ترجمة الملك الظاهر عند ذكره توليته السلطان الملك السعيد هذا ص ١٤٤ من هذا الجزء .
والصواب ما أتيته هنا قلا من السلوك ونهاية الأرب والذهب والجواهر الثمين وما يفهم من عبارة المؤلف
قبحه في المنهل الصافي . (٤) تكملة يقتضها السياق .

الجوكنذار الحموي^(١) ، وعلى يد الأمير علاء الدين أيدغمش الحكيمي^(٢) الجاشنكير .
فلما بلغ الملك السعيد موت والده الملك الظاهر أخفاه أيضاً ، وخلع عليهما وأعطى
كل واحد منهما خمسين ألف درهم^(٣) ، على أن ذلك إشارة بعود السلطان إلى الديار
المصرية . وسافرت العساكر من دمشق إلى جهة الديار المصرية فدخلوها يوم
الخميس سادس عشرين صفر من سنة ست وسبعين وستمائة ، ومقدمهم الأمير
بدر الدين بيليك الخازنذار ، ودخلوا مصر وهم يحفون موت الملك الظاهر في الصورة
الظاهرة ، وفي صدر الموكب مكان تسير السلطان تحت العصائب^(٤) ، تحفة وراءها^(٥)
السلحدارية والجمحدارية وغيرهم من أرباب الوظائف توهم أن السلطان في المحفة
مريض ، هذا مع عمل جند في إظهار ناموس السلطنة والحرمة للحفة والتأدب مع
من فيها حتى تم لهم ذلك . ١٠

قلت : لله دهر من أمراء وحاشية ! ولو كان ذلك في عصرنا هذا ما قدر
الأمراء على إخفاء ذلك من الظهر إلى العصر .

ولما وصلوا إلى قلعة الجبل ، ترجل الأمراء والعساكر بين يدي المحفة ، كما
كانت العادة في الطريق في كل متلة من حين خروجهم من دمشق إلى أن وصلوا
إلى قلعة الجبل من باب السر ، وعند دخولها إلى القلعة أجمع الأمير بدر الدين
بيليك الخازنذار بالملك السعيد هذا ، وكان الملك السعيد لم يركب لتلقيهم ، وقبل
الأرض ورى بعمامة ثم صرخ ، وقام العزاء في جميع القلعة ، ولوقتهم جمعوا الأمراء ١٥

(١) في نهاية الأرب (ج ٢٨ ص ١١٧) : « أيدغمش الحكيمي » . (٢) في نهاية الأرب :

« وأنتم على كل منها بخمسة آلاف درهم » . (٣) العصائب : منهاها الأعلام ، جمع صابئة

وهي راية عظيمة فن حريز أصفر مطرزة بالذهب عليها ألقاب السلطان وأسمه (صبح الأضيح ج ٤ ص ٨) . ٢٠

(٤) راجع ص ١٨٤ من هذا الجزء . (٥) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٥ من هذا الجزء

والمقدمين والجند وحلقهم بالإيوان المجاور للجامع القلعة للملك السعيد، وأستثبت له^(١)
الأمر على هذه الصورة ، وخطب له يوم الجمعة [سابع عشرين صفر]^(٢) بجموع
القاهرة ومصر، وصلى على والده صلاة الغائب .

ومولد الملك السعيد هذا في صفر سنة ثمان وخمسين وستمائة ؛ وقيل : سنة
سبع وخمسين^(٣) بالعش من ضواحي مصر، ونشأ بديار مصر تحت كنف والده إلى
أن سلطنه في حياته ؛ كما تقدم ذكره .

وأما الأمير بدر الدين بيليك انخازندار فإنه لم تطل مدته ، ومات في ليلة الأحد
سابع شهر ربيع الأول . وخلف الملك السعيد على الأمير شمس الدين آق سُنُقَرُ الفَارِقَانِيّ
بنيابة السلطنة عوضاً عن بيليك انخازندار المذكور .

وفي سادس عشر شهر ربيع الأول [يوم الأربعاء]^(٤) ركب السلطان الملك السعيد
من القلعة تحت العصائب على عادة والده وسار إلى تحت الجبل الأحمر، وهذا أول
ركوبه بعد قدوم العسكر، ثم عاد وبنق القاهرة وسر الناس به سروراً زائداً، وكان

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٩٠ من هذا الجزء . (٢) زيادة عن السلوك .

(٣) العش : بالبعث تبين لي أن ناحية العش قرية واقعة في منتصف الطريق ما بين القاهرة

وبطيس ، وكانت بهذا الاسم قديماً . وفي الرلك الناصري (فك الزمام) الذي عمل سنة ٨٧١٥ هـ سميت
منية الرخا حيث وردت في التحفة السنية لابن الجليمان باسم منية الرخا المجاورة لشين القصر من الأعمال
القليوبية . وفي العهد العثماني عرفت شين القصر باسم شين القناطر بسبب القناطر التي أنشئت قديماً
على ترعة الشراعية المأذبة بجوارها كما عرفت منية الرخا باسم منية شين لمجاورتها لها . ولا يزال اسم
هذه القرية القديم وهو العش يطلق على الحوض رقم ٣ المجاور لسكن منية شين . ومن هذا يتضح أن
ناحية العش هي القرية التي تعرف اليوم باسم منية شين إحدى قرى مركز شين القناطر بمديرية القليوبية .
(٤) الجبل الأحمر ، ورد في الجزء الأول من المخطط المقرزية (ص ١٢٥) أن هذا الجبل مطل
على القاهرة من شرقها الشمال ويعرف بالبحر أى الجبل الأسود المظلم ، ثم قال : واليه اسم الجبال المنفرقة
المحلة على القاهرة من الجهة الشرقية ، وقيل لها باليه اسم لاختلاف ألوانها .

وأقول : إن الجبل الأحمر هذا لا يزال معروفاً إلى اليوم بهذا الاسم ، ومجاورته ورمله لونهما أحمر

اكن ، وهو واقع في شمال جبل المقطم ويشرف على الفضاء الواقع شرق باب النصر من القاهرة وعلى =

عمره يومئذ تسع عشرة سنة ، وطلع القلعة وأقام إلى يوم الجمعة خامس عشرين شهر ربيع الأول المذكور قبض على الأمير سُتْقَرُ الأشقر وعلى الأمير بدر الدين بَيْسَرِي وحبسهما بقلعة الجبل . ثم في يوم السبت ثامن عشر شهر ربيع الآخر قبض الملك السعيد على الأمير آق سُتْقَرُ الفارقي نائب السلطنة بديار مصر المقدم ذكره . ثم في تاسع عشر الشهر المذكور أفرج الملك السعيد عن الأمير سُتْقَرُ الأشقر ويسرى وخلع عليهما وأعادهما إلى مكاتهما .

وفي يوم الاثنين رابع جمادى الأولى فُتِحَت المدرسة التي أنشأها الأمير آق سُتْقَرُ الفارقي المجاورة للوزيرية بالقاهرة وجعل شيخها على مذهب أبي حنيفة رضى الله عنه .

وفي يوم الجمعة [رابع عشر جمادى الآخرة ^(٤)] قبض الملك السعيد على خاله الأمير بدر الدين محمد ابن الأمير حسام الدين بركة خان الخوارزمي وحبسه بقلعة الجبل لأمر

= الحياطة المستجدة باسم جبانة العباسية التي تسميها العامة قراة الفقير التي يتوسطها قبة السلطان أبي سعيد قنصوه الأشرق ، ويشرف هذا الجبل أيضا على مقابر المالِك التي يسونها خطأ بمقابر الخلفاء في حين لا يوجد بينها قبر لأى خليفة من الخلفاء ، ومن هذه المقابر مدرسة وتربة السلطان إينال وخانقاه وتربة السلطان برفوق وتربة السلطان برسباي وغيرها من مقابر المالِك كما ذكرت .

(١) في عيون التواريخ : « وفي تاسع عشر شهر ربيع الأول قبض الملك السعيد على الأميرين سقَر وبدر الدين يسرى » . (٢) مدرسة الأمير آق سقَر الفارقي ، لما تكلم المقرئ (في ج ٢ ص ٣٦٩) من خطه على المدرسة الفارقانية قال : إن هذه المدرسة بابها شارع في سوق حارة الوزيرية من القاهرة ، أنشأها الأمير شمس الدين آق سقَر الفارقي السلاحدار ، وفتحت يوم ٤ جمادى الأولى سنة ٨٦٧٦ هـ ، وبها دروس للشافعية والحنفية .

وأقول : إن هذه المدرسة لا تزال موجودة إلى اليوم بشوارع درب سعادة على رأس سكة النبوة بقسم الدرب الأحمر بالقاهرة ، وتعرف الآن باسم جامع محمد آغا أوجاع الحيش نسبة إلى محمد آغا الحيش الذي كان كئندا مستحفظا بمصر ، ووجد هذا المسجد في سنة ١٠٨٠ هـ ، فرف باسمه من ذلك الوقت . وقد عرف محمد آغا المذكور بالحيش لأنه كان يتاجر في بنات الحيش . (٣) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٥١ من الجزء الرابع من هذه الطبعة . (٤) زيادة عن عيون التواريخ .

تَقَمَّه عليه ، ثم أفرج عنه في ليلة خامس عشرينه ، وَخَلَعَ عليه وأعادَه إلى منزله .

(٢) وكان الملك السعيد هذا أَمَرَ ببناء مدرسة لَدَفْنِ أبيه فيها ، حسب ما أوصى به والده ، فنقل تابوت الملك الظاهر بيبرس في ليلة الجمعة خامس شهر رجب من قلعة دمشق إلى التربة المذكورة بدمشق داخل باب الفرج قُبالة المدرسة العادلية ، والتربة المذكورة كانت دار الشريف العقيق فاشترت وهُدِمت ، وبني موضع بابها قُبَّة الدفن وفتح لها شبابيك على الطريق وجعل بقية الدار مدرسة على فريقيين : حنيفة وشافعية . وكان دفنه بها في نصف الليل ولم يحضره سوى الأمير عز الدين أيُّمُّر الظاهري نائب الشام ، ومن الخواص دون العشرة لا غير .

ثم وقع الاهتمام إلى السَّفر للبلاد الشامية وتجهز السلطان والعساكر . فلما كان يوم السبت سابع ذى القعدة برز الملك السعيد بالعساكر من قلعة الجبل إلى مسجد

(١) في عيون التواريخ : « وفي ثالث عشرين منه أفرج عنه » . (٢) راجع آخر ترجمة الظاهر بيبرس . وفي عيون التواريخ : « أن الظاهر أوصى أن يدفن على الطريق السالطة قريبا من داريا وأن يبقى عليه هناك » . فرأى ولده الملك السعيد أن يدفنه داخل الدور فابتاع له دار العقيق (راجع عيون التواريخ في ترجمة الملك الظاهر بيبرس) . (٣) المدرسة العادلية : تجاه باب الظاهرية بفصل بينهما الطريق المؤدى إلى باب البريد ، بدأ بإنشائها نور الدين محمود بن زنكي ولم تتم ، ثم عمل فيها العادل سيف الدين ولم تتم أيضا ، ثم ولده الملك المعظم عيسى ووقف عليها الأوقاف ونسبها لوالده الذي دفن فيها سنة ٦١٩ هـ وكانت أعظم المدارس الشافعية بدمشق .

وفيا وضع المقدسي تاريخه الروضتين سنة ٦١٢ وفيها عمل ابن خلكان تاريخه المشهور . ودرس بها ابن مالك النحوي وابن جماعة وفيها نزل ابن خلدون في أوائل المائة التاسعة ، وفي القرن الثاني عشر كانت سكنى الشباب أحمد التتبي صاحب التاليف المشهورة . وفي سنة ١٩١٩م أخذها المجمع العلمي العربي وجعلها مقره ورعا بما يقرها من الأصل وجعل قسما منها متحفا للآثار الإسلامية . (عطاء الشام لكرد على ج ٦ ص ٨٤ - ٨٥) .

(٤) الشريف العقيق هو أحمد بن الحسين بن أحمد بن علي العلوي صاحب الدار المشهورة بدمشق تَقَدَّمت وفاته سنة ٣٧٨ هـ . وكانت الدار قد انتقلت إلى ملك الأمير قايتو الدين أقطاي المستعرب الأتابك فاشترت من ورثته وهُدِمت وبني موضع بابها قُبَّة الدفن كما في الأصل . وانظر الدليل على مرآة الزمان ورقة ٩٦ ، وعيون التواريخ .

(١) التبن خارج القاهرة فأقام به إلى يوم السبت حادى عشرينه، انتقل بخواصه إلى الميدان الذى أنشأه بين مصر والقاهرة، ودخلت العساكر إلى منازلهم، وبطلت حركة السفر بعد أن أعاد قاضى القضاة شمس الدين أحمد بن خلّكان إلى قضاء دِمَشْق وأعمالها من العريش الى سَلَمِيّة، وتوجّه ابن خلّكان إلى الشام، وطلع الملك السعيد إلى قلعة الجبل وأبطل حركة السفر بالكلية إلى وقت يريده حسب ما وقع الاتفاق عليه، واستمر بالقلعة إلى أن أمر العساكر بالتأهب إلى السفر وتجهّز هو أيضا لأمرٍ آتضى ذلك.

وخرج من الديار المصرية في العشر الأوسط من ذى القعدة من سنة سبع وسبعين وستائة وخرج من القاهرة بعساكره وأمرائه، ومارح حتى وصل إلى الشام في خامس ذى الحجة، فخرج أهل دِمَشْق إلى ملّقاؤه وزينوا له البلد وسُروا بقدمه سرورا زائداً. وعَمِل عيد النحر بقلعة دمشق وصلّى العيد بالميدان الأخضر.

وورد عليه الخبر بموت صاحب بهاء الدين على بن محمد بن سليم بن حنّا بالقاهرة، فقبض السلطان على حفيده صاحب تاج الدين محمد، وضرب الحنوطه على موجوده بسبب موت جدّه صاحب بهاء الدين المذكور.

- ١٥ (١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٩٦ من هذا الجزء. (٢) ميدان الملك السعيد محمد بركة خان بين مصر والقاهرة. لم يذكر أصحاب الخطوط ميدانا مينا باسم الملك السعيد محمد بركة خان، وبما أن المؤلف ذكر أن هذا الميدان كان واقعا بين مصر والقاهرة، فأرجح أن هذا الميدان هو ميدان القراة الذى ذكره المقرئى فى (ص ٤٤٣ ج ٢) من خطه عند الكلام على القراة حيث قال : وكان ما بين قبة الامام الشافى رحمه الله وبين باب القراة ميدانا واحدا تتسابق فيه الأمراء والأجناد، ويجتمع الناس هناك لتفترج على السباق. وفى أوائل القرن الثامن الهجرى أحدث أمراء دولة الملك الناصر محمد بن قلاوون التّرب بأرض هذا الميدان. يضاف إلى ذلك أن هذه المنطقة وردت عند ذكر بعض الأماكن الواردة فى الخطوط المقرئية بوصف أنها كانت بين مصر والقاهرة. ومن هذا يتبين أن ميدان القراة المذكور هو ميدان بركة خان الذى يقصده المؤلف. (٣) فى الأصلين : «بهاء الدين محمد بن على». والنصوب عن تاريخ الإسلام والسلوك نهاية الأوب. (٤) هو تاج الدين محمد بن صاحب نغر الدين محمد بن بهاء الدين على. سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٧٠٧ هـ.
- ٢٥

ثم أرسل السلطان الملك السعيد إلى بُرْهَانِ الدِّينِ الْخَضِرِ بْنِ الْحَسَنِ السَّنْجَارِيِّ^(١) باستقراره وزيراً بالديار المصرية ثم خلع السلطان على الصاحب فتح الدين عبد الله [ابن محمد بن أحمد بن خالد بن نصر] بن الْقَيْسَرَانِيِّ بوزارة دمشق، وبسط يده في بلاد الشام وأمر القضاة وغيرهم بالركوب معه .

- ثم جهز السلطان العساكر إلى بلاد سِيس للثَّيْب والإغارة^(٢) ، ومقدمهم الأمير سيف الدين قلاوون الألفي^(٣) . وأقام الملك السعيد بِدَمَشْقَ في تَقْرِيسِيرٍ من الأمراء والخواص ، فصار في غِيبة العسكِرِ يكثر التردد إلى الرُبْعَةِ من قرى المَرْجِ يُقيم فيها أياماً ثم يعود . ثم أسقط السلطان ما كان قزرة والده الملك الظاهر على بساين دِمَشْقَ في كُلِّ سنة ، فُسِّرَ الناسُ بذلك وتضاعفت أَدْعِيَّتُهُمْ له وأستمر السلطان بِدَمَشْقَ إلى أن وقع الخُلُوفُ في العَشرِ الأوسط من شهر ربيع الأول من سنة ثمان^(٤) وسبعين بين المِصَالِيكِ الْخَاصِيَّةِ الْمَلَاذِمِينَ لخدمته وبين الأمراء لأمور يطول شرحها .

(١) في الأصلين : « بها، الدين الخضر » . وتصحيحه عن السلوك ونهاية الأرب والمنهل الصافي ويعون التواريخ وشرذات الذهب . في حوادث سنة ٦٨٦ هـ وهي سنة وفاته .

(٢) تكملة من المنهل الصافي وشرذات الذهب وما سيذكره المؤلف في وفاته سنة ٦٧٠٣ هـ .

- (٣) لما استقر ركاب السلطان بِدَمَشْقَ رسم بتفريق عساكره لتمكين من التدبير عليهم وقرر الخاصكية معه القبض عليهم عند عودهم وأخذ إقطاعاتهم وموجودهم وعينوا خبز كل واحد منهم لواحد منهم ، هذا والأمير سيف الدين كوندك مطلع عليهم فأرسل إلى الأميرين بدر الدين يسرى وسيف الدين قلاوون مراغرتهم بما انتفقت الخاصكية عليه (انظر عقد الجمان للعيني وحيوث التواريخ في حوادث سنة ٦٧٧ هـ) . (٤) في الذيل على مرآة الزمان : « الزنيقة » .

- (٥) ذكر في نهاية الأرب (ج ٢٨ ص ١٢٥) وقد عقد الجمان ويعون التواريخ والتبع السديد سبب هذه القسنة هو أن الملك السعيد أكثر من الإنعام على الخاصكية وأوسع في العطاء فلم يوافق أنه أنهم على بعضهم بألف دينار فوق الثَّيْب في أمضاء المرسوم فاجتمع المنتم عليه ببقية خشداشيته وعرفهم فاجتمعوا وحضروا إلى الأمير سيف الدين كوندك ودخلوا إلى السلطان وصمموا على عزله فأجابهم إلى ذلك فخرجوا إليه ليوقعوا به وحبسوا عليه وقتلوه ، وكان ذلك بحضور الأمير شمس الدين سقر الأشقر فنفهم من ذلك ثم خرج مناصباً للملك السعيد مع أربعمائة مملوك من الظاهرية للانضمام إلى الأمير سيف الدين قلاوون وصحبه العائدين من الغزو .

وَعَجَزَ الْمَلِكُ السَّعِيدُ عَنْ تَلَاْفِي ذَلِكَ ، وَخَرَجَ عَنْ طَاعَتِهِ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ كَوْنَدَكَ^(١) الظَّاهِرِيُّ نَائِبُ السُّلْطَنَةِ وَمُقَدِّمُ الْعَسَاكِرِ مُغَاضِبًا لِلْسُّلْطَانِ الْمَلِكِ السَّعِيدِ ، وَخَرَجَ مَعَهُ نَحْوُ أَرْبَعِ مِائَةِ مَمْلُوكٍ مِنَ الظَّاهِرِيَّةِ : مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ مَشْهُورَةٌ بِالشَّجَاعَةِ وَتَزَلُّوا بِمَنْزِلَةِ الْقُطَيْفَةِ^(٢) فِي أَنْتَظَارِ الْعَسَاكِرِ الَّتِي بِبِلَادِ سَيْسَ فِي الْعَشْرِ الْأَخِيرِ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ عَادَتِ الْعَسَاكِرُ مِنْ بِلَادِ سَيْسَ إِلَى جِهَةِ دِمَشْقَ فَتَزَلُّوا بِمَرْجِ عَذْرَاءَ إِلَى الْقَصِيرِ^(٣) ؛ وَكَانَ قَدْ اتَّصَلَ بِهِمْ سَيْفُ الدِّينِ كَوْنَدَكَ وَمَنْ مَعَهُ وَأَسْتَمَلُوهُمْ فَلَمْ يَدْخُلِ الْعَسْكَرُ دِمَشْقَ ، وَأَرْسَلُوا إِلَى الْمَلِكِ السَّعِيدِ فِي مَعْنَى الْخُلْفِ الَّذِي حَصَلَ بَيْنَ الطَّائِفَتَيْنِ ، وَكَانَ كَوْنَدَكَ مَائِلًا إِلَى الْأَمِيرِ بَيْسَرَى . وَلَمَّا أَجْتَمَعَ بِالْأَمِيرِ سَيْفُ الدِّينِ قَلَاوُونَ الْأَلْفِي وَالْأَمِيرُ بَدَرَ الدِّينَ بَيْسَرَى وَالْأَمْرَاءَ الْكِبَارَ أَوْحَى إِلَيْهِمْ عَنِ السُّلْطَانِ مَا غَلَّتْ صُدُورُهُمْ ، وَخَوَّفَهُمْ مِنَ الْخَاصِيكَةِ وَعَرَّفَهُمْ أَنَّ نِيَّتَهُمْ لَمْ يَكُنْ غَيْرَ جَمِيلَةٍ ، وَأَنَّ الْمَلِكَ السَّعِيدَ مُوَافِقٌ عَلَى ذَلِكَ وَأَكْثَرُ مِنَ الْقَوْلِ الْمُخْتَلِقِ ؛ فَوَقَعَ الْكَلَامُ بَيْنَ الْأَمْرَاءِ الْكِبَارِ وَبَيْنَ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ السَّعِيدِ ، وَتَرَدَّدَتِ الرُّسُلُ بَيْنَهُمْ ، فَكَانَ مِنْ جَمَلَةٍ مَا اقْتَرَحَ الْأَمْرَاءُ عَلَى الْمَلِكِ السَّعِيدِ إِبْعَادَ الْخَاصِيكَةِ عَنْهُ ، وَأَلَّا يَكُونَ لَهُمْ فِي الدَّوْلَةِ تَدْيِيرٌ وَلَا حَدِيثٌ ، بَلْ يَكُونُوا عَلَى أَخْبَازِهِمْ وَوُضَائِفِهِمْ مُقِيمِينَ ؛ فَلَمْ يُجِبِ الْمَلِكُ السَّعِيدُ إِلَى ذَلِكَ ؛ فَحَرَّلَ الْعَسْكَرَ مِنْ مَرْجِ عَذْرَاءَ إِلَى ذَيْلِ عَقَبَةِ الشُّحُورَةِ^(٤) بِأَسْرِهِمْ وَلَمْ يَعْبرُوا الْمَدِينَةَ بَلْ جَعَلُوا طَرِيقَهُمْ مِنَ الْمَرْجِ ، وَأَقَامُوا بِهَذِهِ الْمَنْزِلَةِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَالرُّسُلُ تَرْتَدِّدُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ

(١) ضبطنا هذا الاسم بالقلم كما ضبطه صاحب عقد الجمان . وفي كتاب سلاطين المنالك (ص ١٥٤) ضبط بالقلم (يفتح الكاف وضم الراء وسكون النون وضم الدال) .

(٢) القطيفة : قرية دون ثنية العقاب للقاصد إلى دمشق في طرف البرية من حمص (عن معجم البلدان لياقوت) . (٣) عذراء : قرية بغوطة دمشق من إقليم خولان معروفة ، وإليها ينسب مرجع (عفراء) وإذا انحدرت من ثنية العقاب وأشرقت على القوطة فتأملت على يسارك رأيتها أول قرية تلى الجبل وبها مئارة . (عن معجم البلدان لياقوت) . (٤) راجع الحاشية رقم ٦ ص ١٥٨ من هذا الجزء .

(٥) راجع الحاشية رقم ٨ ص ١٢١ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

- الملك السعيد ؛ ثم رَحَلُوا وَزَلُّوا بِمَرَجِ الصُّفَرِ وَعِنْدَ رَحِيلِهِمْ رَجَعَ الْأَمِيرُ مِنَ الدِّينِ
أَيْدُمُ الظَّاهِرِي نَائِبَ الشَّامِ وَأَكْثَرُ عَسْكَرِ دِمَشْقَ ، وَقَدِمُوا مَدِينَةَ دِمَشْقَ وَدَخَلُوا
فِي طَاعَةِ السُّلْطَانِ . وَفِي يَوْمِ رَحِيلِهِمْ مِنْ مَرَجِ الصُّفَرِ سَيَّرَ الْمَلِكُ السَّعِيدُ وَالِدَتَهُ بِنْتَ
بُرْكَةِ خَانَ فِي حِفْظَةٍ وَفِي خِدْمَتِهَا الْأَمِيرُ شَمْسُ الدِّينِ قَرَّاسُتُقُرَّ ، وَكَانَ مِنَ الَّذِينَ لَمْ
يَتَوَجَّهُوا إِلَى بِلَادِ سِيسَ وَلِحَقُوا الْعَسْكَرَ ؛ فَلَمَّا سَمِعُوا بِوُصُولِهَا خَرَجَ الْأُمَرَاءُ الْأَكْبَارُ
الْمُقَدِّمُونَ لِمُتَقَاتِهَا ، وَتَرَجَّلُوا بِأَجْمَعِهِمْ وَقَبِلُوا الْأَرْضَ أَمَامَ الْحِفْظَةِ ، وَبَسَطُوا الْحَرِيرَ
الْعَنَابِيَّ^(١) وَغَيْرَهُ تَحْتَ حَوَافِرِ بَغَالِ الْحِفْظَةِ وَمَشَوْا أَمَامَ الْحِفْظَةِ حَتَّى نَزَلَتْ فِي الْمَنْزِلَةِ ، فَلَمَّا
اسْتَقَرَّتْ بِهَا تَحَدَّثَتْ مَعَهُمْ فِي الصَّلَاحِ وَالْإِقْبَادِ وَأَجْتَمَعَ الْكَلِمَةُ ، فَذَكَرُوا مَا بَلَغَهُمْ مِنْ
تَغْيِيرِ السُّلْطَانِ طَبِيعِهِمْ ، وَمُوَافَقَتِهِ الْخَاصِيكِيَّةَ عَلَى مَا يَرُومُونَهُ مِنْ إِسْكَانِهِمْ وَإِعَادَتِهِمْ ؛
فَلَفَّتْ لَهُمْ عَلَى بَطْلَانٍ مَا يُقِيلُ إِلَيْهِمْ ، فَأَشْرَطُوا شُرُوطًا كَثِيرَةً أَلْزَمَتْ لَهُمْ بِهَا ،
وَعَادَتْ إِلَى وَلَدِهَا وَعَرَفَتْهُ الصُّورَةَ ؛ فَفَنِمَ مِنْ حَوْلِهِ مِنَ الْخَاصِيكِيَّةِ مِنَ الدَّخُولِ
تَحْتَ تِلْكَ الشُّرُوطِ ، وَقَالُوا : مَا الْقَصْدُ إِلَّا إِعَادَانَا عَنْكَ حَتَّى يَتِمَّ كُنُوتُنَا مِنْكَ وَبِزَعُوكَ
مِنَ الْمَلِكِ ، فَمَالَ إِلَى كَلَامِهِمْ وَأَبَى قَبُولَ تِلْكَ الشُّرُوطِ .

- فَلَمَّا بَلَغَ الْعَسْكَرَ ذَلِكَ رَحَلَ مِنْ مَرَجِ الصُّفَرِ قَاصِدًا الدِّيَارَ الْمِصْرِيَّةَ ؛ فَخَرَجَ
السُّلْطَانُ الْمَلِكُ السَّعِيدُ بِنَفْسِهِ فِيمَنْ مَعَهُ مِنَ الْخَاصِيكِيَّةِ جَرِيدَةً ، وَسَاقَ فِي طَلَبِهِمْ
لِيَتَلَقَى الْأَمْرَ إِلَى أَنْ بَلَغَ رَأْسَ الْمَاءِ^(٢) ، فَوَجَدَهُمْ قَدْ عَدَّوْهُ وَأَعْدَوْا ، فَعَادَ مِنْ يَوْمِهِ
وَدَخَلَ قَلْعَةَ دِمَشْقَ فِي اللَّيْلِ وَهِيَ لَيْلَةُ الْخَمِيسِ سَلَخَ شَهْرَ رَجَبِ الْأَوَّلِ سَنَةِ ثَمَانٍ
وَسَبْعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ . وَأَصْبَحَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ مَسْتَهْلًا شَهْرَ رَجَبِ الْآخِرِ خَرَجَ السُّلْطَانُ

(١) انظر الحاشية رقم ٨ ص ١٤٩ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

(٢) الحرير العنابي : كلمة تطلق على صف من قماش مخطط بمجرة وصفرة . راجع كزيمير أول

ص ٢٤١ . (٣) راجع الحاشية رقم ٤ ص ١٥١ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

- الملك السعيد بجميع من تحف معه من العساكر المصرية والشامية إلى جهة الديار المصرية بعد أن صلى الجمعة بها، وسار بمن معه في طلب العساكر المتقدم ذكرهم، وجهز والدته ونزائشه إلى الكرك؛ وسار حتى وصل إلى بلبيس يوم الجمعة خامس عشر شهر ربيع الآخر المذكور، فوجد العسكر قد سبقه إلى القاهرة؛ فأمر بالرحيل من بلبيس؛ فلما أخذت العساكر في الرحيل من بلبيس بعد العصر فارق الأمير عز الدين أيدمر الظاهري نائب الشام وصحبته أكثر أسراء دمشق السلطان الملك السعيد، وأنضاف إلى المصريين، وبلغ الملك السعيد ذلك فلم يكثرث؛ وركب بمن بقي معه من خواصه وعساكره وسار بهم حتى وصل ظاهر القاهرة؛ وكان نائبه بالديار المصرية الأمير عز الدين أيبك الأفرم، وهو بقلعة الجبل والعساكر تحفة بها، فتقدم الملك السعيد بمن معه لقتال العساكر، وكان الذى بقي مع السلطان الملك السعيد جماعة قليلة بالنسبة إلى من يقاتلونه، ووقع المصاف بينهم وقتلوا فحمل الأمير علم الدين سنجر الحلبي من جهة الملك السعيد وشق الأطلاب ودخل إلى قلعة الجبل بعد أن قتل من الفريقين نفر يسير، وملك القلعة وشال علم السلطان، ثم نزل وفتح للملك السعيد طريقاً وطلع به إلى القلعة.
- وأما سنقر الأشقر فإنه بقي في المطرية وحده وصار لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.^(١)
- ولما طلع السلطان إليها أحاطت العساكر بها وحاصروها وقتلوا من بها قتلاً شديداً

(١) المطرية : هي من القرى المصرية القديمة وردت في معجم البلدان لياقوت حيث قال : إنها من قرى مصر وأرضها يزرع شجر البلسان يستخرج منه نوع من الدهن الطيب ، ووردت المطرية في كتاب النخبة السنية لابن الجيعان بأنها من ضواحي مصر . وفي الخطط المرفزة باسم منية مطر .

وأقول : إن المطرية هذه لا تزال موجودة في الضواحي الشمالية الشرقية لمدينة القاهرة، وبها محطة للسكة الحديدة الموصلة بين محطة كوبري الليمون وبين قرية المرج . وكان بأراضي ناحية المطرية مدينة عين شمس القديمة التي تسمى بالمصرية «آن» أو «رع» أى الشمس، وبالعبري «أون» ويقال لها =

- وضابقوها وقطعوا الماء الذي يطلع إليها وزحفوا عليها بغثوا في القتال ، ورأى الملك السعيد تخلى من كان معه وتخاذل من بقي معه من الخاصية ، وعلم أنه لا طاقة له بهم ، وكان المشار إليه في العسكر الخمار الأمير سيف الدين قلاوون الألفي ، وهو حمو الملك السعيد فإن الملك السعيد كان تزوج أخته قبل ذلك بمدة ، بقرت المراسلات بينهم وكثر الكلام وترددت الرسل غير مرة ، حتى استقر الحال على أن الملك السعيد يخلع من السلطنة ويُنصبون في السلطنة أخاه بدر الدين سلاطش ابن الملك الظاهر بيسبرس ، ويقطعون الملك السعيد هذا وأخاه نجم الدين خضرا الكرك والشوبك وأعمالهما ، فسار الملك السعيد الأمير علم الدين سنجر الحلبي والقاضي تاج الدين محمد بن الأثير إلى الأمير سيف الدين قلاوون وأعيان الأمراء ليستوثق لنفسه منهم ، فلقوا له على الوفاء بما ألتزموه من إعطاء الكرك والشوبك له ولأخيه .
- ١٠ ونخرج من قلعة الجبل يوم الأحد سابع عشر شهر ربيع الآخر المذكور ونزل إلى دار

- = « عون » وبالروى هليوبوليس أى مدينة الشمس — وقد أذثرت هذه المدينة ولم يبق من آثارها إلا إحدى المستنيتين اللتين كان أقامهما على الباب الكبير لمدينة الملك سانوسريت الأول (سيزوستريس) أحد ملوك الأسرة الثانية عشرة الفرعونية . وأما المسلة الثانية فقد سقطت سنة ١١٩٠ م . اليوم يطلق اسم عين شمس على محطة عين شمس ، وعلى المساكن المجاورة لها الواقعة على السكة الحديدية في شمال محطة المطرية ، كما يطلق اسم هليوبوليس على المدينة الجديدة التي أنشئت في سنة ١٩٠٦ بالصحرى الشمالية الشرقية لمدينة القاهرة وهي المعروفة بمصر الجديدة . ويوجد بأراضي المطرية بستان قديم يعرف ببستان البلم ، به شجرة وبز ، يزعمون أنها من آثار السيدة مريم العذراء عند مرورها بأرض مصر مع ولدها المسيح عليه السلام . ولا تزال بقايا هذه الشجرة موجودة إلى اليوم ، وتعرف بشجرة العذراء ، يظلمها المسيحيون ويقصدونها للتبرك بها .
- ٢٠

- (١) كان الدخول بها في ربيع الأول سنة خمس وسبعين وستمائة ، واهتم السلطان الملك الظاهر بذلك اهتماما عظيما لم يسمع بمثله . وخلق على جميع أكابر دولته من الأمراء والمقربين والوزراء والقضاة والكتاب . وأنعم على الأمير سيف الدين قلاوون بتسريح كامل بشر بوش كان السلطان قد لبسه ثم خلعه عليه . وقد سبقت الإشارة إلى ذلك في ترجمة والده الملك الظاهر ، وانظر نهاية الأرب ص ٧٠ ج ٢٨
- ٢٥ تجه تفاصيل كثيرة .

(١١) العدل التي على باب القلعة، وكانت مركز الأمير قلاوون في حال المصافى والقتال، وكان الحصار ثلاثة أيام بيوم القدوم لا غير .

ولما حضر الملك السعيد إلى عند قلاوون أحضر أعيان القضاة والأمراء والمفتين وخلصوا الملك السعيد هذا من السلطنة وسلطنوا مكانه أخاه بدر الدين سلامش ولقبوه بالملك العادل سلامش، وعمره يومئذ سبع سنين وجعلوا آتابكته الأمير سيف الدين قلاوون الألفى الصالحى النجى . واستمرت بنت قلاوون عند زوجها الملك السعيد المذكور إلى ما سيأتى ذكره .

ثم أخذ قلاوون في تحليف الأمراء للـك العادل لحلفوا له بأجمعهم على العادة، وضربت السكة في أحد الوجهين: أسم الملك العادل والآخر أسم قلاوون، وخطب لها أيضاً معاً على المنابر، واستمر الأمر على ذلك؛ وتصرفت قلاوون في المملكة وانخرائن، وطامله الأمراء والجيوش بما ياملون به السلطان . ثم عمل قلاوون بفتح الملك السعيد محضراً شريعياً ووضع الأمراء خطوطهم عليه وشهادتهم فيه، وكتب فيه المفتون والقضاة وأعطوا الملك السعيد الكرك وعملها، وأخاه نجم الدين خيصر الشوبك وعملها . وخرج الملك السعيد من قلعة الجبل إلى بركة المتجّاج متوجّهاً إلى الكرك في يوم الاثنين ثامن عشر شهر ربيع الآخر المذكور من سنة ثمان وسبعين (أعنى ثاني يوم من خلعه) ومعه جماعة من العسكر صورة ترسيم، ومقدمهم الأمير

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٦٣ من هذا الجزء . (٢) لما تم خلع السلطان الملك السعيد وإرساله إلى الكرك عرضت السلطنة على الأمير سيف الدين قلاوون، وقال له الأمراء الأكابر: أنت أول بتدبيرها فأبى وقال أنا لم أخلع الملك السعيد شرها إلى السلطنة وحراً على المملكة، لكن حفظاً للنظام وأخافه لجيوش الإسلام أن يتقدم عليهم الأصاغر، والأول ألا يخرج الأمر من ذرية الملك الظاهر فأقام الأمير بدر سلامش كافى الأصل . (راجع عقد الجمان في حوادث سنة ٦٧٨ هـ) .

(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٨ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

سيف الدين بيدغان الرُّكني، ثم بدأ لهم أن يرجعوا به إلى القلعة فعادوا إليها في نهار الاثنين لأمرٍ أرادوه وقرروه معه ثم أمرُوه بالتوجه ؛ فخرج ومسافر ليلة الثلاثاء إلى الكرك بمن معه فوصلها يوم الاثنين خامس عشرين شهر ربيع الآخر المذكور، وتسلم أخوه نجم الدين خضر الشوبك، وكان الأمير بيدغان ومن معه قد فارقوا الملك السعيد من غزّة ورجعوا إلى الديار المصرية ؛ وأقام الملك السعيد بالكرك وزال مُلكه ؛ فكانت مدة حُكمه وسلطته بعد موت أبيه الملك الظاهر بيبرس إلى يوم خلعه ستين وشهرين وخمسة عشر يوما، واستمر بالكرك مع ممالئكه وعياله، وقصده الناس والأجناد، فصار يُنعم على من يقصده، واستكثر من استخدام الممالك .

ثم رسم الأمير سيف الدين قلاوون بانتقال الملك خضر من الشوبك إلى عند أخيه الملك السعيد بالكرك، وتسلم ثواب قلاوون الشوبك ؛ ودام الملك السعيد على ذلك حتى خلع سلاطش من السلطنة وتسلم قلاوون حسب ما يأتي ذكر ذلك كله في ترجمتهما .

فلما تسلم قلاوون بلغه عن الملك السعيد أنه استكثر من استخدام الممالك وأنه يُنعم على من يقصده فاستوحش منه، وتأثر من ذلك . فمريض الملك السعيد بعد ذلك بمدة يسيرة وتوفي، رحمه الله تعالى، في يوم الجمعة حادى عشر ذى القعدة سنة ثمان وسبعين وستمائة بالكرك، ودُفن من يومه بأرض مؤتة عند جعفر بن أبي طالب، رضى الله عنه، ثم نُقل بعد ذلك إلى دِمَشق في سنة ثمانين وستمائة فدُفن إلى جنب والده الملك الظاهر بيبرس بالتربة التي أنشأها قبالة المدرسة العادلية السيفية، وألحده

(١) رواية عقد الجمان والجوهر الثمين : « ستين وشهرا وأياما » .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٠٨ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

(٣) عبارة تاريخ الإسلام والمنهل الصافي : « ثم نُقل إلى تربة بدمشق بعد ستة وخمسة أشهر » .

(٤) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٢٦٣ من هذا الجزء .

قاضى القضاة عز الدين محمد بن الصائغ^(١) . وكانت مدة إقامته بالكرك بعد أن خُلع من السلطنة ستة أشهر وخمسة وعشرين يوما . ووجد الناس عليه كثيرا وعُمل عزأؤه بسائر البلاد ، وخرجت الخوّنَدَات حاسراتٍ بجوارِهنَّ يَلْطُنن بِالْمَلاهي والدُّفُوفِ أيا ماً عديدة ، ويُسمِعن الملك المنصور قلاوون الكلام الخشن وأنواع السب وهو لا يتكلم ، فإنه يُسب إليه أنه آغاثه بالسِّمَ لما سَمِعَ كثرةَ استخدامه للمالِكِ وضيهرهم .

قلتُ : ولا يبعد ذلك عن الملك المنصور قلاوون لكثرة تخوفه من عِظَم شوْكَته وكثرة ممالك والده وحواشيه . وأبغض الناس الملك المنصور قلاوون سنينا كثيرة إلى أن أَرْضاهم بكثرة الجهاد والفتوحات ؛ وأبغض الملك المنصور قلاوون حتى أبنته زوجة الملك السعيد المذكور ، فإنها وجدت على زوجها الملك السعيد وجدا عظيما وتآلمت لفقده ؛ ولم تزل باكيةً عليه حزينةً لم تتزوج بعده إلى أن تُوُفِّيت بعد زوجها الملك السعيد بمدة طويلة في مستهل شهر رجب سنة سبع وثمانين وستمائة . وكانت شقيقة الملك الأشرف خليل بن قلاوون ، ودُفِنَت في تربة معروفة بوالدها بين مصر والقاهرة .

١٥ (١) هو قاضى القضاة عز الدين محمد بن عبد القادر بن عبد الخالق بن خليل الأنصارى الدمشقي الشافعي . سيذكر المؤلف في حوادث سنة ٦٨٣ هـ فيمن نقل وفاتهم عن الذهبي .

(٢) تربة المنصور قلاوون التي دفنت بها أبنته زوجة الملك السعيد بركة خان ، هذه التربة هي التي ذكرها المقرئ في (ص ٣٩٤ ج ٢) من خطه باسم مدرسة تربة أم الصالح ، وقال : إنها بجوار المدرسة الأشرقية بالقرب من المشهد الغيبي فيما بين القاهرة ومصر . أنشأها الملك المنصور قلاوون في سنة ٦٨٢ هـ برسم زوجته أم ولده الملك الصالح علاء الدين على . ولما توفيت يوم ١٦ شوال سنة ٦٨٣ هـ دفنت بهذه التربة ، وقد ذكرها ابن دساق في آاب الانتصار (ص ١٢٥ ج ٤) باسم التربة الخاتونية بنت قلاوون وقال إنها بجانب المدرسة الأشرقية ، دفن بها في سنة ٦٨٧ هـ الملك الصالح علاء الدين على بن قلاوون في حياة والده ، ثم دفنت بها أبنته خاتون أرملة الملك السعيد محمد بركة خان . وفي سنة ٧٤٦ هـ دفن بها =

وَصُلِّيَ عَلَى الْمَلِكِ السَّعِيدِ بِدِمَشْقَ صَلَاةُ الْغَائِبِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ رَابِعَ وَعِشْرِينَ ذِي الْحِجَّةِ . ثُمَّ أَنْعَمَ الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ بِالْكَرَّكَ بَعْدَ مَوْتِهِ عَلَى أَخِيهِ خَضِرَ وَلُقَّبَ بِالْمَلِكِ الْمَسْعُودِ خَضِرَ .

- وكان الملك السعيد ، رحمه الله ، سلطاناً جليلاً كريماً سَخِيَّ الكَفِّ ، كثير العدل في الرعية ، محسناً للخاص والعام ، لا يرذ سائلاً ولا يُجَبِّبُ آملاً ، وكان متواضعا بَشَوِشاً ، حسن الأخلاق ليس في طبعه عَسْفٌ ولا ظَلَمٌ ، كثير الشفقة والرحمة على الناس ، لِينٌ الكلمة محباً لفعل الخير ، قليل المجاب على الناس يتصدى للأحكام بنفسه ، وكان لا يميل لسَفْكَ الدماء مع قدرته على ذلك ، وكان يوم دخوله إلى قلعة الجبل وَلِدٌ له مولود ذَكَرٌ من بعض حظاياه في شهر ربيع الآخر من هذه السنة .
- وكان يُحِبُّ التَّجَمُّلَ وَيُكْثِرُ مِنَ الْإِنْعَامِ عَلَى النَّاسِ وَيَتَخَلَّعُ حَتَّى فِي الْأَعْزِيَةِ . وَلَمَّا مَاتَ خَالَهُ الْأَمِيرُ بَدْرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ بَرَكَةِ خَانَ بْنِ دَوْلَةِ خَانَ ، وَكَانَ مِنْ أَعْيَانِ الْأُمَرَاءِ بِالْديَارِ الْمِصْرِيَّةِ فِي الدَّوْلَةِ الظَّاهِرِيَّةِ ، وَكَانَ حَصَلَ لَهُ عِنْدَ إِفْضَاءِ الْمَلِكِ لِابْنِ أَخْتِهِ الْمَلِكِ السَّعِيدِ تَقَدَّمَ كَبِيرٌ وَمَكَانَةٌ عَالِيَةٌ ، وَتَوَجَّهَ مَعَهُ إِلَى دِمَشْقَ قَمَرِيضَ بِهَا إِلَى أَنْ تُوُفِيَ لَيْلَةَ الْخَمِيسِ تَاسِعَ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ ، وَدُفِنَ بِسَفْعِ قَاسِيُونِ بِالثَّرْبَةِ الْمَجَاوِرَةِ لِرِبَاطِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ صَلَاحِ الدِّينِ يَوْسُفَ ؛ وَمَقْدَارُ عَمْرِهِ خَمْسُونَ سَنَةً ، عَمِلَ لَهُ ١٥

= الْمَلِكُ الصَّالِحُ إِسْمَاعِيلُ ابْنُ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ . وَفِي سَنَةِ ٧٦١ دُفِنَ بِهَا الْمَلِكُ الصَّالِحُ صَالِحُ ابْنِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ . وَمِنْ هَذَا يَتَبَيَّنُ أَنَّهُ دُفِنَ بِهَا ثَلَاثُ مُلُوكٍ لِقَبْرِ الصَّالِحِ .

- وأقول : إن هذه التربة لا تزال موجودة إلى اليوم بإشارع الأشراف بقسم الخليفة بالقاهرة باسم تربة الست فاطمة خاتون بحرى المدرسة الأشرقية وبالقرب من جامع السيدة نفيسة . وبما يلتفت النظر في قبة هذه التربة المقرنص الذى تحتهما والكتابة الكوفية التى حول عقود شبايكها ثم منذتها ذات الشكل المربع المشرفة على الشارع بشكل برج مرتفع . ولا تخفأ أرض هذه التربة عن منسوب الأرض المحيطة بها قد أقامت إدارة حفظ الآثار العربية حولها حائطا مرتقما لمنع تهايل الأتربة عليها .

(١) فى الأصلين : « فعمل ... الخ » .

عِدَّةٌ أُعْزِيَّةٌ وَقُرِيٌّ بِالْثَّرْبَةِ عِدَّةٌ خَتَمَاتٌ ، حَضَرَ إِحْدَاهَا أَبُو أَخْتِهِ الْمَلِكُ السَّعِيدُ ،
وَمُدَّ خَوَانُ فِيهِ مِنْ عَظِيمٍ فَاحِرِ الْأَطْعَمَةِ وَالْحَلَاوَاتِ ، فَأَكَلَ كُلُّ مَنْ حَضَرَ ، وَخَلَعَ الْمَلِكُ
السَّعِيدُ عَلَى وَالِدَتِهِ وَمَمَالِيكِهِ وَخَوَاصِّهِ وَهُوَ فِي الْعَزَاءِ فَلْيُسُوا انْخَلَعَ وَقَبِلُوا الْأَرْضَ ،
وَكَانَتْ انْخَلَعًا خَارِجَةً عَنْ الْحَدِّ . فَهَذَا أَيْضًا تَمَّا يَدُلُّ عَلَى كَرَمِهِ وَوُسْعِ نَفْسِهِ وَكَثْرَةِ
إِنْعَامِهِ حَتَّى فِي الْأَعْزِيَّةِ . رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى . انْتَهَتْ تَرْجُمَةُ الْمَلِكِ السَّعِيدِ .
وَيَأْتِي ذِكْرُ حَوَادِثَ سَنِينَ سُلْطَنَتِهِ عَلَى عَادَةِ هَذَا الْكِتَابِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



السَّنةُ الْأُولَى مِنْ وَلَايَةِ الْمَلِكِ السَّعِيدِ مُحَمَّدِ بْنِ بَرَكَةِ خَانَ عَلَى مِصْرَ ، وَهِيَ سَنَةُ
سِتٍّ وَسَبْعِينَ وَسِتَّمِائَةٍ .

وَيَا تَوَفَّى الشَّيْخُ كَمَالَ الدِّينِ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ ^(١) [بْنِ إِبْرَاهِيمَ
أَبْنِ فَارِسٍ] الْإِسْكَانْدَرِيَّ الْمَقْرِيَّ ، كَانَ عَارِفًا بِالْقُرْآنِ ، وَأَنْتَفَعَ بِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ ،
وَتَوَلَّى نَظَرَ حَبِيسِ دِمَشْقَ ، وَنَظَرَ بَيْتِ الْمَسَالِ بِهَا مُضَافًا إِلَى نَظَرِ الْحَبِيسِ ، وَبَاشَرَ عِدَّةَ
وُظَائِفَ دِينِيَّةٍ . وَمَاتَ فِي صَفَرٍ . وَكَانَ رَئِيسًا فَاضِلًا .

وَفِيهَا تَوَفَّى الْأَمِيرُ جَمَالَ الدِّينِ آقُوشُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِيَّ الصَّالِحِيَّ النَّجْمِيَّ ،
كَانَ مِنْ أَعْيَانِ الْأَمْرَاءِ وَمِنْ أَكْبَرِهِمْ ، وَكَانَ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ بَيْرُوسَ يَخْفَاهُ ، وَخَبَسَهُ مَدَّةَ
طَوِيلَةٍ ثُمَّ أُنْزِلَ عَنْهُ فَمَاتَ فِي شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ ، وَدُفِنَ بِتَرْبَتِهِ بِالْقَرَاةِ الصَّغْرَى ^(٢) .

(١) الزيادة عن تاريخ الإسلام وغاية النهاية . (٢) غير ممكن تعيين موقعها الآن لا بد
من قديم ، بسبب هدم التربة القديمة وإحداث تربة أخرى في مكانها . لا ما كان منها من الآثار المفقودة .
وهذه ليست منها . والقراءة الصغرى هي التي تعرف اليوم بجبانة الإمام الشافعي .

وفيما تُوفّي الأمير عز الدين أيّك بن عبد الله الموصليّ الظاهريّ نائب السلطنة بمُخصّ، وكان وليّ مُخصّ مدّة ثم عزّله الملك الظاهر عنها ونفاه إلى حصن الأكراد،^(١) وكان شجاعاً مقداماً .

وفيما تُوفّي الأمير عز الدين أيّك بن عبد الله الدّميّاطيّ الصالحيّ النّجيّ أحد أكابر الأمراء المُقدّمين على الجيوش، كان قديم الهجرة [بينهم]^(٢) في علوّ المنزلة وسموّ المكانة، وكان الملك الظاهر أيضاً حبسه مدّة طويلة ثم أطلقه وأعاده إلى مكانته . ومات بالقاهرة في شعبان ودُفِن بترتبه التي أنشأها بين القاهرة ومصر في القبة^(٣) المجاورة لحوض السبيل المعروف به .^(٤)

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٩٣ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

(٢) زيادة عن الذيل على مرآة الزمان . (٣) قبة أيّك بن عبد الله الدميّاطيّ، لما تكلم المقريريّ في (ص ٤٣٠ ج ٢) من خطّطه على زاوية الدميّاطيّ قال : إن هذه الزاوية خارج مصر فهما بين خط السبع سقايات وبين قنطرة السد . أنشأها الأمير عز الدين أيّك الدميّاطيّ أحد الأمراء المُقدّمين الأكابر، وبها دفن لما مات في سنة ٦٧٦ هـ .

وأقول : إن القبة المشار إليها كانت قائمة فوق قبر هذا الأمير داخل الزاوية من الجهة البحرية، وقد هدمت هذه القبة . وأما الزاوية فلا تزال موجودة من الجهة البحرية، وتعرف الآن بجامع الحبيبي نسبة إلى الشيخ محمد الحبيبي شيخ الطريقة الحبيبية الذي جدّد هذا المسجد في سنة ١٢٤٧ هـ . ثم دفن فيه بجوار قبر الأمير أيّك تعرف بجامع الحبيبي من ذلك الوقت . وفي سنة ١٣٣٠ هـ جدّدت نظارة الأوقاف هذا الجامع ولا يزال مقام التماثيل إلى اليوم بشارع السد الجوّاني على رأس شارع الشيخ سليم بقسم السيدة زينب بالقاهرة . (٤) في الأصلين : « المجاورة لحوض والسبيل » وما أثبتناه من الذيل على مرآة الزمان . وحوض السبيل المجاور لقبة أيّك الدميّاطيّ، لما تكلم المقريريّ على زاوية الدميّاطيّ في (ص ٤٣٠ ج ٢) من خطّطه قال : إن هذه الزاوية خارج مصر بين خط السبع سقايات وبين قنطرة السد بجانب حوض السبيل الممد لشرب الدواب ؛ ثم قال : ولا يزال يعرف الحوض المجاور لهذه الزاوية بحوض الدميّاطيّ .

وأقول : إن هذا الحوض قد أُنْشِئ، ومكانه الدكاكين الواقعة بجوار جامع الحبيبي من الجهة البحرية والمُشرّفة على شارع السد، حيث كان الطريق العام من عهد الدولة الفاطمية بين مصر والقاهرة إلى اليوم .

وفيهما تُوفِّي الأمير عَزَّ الدين أَيَّدُمر بن عبد الله العَلَّائِي نائب قلعة صَفَد، حضر بعد موت الملك الظاهر إلى القاهرة ومات بها ودُفِن بالقرافة الصغرى، وكان دينًا عفيفًا أمينًا، وهو أخو الأمير علاء الدين أَيَّدُكين الصالحِي .

وفيهما تُوفِّي الأمير بدر الدين يَليَك بن عبد الله الظاهري الخَازِنْدَار نائب السلطنة بالديار المصرية بل بالممالك كلها . قد تقدَّم من ذكره نبذة جيِّدة في عِدَّة مواطن، وهو الذى أخفى موت الملك الظاهر حتى قَدِم به إلى مصر حسب ما تقدَّم ذكره، وكانت وفاته بالقاهرة في سادس شهر ربيع الأول بقلعة الجبل ودُفِن بترتبه التى أنشأها بالقرافة الصغرى، وحَزِن الناس عليه حُزنًا شديدًا حتى شَمِل مُصابه الخاَص والعَام، وعُمِّل عزاءُه بالقاهرة ثلاثة أيام، في الليل بالشموع وأنواع الملاهى . وصدَّع موته القلوب وأبكى العيون؛ وقيل : إنه مات مسمومًا، وكان عمره خمسًا وأربعين سنة، ومحاسنه كثيرة بطول الشرح في ذكرها .

وفيهما تُوفِّي الشيخ المعتمد خَضر بن أبى بكر [محمد] بن موسى أبو العباس المِهْرَانِي العدَوِي، كان أصله من قرية المَحْمَدِيَّة من أعمال جزيرة ابن عمر، وهو شيخ الملك الظاهر يَبْرَس، وصاحب الزاوية التى بناها له الملك الظاهر بالحُسَيْنِيَّة على الخليج بالقرب من جامع الظاهر . وقد تقدَّم من ذكره في ترجمة الملك الظاهر ما يُغْنى عن الإعادة هاهنا . وكان الشيخ خَضر بَشَّر الملك الظاهر قبل سلطته بالملك، فلما تسلطن صار له فيه العقيدة العظيمة حتَّى إنه كان يترى إليه في الجمعة المزة والمزتين،

(١) غير ممكن تعيين موقعها الآن لاندثارها من قديم . راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٧٤ من هذا الجزء

(٢) زيادة عن المهل الصافي . (٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٦١ من هذا الجزء

(٤) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٤٣ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .

(٥) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٦١ من هذا الجزء .

وكان يُطْلَمه على غوامض أسرارهِ، ويستشيرهُ في أموره، ويستصحبهِ في أسفاره، وفيهِ يقول الشريف محمد بن رِضْوَان النَّاسِخ^(١).

- ما الظاهرُ السلطانُ إلا مالك الدنيا بذاك لنا الملاحم تُخِيرُ
ولنا دليلٌ واضحٌ كالشمس في * وَسَطِ السَّمَاءِ بِكَلِّ عَيْنٍ تُنْظَرُ
لَمَّا رَأَيْنَا الْحَضَرَ يَقْدُمُ جَيْشَهُ * أَبَدًا عَلِمْنَا أَنَّهُ الْإِسْكَندَرُ

- وكان الشيخ يُخَيِّرُ الملك الظاهر بأمور قبل وقوعها فتقع على ما يُخْبِرُهُ، ثم تغَيَّرَ الملك الظاهر عليه لأمر بلغته عنه وأحضر السلطان من حافقه، وذكروا عنه من القبايح ما لم يصدر عن مسلم! والله أعلم بصحة ذلك؛ فاستشار الملك الظاهر الأمراء في أمره، فنهزم من أشار بقتله، ومنهم من أشار بحبسه، فقال الظاهر إلى قتله ففهم خَيْرٌ؛ فقال للظاهر: إسمع ما أقول لك، إنَّ أَجَلَ قَرِيبٍ مِنْ أَجْلِكَ، وبينى وبينك مدة أيام يسيرة، فمن مات منا لحقه صاحبه عن قريب! فوجَّه الملك الظاهر وكَفَّ عن قتله، فحبسه في مكان لا يُسْمَعُ له فيه حديثٌ، وكان حبسه في شَوَّال سنة إحدى وسبعين وثمانئة، وتوفي يوم الخميس أو في ليلة الجمعة سادس المحرم سنة ست وسبعين وثمانئة، ودُفِنَ بزوايته بالحُسَيْنِيَّةِ. وكان الملك الظاهر بدَسْتُقٍ، فلَمَّا بلغه موته اضطرب وخاف على نفسه من الموت
- لَمَّا كَانَ قَالَ لَهُ الشَّيْخُ خَيْرٌ: إِنَّ أَجَلَهِ مِنْ أَجَلِهِ قَرِيبٌ، فَرَضَ الظَّاهِرُ بَعْدَ أَيَّامٍ يَسِيرَةٍ وَمَاتَ، فَكَانَ بَيْنَ الشَّيْخِ خَيْرٍ وَبَيْنَ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ دُونَ الشَّهْرِ، إِتْمَهَى.

(١) هو محمد بن رضوان السيد الشريف العلوي الحسيني الدمشقي الناسخ، كان يكتب خطاً متوسط

الحسن، وله يد في النظم والنثر والأخبار. تقدمت وفاته سنة ٦٧١ هـ وراجع فوات الوفيات (ج ٢

وفيهما توفى شيخ الإسلام محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري بن الحسن^(١)
ابن الحسين التتويى^(٢) الفقيه الشافعى الحافظ الزاهد صاحب المصنفات المشهورة .
وُلِدَ في العشر الأوسط من المحرم سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة ، ومات ليلة الأربعاء
رابع عشرين شهر رجب بقرية نوى .

قلت : وفضله وعلمه وزُهدُه أشهر من أن يُذكر . وقد ذكرنا من أمره
نبذة كبيرة في تاريخنا « المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافى » ؛ إذ هو كتاب تراجم
يحسن الإطنا ب فيه . انتهى .

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها توفى الملك القاهر
عبد الملك بن المعظم [عيسى] بن العادل [أبى بكر بن أيوب] في المحرم مسموماً .
والسلطان الملك الظاهر ركن الدين الصالحى بيبرس في أواخر المحرم بالقصر الأبلق ،

(١) ضبطه شارح القاموس بكسر الميم مقصوراً . (٢) التوى : نسبة إلى نوى ، بلدة من أعمال
حوران وقيل هى قصبتها بينها وبين دمشق مزلان وهى منزل أيوب عليه السلام وبها قبر سام بن نوح عليه
السلام فيما زعموا (عن معجم البلدان لياقوت) . (٣) الزيادة عن تاريخ الإسلام والذيل على
مرآة الزمان والمنهل الصافي وعيون التواريخ .

(٤) القصر الأبلق : بناء الظاهر في مرجة دمشق في الميدان القبل سنة ٦٦٨ هـ وعلى أقباضه بنيت
الكنيسة السلجانية سنة ٩٧٤ هـ الباقية الى اليوم كاجل أثر للعثمانيين في دمشق . وكان على واجهة القصر الأبلق
مائة أسد منزلة صورها بأسود فى أبيض وعلى الثمانية اثنا عشر أسدا منزلة صورها بأبيض فى أسود . وقد
بنى من أسفله الى أعلاه بالجهر الأسود والأصفر بتأليف غريب وإحكام عجيب ، ولذلك سمى بالقصر الأبلق
وعلى مثاله بنى الناصر محمد بن قلاوون القصر الأبلق بقلمة الجبل بمصر . قال ابن فضل الله العبرى
فى وصفه : وأمام هذا القصر دركاة (عرصة) يدخل منها الى دهليز القصر وهو دهليز فيج يشتمل على قاعات
ملكية مفروشة بالرخام المتون البديع الحسن الموزن بالرخام ، الفصل بالصدف والقص المذهب الى عجف
السقف . وبالدار الكبرى به إيوانان متقابلان تطل شبايك شرقهما على الميدان الأخضر وغربهما
على شاطئ واد أخضر يجرى فيه نهر . وله رفارف عالية تناغى السحب تشرف من جهاتها الأربع على جميع
المدينة والنوطة . رآه ابن طولون المتوفى سنة ٩٥٣ هـ وقرأ عليه أن تاريخ بنائه كان سنة ٦٦٨ وقال : إن
على أسكفته ضرباً من رخام أبيض وسطه مكتوب ، عمل إبراهيم بن غياث (المهندس المصرى الشهير) . وقد
وصف بهاء الدين الموصل القصر بعبارة بليغة منها . يبر الناظر حسن مناه ، ولا يقدر على وصف محاسنه
من يراه . (انظر خطط الشام لكرد على ج ٤ ص ١٢٢ و ج ٥ ص ٢٨٥ — ٢٨٦) .

١٥

٢٥

- وله يُضْعُ ونمسون سنة . وكال الدين إبراهيم بن الوزيري نجيب الدين [أحمد^(١)] بن إسماعيل [بن إبراهيم^(١)] بن فارس التميمي الكاتب المقرئ في صفر، وله ثمانون سنة .
والواعظ نعيم الدين علي بن علي بن إسفنديار بدمشقي في رجب، وله خمس وأربعون^(٢) سنة وأشهر . وبيليك الظاهري الخازن دار نائب مصر . والصاحب معين الدين سليمان بن علي [بن محمد بن حسن^(٣)] البروانه الرومي، قتله أبقا في المحرم . والشيخ خضر بن أبي بكر العدوي شيخ السلطان . والشيخ الإمام شمس الدين محمد [بن إبراهيم^(٤)] ابن عبد الواحد بن علي بن سرور قاضي القضاة أبو بكر وأبو عبدالله المعروف بـ [أبن^(٤) العباد الحنبلي في المحرم بمصر . والقاضي تقي الدين محمد بن حياة الرقي قاضي حلب بنبوك في المحرم^(٥) .

- ١٠ § أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم ست أذرع وثلاث عشرة إصبعاً .
مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعاً وثمانى أصابع .



السنة الثانية من ولاية الملك السعيد على مصر، وهى سنة سبع وسبعين
وسمئة .

- ١٥ (١) تكله عن الذهبي وغاية النهاية وما تقدم للؤلوف في وفيات هذه السنة .
(٢) الذى فى تاريخ الإسلام للذهبي وشذرات الذهب أنه ولد سنة ٥٦١٦هـ . فهذا يكون قد مات وسه ستون سنة . وفى ذيل مرآة الزمان : « وقد نيف على ستين سنة » . (٣) زيادة عن المهمل الصافي وحيون التواريخ والذيل على مرآة الزمان . (٤) التكله عن تاريخ الاسلام وشذرات الذهب .
(٥) فى الأصلين : « قاضى حلب مقتولا » . وتصحيحه عن المهمل الصافي وذيل مرآة الزمان .
وتبوك : موضع بين وادى القرى والشام (عن معجم البلدان لياقوت) .

ففيها تُوفِّي الشيخ الإمام زين الدين أبو العباس إبراهيم بن أحمد بن أبي الفرج^(١) الدمشقي الحنفِيّ المعروف بآبن السَّديد إمام مقصورة الحنفية شمالي جامع دمشق وناظر وقفها . كان إماماً فقيهاً ديناً كثير الخير غيّر المروءة . مات في جُمادى الأولى بسنانه بالمزة^(٢) ودُفِن بسفح قاسيون .

وفيها تُوفِّي الأمير شمس الدين آق سُقُربن عبد الله الفارغانيّ، كان أصله من مماليك الأمير نجم الدين حاجب الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب الشام، ثم انتقل إلى ملك السلطان الملك الظاهر بيبرس، وتقدّم عنده وجعله أستاذاراً كبيراً، وكان للملك الظاهر عِدَّة أستاذارية، وكان الملك الظاهر كثير الوثوق به في أموره ويستنّيه في غيبتِه ويُقدِّمه على عساكره، ولما صار الأمر إلى الملك السعيد جعله نائبه لسائر الممالك بعد بيليك الخازندار، فلما ثارت الخاصيكة قبضوا عليه وقتلوه، وقيل إنّه بقي في هذه السنة، والأصحُّ أنّهم قبضوا عليه وسجنوه إلى أن مات في جُمادى الأولى من هذه السنة . وكان أميراً كبيراً جسيماً شجاعاً مقداماً^(٣) مهيباً ذا رأي وتدير وعقل ودهاء، كثير البر والصدقات على الهمة، وله مدرسة عند داره داخل باب سعادة بالقاهرة .

- ١٥ (١) في الأصلين: «آبن أبي الفتوح» . والصحيح عن تاريخ الإسلام وذيل مرآة الزمان والجواهر الحفية في طبقات الحنفية والمنهل الصافي . (٢) المقصورة الحنفية، من مدارس الحنفية بدمشق وهي محل التدريس في حرم الجامع الأموي وقف عليها كاتب الممالك القاضي نضر الدين أوقافاً . انظر (خطط الشام الكردل ج ٦ ص ٩٧) . وفي تاريخ الإسلام: «إمام مقصورة الحليين» . (٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٧٧ من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٤) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٦٢ من هذا الجزء .
- ٢٠ (٥) باب سعادة، يستفاد مما ذكره المؤلف عن موضع المدرسة المذكورة وما ذكره المقرئ في خطه عند الكلام على بناء القاهرة (ص ٢٦٠ ج ١) وعلى أبواب القاهرة (ص ٣٨٠ ج ١) وعلى باب سعادة (ص ٣٨٣ ج ١) وعلى بستان العدة (ص ١١٩ ج ٢) وعلى مسجد يانس (ص ٤١١ ج ٢) يستفاد من كل ذلك أن باب سعادة مكانه اليوم الباب الغربي للطريق الفاصلة بين ديوان محافظة مصر وبين محكمة الاستئناف الأهلية بميدان باب الخلق بقسم الدرب الأحمر بالقاهرة . وهذه الطريقة كانت طريقاً عاماً =

وفيهما توفى الأمير جمال الدين آفوش بن عيد الله النجيبى الصالحى النجيبى
الأيوبى، كان مقرباً عند أستاذه الملك الصالح وولاه أستاذاراً، وكان كثير الاعتماد
عليه . ثم ولاه الملك الظاهر بيبرس نيابة دمشق فأقام بها تسع سنين، ثم عزله
وتركه بطالا بالقاهرة إلى أن مات بها في ليلة الجمعة خامس شهر ربيع الآخر بداره
بدرب ملوخيا من القاهرة، ودفن يوم الجمعة بقربته بالقرافة الصغرى .

وفيهما توفى الشيخ جمال الدين طه بن إبراهيم بن أبى بكر بن أحمد بن بختيار
الهدباني الإريلى، كان عنده فضيلة وأدب ورياسة، وله يد في النظم . ومات
في جمادى الأولى . ومن شعره في النهى عن النظر في النجوم :

دع النجوم لطريقى يعيش بها * وبالعزيزمة فأنهض أيها الملك
إلى النبى وأصحاب النبى نهوا * عن النجوم وقد أبصرت ما ملكتوا

وفيهما توفى قاضى القضاة مجد الدين أبو المجد عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن
هبة الله العقيلى الحلبى الحنفى ابن صاحب كمال الدين عمر بن العديم . كان إماماً

= في امتداد سكة للنبوية الواقعة تجاه الطرقة من الجهة الشرقية . ولما سد باب سعادة بطل استعمال هذا
الجزء من الطريق من زمن بعيد . ولما أنشأ منصور باشا يكن سرايه التي بها اليوم ديوان محافظة مصر دخلت
هذه الطرقة في السراي وأنشأ بحريها حديقة وعلى أرض هذه الحديقة أنشئت محكمة الاستئناف الأهلية .
وأما سعادة المنسوب إليه هذا الباب فهو سعادة بن حيان أحد قواد جيش الخليفة المعز لدين الله
أبى تيمم معد الفاطمى . فلما جاء سعادة وجيشه إلى القاهرة في سنة ٣٦٠ هـ دخل إليها من هذا الباب
فصرف من ذلك الوقت بياض سعادة .

(١) هذه الدار غير ممكن تعيين موقعها الآن لاندثارها من قديم الزمن ، وأما درب ملوخيا فكانه
اليوم الطريق المعروفة بخارة قصر الشوك أحد فروع قصر الشوك بقسم الجالية بالقاهرة . وراجع الحاشية
رقم ٦ ص ٤٩ من الجزء الرابع من هذه الطبعة . (٢) هذه التربة قد اندثرت من قديم الزمن
ولا يعلم مكانها اليوم . (٣) ذكر المؤلف هذين البيتين في حوادث سنة ٥٨٢ هـ بصدد حكم المنجمين
بحرابة العالم في تلك السنة وبيان كذبهم ، وقد رواهما المؤلف هناك وقال إنه يعرف قائلهما . ورواية
المصراع الأول فيما تقدم :
دع النجوم لصوفى يعيش بها *
والصواب ما روى هنا . (٤) تقدمت وفاته سنة ٦٦٠ هـ .

علماً فاضلاً كبير الديانة والورع، كان جمع بين العلم والعمل والرياسة، وإلى قضاء دمشق مع عذّة تداريس، ولم يزل فاضلاً إلى أن تُوفّي بظاهر دمشق بحَوْسِقِهِ^(١) الذي على الشرف [الأعلى]^(٢) القبل في يوم الثلاثاء سادس عشر شهر ربيع الآخر، ودُفِنَ في تربة أنشأها قبالة الجَوْسَقِ المذكور. ومن شعره ما كتبه لخاله عون الدين سليمان ابن العجمي بسبب ابن مالك، فقال :

أمولاي عون الدين ياراوياً لنا * حديث المعالي عن عطاءٍ ونافع
بعيشك حدثني حديث ابن مالك * فانت له يا ملكي خير شافع

وفيهما تُوفّي الشيخ موفق الدين أبو محمد عبد الله بن عمر بن نصر الله الأنصاري، كان أديباً فاضلاً. قال الشيخ قطب الدين اليونيني في الذيل على المرأة : « صاحبنا [كان أديباً فاضلاً مقتدرًا على النظم] ، وله مشاركة في علوم كثيرة، منها : الكُمل والطب، وغير ذلك من الفقه والنحو والأدب، ويعظ الناس، حلّو النادرة حسن المحاضرة » . انتهى كلام قطب الدين . قلتُ ومن شعره :

قلبي وطرفي في ديارهم * هذا ييمُّ بها وذا يهيمُ
رسم الهوى لما وقفتُ بها * للدمع أن يجري على الرسيم

وفيهما تُوفّي الأديب نجم الدين أبو المعالي محمد بن سوار بن إسرائيل بن الحضير بن إسرائيل الشيبانيّ الدمشقيّ المولد والدار والوفاة، كان أديباً فاضلاً قادراً على النظم

(١) الجوسق معزب جوسك أو جوسه وهو القصر . (٢) زيادة عن عون التواريخ وتاريخ الدول والملوك لابن القرات . (٣) هو سليمان بن عبد المجيد بن الحسن بن أبي غالب ابن عبد الله بن الحسن بن عبد الرحمن الأديب البارِع عون الدين بن العجمي الحلبي الكاتب توفّي سنة ٦٥٦ هـ بدمشق (عن المنهل الصافي) .

(٤) هذه العبارة متعولة عن الذيل على مرآة الزمان وليست بالأصليين .

صوفيًا. وقد ذكرنا حكايته مع الشهاب الحلي^(١) لما أدعى كل منهما القصيدة البائية التي أولها :

* يا مطلبًا ليس لي في غيره أرب *

وتداعيا عند الشيخ شرف الدين عمر بن الفارض فأمر ابن الفارض أن يعمل

- كل منهما قصيدة على الوزن والقافية فعمل ذلك ، فحكم ابن الفارض بالقصيدة للشهاب الحلي. وقد ذكرنا القصائد الثلاث في « المنهل الصافي » في ترجمة شهاب الدين الحلي. وأبى إسرائيل هذا ممن تكلموا فيه ورموه بالاتحاد . والله أعلم بحاله . ومن شعر ابن إسرائيل هذا على مذهب القوم :

خَلَامَنِي طَرْفِي وَأَمْتَلَا مِنْهُ خَاطِرِي * فَطَرْفِي لَهُ شَاكٍ وَقَلْبِي شَاكِرٌ

- ولو أنني أنصفتُ لم تشكُّ مُقَلَّتِي * بعدًا وداراتُ الوجود مَظَاهِرُ
وله أيضا :

يا من تنأى وفؤادى دارُهُ * مُضْنَاكَ قَدْ أَقْلَقَهُ تَذْكَارُهُ

صددت عنه قبل ما وصلته * وكان قبل سُكْرِهِ نُحَارُهُ

وفيها توفى الشيخ الإمام العلامة مجد الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عمر

- ابن أحمد بن أبي شاذان الإزيلي^(٢) الأديب الفقيه الحنفي المعروف بأبي الظهير . مولده ١٠٥٠
بإربل في ثاني صفر سنة اثنتين وستمئة ونشأ بها ، وطلب العلم وتفقه وبرع في الفقه
والأصول والعربية ، وقدم دمشق وتصلت بها للإقراء والتدريس ودرس بالقائمية^(٣)

(١) هو محمد بن عبد المنعم بن محمد الشيخ الإمام البارع الشاعر الأديب شهاب الدين بن الحلي الأنصاري .

سيرة المؤلف في حوادث سنة ٦٨٥ هـ . وقد أورد المؤلف هذه الحكاية في ترجمته أيضا .

(٢) القائمية : من مدارس الحنفية بدمشق . داخل بابي الفرج والنصر أنشأها صارم الدين قياز النجمي المتوفى سنة ٨٩٦ هـ . كان خيرا عاقلا يتولى أعمال السلطان صلاح الدين ويعمل عمل أستاذ الدار ، وكما فتح السلطان بلغة سلما إليه ليرضاها . وكانت هذه المدرسة بالمناخلة ثم درست عندما جرى توسيع الطريق . (عن خطط الشام ج ٦ ص ٩٦) .

بدمشق؛ وهو من أعيان شيوخ الأدب وغول المتأخرين وله ديوان شعر، وسمع
الحديث ببغداد من أبي بكر بن الخازن^(١) والكاشغري^(٢) [و] بدمشق من السخاوي^(٣)
وكريمة وتاج الدين بن حمويه؛ وروى عنه أبو شامة والقوصي^(٤) والدمياطي^(٥) والشهاب
محمود، وعليه تدرب في الأدب، و[أبو الحسين] البونيني^(٦) والحافظ جمال الدين المزي^(٧).
ولما مات رثاه تلميذه الشهاب محمود بقصيدة أولها:

تمتكن ليل وأطمانت كواكب^(٨) * وسدت على صبح الفداة مذهب^(٩)
بكنه معاليه ولم ير قبله * كريم مضى والمكرات نواديه^(١٠)

ومن شعر ابن الظهير:

قلبي وطرفي ذائب سيل دما وذأ * دون الوري أنت العليم بقصره^(١١)

- ١٠ (١) هو أبو بكر محمد بن سعد بن الموفق الصوفي ابن الخازن . تقدمت وفاته سنة ٦٤٣ هـ فيمن نقل المؤلف وفاتهم عن الذهبي . (٢) هو أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان بن يوسف الزركشي الكاشغري : نسبة إلى كاشغر ، مدينة بالمشرق . توفي سنة ٦٤٥ هـ عن شذرات الذهب . (٣) هو علم الدين علي بن محمد بن عبد الصمد الحمداني السخاوي المفسر الشافعي . تقدمت وفاته سنة ٦٤٣ هـ .
- ١٥ (٤) هي كريمة بنت عبد الوهاب القرشية . تقدمت وفاتها سنة ٦٤١ هـ . (٥) هو تاج الدين أبو محمد عبد الله بن عمر بن علي بن محمد بن حمويه شيخ الشيوخ . تقدمت وفاته سنة ٦٤٢ هـ . (٦) هو أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم تقدمت وفاته سنة ٦٦٥ هـ . (٧) في الأصلين : « والقوصي » وهو محريف ، وتصحيحه عن تاريخ الإسلام . وهو الشهاب القوصي أبو الحامد وأبو العرب وأبو الفداء وأبو الطاهر إسماعيل بن حامد بن عبد الرحمن الفقيه الشافعي الأنصاري الخزرجي . تقدمت وفاته سنة ٦٥٣ هـ فيمن نقل المؤلف وفاتهم عن الذهبي . (٨) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٢٦ من هذا الجزء . (٩) راجع الحاشية رقم ٤ ص ١٥٩ من هذا الجزء . (١٠) الزيادة عن تاريخ الإسلام والمنهل الصافي . وهو شرف الدين أبو الحسين علي بن محمد بن أحمد البونيني الحنبلي . سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٧٠١ هـ . (١١) هو جمال الدين أبو الحاج يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن يوسف بن علي بن عبد الملك بن علي بن أبي الزهر الكلبي القضاعي الدمشقي المزي . سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٧٤٢ هـ .
- ٢٠ (١٢) في فوات الوفيات : « تسكر ليل ... الخ » . (١٣) هذه رواية فوات الوفيات وفي الأصلين : « وسدت على صبحي الفداة ... الخ » . (١٤) اقتصر المؤلف على هذين البيتين وهي قصيدة طويلة كلها على هذا النمط وتقع في خمسة وأربعين بيتا كما في عيون التواريخ في حوادث هذه السنة . (١٥) هذه الأبيات من قصيدة واردة في عيون التواريخ وفوات الوفيات ، تقع في نحو ثمانية عشر بيتا أولها : غش المفسد كامن في نصحه * فأطل وقوفك بالبور وصفحه
- ٢٥ (١٦) في عيون التواريخ وفوات الوفيات : « بين الوري » .

وهما يُحبَّك شاهدان وإِنَّمَا * تعدُّلُ كُلَّ منهما في جَرَحِهِ
والقلب منزلةُ القديمِ فإنَّ تجد * فيه سواك من الأنام فَتَنَحَّهِ

- الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال:- وفيها توفى الأديب نجم الدين محمد [بن سوار]^(١) بن إسرائيل الحريري الشاعر المشهور في شهر ربيع الآخر. والإمام محمد الدين محمد بن أحمد بن عمر بن الظهير الحنفى^(٢) الأديب في شهر ربيع الآخر أيضا. ٥
والأمير شمس الدين آق سنقر الفارقاني في الحبس في جمادى الأولى. والأمير جمال الدين آقوش النجيبى بالقاهرة في شهر ربيع الآخر. وشيخ الحنفية وقاضيهام الصدر سليمان بن أبى العزبن وهيب الحنفى في شعبان، وله ثلاث وثمانون سنة. والصاحب محمد الدين أبوالمجد عبد الرحمن بن أبى القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله العقيلي قاضى الحنفية في شهر ربيع الآخر، وله ثلاث وستون سنة. والوزير بهاء الدين ١٥
على بن محمد بن سليم المصرى^(٤) بن حنا في ذى القعدة. والمحدث ناصر الدين محمد ابن عمر^(٥) بن شاه الممداني في جمادى الأولى. والمحدث شهاب الدين أحمد بن محمد بن عيسى الجزرى^(٦). وأبو المرحبى المؤمل بن محمد بن على [بن محمد بن على بن منصور عز الدين] البالىسى في رجب.

- § أمر النيل في هذه السنة - الماء القديم سبع أذرع وإحدى وعشرون ١٥
إصبعا. مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا ونحس أصابع.

- (١) التكملة عن تاريخ الاسلام وما تقدم ذكره للؤلؤ . (٢) الحريرى : نسبة الى الحريرية وهم أتباع الشيخ على الحريرى الذى تقدمت وفاته سنة ٥٦٤ هـ . (٣) فى الأصلين والجواهر المضية : « ابن وهب » . وما أثبتناه عن تاريخ الإسلام وعيون التواريخ وعقد الجمان وشذرات الذهب . (٤) ضبط بالقلم فى تاريخ الإسلام (فتح السين) . وفى عقد الجمان وعيون التواريخ بعضها ٢٠
(٥) فى الأصلين : « محمد بن عمرشاه » والتصحيح عن تاريخ الإسلام للملح الصاق وشرح القصيدة اللامية فى التاريخ وعيون التواريخ وتاريخ الدول والملوك . (٦) فى الأصلين : « أبو الرجا » . ما أثبتناه عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب . (٧) زيادة عن تاريخ الإسلام .

ذكر سلطنة الملك العادل سَلَامُش^(١) على مصر

هو السلطان الملك العادل بدر الدين سَلَامُش ابن السلطان الملك الظاهر
 ركن الدين بَيْرَمُ البُنْدُقْدَارِي الصالحى النجمى السادس من ملوك الترك بمصر .
 تسلطن بعد خَلْع أخيه الملك السعيد أبى المعالى ناصر الدين محمد بركة خان بِاتِّفَاقِ
 الأمراء على سلطته ، وجلس على سرير الملك فى يوم الأحد سابع عشر شهر ربيع الآخر
 سنة ثمان وسبعين وستمائة وعمره يوم تسلطن سبع سنين . وجعلوا أَنَابَكُهُ ومُدَبِّرَ
 مملكته الأمير سيف الدين قلاوون الصالحى النجمى . وَضُرِبَتِ السُّكَّةُ على أحد
 الوجهين باسم الملك العادل سَلَامُش هذا ، وعلى الوجه الآخر اسم الأمير قلاوون ؛
 وَخُطِبَ لهما أيضا على المنابر . وأستمر الأمر على ذلك وصار الأمير قلاوون
 هو المتصرف فى الممالك والعساكر والخزائن ، ولم يكن لَسَلَامُش فى السلطنة
 مع قلاوون إلّا مجرد الاسم فقط . وأخذ قلاوون فى الأمر لنفسه . فلما استقام له
 الأمر دَخَلَ إليه الأمير شمس الدين سُتُرُ الأشقر ووافقه على السلطنة وأخفى ذلك
 لكونه كان خُشْدَاءَهُ ، وكان الأمير عَزَّ الدين أَيْدَمُرُ نائب الشام عاد إلى الشام
 بمن معه بعد خلع الملك السعيد ، فوصل إلى دِمَشق يوم الأحد مستهل جمادى
 الأولى ، فخرج لتلقيه من كان تخلف بِدِمَشق من الأمراء والجند ، والمقدم عليهم
 الأمير جمال الدين آقوش الشمسى . وكان قلاوون قد كاتب آقوش فى أمر أَيْدَمُرِ
 هذا والقَبْضِ عليه ، فلما وصلوا إلى مُصَلَّى العيد بقصر حُجَّاجِ احتاط الأمير جمال
 الدين آقوش الشمسى والأمراء الذين معه على الأمير أَيْدَمُرِ نائب الشام وأخذوه
 بينهم ، وفزقوا بينه وبين عسكره الذين حضروا معه من الديار المصرية ، ودخلوا إلى

(١) ضبط بالقلم فى عيون التواريخ : (فتح السين وضم الميم) . وفى السلوك : (بضم السين وكسر الميم)
 ووافقه عقد الجمان فى ضم السين ولم يضبط الميم .

- (١) دِمَشْق من باب الجابية، ورسوموا عليه بدار في دِمَشْق؛ ثم نقلوه إلى قلعة دمشق وأعتقلوه بها . وكان الملك السعيد قبل أن يخرج من الشام سلم قلعة دِمَشْق للأمير علم الدين سَنَجَر الدَّوَيْدَارِيَّ وجعله النائب عنه أيضا في البلد . ثم أرسل قلاوون جمال الدين آقوش الباخلِ وشمس الدين سُنُقُرْ جَاه [الكِنِجِيَّ^(٢)] إلى البلاد الشامية وعلى يدهم نسخة الأيمان بالصورة التي استقرت الحال عليها بمصر، وأحضروا الأمراء والجند والقضاة والعلماء وأكابر البلد للحلف، وكان معهم نسخة بالمكتوب المنصَّح من الملك السعيد وتولية الملك العادل سَلَامُش، فُقِرِيَّ ذلك على الناس وحلفوا واستمر الحلف أياها . ثم إن الأمير قلاوون ولَّى خُشْدَاشَه الذي آتفق معه على السلطنة، وهو الأمير شمس الدين سُنُقُرْ الأشقر، نيابة الشام وأعمالها فتوجه سُنُقُرْ الأشقر إليها، ودخلها يوم الأربعاء ثالث بُحَادَى الآخرة من سنة ثمانٍ وسبعين . المذكورة بتجمل زائد، فكان مَوَكِبُهُ يَضَاهِي مَوَكِبَ السلطان، وعند وصوله إلى دِمَشْق أمر الأمير علم الدين سَنَجَر الدَّوَيْدَارِيَّ بالتزول من قلعة دِمَشْق فنزل في الحال . وصفا الوقت للأمير قلاوون بِمَسْكٍ أَيْدُمَر نَائِبِ الشام، وبخروج سُنُقُرْ الأشقر من الديار المصرية وأتبرم أمره مع الأمراء والخاصية، وآتفقوا معه على خَلْع الملك العادل سَلَامُش من السلطنة وتوليته إياها . فلما كان يوم الثلاثاء حادى عشرين شهر رجب سنة ثمانٍ وسبعين وستمائة اجتمع الأمراء والقضاة والأعيان بقلعة الجبل وخلعوا الملك العادل بدر الدين سَلَامُش من السلطنة ليصغر سنه، وتسلمن عَوَضَه أَنَابِكُهُ الأمير سيف الدين قلاوون الأتقي الصالحى النَجِشِيَّ،

(١) باب الجابية، هو السابع من أبواب دمشق، منسوب إلى قرية الجابية، وكانت في الجاهلية

مدينة عظيمة . (عن نزهة الأنام في محاسن الشام ص ٢٥) .

(٢) زيادة عن عيون التواريخ والسلوك .

وُنِيتَ بالملك المنصور، على أنه كان هو المتصرف في المملكة منذ خلع الملك السعيد وتسلمن الملك العادل سَلَامُش، ولم يكن لَسَلَامُش في أيام سلطته غير الاسم، وقلاوون هو الكل! وكان عدم سلطنة قلاوون قبل سَلَامُش أنه خاف ثورة المماليك الظاهرية عليه، فأنهم كانوا يوم ذاك هم معظم عسكر الديار المصرية، وأيضا كانت بعض القلاع في يد ثواب الملك السعيد فلما مهد أمره تسلمن. ولما بلغ سُنُقُر الأشقر سلطنة قلاوون داخله الطمع في الملك وأظهر العُصيان، على ما سيأتي ذكره في ترجمة الملك المنصور قلاوون إن شاء الله تعالى.

وكانت مدة سلطنة الملك العادل بدر الدين سَلَامُش على مصر ثلاثة أشهر وستة أيام. ولزم الملك العادل سَلَامُش داره عند أمه إلى أن أرسله الملك المنصور قلاوون إلى الكرك، فأقام به عند أخيه الملك خَضِر مدة^(٢)، ثم رسم الملك المنصور بإحضاره إلى القاهرة فخَضِر إليها، وبقي خاملاً إلى أن مات الملك المنصور قلاوون وتسلمن من بعده ولده الملك الأشرف خليل بن قلاوون، جهزه وأخاه الملك خضرا وأهله إلى مدينة اسطنبُول بلاد الأَشْكُرَى، فأقام هناك إلى أن توفى بها في سنة تسعين وستمائة. وكان شاباً مليحاً جميلاً تام الشكل رَشِيق القَدَّ طويل الشَّعْر ذا حياء

(١) في الأصلين : « ثلاثة أشهر تنقص ستة أيام ». والصواب ما أثبتناه لأنه حكم من سابع عشر شهر ربيع الآخر إلى الحادي والعشرين من شهر رجب كما سيقوله المؤلف بعد قليل . وفي عقد الجمان والسلوك : « وكانت مدة ملكه مائة يوم ». وفي النهج السيد للفضل بن أبي الفضائل (ج ٢ ص ١٧٥) : « وكانت مدة تسميته بالسلطة ثلاثة أشهر ونصف » . (٢) لعله يريد الملك السعيد، لأنه هو الذي أخذ الكرك . وأما أخوها الخضر فقد أخذ الشوبك كما تقدم ذكر ذلك في أواخر ترجمة الملك السعيد . (٣) الذي في السلوك وتاريخ أبي القدا وعقد الجمان في حوادث

سنة ٦٨٥ أن السلطان أرسل عسكراً كثيفاً مع حسام الدين طرغاي المنصوري، وأمره بمنازلة الكرك فصار إليها وتسلمها بالأمان، وعاد وصحبه أصحاب الكرك جمال الدين خضرو بدر الدين سلاش ولدا الملك الظاهر، فأحسن السلطان إليهما، ووفى لها بأمانه، ثم بلغه عنهما ما كرهه فاعتقهما فبقيا في الحبس حتى توفى الملك المنصور.

ووقار وعقل تام . مات وله من العمر قريب من عشرين سنة ؛ قيل : إنه كان أحسن أهل زمانه ، وبه آفتن جماعة من الناس ، وشبَّ به الشعراء وصار يُضرب به المثل في الحسن حتى يقول القائل : « ثغر سَلَامِي » . انتهت ترجمة الملك العادل سَلَامُش ، رحمه الله .



- السنة التي حكم فيها الملك السعيد إلى سابع عشر شهر ربيع الآخر، ثم حكم من سابع عشر شهر ربيع الآخر إلى حادى عشرين شهر رجب الملك العادل سلامش ، ثم فى باقيا الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفى ، وهى سنة ثمان وسبعين وستائة .
- فيها كان خَلْعُ ولدى الملك الظاهر بيبرس من السلطنة : الملك السعيد محمد بركة خان ، والملك العادل بدر الدين سَلَامُش ، وتسلمن بعد سلامش الأمير قلاوون .
- وقد تقدّم ذكر ذلك كلّ .

- وفيها تُوفّي الفقيه المحدث صفى الدين أبو [محمد] إصحاق [بن] إبراهيم بن يحيى الشَّعْرَاوَى^(٢) الحنبلى ، وُلِدَ بشقراء من ضياع برزة^(٣) من عمل دِمَشْق سنة خمس وستائة . ومات بدمشق فى ذى الحجة ، وكان فاضلا فقيها سمع الكثير وحَدَّث .

- وفيها تُوفّي الأمير جمال الدين آقوش بن عبد الله الرُّكنى المعروف بالبطاح^(٤) أحد أكابر أمراء دمشق ، عاد من تجريدة سييس مريضاً ومات بحلب ونُقِلَ إلى خِمَص فُدِنَ عند قبر خالد بن الوليد ، رضى الله عنه . والركنى : نسبة إلى أستاذه

(١) التكملة عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب وعيون التواريخ . (٢) فى المثل الصافى : « الشعراوى ... ولد بشعر من ضواحي دمشق » . (٣) فى شذرات الذهب : « من ضياع زرع » . (٤) فى الأصلين والمثل الصافى : « المعروف بالبطاخ » . وما أثبتناه عن تاريخ الإسلام وعقد الجمان .

الأمير ركن الدين بيبرس الصالحى النجيمى الذى لقي الفرنج بأرض غزّة وكسرهم ،
وهو غير الملك الظاهر بيبرس .

وفيهما تُوفى الأمير جمال الدين آقوش بن عبد الله الشهابى السلحدار ، كان أيضا
في تجريدة سيس وعاد مريضا ، وتُوفى بحماة ثم نُقل إلى دمشق ودفن عند خشدائه
أيدىكين [بن عبد الله ^(١)] الشهابى ، نسبة إلى العلوانى شهاب الدين رشيد الخادم
الصالحى الكبير وهو أستاذهما .

وفيهما تُوفى الأمير نور الدين أبو الحسن على بن عمر بن مجلى الهكاري ، كان
من أجل الأمراء وأعظمهم ، ولى نيابة حلب ، وكان حسن السيرة على الهمة
كريم الأخلاق شجاعا مقداما عارفا مدبرا معظما في الدول . مات بعد عزله عن نيابة
حلب في مرض موته باستغفائه عنها بها في شهر ربيع الآخر ودفن بها ، وقد نيف
على السبعين سنة ، رحمه الله تعالى .

وفيهما تُوفى الشيخ جمال الدين أبو زكريا يحيى بن أبي المنصور بن أبي الفتح
أبن رافع بن على الحزاني الحنبلى المعروف بأبن الصيرفى ، كان إماما فقيها عالما
مُقتنا في الفقه متبحرا فيه كثير الإفادة ، وأفتى ودرس وأنتفع به الطلبة ، ومات
في صفر .

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها تُوفى السلطان الملك
السعيد ناصر الدين محمد بن الظاهر بالكرك في ذى القعدة ، وله عشرون سنة وأشهر .
والمُسند أبو العباس أحمد بن أبى الخير سلامة بن إبراهيم الحداد الحنبلى يوم عاشوراء .
والإمام جمال الدين يحيى بن أبي المنصور بن الصيرفى الحزاني في صفر ، وله خمس

(١) زيادة من التل الصافي . وقد ذكر أنه توفى سنة ٦٩٧ هـ .

وتسعون سنة . وصنفى الدين إسماعيل بن إبراهيم الشَّقْرَاوِي . وفاطمة بنت الملك
المُحْسِن ^(١) بِزُاعَة ^(٢) .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم مت أذرع سواء . مبلغ الزيادة
ثمانى عشرة ذراعا وإصبع واحدة .

-
- (١) هو الملك المحسن أحمد ابن السلطان صلاح الدين تقدمت وفاته سنة ٦٣٤ هـ فيمن نقل المؤلف
 - وفاتهم عن الذهبي . (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٨٣ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .
-

ذكر سلطنة الملك المنصور سيف الدين قلاوون على مصر
السلطان الملك المنصور سيف الدين أبو المعالي وأبو الفتح قلاوون بن عبد الله
الأنثى التركى الصالحى النجى السابع من ملوك الترك بالديار المصرية ، والرابع من
منه الرق .

ملك الديار المصرية بعد خلع الملك السعيد وصار مدبر مملكة الملك العادل
بدر الدين سلامش إلى أن خلع سلامش وتسلطن الملك المنصور قلاوون هذا من
بعده فى حادى عشرين ، وقيل عشر شهر رجب سنة ثمان وسبعين وستمائة ، وجلس
على سرير الملك بأبهة السلطنة وشعار الملك وتم أمره . ولما استقل بالملكة أمسك
جماعة كثيرة من الممالك والأمراء الظاهرية وغيرهم ، وأستعمل مماليكه على البلاد
والقلاع ، فلم يلبث ريقه حتى خرج عليه الأمير شمس الدين سقتر الأشقر نائب دمشق ،
فإنه لما وصل إليه البريد إلى دمشق بسلطنة المنصور قلاوون فى يوم الأحد
سادس عشرى رجب ، وعلى يده نسخة عمن التحليف للأمراء والجند وأرباب الدولة
وأعيان الناس ، فأحضروا إلى دار السعادة بدمشق وحلقوا إلى الأمير سقتر الأشقر
نائب الشام ، فإنه لم يحلف ولا رضى بما جرى من خلع سلامش وسلطنة قلاوون ،

- (١) فى الأصلين : « أبو الفتح » . وما أثبتناه عن شذرات الذهب والمنهل الصاف .
(٢) هذا ما جرى عليه أكثر المصادر التى تحت يدا خلا الجوهر الثمين وبدائع الزهور ففيها :
« وجلس على تخت فى يوم الأحد ثمانى عشر رجب » .
(٣) فى الأصلين : « سادس عشر رجب » . والصواب ما أثبتناه ، لأن ولاية كانت
فى الحادى والعشرين من رجب . عن تاريخ الدول والملوك لابن القرات . (٤) دار السعادة
هى دار العدل التى أنشأها فى دمشق قريبا من باب النصر قبل قلعة دمشق الشهيد محمود بن زنكى واشتهرت
فى عصر المماليك بدار السعادة ، ونظرا لقربها من باب النصر يطلقون عليها اسم باب دار السعادة .
وموضعها اليوم قبل سوق الأروام (أفادني حضرة الأستاذ الشيخ محمد أحمد دهمان الدمشقي) . وفى آخره
الأصلين : « باب السعادة » .

فلم يلتفت أهل دمشق إلى كلامه . وخطب بجامع دمشق للملك المنصور قلاوون وجوامع الشام بأسرها خلا مواضع يسيرة توقّفوا ، ثم خطبوا بعد ذلك .

- وأما الملك المنصور قلاوون فإنه في شهر رمضان عزّل الصاحب برهان الدين السنجاري^(١) عن الوزارة بالديار المصرية ، وأمره بلزوم مدرسة أخيه قاضي القضاة بدر الدين السنجاري^(٢) بالقرافة الصغرى ، وأستقر مكانه في الوزارة الصاحب نغر الدين إبراهيم بن لقمان صاحب ديوان الإنشاء الشريف بالديار المصرية ، وتولى عيوضه صحابة الديوان القاضي فتح الدين محمد ابن القاضي محي الدين [عبد الله] بن عبد الظاهر ، وهو أوّل كاتب سرّ كان في الدولة التركية وغيرها ، وإنما كانت هذه الوظيفة في ضمن الوزارة ، والوزير هو المتصرف في الديوان ، وتحت يده جماعة من الكتاب الموقعين ، وفيهم رجل كبير كُتّاب كاتب السرّ الآن ، سُمّي في الآخر صاحب ديوان الإنشاء . ومن الناس من قال : إن هذه الوظيفة قديمة ، وأستدلّ بقول صاحب صبيح الأعشى وغيره ممن كتب للنبي ، صلى الله عليه وسلم ، ومن بعده . وردّ على من قال ذلك جماعة آخر ، وقالوا : ليس في ذكر من كتب للنبي ، صلى الله عليه وسلم ، وغيره من الخلفاء دلالة على وظيفة كتابة السرّ ، وإنما هو دليل لكلّ كاتب كتب للملك أو سلطان أو غيرهما كائناً من كان ، فكلّ كاتب كُتّب عند رجل يقول : هو أنا ذلك الكاتب ، وإذا الأمر آتَمَل وأَحْتَمَل سَقَط الاحتجاج به . ومن قال : إن هذه الوظيفة ما أحدثها إلا الملك المنصور قلاوون فهو الأصح ، وتبيّن ذلك ، إن شاء الله تعالى . في أواخر هذه الترجمة ، وتذكر من ذكره

(١) هو الصاحب برهان الدين الخضر بن الحسن المنجاوي . سيذكره المؤلف في حداث

سنة ٦٨٦ هـ . (٢) هذه المدرسة يجوز يمكن بعين موقعها الآن لا بدّ أرواح أحداث زار . في منطقها . وأما القرافة الصغرى فهي التي تعرف اليوم بجبالة الإمام النافق .

(٣) التلمذة عن المنهل الصافي وشذرات القصب وما ساقى ذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٩١ هـ .

صاحب صبيح الأعشى وغيره من النُكَّاب من عهد النبيؐ ، صلى الله عليه وسلم ، إلى يومنا هذا على سبيل الاختصار . انتهى . وقد خرجنا عن المقصود .

وأما سنقر الأشقر فإنه في يوم الجمعة رابع عشر ذي القعدة من السنة ركب من دار السعادة بدمشق بعد صلاة العَصْرِ ومعه جماعة من الأمراء والجند ، وهم رَجَالُهُ وهو راكب وحده وقصد القلعة من الباب الذي يل المدينة فهجَمَهَا بمن كان معه ، وطمعها وجلس بها من ساعته وحلَّف الأمراء والجند ومن حضر وتسلطن وتلقب « بالملك الكامل » ، ونادت المنادية في المدينة بسلطته وأستقلاله بالملك الشامية ، وفي بكرة يوم السبت خامس عشر ذي القعدة طَلَب القضاة والعلماء ورؤساء البلد وأكابرَه وأعيانه إلى مسجد أبي الدرداء ، رضى الله عنه ، بقلعة دمشق وحلَّفهم وحلَّف بقية الناس على طاعته ، ثم وجَّه العساكر في يوم الأربعاء تاسع عشر منه إلى بلاد غَزَّة لحفظ البلاد ومقلها ودَفَعَ من يأتي إليها من الديار المصرية . وخرجت سنة ثمان وسبعين وليس للـك المنصور قلاوون حكمٌ إلا على الديار المصرية وأعمالها فقط .

ولما آسَته سنة تسع وسبعين والملك المنصور سلطان مصر ، والملك الكامل شمس الدين سنقر الأشقر سلطان دمشق وما والاها ، وصاحب الكرك الملك المسعود خَضِرَ ابن الملك الظاهر بيبرس ، وصاحب حمّة والمعزة الملك المنصور ناصر الدين محمد ابن الملك تقي الدين محمود الأيوبي ، والعراق والحزيرة والموصل وإربل وأذربيجان وديابكر وخلاط ونحراسان والعجم وما وراء ذلك بيد التتار والروم ، وصاحب اليمن الملك المظفر شمس الدين يوسف بن عمر [بن علي بن رسول ^(١)] ، وصاحب مكة ، شرفها الله تعالى ، الشريف نجم الدين أبو نعيم الحَسَنِي ، وصاحب المدينة الشريفة ،

(١) في الأصلين : « رابع عشر » . والتصحيح عن تاريخ أبي الفداء . وما سيذكره المؤلف بعد قليل .

(٢) زيادة عما سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٩٤ هـ .

على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، الأمير عز الدين جمّاز بن شبيحة الحُسَيْنِي ؛
 ذكرنا هؤلاء تنبيهاً للناظر في الحوادث الآتية ، ليكون فيما يأتي على بصيرة . انتهى .
 ثم إن السلطان الملك المنصور قلاوون في أول سنة تسع وسبعين وستمائة المذكورة
 جهّز عسكرياً لغزّة ، فلما قاربوها لقيهم عسكر الملك الكامل سُنْقُرُ الأَشْقَرُ وقتلهم حتى
 نزحهم عنها ، وأنكسر العسكر المصري وقصد الرمل وأطمأن الشاميون بغزّة ونزلوا بها
 ساعة من النهار ، وكانوا في قِلّة ، فكثّر عليهم عساكر الديار المصرية ثانياً وكبسهم
 ونالوا منهم مثلاً كبيراً ، ورجّع عسكر الشام منهزماً إلى مدينة الرملة ^(١) .

وأما الملك الكامل سُنْقُرُ الأَشْقَرُ فإنه قدّم عليه بدمشق الأمير شرف الدين عيسى
 ابن مُهنّا ملك العرب بالبلاد الشرقية والشمالية ؛ ودخل على الكامل وهو على
 السّماط فقام له الكامل ، فقبل عيسى الأرض وجلس عن يمينه فوق من حضر .
 ثم وصل إلى الملك الكامل أيضاً الأمير شهاب الدين أحمد بن جحّى بن بريد ملك
 العرب بالبلاد الحجازية فأكرمه الملك الكامل غاية الإكرام .

وأما الملك المنصور لما بلغه ما وقع لعسكره بغزّة جهّز عسكرياً آخر كثيراً
 إلى دمشق لقتال الملك الكامل سُنْقُرُ الأَشْقَرُ ، ومقدّمهم الأمير علم الدين سَنَجَرُ
 الحلبي ، وخرجوا من مصر وساروا إلى جهة الشام ، فصار عسكر دمشق الذي بالرملة
 كلما تقدّم العسكر المصري منزلة تأخّر هو منزلة إلى أن وصل أوائلهم إلى دمشق
 في أوائل صفر . وفي يوم الأربعاء ثاني عشر صفر المذكور خرج الملك الكامل
 من دمشق بنفسه بجميع من عنده من العساكر ، وضرب دِهْلِيْزَه بِالْجُسُورَةِ وخيم هناك

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ١١ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

(٢) في الأصلين وما سبّق ذكره للزّلف في حوادث سنة ٦٨٢ هـ : « ابن يزيد » والتصحيح عن
 المنهل الصافي وحيون التواريخ وتاريخ الإسلام . (٣) الجسورة : موضع بظاهر دمشق .

بجميع الجيش، واستخدم المالِك وأنفق الأموال، وجمع خلقاً عظيماً وحضر عنده
عرب الأميرين : ابن مَهَنَّا وابن جَمِيٍّ ونَجْدَةُ حلب ونَجْدَةُ حماة، مقبلاً عليهما الملك
الأفضل نور الدين على أخو صاحب حماة، ورجالة كثيرة من جبال بعلبك، ورتب
العساكر والأطلاب بنفسه وصف العساكر مِثْمَةً ومِيسَرَةً ووقف هو تحت عصائبه،
وسار العسكر المصري أيضاً بترتيب هائل وعساكر كثيرة، والأطلاب أيضاً مُرْتَبَةً،
والتقى الجيشان في يوم الأحد [سادس عشر صفر^(١)] وقت طلوع الشمس في المكان
المذكور وتقاتلا أشد قتال، وثبت كل من الطائفتين شباناً لم يُسمع بمثله إلا نادراً
لاستقامت الملك الكامل سُقْرُ الأشقر، فإنه ثبت وقايل بنفسه قتالاً شديداً، واستمر
المصائب بين الطائفتين إلى الرابعة من النهار ولم يُقتل من الفريقين إلا نفر يسير جداً،
وأما الجراح فكثيرة . فلما كانت الساعة الرابعة من النهار خامر أكثر عسكر دِمَشْقِ
على الملك الكامل سُقْرُ الأشقر وغدروا به وأنضافوا إلى العسكر المصري، وكان
لما وقع العين على العين قبل أن يلتحم القتال أنهزم عساكر حماة وتحاذل عسكر الشام
على الكامل، فمنهم : من دخل بساتين دِمَشْقِ وأخفى بها، ومنهم من دخل دِمَشْقِ
راجعاً، ومنهم من ذهب إلى طريق بعلبك، فلم يلتفت الملك الكامل لمن ذهب منه
من العساكر وقايل، فلما أنهزم عنه من ذكرنا في حال القتال ضُغِفَ أمره ومع هذا
استمر يقاتل بنفسه ومماليكه إلى أن رأى الأمير عيسى بن مَهَنَّا الهزيمة على الملك
الكامل أخذه ومضى به إلى الرُّحْبَةِ^(٢)، وأنزله عنده ونصب له بيوت الشعر .
وأما الأمير شهاب الدين أحمد بن جَمِيٍّ فإنه دخل إلى دِمَشْقِ بالأمان، ودخل
في طاعة الملك المنصور قلاوون .

(١) زيادة من عيون التواريخ والذيل على مرآة الزمان

(٢) عبارة عن ذيل مرآة الزمان وتاريخ الإسلام . « وعند ما وقعت العين على العين ... الخ » .

(٣) يريد رحمة مالك بن طوق، كما في ذيل مرآة الزمان .

وأما عساكر الشام فإنهم اجتمعوا على القصب من عمل جِصص، ثم عاد أكثر الأمراء إلى جهة دِمَشق وطلبوا الأمان من مقدم العساكر المصرية الأمير عَلم الدين سَنَجَر الحَلَبِيّ .

- وأما العساكر المصرية فإنهم ساقوا من وقتهم إلى مدينة دِمَشق وأحاطوا بها، ونزلوا بنحيمهم ولم يتعرضوا للزحف، وراسلوا مَنْ بالقلعة إلى العَصْر من ذلك النهار، وفتح من المدينة بابُ الفرج ودخل منه إلى دِمَشق بعضُ مقدمي الجيش؛ ثم طلب مَنْ بالقلعة الأمان فأتتهم سَنَجَر الحَلَبِيّ، ففتحت القلعة فدخلوا إليها من الباب الذي داخل المدينة وتسلّموها بالأمان وأفرجوا عن جماعة كثيرة من الأمراء وغيرهم، كان أعقلهم سُنُقُر الأشقر، منهم : الأمير ركن الدين بِيْبَرَس العَجَمِيّ^(١) المعروف بالخالق، والخالق : أَسَم للفرس الحدّ المزاج باللغة التركية، والأمير حُسام الدين لاجين المنصوريّ^(٢)، والقاضي تقي الدين توبة التكريتي وغيرهم .
- وكتب الأمير علم الدين سَنَجَر الحَلَبِيّ بالنصر إلى الملك المنصور قلاوون فسُر المنصور بذلك، ودقت البشائر لذلك أياما بالديار المصرية وزينت القاهرة ومصر .

- وأما سَنَجَر الحَلَبِيّ فإنه لما ملك دِمَشق وقلعتها جهز في الحال قطعة جيدة من الجيش المصريّ تُقارب ثلاثة آلاف فارس في طلب سُنُقُر الأشقر ومن معه من الأمراء والجند . ثم حضر جواب الملك المنصور قلاوون بسرعة يتضمّن : بأننا قد عَقَوْنَا عن جميع الناس الخاص والعام أرباب السيوف والأقلام ، وأمتناهم على أنفسهم وأهليهم وأموالهم ؛ وحضر التشريفُ للأمير حُسام الدين لاجين المنصوريّ

(١) سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٥٧٠٧ هـ . (٢) هو حُسام الدين لاجين بن عبد الله المنصوري الذي تسلطن على الديار المصرية بعد سلطنة الناصر محمد بن قلاوون الأولى كما سيأتي في الجزء الثامن من هذه الطبعة ، إن شاء الله تعالى . (٣) هو التقي صاحب الكبير أبو البقاء توبة ابن علي بن مهابر التكريتي ويعرف بالبيع . سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٩٨ هـ .

السَّلْحَدَار بِنَابَة دِمَشْق، فَلَيْسَ الْخَلْمَة وَقَبْلَ الْأَرْض؛ ثُمَّ أُرْدِفَ الْأَمِيرُ سَنْجَرُ الْحَلِجَةِ الْعَسْكَرَ الَّذِي كَانَ تَوَجُّهُ لِقِتَالِ سُنُقُرُ الْأَشْقَرِ بِعَسْكَرِ آتَر، مُقَدِّمَهُ الْأَمِيرَ عِزَّ الدِّينِ الْأَفْرَمَ، فَلَحِقَ بِمَنْ كَانَ تَوَجُّهُ قَبْلَهُ وَسَارَ الْجَمِيعُ فِي طَلَبِ سُنُقُرِ الْأَشْقَرِ. فَلَمَّا بَلَغَ سُنُقُرُ ذَلِكَ رَحْلَ عَن عِيْسَى بْنِ مُهَنَّأ وَتَوَجُّهُ فِي الْبَرِّيَّةِ إِلَى الْحَصُونِ الَّتِي كَانَتْ بَقِيَّتْ فِي يَدِ تُوَابِهِ، فَتَحَصَّنَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ بِهَا فِي أَوَانِرِ الشَّهْرِ الْمَذْكُورِ وَهِيَ: صِهْيُونُ، كَانَ بِهَا أَوْلَادُهُ وَخَزَائِنُهُ وَدَخَلَهَا هُوَ أَيْضًا، وَبَلَا طُلُسَ وَحَصَنَ بُرْزِيَّةَ وَحَصَنَ عَكَارَ^(١) وَجَبَلَةَ وَاللَّادِيقِيَّةَ وَغَيْرَهَا؛ ثُمَّ عَادَتِ الْعَسَاكِرُ إِلَى دِمَشْق وَتَرَدَّدَتِ الرُّسُلُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ سُنُقُرِ الْأَشْقَرِ.

وَبَيْنَمَا هُمْ فِي ذَلِكَ وَرَدَتِ الْأَخْبَارُ فِي أَوَائِلِ جُمَادَى الْآخِرَةِ أَنَّ التَّارَ قَصَدُوا الْبِلَادَ الشَّامِيَّةَ، فَخَرَجَ مَنْ كَانَ بِدِمَشْقَ مِنَ الْعَسَاكِرِ الشَّامِيَّةِ وَالْمِصْرِيَّةِ، وَمُقَدِّمُهُمُ الْأَمِيرُ رُكْنُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمَ^(٢)، وَلَحِقَهُمُ الْعَسَاكِرُ الَّذِينَ كَانُوا فِي طَلَبِ سُنُقُرِ الْأَشْقَرِ، وَنَزَلَ الْجَمِيعُ بِظَاهِرِ حِمَاةٍ؛ وَكَانُوا كَاتِبُوا الْمَلِكَ الْمَنْصُورَ قَلَاوُونَ يَحْيَى التَّارَ. فَفَهَزَ إِلَيْهِمْ فِي الْحَالِ عَسْكَرًا عَلَيْهِ الْأَمِيرُ بَدْرُ الدِّينِ بَكْكَاشُ النَّجْمِيِّ، فَلَحِقَ بِهِمُ الْأَمِيرُ بَكْكَاشُ الْمَذْكُورُ^(٣) بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْعَسْكَرِ الْمِصْرِيِّ، وَاجْتَمَعَ الْجَمِيعُ عَلَى حِمَاةٍ وَأَرْسَلُوا كَشَافَةً فِي الْعِشْرِ الْأَوْسَطِ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ إِلَى بِلَادِ التَّارِ. هَذَا وَقَدْ جَفَلَ غَالِبُ مَنْ بِالْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ وَنَعَرَجُوا عَنْ دُورِهِمْ وَمَنَازِلِهِمْ وَلَمْ يَبْقَ هُنَاكَ إِلَّا مَنْ عَجَزَ عَنِ الْحَرَكَةِ. وَكَانَ سَبَبُ حَرَكَةِ التَّارِ أَنَّهُمْ لَمَّا سَمِعُوا اخْتِلَافَ الْكَلِمَةِ، وَظَنُّوا أَنَّ

(١) فِي الْأَصْلَيْنِ: «عَكَارَ». وَتَصْحِيحُهُ عَنْ عِيُونِ التَّوَارِيخِ وَعَقْدِ الْجَمَانِ وَالْمَذِيلِ عَلَى مَرَأَةِ الزَّمَانِ، وَرَاجِعِ الْحَاشِيَةِ رَقْمَ ٣ ص ١٥١ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ. (٢) لَقِبَهُ الْمُؤَلِّفُ فِي الْمَثَلِ الصَّافِي: «سَيْفُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمَ» وَذَكَرَ أَنَّ وَفَاتَهُ سَنَةَ ٦٨٦ هـ. (٣) هُوَ بَكْكَاشُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْفَخْرِيِّ النَّجْمِيِّ الْأَمِيرُ بِدْرُ الدِّينِ أَمِيرُ سِلَاحِ كَانِ مُقَدِّمُ الْعَسَاكِرِ الْمِصْرِيَّةِ. سَيَذْكُرُ الْمُؤَلِّفُ وَفَاتَهُ سَنَةَ ٧٠٦ هـ. وَالْفَخْرِيُّ: نِسْبَةً إِلَى نَخْرَ الدِّينِ بْنِ الشَّيْخِ، كَافِي فِي الدَّرَجَةِ الْكَامَةِ وَالْمَثَلِ الصَّافِي وَمَا سَيَذْكُرُهُ الْمُؤَلِّفُ.

- سُتَقْرَ الأشقر بمن معه يَتَفَقَّ معهم على قتال الملك المنصور قلاوون . فأرسل أمراء
العساكر المصرية إلى سقتر الأشقر يقولون له : هذا العدو قد دَهَمَنَا وما سببه
إلا الخُلُفَ بيننا ! وما ينبغي هلاك الإسلام ، والمصلحة أنَّا نجتمع على دَفْعِهِ ؛ فامتثل
سقتر ذلك وأَنْزَلَ عسكره من صِهْيُونِ وأَمَرَ رَفِيقَهُ الْحَاجَّ أَزْدَمْرُ أن يفعل كذلك
من شِيزَر ، وَخَيَّمَتْ كُلَّ طَائِفَةٍ تَحْتَ قَلْعَتِهَا ، ولم يجتمعوا بالمصريين ، غير أنهم
اتَّفَقُوا على أَجْتِمَاعِ الْكَلِمَةِ وَدَفْعِ الْعَدُوِّ الْمَخْذُولِ عَنْ الشَّامِ ؛ وَأَسْتَمَرُّوا عَلَى ذَلِكَ إِلَى يَوْمِ
الْجُمُعَةِ حَادِي عَشْرِينَ بِجُمَادَى الْآخِرَةِ . وَصَلَ طَائِفَةٌ كَبِيرَةٌ مِنْ عَسَاكِرِ التَّارِ إِلَى حَلَبَ
وَدَخَلُوهَا مِنْ غَيْرِ مَانَعٍ يَمْنَعُهُمْ عَنْهَا ، وَأَحْرَقُوا الْجَوَامِعَ وَالْمَسَاجِدَ وَالْمَدَارِسَ الْمُعْتَبَرَةَ
وَدَارَ السُّلْطَنَةِ وَدُورَ الْأَمْرَاءِ ، وَأَسَدَوْا إِفْسَادًا كَبِيرًا عَلَى عَادَةِ أَفْعَالِهِمُ الْقَبِيحَةِ ، وَأَقَامُوا
بِهَا يَوْمَيْنِ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ ؛ ثُمَّ رَحَلُوا عَنْهَا فِي يَوْمِ الْأَحَدِ ثَالِثَ عَشْرِينَ رَاجِعِينَ
إِلَى بِلَادِهِمْ بَعْدَ أَنْ تَقَدَّمَتْهُمْ الْغَنَائِمُ الَّتِي كَسَبُوهَا وَكَانَ شَيْئًا كَثِيرًا . وَكَانَ سَبَبُ
رَجُوعِهِمْ لَمَّا بَلَغَهُمْ اتَّفَاقُ الطَّائِفَتَيْنِ عَلَى قِتَالِهِمْ ؛ وَقِيلَ فِي رَجُوعِهِمْ وَجْهٌ آخَرُ ،
وَهُوَ أَنَّ بَعْضَ مَنْ كَانَ آسِئْرًا بِحَلَبَ يَتَنَسَّيْ عَنْ نَفْسِهِ مِنَ الْحَيَاةِ ؛ فَطَلَعَ مِنْارَةُ الْجَامِعِ
وَكَبَّرَ بِأَهْلِ صَوْتِهِ عَلَى التَّارِ ، وَقَالَ : جَاءَ النَّصْرُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَأَشَارَ بِمَنْدِيلٍ كَانَ مَعَهُ
إِلَى ظَاهِرِ الْبَلَدِ ، وَأَوْهَمَ أَنَّهُ أَشَارَ بِهِ إِلَى عَسْكَرِ الْمُسْلِمِينَ ، وَجَعَلَ يَقُولُ فِي خِلَالِ
ذَلِكَ : اقْبِضُوهُمْ مِنَ الْبُيُوتِ مِثْلَ الْفَسَاءِ ! فَتَوَهَّمِ التَّارُ مِنْ ذَلِكَ وَخَرَجُوا مِنَ الْبَلَدِ
عَلَى وَجْهِهِمْ وَسَلِمَ الَّذِي فَعَلَ ذَلِكَ .

وَأَمَّا سُقْرُ الْأَشْقَرُ فَإِنَّ جَمَاعَةً مِنْ لَأَمْرَاءِ وَالْأَعْيَانِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ قَرُّوا إِلَى
الْعَسْكَرِ الْمِصْرِيِّ وَدَخَلُوا تَحْتَ طَاعَةِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ قَلَاوُونِ .

(١) في ذيل امرأة الزمان : « ينس من الحياة » .

وأما الملك المنصور قلاوون فإنه لما طال عليه أمر سُقِرَ الأشقر وأمرُ التتار
 جَمَعَ أعيان مملكته في هذا الشهر بقلعة الجبل ، وجعل ولده الأمير علاء الدين علياً^(١)
 ولياً عهده ، ولقبه « الملك الصالح » ، وخطب له على المنابر . ثم تجهَّز السلطان وخرج
 من الديار المصرية بعساكره ، وسار حتى وصل إلى غزّة بَلَّغَهُ رجوع العدو المخذول ،
 فأقام بالرَّمْلَة وتوقّف عن التوجه إلى دمشق لعدم الحاجة إلى ذلك ، وقصد تخفيف
 الوطأة عن البلاد وأهلها . ثم رحل يوم الخميس عاشر شعبان راجعاً من الرَّمْلَة إلى
 الديار المصرية ، فدخلها وأقام بها أقل من أربعة أشهر . ثم بدأ له التوجه إلى الشام
 ثانياً ، فتجهَّز وتجهَّزت عساكره وخرج بهم من مصر في يوم الأحد مستهل ذي الحجة
 قاصداً الشام ، وترك ولده الملك الصالح علياً يباشر الأمور عنه بالديار المصرية .
 وسار الملك المنصور قلاوون حتى وصل إلى الرُّوحَاء من عمل الساحل ، ونزل عليها
 في يوم الثلاثاء سابع عشر ذي الحجة ، وأقام قبالة عكا ، فراسلته الفرنج من عكا
 في تجديد الهدنة ، فإنها كانت آنقضت مدتها ، وأقام بهذه المنزلة حتى آسَتهَلَتْ
 سنة ثمانين وستمائة رحل عنها يوم الخميس عاشر المحرم . ونزل الجُّبُون^(٢) ، وحضر رُسل
 الفرنج بها بحضرة الأمراء ، وسمعوا رسالة الفرنج ، فاستشارهم السلطان فحصل الاتفاق
 على الهدنة ، وحلّف لهم الملك المنصور على الصورة التي وقع الاتفاق عليها ،
 وأنبَرَمَ الصلح وأنعقدت الهدنة في يوم الأحد ثالث عشر المحرم . ثم قبض الملك
 المنصور على الأمير كَوْنْدُك الظاهري^(٣) وعلى جماعة من الأمراء الظاهرية لمصلحة
 اقتضاها الحال ، وعند قبضهم هرب الأمير سيف الدين بلبان الهاروني ومعه

(١) في عقد الجمان وبدائع الزهور لابن إياس : « نور الدين » . وسيدكره المؤلف في وفيات

سنة ٦٨٧ هـ . باسم علاء الدين . (٢) الجبون : بـاء بالأردن ، بينه وبين طبرية عشرون ميلاً ،

وإلى الرملة مدينة فلسطين أربعون ميلاً (عن معجم البلدان لياقوت) .

(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٦٦ من هذا الجزء .

جماعة وقصدوا صهيون إلى عند سنقر الأشقر، وركبت الخيل في طلبهم فلم يدركوهم،
ثم هرب الأمير أَيْتَش السَّعْدِي أيضا ومعه جماعة إلى صهيون من منزلة خربة^(١)
القصوص .

- ثم سار الملك المنصور إلى دِمَشق فدخلها في يوم السبت تاسع عشره، وأقام
بِدِمَشق إلى أن قَدِم عليه في صفر الملك المنصور محمد صاحب حَمَاة، ففرج الملك
المنصور قلاوون لتلقيه وأكرمه . ثم ترددت الرسل بين السلطان الملك المنصور
قلاوون وبين سُنْقَر الأشقر في تقرير قواعد الصلح . فلما كان يوم الأحد رابع شهر
ربيع الأول من سنة ثمانين وستمائة وصل من جهة سنقر الأشقر الأمير علم الدين
سُنْجَر الدَّوْدِيَّارِي^(٢) ومعه خازن دار سُنْقَر الأشقر في معنى الصلح والوقوف على اليمين،
فخلف الملك المنصور قلاوون يوم الاثنين خامسه، ونادت المناديه في دِمَشق
بانتظام الصلح واجتماع الكلمة، فراجع رسل سُنْقَر الأشقر ومعهم الأمير نغرا الدين^(٣)
اياز المُقَرِّي ليحضر يمين سُنْقَر الأشقر؛ فخلفه وعاد إلى دِمَشق يوم الاثنين ثاني
عشره، فضربت البشائر بالقلعة وسر الناس بذلك غاية السرور . وصورة ما انتظم
الصلح عليه أن سُنْقَر الأشقر يرفع يده عن شِيزر ويسلمها إلى نواب الملك المنصور
قلاوون، وعوضه قلاوون عنها فامية وكفَرطاب وأنطاكية والسويدية وبكاس^(٤)
ودر كوش بأعمالها كلها وعدة ضياع معروفة، وأن يُقيم على ذلك، وعلى ما كان
استقر بيده عند الصلح، وهو صهيون وبلاطنس وحصن برزة وجبله واللاذقية

(١) راجع الحاشية رقم ٦ ص ٣٠٦ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

(٢) في الأصلين هنا : « المراداري » . والصحيح عما تقدم ذكره للؤلؤ في ترجمة العادل

سلامش، وذيل مرآة الزمان في غير موضع وعقد الجمان . (٣) هو ايازين عبد الله الصالحى

النجمي الأمير نغرا الدين المعروف بالمُقَرِّي . توفي سنة ٦٨٧ هـ . (عن المهمل الصافي وتاريخ الإسلام) .

(٤) السويدية : من بلاد الشام على ساحل البحر الأبيض، وهي ميناء لأنطاكية (راجع تقويم البلدان

لأبي الفدا إسماعيل) .

بسمائة فارس، وأنه يُسَلَّم الأمر إلى الملك المنصور قلاوون؛ وخُوطِبَ سُتْقَرُ الأشقر في مكاتباته «بالمَقَرَّ العالى المولوى السَّيِّدىِّ العالمىِّ العادلىِّ الشمسىِّ» ولم يُصرَح في مخاطباته بالملك ولا بالأَمير، وكان يُخاطَب قبل ذلك في مكاتباته من الملك المنصور قلاوون إلى الجناب العالى الأميرى الشمسىِّ . انتهى .

وبينا السلطان في ذلك ورَدَ عليه مجىء التَّار إلى البلاد الشامية وهو بِدِمَشق،
 قهياً لقتالهم وأرسل يطلب العساكر المصرية، وبعد قليل حضرت عساكر مصر
 إلى دِمَشق وأجتمعت العساكر عند السلطان، ولم يتأخر أحدٌ من التُّرُكَّان والعُرُبَّان
 وسائر الطوائف . ووصل الخبرُ بوصول التَّار إلى أطراف بلاد حلب، فغلت حلب
 من أهلها وجُنْدُها ونزحوا إلى جهة حَمَّاء وخمَّص، وتركوا الغلال والحواصل والأمتعة،
 وخرجوا جرائد على وجوههم؛ ثم ورد الخبرُ بوصول مَنكُوتُمر بن هولاء كَوَملِك التَّار
 إلى عَمَّتاب وما جاورها في يوم الأحد سادس عشرين جُمادى [الآخرة] فخرج
 الملك المنصور قلاوون بعساكره في يوم الأحد المذكور وخيَّم بالمَرَج، ووصل
 التَّار إلى بَغْراس، فقَدَّم الملك المنصور عسكره أمامه، ثم سافر هو بنفسه في سَلْع
 جُمادى الآخرة المذكور، وسار حتى نزل السلطان بعساكره على حِمَّص في يوم الأحد
 ثالث عشرين شهر رجب، وراسل سُتْقَرُ الأشقر بالحضور إليه بمن معه من الأمراء
 والعساكر، وكذلك الأمير أَيْتَمُش السَّعْدَىِّ الذى كان هَرَبَ من عند السلطان
 لما قبض على الأمراء الظاهرية؛ فأتمثل سُتْقَرُ الأشقر أمر السلطان بالسمع
 والطاعة وركب من وقته بجماعته، وحضَّر إلى عند الملك المنصور قلاوون،
 وأستحلفه لأَيْتَمُش السَّعْدَىِّ يمينا ثانية ليزداد طمأنينةً، ثم أحضره وتكامل حضورهم

(١) الزيادة مما بينهم من الذيل على مرآة الزمان والتوفيقات الإلهامية وما سيذكره المؤلف بعد

قليل . (٢) في ذيل مرآة الزمان : « ثالث شهر رجب » .

عند السلطان ، وعامل السلطان سُتْقِرَ الأشقرَ بالاحترام التام والخدمة البالغة والإقامات العظيمة والزواتب الجلييلة . وشرعت التتار تتقدم قليلاً قليلاً بخلاف عاداتهم ، فلما وصلوا حماة أفسدوا بنواحيها ، وشعثوا وأحرقوا بُستان الملك المنصور صاحب حماة وجوسقته وما به من الأبنية . واستمر عسكر السلطان بظاهر حمص على حاله إلى أن وصلت التتار إليه في يوم الخميس رابع عشر شعبان ، فركب الملك المنصور ٥ بساكره وصافف المدو ، وألقى الجمعان عند طلوع الشمس ، وكان عدد التتار على ما قيل مائة ألف فارس أو يزيدون ، وعسكر المسلمين على مقدار النصف من ذلك أو أقل ، وتواقعوا من صفوة النهار إلى آخره ، وعظم القتال بين الفريقين وثبت كل منهم .

قال الشيخ قطب الدين البويني : « وكانت وقعة عظيمة لم يشهد مثلها ١٠ في هذه الأزمان ولا من سنين كثيرة ، وكان الملتقى فيما بين مشهد خالد بن الوليد ، رضى الله عنه ، إلى الرستن^(١) والماصى ، واضطربت مئينة المسلمين ، وتحملت التتار على ميسرة المسلمين فكسروها وأنهزم من كان بها ، وكذلك أنكسر جناح القلب الأيسر وثبت الملك المنصور سيف الدين قلاوون ، رحمه الله تعالى ، في جمع قليل بالقلب ثباتاً عظيماً ، ووصل جماعة كثيرة من التتار خلف المنكسرين من المسلمين ١٥ إلى بحيرة حمص ، وأحرق جماعة من التتار حمص ، وهى مغلقة الأبواب ، وبذلوا نفوسهم وسيوفهم فيمن وجدوه من العوام والسوقة والغلمان والرجال المجاهدين بظاهرها ، فقتلوا منهم جماعة كثيرة ، وأشرف الإسلام على خطلة صعبة اثم إن أعيان الأمراء ومشاهيرهم وشجعانهم : مثل سُتْقِرَ الأشقر المتقدم ذكره ، وبدر الدين بيسرى ،

٢٠ (١) الرستن : بلدة قديمة بين حماة وحمص في نصف الطريق ، بها آثار باقية إلى الآن تدل على جلالها ، وهى خراب ليس بها ذررى ، وهى في علو تشرف على الماصى (عن معجم البلدان لياقوت) .

وعلم الدين سَنَجَر الدَّوَيْدَارِيّ، وعلاء الدين طَيْرَس الوَزِيرِيّ، وبدر الدين بيليك أمير سلاح، وسيف الدين أَيْمَش السَّعْدِيّ، وحُسام الدين لاجين المنصوريّ، والأمر حُسام الدين طُرُنْطَاي وأمثالهم لَمَّا رَأَوْا ثبات السلطان رَدُّوا على التَّار وحمَلوا عليهم حَمَلَات حَتَّى كَسَرُوهم كَسْرَةً عَظِيمَةً، وَجُرَحَ مَنُكُوْتُمُ مَقْدَمِ التَّار، وَجَاءهم الأَمِير شَرَفُ الدِّين عِيسَى بْنُ مُهَنَّا فِي عَصِيهِ عَرَضًا فَتَمَّتْ هَزِيمَتُهُمْ، وَقَتَلُوا مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً تُجَاوِزُ الْوَصْفَ، وَاتَّفَقَ أَنَّ مَيْسِرَةَ الْمُسْلِمِينَ كَانَتْ أَنْكَسَرَتْ كَمَا ذَكَرْنَا، وَالْمَيْمَنَةُ سَاقَتْ عَلَى الْعَدُوِّ وَلَمْ يَبْقَ مَعَ السُّلْطَانِ إِلَّا النَّفَرُ الْبَسِيرُ، وَالْأَمِيرُ حُسامُ الدِّينِ طُرُنْطَاي قُدَّامَهُ بِالسَّنَاقِقِ، فَعَادَتْ الْمَيْمَنَةُ الَّذِينَ كَسَرُوا مَيْسِرَةَ الْمُسْلِمِينَ فِي خَلْقٍ عَظِيمٍ وَمَرَّوْا بِهِ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ النَّفَرِ تَحْتَ السَّنَاقِقِ (بَعْنَى الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ قَلَاوُونَ) وَالْكُوسَاتِ تَضْرِبُ. قَالَ: وَلَقَدْ مَرَرْتُ بِهِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ وَمَا حَوْلَهُ مِنَ الْمَقَاتِلَةِ أَلْفَ فَارِسٍ إِلَّا دُونَ ذَلِكَ، فَلَمَّا مَرَّوْا بِهِ (بَعْنَى مَيْمَنَةِ التَّارِ الَّتِي كَانَتْ كَسَرَتْ مَيْسِرَةَ الْمُسْلِمِينَ) ثَبَتَ لَهُمْ ثَبَاتًا عَظِيمًا، ثُمَّ سَاقَ عَلَيْهِمْ بِنَفْسِهِ فَأَنْهَزُوا أَمَامَهُ لَا يَلُوتُونَ عَلَى شَيْءٍ، وَكَانَ ذَلِكَ تَمَامَ النَّصْرِ؛ وَكَانَ أَنْهَزَامُهُمْ عَنْ آخِرِهِمْ قَبْلَ الْغُرُوبِ، وَأَقْرَقُوا فَرَقَتَيْنِ: فَرَقَةً أَخَذَتْ جِهَةً سَلْمِيَّةً وَالْبَرِّيَّةَ، وَفَرَقَةً أَخَذَتْ جِهَةً حَلَبَ وَالْقُرَاتِ. وَلَمَّا أَقْتَضَى الْحَرْبُ فِي ذَلِكَ النَّهَارِ عَادَ السُّلْطَانُ إِلَى مَنَزَلِهِ، وَأَصْبَحَ بُكَرَةً يَوْمَ الْجُمُعَةِ سَادِسَ عَشَرَ رَجَبَ جَهَّزَ السُّلْطَانُ وَرَاءَهُمْ جَمَاعَةً كَثِيرَةً مِنَ الْعَسْكَرِ وَالْعُرْبَانِ، وَمَقْدَمُهُمُ الْأَمِيرُ بَدْرُ الدِّينِ يَلِيكُ الْأَيْدَمَرِيّ، وَكَانَ لَمَّا لَاحَتِ الْكُسْرَى عَلَى الْمُسْلِمِينَ

(١) هو طُرُنْطَاي بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَنْصُورِيّ الْأَمِيرُ حُسامُ الدِّينِ أَبُو سَعِيدٍ. تَوَفَّى سَنَةَ ٦٩٩ هـ (عَنْ الْمَنْهَلِ الصَّافِي). (٢) فِي الْأَصْلَيْنِ: فِي «حَرْبِهِ». وَمَا أُنْبِئْنَا عَنْ ذَيْلِ مَرَاةِ الزَّمَانِ وَمَا يَفْهَمُ مِنْ عِبَارَةِ عَقْدِ الْجُلُحَانِ وَعَيُونِ التَّوَارِيخِ. (٣) كَذَا فِي الْأَصْلَيْنِ وَذَيْلِ مَرَاةِ الزَّمَانِ الَّذِي قُلَّ عَنْهُ الْمُؤَلَّفُ. وَلَعَلَّ صَوَابَهُ: «أَوْ دُونَ ذَلِكَ». (٤) فِي الْأَصْلَيْنِ: «سَادِسَ عَشَرَ شَبَانَ». وَتَصْحِيحُهُ عَنْ ذَيْلِ مَرَاةِ الزَّمَانِ وَالتَّوْفِيقَاتِ الْإِلَهَامِيَّةِ، وَمَا يَفْهَمُ مِنْ عِبَارَةِ عَيُونِ التَّوَارِيخِ وَعَقْدِ الْجُلُحَانِ.

نُهِبَ لَهُمُ مِنَ الْأَقَشَةِ وَالْأَمْتَةِ وَالْخَزَائِنِ وَالسَّلَاحِ مَا لَا يُحْصَى كَثْرَةً ، وَذَهَبَ ذَلِكَ كُلُّهُ أَخَذَتْهُ الْحَرَاثَةُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِثْلَ الْغُلَّانِ وَغَيْرِهِمْ . وَكُتِبَتْ الْبَشَائِرُ بِهَذَا النُّصْرِ الْعَظِيمِ إِلَى سَائِرِ الْبِلَادِ ، وَحَصَلَ لِلنَّاسِ السَّرُورُ الَّذِي لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ ، وَعُمِلَتِ الْقِلَاعُ^(٢) وَزُيِّنَتِ الْمُدُنُ » .

- وأما أهل دمشق فإنه كان ورد عليهم الخبر أولاً بكسرة المسلمين ، ووصل إليهم جماعة ممن كان أنهرهم ؛ فلما بلغهم النصر كان سرورهم أضعاف سرور غيرهم .
- وكان أهل البلاد الشامية من يوم خرج السلطان من عندهم إلى مُتَقَى التَّسَارُومِ يدعون الله تعالى في كل يوم ويتهللون إليه ، وخرج أهل البلاد بالنساء والأطفال إلى الصَّحَارَى وَالْجَوَامِعِ وَالْمَسَاجِدِ ، وَكَثُرُوا مِنَ الْإِبْتِهَالِ إِلَى اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ، فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ لَا يَقْتُرُونَ عَنْ ذَلِكَ حَتَّى وَرَدَ عَلَيْهِمْ هَذَا النُّصْرُ الْعَظِيمُ وَهُوَ الْحَمْدُ ،
- ١٠ • وَطَابَتْ قُلُوبُ النَّاسِ ، وَرَدَّ مَنْ كَانَ نَزَحَ عَنْ بِلَادِهِ وَأُوطَانِهِ وَأَطْمَأَنَّ كُلُّ أَحَدٍ وَتَضَاعَفَ شُكْرُ النَّاسِ لَذَلِكَ . وَقُتِلَ فِي هَذِهِ الْوَقْعَةِ مِنَ التَّارِمَالِ يُحْصَى كَثْرَةً ؛ وَكَانَ مَنْ اسْتَشْهِدَ مِنْ عَسْكَرِ الْمُسْلِمِينَ دُونَ الْمَسَائِتِينَ عَلَى مَاقِيلٍ ؛ وَمَنْ قُتِلَ الْأَمِيرُ الْحَاجُّ أَزْدَمُرُ ، وَسَيْفُ الدِّينِ بَلْبَانَ الزُّومِي ، وَشِهَابُ الدِّينِ تُوْتَلِ الشَّهْرُزُورِي ، [وَنَاصِرُ الدِّينِ بْنِ جَمَالِ الدِّينِ الْكَامِلِي] ، وَ[عَزَّ الدِّينُ بْنُ النُّصْرَةِ] مِنْ بَيْتِ الْأَنْبَاكِ صَاحِبُ
- ١٥ • الْمَوْصِلِ وَكَانَ أَحَدَ الشُّجْعَانِ الْمُفْرِطِينَ فِي الشَّجَاعَةِ ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى أَجْمَعِينَ .

(١) الحرافشة ، جمع حرفوش وهو ذئب الخلق والخلق « عن دوزي مادة حرفش » .

(٢) لعلها : « وزينت القلاع والمدن » كما يفهم من سياق كلام اليوناني في الدليل .

(٣) كذا في الأصلين وتاريخ الإسلام . وفي ذيل امرأة الزمان والوافي بالوفيات : « نوبل » .

٢٠ • بالباء بدل التاء الثانية . (٤) تكللة عرب تاريخ الإسلام .

(٥) في الأصلين : « ابن بنت الأنابك » . والتصحيح والزيادة عن ذيل امرأة الزمان .

ثم إن السلطان آنتقل من منزله بظاهرٍ حِصص إلى البحيرة التي بنحس ليعبد
 عن الحيف ، ثم توجه عائداً إلى دِمَشق فدخلها يوم الجمعة الثاني والعشرين من
 شعبان قبل الصلاة ، وخرج الناس إلى ظاهر البلد للقائه ، فدخل دِمَشق وبين يديه
 جماعة من أَسْرَى التَّار وبأيديهم رِمَاحٌ عليها رموسُ القَتْلِ من التَّار ، فكان يوماً
 مشهوداً . ودخل السلطان الشام وفي خدمته جماعةٌ من الأعيان ، منهم : سُفَرُ
 الأشقر الذي كان تسليطن وتلقب بالملك الكامل ، وأَيْمَنُ السعدى ، و[الأمير
 علم الدين سَنَجَر] الدَّوَيْدَارِي ، وبلبان الجاروني ، ثم قَدِمَ بعد ذلك [الأمير بدر الدين]^(١)
 الأيدِمَرِي بمن معه من العسكر عائداً من نَجْع التَّار بعد ما أَتَى فيهم نكايَةٌ عظيمة ،
 ووصل إلى حلب وأقام بها ، وسيراً أكثر من معه يتبعونهم ، فهلك من التَّار خلقٌ
 كثير غير قوا بالفرات عند عُبورهم . وعند ما عَدَوْهُ نَزَلَ إليهم أهلُ البيرة فقتلوا منهم
 مقلَّةً عظيمة وأَسْرَوْا منهم جمعاً كثيراً ، وتفرقَ جَمْعُ التَّار وأخذت أموالهم .
 وأقام السلطان بِدِمَشق إلى ثاني شهر رمضان خرج منه عائداً إلى الديار المصرية ،
 وخرج الناس لوداعه مُبتهلين بالدعاء له ، وسار حتى دخل الديار المصرية يوم
 ثاني عشرين الشهر بعد أن أَحْتَفَلَ أَهْلُ مصر لملاقاته ، وزُيِّنَت الديار المصرية
 زينة لم يَرِ مثلها من مدة سنين ، وعُمِلَت بها القلاع ، وشقَّ القاهرة في مروره إلى
 قلعة الجبل حتى طَلَعَ إليها ؛ فكان هذا اليوم من الأيام المشهودة ، وتضاعف سرورُ
 الناس بسلامته وبنصر المسلمين على العدو المخذول .

ثم إن السلطان عَقِيبَ دخوله إلى مصر قبضَ على الأمير ركن الدين إياجي
 الحاجب ، وبهاء الدين يعقوب مقدم الشَّهْرُزُورِيَّة بقلعة الجبل . وآسَمَرَ السلطان

(١) زيادة عما تقدم ذكره للؤلؤ في هذه الترجمة .

(٢) راجع الحاشية المتقدمة رقم ٢ ص ٣٠٥ في هذه الترجمة .

مصر إلى خامس ذى القعدة من السنة قبض على الأمير أَيْمَنُ السَّعْدِيّ بقلمة الجبل وحسسه بها، ثم أرسل إلى نائب دِمَشْق بالقَبْض على الأمير بَلْبَان الهارُونِي بدمشق قبض عليه .

وفي هذه السنة (أعني سنة ثمانين وستمائة) تَرَبَّتْ جزيرةٌ كبيرةٌ ببحر النيل تُجَاهُ قرية بُولاق^(١)

- (١) قال المؤلف : إن هذه الجزيرة تربت ببحر النيل في سنة ٦٨٠ هـ . تجاه قرية بولاق والوق ؛ وعادة المؤلف ليست دقيقة في التعبير ، لأنها توهم أن بولاق كانت موجودة قبل ظهور هذه الجزيرة في حين أنها أنشئت في سنة ٥٧١٣ هـ على جزء من هذه الجزيرة بعد ظهورها في سنة ٦٨٠ هـ . ولوعبر المؤلف بأن الجزيرة تربت في مكان بولاق تجاه اللوق لاستقام التعبير . ويفهم من عبارة المؤلف في هذا الموضوع أن هذه الجزيرة اتصلت بشاطئ النيل تجاه اللوق فأصبحت الطريق من اللوق إلى مكان بولاق سالكة للشيء ، ويفهم أيضا من هذه العبارة أنه في السنة التي ظهرت فيها هذه الجزيرة طمت السبالة التي كانت في مجرى البحرين جزيرة الفيل وبين منية السرج فأفسد ذلك المجرى ونسف البحر بينهما وأصل ما بين المقس وجزيرة الفيل بالمشي أى اتصل ميدان باب الحديد بجزيرة بدران بعد أن كان النيل يجري بينهما آتيا من الجنوب بمحاذاة شارع الملكة نازلي وذاهبا إلى الشمال من ميدان باب الحديد إلى منية السرج .
- (٢) بولاق — يستفاد مما ذكره المؤلف بعاليه ربما ذكره المقرئ في الجزء الثاني من خطه عند الكلام على اللوق (ص ١١٧) وعلى بولاق (ص ١٣٠) وعلى قنطرة باب البحر (ص ١٥١) وعلى جزيرة الفيل (ص ١٨٥) أن شاطئ النيل الشرق القديم تجاه القاهرة كان إلى سنة ٦٨٠ هـ بعد أن يمر في مجراه الحالي من مصر القديمة إلى قصر النيل ينطف قليلا إلى الشرق . ويمتد في الأمكنة التي تعرف اليوم بشارع الملكة نازلي من أوله عند مصلحة المجارى ، ثم يسير فيه إلى ميدان باب الحديد فيدان محطة مصر فمحطة كوبري الليمون وبعد أن يمر شرق مخازن محطة مصر ينطف شمالا فيسير في شارع مهشحة ثم في مكان جسر السكة الحديدية وعند عزبة الخماسة يميل إلى الشمال الغربي مارا تحت سكن منية السرج ثم يسير شمالا إلى الغرب حتى يتصل بمجره الحال عند فم ترعة الإسماعيلية . وفي سنة ٦٨٠ هـ انحصر النيل عن جانب المقس من الجهة الغربية ونقل ماء النيل عن سور مدينة القاهرة الذي كان يفتي إلى المقس عند ميدان باب الحديد وظهور في مجرى النيل بجوار الشاطئ القديم جزر من الرمال الفساد وصارت أرض هذه الجزر تنسج وتنضم إلى بعضها حتى أصبحت جزيرة واحدة كبيرة اتصلت من مجريها بجزيرة الفيل ومن قبلها بأرض اللوق ثم طرح عليها البحر فربت وارتفعت أرضها عن منسوب ماء النيل بسبب ما كان يتركه عليها من الطمي سنويا وأصبحت أطلانها صالحة للزراعة والسكنى . وفي سنة ٥٧١٣ هـ صرح الملك الناصر محمد بن قلاوون بالمهارة والبناء في تلك الأراضي فتسابق الأمراء والجنود والكتاب والتجار والعامة في البناء وأنشئوا على النيل الدور والقصور والبساتين وتكون من مجموع ذلك بلدة جديدة هي بولاق . ومن هذا يتبين أن بولاق التي على شاطئ النيل بالقاهرة أنشئت في سنة ٥٧١٣ هـ = ١١٣١ م .

واللوق ، وأقطع بسببها بحرى البحر ما بين قلعة المكس^(٢) وساحل

= ومن الاطلاع على خريطة مدينة القاهرة طبع سنة ١٨٥٨ يبين أن بولاق كانت لغاية تلك السنة بلدة صغيرة واقعة على النيل ولم تتجاوز مبانيها المنطقة التي تحد اليوم من الشمال بشارع السبئية ومن الجنوب بشارع اصطبلات الطرق ومن الشرق بشوارع سيدى العيسى وعلوة الجحاج وتل نصر ووايو النور ، وكانت الأرض التي بين بولاق القديمة وبين شارع الملكة نازلي كلها أرضا زراعية وبساتين ولم يتحدث فيها المباني إلا في زمن الخديو إسماعيل ومن ذلك الوقت أخذت بولاق تتسع في العمارة حتى اتصلت بمبانيها بمدينة القاهرة وأصبحت بولاق قسما إداريا من أقسام القاهرة .

(١) اللوق : يستفاد مما ذكره المقرئى عند الكلام على اللوق (ص ١١٥ ج ٢) من خطه أن اللوق هو الأرض البنية التي تزرع بطريق التلويق فيجد أن يقضى فيضان النيل ويصرف الماء عنها تنكشف أرضها ولا تحتاج إلى الحرث إليها ورخاوتها بل تلاق لوقا عند ثمر البذور حيث تزرع أصنافا شتوية أسوة بأراضي الملق التي في حياض الوجه القبلى .

ومن تطبيق الحدود التي ذكرها المقرئى لأرض اللوق يبين أنها كانت ممتدة على النيل في الجهة الغربية من مدينة القاهرة وتشمل المنطقة التي تحد اليوم من الشمال بشارع قطرة الدكة ومن الغرب بشارع الملكة نازلي إلى أوله عند مصلحة المجارى ثم ينطفئ الحد إلى قصر النيل ومنه يسير محاذيا للنيل إلى كوبرى محمد ط . والحد القبلى مستثنى قصر العيني وشارع بستان الفاضل . والحد الشرقى شارع الخليج المصرى فشارع سعد الدين فنزارع نوبار باشا (الدواوين سابقا) إلى أن يتقابل مع شارع الشيخ ويحان فينطفئ الحد مائلا إلى الشرق حتى يصل بشارع عماد الدين عند نقطة تلاقيه بشارع الخديوى إسماعيل ثم يستقيم الحد متجها إلى الشمال في شارع عماد الدين إلى أن يتقابل مع الحد البحرى وهذا الحد الشرقى لأرض اللوق كان هو مكان الشاطئ الشرقى للنيل تجاه القاهرة لغاية سنة ١٦٩٠ هـ أى أن النيل كان يجرى عند هذا الحد قبل ظهور أرض اللوق وكانت أراضي اللوق في الزمن الماضى مما يفرمه ماء النيل ثم انحصر فيها في سنة ١٢٣٠ و ١٢٦٠ هـ وأصبحت أرضا زراعية أنشئ بها كثير من البساتين والمنشآت مثل منشأة القاضي الفاضل وبستانه ومنشأة ابن ططب وبستانه ومنشأة الكتبة وغيرها مما ذكره المقرئى ، ثم زالت هذه المنشآت وبقيت أرض اللوق أرضا زراعية ولم يحدث فيها بناء بعد ذلك إلا في سنة ١٦٦٠ هـ حيث قدم على مصر طائفة من التار مستأمنين فأزلهم الملك الظاهر بيبرس البندقدارى في دور كان قد أمر بمارتها من أجلهم في أراضي اللوق . وفى آخر سنة ١٦٦١ هـ قدم طوائف عدة من المغل والبالادرة فأزلهم السلطان في مساكن عمرت لهم باللوق . ومن ذلك الوقت أصبح بأرض اللوق عدة أحكار عامرة أهلة بالسكان ثم أخذت هذه الأحكار في الخراب تدريجيا إلى أن اندثرت عن آخرها في القرن العاشر الهجرى .

ومن الاطلاع على خريطة مدينة القاهرة طبع سنة ١٨٥٨ م يبين أن أرض اللوق التي ذكرنا حدودها كانت لغاية تلك السنة أطيا نازراعية وليس فيها من المباني الا مجموعة من المساكن واقعة خارج باب اللوق بين شارع البستان وبين شارع جامع جرکس . وفى زمن الخديو إسماعيل بدأ الناس فيها بالعمارة والبناء حتى صارت هذه المنطقة مشغولة كلها بالدور والقصور ويظللها الشوارع الواسعة والميادين كما ترى اليوم من قطرة الدكة إلى مستشفى قصر العيني وشارع بستان الفاضل .

(٢) قلعة المكس : هى قلعة المكس ، ويستفاد مما ذكره المقرئى في خطه عند الكلام على سور =

(١) باب البحر، والرَّمْلة [و] بين جزيرة الفيل وهو الماز تحت مُنْبَةِ السَّيرج، وأنسَد هذا البحر ونشف بالكِيتة، وأتصل ما بين المَقْص وجزيرة الفيل بالمشى، ولم يُعهد

= القاهرة (ص ٣٧٧ ج ١) وعلى منظره المَقْص (ص ٤٨٠ ج ١) وعلى جامع المَقْص (ص ٢٨٣ ج ٢) أن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب لما عمر السور الثالث للقاهرة في سنة ٥٥٦٦ هـ وقت وزارته الخليفة العاضد زاد في هذا السور القطعة التي من باب الشعيرة إلى باب البحر وبنى قلعة المَقْص على شكل برج كبير في نهايته السور الغربي على شاطئ النيل بحرى جامع المَقْص في مكان منظره المَقْص التي كانت على النيل وقت أن كان يمر تحت المَقْص من الجهة الغربية . وكانت هذه القلعة قاعة إلى أن هدمها الوزير صاحب شمس الدين عبد الله المَقْص عند ما جدد جامع المَقْص في سنة ٧٧٠ هـ وجعل في مكانها جنينة .

وبما أن جامع المَقْص لا يزال موجودا وهو الذى يعرف اليوم بجامع أولاد عتات بشارع إبراهيم باشا كما أن أجزاء من السور الذى أقامه صلاح الدين بين باب الشعيرة وباب البحر لا تزال قائمة إلى اليوم كما هو مبين على خريطة مدينة القاهرة الحالية . وبما أن هذه القلعة كانت واقعة في نهاية هذا السور وعلى امتداده من الجهة الغربية فيكون مكانها الأرض القائم عليها اليوم عمارتا الأوقاف وراتب باشا المجاورتان لجامع أولاد عتات من الجهة البحرية بميدان باب الحديد .

(١) يستفاد مما ذكره المؤلف في موضوع الجزيرة التي تربت ببحر النيل في سنة ٦٨٠ هـ ، أن بحرى النيل القديم تنحاه باب البحر كان إلى تلك السنة مارا بميدان باب الحديد فيدان محطة مصر فشارع غمره فشارع مهمشة وتنحاه إلى الشمال الغربي حيث يمر تحت سكن ناحية منية السرج .

وبما أن باب البحر الذى يعرف اليوم بباب الحديد كان واقعا على مدخل شارع فم باب البحر من جهة ميدان باب الحديد الحالى فيكون ساحل باب البحر الذى يشر إليه المؤلف واقعا بميدان باب الحديد وما جاوره من شارع الملكة نازلى من جهته القبلى وما جاوره من محطة كوبرى الليمون من جهته البحرية .

(٢) هذه الرملة ذكرها أيضا المقرئى عند الكلام على الجزر (ص ١١٩ ج ٢) من خطه ويضهم من عبادته أن هذه الرملة كان يقال لها منية بولاق ومكانها المنطقة التي لا تزال تعرف إلى اليوم برملة بولاق الواقعة عند كوبرى امبابه بين النيل وبين شارع كوبرى روض الفرج بقسم بولاق .

(٣) يستفاد مما ذكره المقرئى عند الكلام على جزيرة الفيل (ص ١٨٥ ج ٢) من خطه أن هذه الجزيرة كانت واقعة في وسط النيل تنحاه ناحية منية السرج خارج باب البحر من القاهرة وكانت موضعها غامرا بالماء في أيام الدولة الفاطمية ، وفي أواخر حكم تلك الدولة انكمس مركب كبير كان يعرف بالفيل وترك في مكانه ، فربا عليه الرمل وانطرد عنه الماء فصارت جزيرة يحيط بها الماء من جميع الجهات ثم علا أراضيها الطمي وما برحت تتسع مساحة أراضيها حتى تم تكويتها حول سنة ٨٥٧٠ هـ فزريت في أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب . وفي سنة ٦٨٠ هـ طرح البحر بجوارها فانتصلت أراضيها بأرض ناحية منية السرج وبالمَقْص حيث ميدان باب الحديد الآن . وفي زمن الملك المنصور قلاوون . أسأبها الأمراء . والأعيان الدور والقصور والبساتين حتى صارت بلدا كبيرا جامع وسوق كبير وعدة بساتين جليلة . ثم أخذت مبانيها في الانحطاب تدريجيا ولم يبق بها إلا البساتين والأراضي الزراعية .

فما تقدم ، وحصل لأهل القاهرة مشقة من نقل الماء الحلو بُعد البحر ، فأراد السلطان حفره فنهوه عن ذلك ، وقالوا له : هذا ينشف إلى الأبد ، فتأسف السلطان وغيره على ذلك .

قلت : وكذا وقع ، ونحن الآن لا نعرف أين كان جريان البحر المذكور
إلا بالحدس ، لإنشاء الأملاك والبساتين والعمائر والحارات في محل مجرى البحر
المذكور، فسبحان القادر على كل شيء !

ثم في أول سنة إحدى وثمانين وستمائة ورد الخبر على السلطان أنه تسلطن
في مملكة التتار مكان أبغا بن هولكو أخوه لأبيه أحمد بن هولكو ، وهو مسلم
حسن الإسلام وعمره يومئذ مقدار ثلاثين سنة ، وأنه وصلت أوامره إلى بغداد
تتضمن إظهار شعائر الإسلام وإقامة مناره ، وأنه على كلمة الدين ، وبني الجوامع
والمساجد والأوقاف ورتب القضاة ، وأنه أنقاد إلى الأحكام الشرعية ، وأنه ألزم
أهل الذمة بلبس الغيار^(١) ، وضرب الجزية عليهم ، ويقال إن إسلامه كان في حياة
والده هولكو ، فسّر السلطان بذلك سرورا عظيما . وبعد مدة قبض السلطان على

= وأقول : إن جزيرة الفيل هي التي تعرف اليوم باسم شبرا أحد أقسام مدينة القاهرة ولا يزال الجزء
الجنوبي منها يعرف بجزيرة بدران وكانت جزيرة الفيل تشغل المنطقة التي يتوسطها اليوم شارع شبرا من
الجنوب إلى الشمال ويحدها من الغرب النيل حيث جسر طراد النيل القديم وشارع أبو الفرج اليوم ومن الجنوب
النيل حيث شارع جزيرة بدران وشارع بركات اليوم ومن الشرق سيالة مياه كانت فاصلة بين هذه الجزيرة
وبين الشراية ومنية السراج ثم طغت في سنة ٦٨٠ هـ .

وبالاطلاع على خريطة القاهرة وضع الحملة الفرنسية في سنة ١٨٠٠ م بين أن أرض قسم شبرا
كانت أرضا زراعية وبها كثير من البساتين ومجموعة مساكن قليلة بجزيرة بدران ولم يستجد فيها البناء
إلا في عهد الخديو إسماعيل حيث أنشأ بها قصر الزهرة (المدرة التوفيقية اليوم) ثم تبعه الأعيان وكبار التجار
فأنشؤا بها القصور والبساتين على جانبي شارع شبرا ثم أخذت العمارة في الزيادة والاتساع إلى أن امتدت
إلى شاطئ النيل وجسر السكة الحديدية وترعة الإسماعيلية .

(١) الغيار : علامة أهل الذمة كالزناز ونحوه .

الأمير بدر الدين يَتَسَرَّى ، وعلى علاء الدين كُشْتَنُغْدِي الشَّمْسِيَّ وأعتقلهما بقلعة الجبل ، وذلك في يوم الأحد مستهل صفر من السنة . واستمر السلطان على ذلك إلى يوم الأربعاء ثاني عشرين شعبان طافوا بكسوة البيت العتيق التي عُمِلَتْ بِرَسْمِ الكعبة ، عظمها الله تعالى ، بمصر والقاهرة على العادة ، ولعبت ممالك السلطان الملك المنصور قلاوون أمام الكسوة بالرماح والسلاح .

- قلت : وأظن هذا هو أول ابتداء سَوِّقِ المحمل المعهود الآن ، فإننا لم نقف فيما مضى على شيء من ذلك مع كثرة ألتفاتنا إلى هذا المعنى ، ولهذا غلب على ظني من يوم ذاك بدأ السوق المعهود الآن ، ولم يكن إذ ذاك على هيئة يومنا هذا ، وإنما ازداد بحسب آجتهاد المعلمين ، كما وقع ذلك في غيره من الفنون والملاعب والعلوم ، فإن مبدأ كل أمر ليس كنهائته ، وإنما شرع كل معلم في اقتراح نوع من أنواع السَّوِّقِ إلى أن انتهى إلى ما نحن عليه الآن ، ولا سبيل إلى غير ذلك . يعرف ما قلته من له المأثم بالفنون والعلوم إذا كان له ذوق وعقل . وعلى هذه الصيغة أيضا اللعب بالرمح فإن ممالك قلاوون هم أيضا أحدثوه ، وإن كانت الأوائل كانت تلعبه ، فليس كان لعبهم على هذه الطريقة ، وأنا أضرب لك مثلا لمُصْداقِ قولي في هذا الفن ، وهو أن ممالك الملك الظاهر برقوق كان أكثرهم قد حاز من هذا الفن طرْفًا جيدًا ، وصار فيهم من يضرب بلعبه المثل ، وهم جماعة كثيرة يطول الشرح في ذكرهم ، ومع هذا أحدث معلمو زماننا هذا أشياء لم يمتدوها أولئك من تغيير القَبْضِ على الرمح في مواطن كثيرة في اللعب ، حتى إن لعب زماننا هذا يكاد أنه يُخالف لعب أولئك في غالب قُبوضاتهم وحرركاتهم . وهذا أكبر شاهد لي على ما نقلته من أمر المحمل ، وتعدد فنونه ، وكثرة ميادينه ، واختلاف
- (١) في الأصلين : « إلى يوم الأحد ... الخ » . وتصحيحه عن ذيل مرآة الزمان والتوفيقات الإلهامية .

أسمائها لتغيير لعب الرمح في هذه المدة اليسيرة من صفة إلى أخرى ، فكيف وهذا الذى ذكرناه من ابتداء السوق من سنة إحدى وثمانين وستمائة ! فن باب أولى تكون زيادات أنواع سوق المحمل أحق بهذا لطول السنين ، ولكثرة من باشره من المعلمين الأستاذين ، ولتغير الدول ، ولحبة الملوك وتعظيمهم لهذا الفن ، ولإنفاق سوق من كان حاذقا في هذا الفن . وقد صُنِفَتْ أنا ثمانية ميادين كل واحد يخالف الآخر في نوعه لم أَسْبَقْ إلى مثلها قديما ولا حديثا ، لكننى لم أظهرها لكساد هذا الفن وغيره في زماننا هذا ، ولعدم الإنصاف فيه وكثرة حساده ممن يدعى فيه المعرفة وهو أجنبي عنها ، لا يعرف أسم نوع من أندابه على جليته بل يدعيه جهلا ، ويقوى على دعواه بالشوكة والعصبية . والله در القائل :

أيها المدعى سُلَيْمِي كَفَاحًا * لَسْتَ مِنْهَا وَلَا قَلَامَةً ظُفْرِ
إِنَّمَا أَنْتَ مِنْ سُلَيْمِي كَوَاوٍ * أَلْحِقْتَ فِي الْمَجَاءِ ظُلُمًا بَعَمْرٍو

وشاهدى أيضا قول العلامة جار الله محمود الرُّنْزُورِيَّ وأجاد ، رحمه الله تعالى :

وأُخْرِنِي دَهْرِي وَقَدَّمْ مَعَشَرًا * عَلَى أَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَأَعْلَمُ
وَمَذْ أَفْلَحَ الْجُهَّالُ أَبْقَنْتُ أَنَّنِي * أَنَا الْمِسْمُ وَالْأَيَّامُ أَفْلَحَ أَعْلَمُ

قلت : وتفسير الأفلح هو مشقوق الشفة العليا ، والأعلم مشقوق الشفة السفلى ، وفائدة ذلك أن مشقوق الشفتين العليا والسفلى لا يقدر أن يتلفظ بالميم ولا يتنطق بها . فانظر إلى حسن هذا التخيل والغوص على المعاني .

(١) الأنداب : جمع ندب ، وهو ندب الشباب : نوع من اللعب به : يقال لعب أندابا في الميدان ، وكان عارفا بأنداب الحرب وأظهر أندابا غريبة ، وأظهر من هذه الأنداب العجائب (انظر تكملة المعاجم العربية لمدوزي ص ٦٥١ وانظر كترميرج ٢ مجلد ٢ ص ٩٨) .

(٢) هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الرُّنْزُورِيَّ . تقدمت وفاته سنة ٥٣٨ هـ .

(٣) في الأصلين : « لأنهم » . (٤) في الأصلين : « أعلم أني » .

وما أحسن قول الإمام العلامه القاضى الفاضل عبد الرحيم وزير السلطان صلاح الدين، وهو :

ما ضرَّ جهلُ الجاهلِ بيَّ * ولا أنتفعتُ أنا بِمِثْذِ
وزيادة في المِثْذِ فهـ * ي زيادة في نقص رِزْقِ

وقول الشريف الرضى في المعنى :^(١)

ما قدَّرُ فضلك ما أصبحت تُرزَقُه * ليس الحظوظ على الأقدار والميَّه
قد كنتُ قبلك من دهرى على حَنَقِ * فزاد ما بك في غِيظي على الزمى

وفى المعنى :

كم فاضلٍ فاضلٍ أعيثَ مَذاهِبُه * وجاهلٍ جاهلٍ تلقاه مرزوقاً
هذا الذى تركَ الألبابَ حائرةً * وصيرَ العالمَ التَّحريرَ زَنديقاً

قلت : ويُعجبنى المقالةُ السادسة عشرة من كتاب « أطباق الذهب » للعلامة
شرف الدين عبد المؤمن الأصفهاني المعروف بِشَوْرُوَّة^(٢)، وهى :

« طَبِيعُ الكَرِيمِ لا يَحْتَمِلُ حُمَةً الضَّمِّمِ^(٣)، وهَوَاءُ الصَّيْفِ لا يَقْبَلُ عُثْمَةً النِّمِّمِ^(٤)، والنَّبِيلُ
يَرْضَى النَّبَالَ والحُسَامَ، وَيَأْبَى أَنْ يُسَامَ^(٥)؛ وَلَأنَّ يُقْتَلُ صَبْرًا، وَيُودَعُ قَبْرًا؛ أَحَبُّ
إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يُصَيَّبَهُ نَشَابُ الجَفَاءِ^(٦)، مِنْ جَفِيرِ الأَكْفَاءِ^(٦)؛ يَهْوَى المَنِيَّةَ، وَلَا يَرْضَى الدُّنْيَةَ؛
يَسْتَقْبِلُ السِّيفَ، وَلَا يَقْبَلُ الحَتِيفَ؛ إِنْ سِيمَ أَخَذَتْهُ الهِزَّةُ، وَإِنْ ضَمِّمَ أَخَذَتْهُ

(١) هو القاضى الفاضل عبد الرحيم ابن القاضى الأشرف أبى المجد على ابن القاضى السعيد أبى محمد
محمد محمى الدين . تقدمت وفاته سنة ٥٩٦ هـ . (٢) هو الشريف الرضى أبو الحسن الموسوى محمد
ابن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم . تقدمت وفاته سنة ٤٠٦ هـ .

(٣) فى الأصلين هنا : « بشيفروه » . وراجع الحاشية رقم ١ ص ١٩٩ من هذا الجزء .
(٤) الحصة (بالضم) : مم كل شئ يلدغ أو يلسع . (٥) يقال سامه خسفا أى أولاه
إياه وزاده عليه . (٦) الجفير : جمعة من جلود لا خشب فيها ، أو من خشب لا جلود فيها .

العِزَّة ؛ إن عاشرتَه سالَ عَذْبًا ، وإن عَاسرَتَه سُلَّ عَضْبًا ؛^(١) إن شاربته تَحْمَرُ ، وإن حاربته تَحْمَرُ ؛ يَرَى العِزَّ مَغْنَمًا ، والذَّلَّ مَغْرَمًا ، وكان كَأَنفِ اللَّيْثِ لَا يَشْتَمُ مَرْغَمًا ! .
 فيا هذا كن في الدنيا مِمَّى الْأَنْفِ مَنِيعَ الجَنَابِ ، أَبَى النَّفْسِ طَرِيرَ النَّابِ ؛^(٢)
 ولا تَصْحَبِ الدنيا صَحْبَةَ بَعَالٍ ، ولا تَنْظُرْ إلى أبنائها إِلَّا من عالٍ ؛ ولا تَخْفِضْ جَنَاحَكَ
 لِبَنِيهَا ، ولا تُضَعِّضْ رِكَتَكَ لِبَانِيهَا ؛ ولا تَمُدَّنَّ عَيْنَكَ إلى زَخَارِفِهَا ، ولا تَبْسُطْ يَدَكَ
 إلى مَخَارِفِهَا ؛ وَكن من الْأَكْيَاسِ ، وَأَتَلْ على اللَّثَامِ سُورَةَ النَّاسِ ،^(٣) ولا تُصَعِّرْ خَدَّكَ
 لِلنَّاسِ » . اِتِّمِ .

قُلْتُ : وقد خرجنا عن المقصود غير أننا وجدنا المقال فقلنا . ولنعد إلى مانحن
 فيه من ترجمة الملك المنصور قلاوون .

١٠ ودام السلطان الملك المنصور بديار مصر إلى سنة ثلاث وثمانين وستمئة ، تُوفِّيَ
 صاحبَ حَمَاءِ الملك المنصور محمد الأيوبي ، فأنعم السلطان الملك المنصور على ولده
 بسلطنة حَمَاءِ ، وولاه مكان والده المنصور . ثم تجهَّز السلطان في السنة المذكورة
 وخرَجَ من الديار المصرية بعسكره متوجِّهًا إلى الشام في أواخر جُمادى الأولى ، وسار
 حتى دخل دِمَشْقَ في ثاني عشر جُمادى الآخرة ، وأقام بِدِمَشْقَ إلى أن عاد إلى جهة
 ١٥ الديار المصرية في الثلث الأخير من ليلة السبت ثالث عشرين شعبان ، وسار حتى
 دخل مصر في النصف من شهر رمضان ، وأقام بديار مصر إلى أوَّل سنة أربع
 وثمانين وستمئة تجهَّز وخرج منها بعساكره إلى جهة الشام ، وسافر حتى دخل
 دِمَشْقَ يوم السبت ثاني عشرين المحرم من السنة المذكورة ، وعَرَضَ العسكر
 الشامي عدَّة أيام ، وخرجوا جميعًا قاصدين المَرْقَبَ في يوم الاثنين ثاني صفر . وكان

(١) المضب : السيف . (٢) طرير : حاد . (٣) البال : ملاعبة المرء أهله .

(٤) في أطباق الذهب : « وأتل على اللثام سورة الياس » .

- قد بقي في يد سُتْقَر الأشقر قطعة من البلاد، منها : يَلَاطُنُس وصِهْيُون وبرَزِيَه وغير ذلك، وكان عمل السلطان في الباطن آتِزاع ما يمكن آتِزاعه من يد سُتْقَر الأشقر المذكور وإفساد نُوابِه. فَاتَّفَق الحال بين نُواب السلطان وبين نُواب سُتْقَر الأشقر على تسليم يَلَاطُنُس فسُلِّمَت في أوَّل صفر . ووافق السلطان البُشْرَى بتسليمها وهو على عيون القَصَب في توجُّهه إلى حصار المَرْقَب فسُرَّ بذلك وأستبشر بنيل مقصوده .
- من المَرْقَب ؛ وكان في نفس السلطان من أهل المَرْقَب لِمَا فعلوا مع عسكره ما فعلوا في الستين الماضية، فنازل السلطان حصن المَرْقَب في يوم الأربعاء عاشر صفر، وشرع العسكر في عمل الساتر والمجانيق. فلما آتته الساتر التي للمجانيق حملتها المقاتلة لباب الحصن ، فسقطت الساتر إلى بركة كبيرة كان عليها جماعة من أصحاب الأمير علم الدين سَنَجَر الدَّوَيْدَارِي ، منهم شمس الدين سُتْقَر أستاذاره وِحدةٌ من مماليكه فَاَسْتَشْهِدُوا جميعهم ، رحمهم الله تعالى .

- ثم في يوم الأحد رابع عشره^(١)، حضر رُسُل الفرنج من عند مَلِكهم الإِسْتَار، وسألوا السلطان الصُّلح والأمان لأهل المَرْقَب على نفوسهم وأموالهم ويُسَامُون الحصن المذكور، فلم يُجِبه السلطان إلى ذلك، وكُلَّ نَصَب المجانيق ورُمى بها وشُعَّت الحصن وهدم معظم أبراجه وأستمر الحال إلى سادس عشر شهر ربيع الأول، زحف السلطان على الحصن فأذعن من فيه بالتسليم ؛ وحصلت المراسلة في معنى ذلك . فلما كان يوم الجمعة ثامن عشر شهر ربيع الأول المذكور سُلِّمَ ، ورُقِعت عليه الأعلام الإسلامية ونَزَلَ من به بالأمان على أرواحهم فركبوا، وجَهَّز معهم من أوصلهم إلى أَنْطَرطُوس . [و] بالقرب من هذا الحصن [مَرْقِيَّة]^(٢) وهي بلدة صغيرة على البحر، وكان

(١) في الأصلين : «ثم في يوم الأربعاء رابع عشره» . وتصحيحه عن ذيل مرآة الزمان .

(٢) تكملة عن ذيل مرآة الزمان وثر الجمان للقبوري والمنهل الصافي .

صاحبها قد بقي في البحر ^(١) رجلاً عظيماً لا يُرام ولا يَصِلُه النَّشَاب ولا جُرُ المَنْعِيقِ وحَصْنُه ؛
وَأَتَّفَقَ حُضُورُ رُسُلِ صَاحِبِ طَرَابُلُسَ إِلَى السُّلْطَانِ بِطَلَبِ مَرَاذِيهِ ، فَأَقْرَحَ عَلَيْهِ خَرَابَ
هَذَا الْبَرَجِ وَإِحْضَارَ مَنْ كَانَ فِيهِ أَسِيرًا مِنَ الْجُيَلَاءِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ صَاحِبِ جُبَيْلٍ ^(٢) فَأَحْضَرَ
مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ فِي قَيْدِ الْحَيَاةِ وَأَعْتَذَرَ عَنْ هَدْمِ الْبُرْجِ بِأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ ، وَلَا هُوَ تَحْتَ حُكْمِهِ ؛
فَلَمْ يَقْبَلِ السُّلْطَانُ أَعْتَاذَارَهُ وَصَيَّمَ عَلَى طَلَبِهِ مِنْهُ ، فَقِيلَ : إِنَّهُ أَشْتَرَاهُ مِنْ صَاحِبِهِ

(١) كان هذا البرج من حصون فرسان التيلار وهي طائفة الداوية المشهورة التي تقدم ذكرها غير
مرة في الجزء السادس من هذه الطبعة . وأطلق عليها اسم التيلار أيضاً ، ومعناه فرسان الهيكل ،
وكان للتيلار في الحروب الصليبية شأن عظيم منذ أول عهدنا حتى محاربتهم ليموند الرابع صاحب طرابلس
ثم محالقتهم له وللإمامية على عهد بيرس . وكانت لهم حصون بفراس وعثيث وأنطوطوس وجبل السابق
ذكرها (انظر تاريخ الصليبيين في المشرق لاستفسون . وطلعتين الاسلاميه لاستراخ ص ٤٤٧) .

(٢) يقصد بالجليليين هنا جماعة من المسلمين كانوا مع صاحب جبيل سيري (Sir Gury) الفارس التيلاري
الذي ساء القطب اليوناني سيركي . أدمه به الأمير سيف الدين بلان لأخذ طرابلس سنة ١٢٨٢م
وكان صاحب جبيل الذي ذكر قد كاتب معظم الخيالة بطرابلس لانضمامهم اليه ضد صاحبها ييموند السابع
وأشترط على نفسه أنه متى تملكها تكون مناصفة بينه وبين الملك المنصور ، فلما كان في أواخر شوال ركب
صاحب جبيل في أصحابه وجماعة من الجليليين ودخلوا ميناء طرابلس ليلاً ونخرجوا من المراكب ودخلوا
البلد وكان الخبير قد نعى الى ييموند فأوقع بهم وقصد «جى» دار الديوية قبض عليه ييموند ومات في أسرهِ .
قبل أغرة وأصحابه في البحر ، واحتل جبيل فصارت له مع طرابلس . وأما الجليليون فيقوا في الأسر
حتى نازل السلطان المرقب وحضر اليه رسول صاحب طرابلس يطلب الأمان فطلبهم السلطان ولم يسمع له رسالة
فعاد الى صاحبه وأخبره ما رسم به السلطان فكساهم جميعاً وجهزم الى أعقاب السلطان . (انظر اليوناني
ذيل مرآة الزمان في وفيات سنة ١٢٨١م في ترجمة سيركي . وانظر الصليبيين في المشرق لاستفسون ص ١٤٨)

(٣) جبيل : بلدة على شاطئ سوريا بين بيروت والبترون فحقت في عهد يزيد بن معاوية وكانت من
جند دمشق كبقية مدن الشاطئ الى عهد الفاطميين وقد ظهر فيها علماء مشاهير . وفي سنة ٤٩٦هـ =
١١٠٣م سقطت في يد الصليبيين وكان يحكمها بارون من قبل ملك أو وشلين وكان لها مرفأ صغير به حصن
منيع ، وقد سقطت في عهد صلاح الدين في يد المسلمين ، لكن الصليبيين استردوها بستة آلاف دينار من
الأكراد ، وفي أواخر القرن الرابع عشر الميلادي كانت في يد بني حمادة المتأولة (الشيعية)حكام جبل لبنان
الى آخر القرن الثامن عشر فتحولت الى قرية صغيرة عديمة الأهمية ثم حاربت عاصمة مدبرية باسمها فانتعشت
قليلاً ، ولكنها لم يبق لها مرفأ . سكانها ٢٠٠٠ نفس غالبهم موارنة وقليل من المسلمين (دائرة المعارف
الإسلامية ص ١٠٥٧ ومعجم البلدان لياقوت) .

بعثة قُرى وذَهَب كثير ، ودفعه إلى السلطان ، فأمر بهدمه فهُدِم واستراح الناس منه . وحصل الأسبلاء في هذه الغزوة على المَرْقَب وأعماله ومَرْقِيَّة . والمَرْقَب هو من الحصون المشهورة بالمنعة والحصانة وهو كبير جداً ، ولم يفتحهُ السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فيما فتح ، فأبقاه السلطان الملك المنصور بعد أن أشير عليه بهدمه ، ورغم شَعَثِه وأَسْتِنَاب فيه بعض أمرائه ورتب أحواله . وكتبت البشائر بهذا الفتح إلى الأفطار .

ولما كان السلطان الملك المنصور على حصار المَرْقَب جاءته البُشْرَى بولادة ولده « الملك الناصر محمد بن قلاوون » ، فمولد الملك الناصر محمد هذه السنة ، فيحفظ إلى ما يأتي ذكره في ترجمته ، إن شاء الله تعالى ، فإنه أعظم ملوك الترك بلا مدافعة .

١٠

ولما فتح السلطان الملك المنصور المَرْقَب عَمِلت الشعراء في ذلك عِدَّة قصائد ، فمن ذلك ما قاله العلامة شهاب الدين أبو التَّناء محمود ، وهي قصيدة طنانة أولها :

الله أكبر هذا النصر والظفر * هذا هو الفتح لا ما تزعم السير
 هذا الذي كانت الآمال^(١) إن طمحت * إلى الكواكب ترجوه وتنتظر
 فأنهض وسمروا أملاك الدنيا قد تحلت * شوقاً منابرها وأرتاحت السرر
 كم رام قبلك هذا الحصن من ملك * فطال عنه وما في باعه قصر
 وكيف تمتعه الأيام ملكة * كانت لدولتك الفراء تدخر
 وكيف يسمو إليها من تأخر عن * إسعاده منجداك القدر والقدر

١٥

(١) في الذيل على مرآة الزمان : « كادت » .

٢٠

(٢) في الأصلين هكذا : * إسعاده منحدر إلى القدر والقدر .

وما أنبتناه عن المنهل الصافي .

غَرَّ الْعِدَا مِنْكَ حِلْمٌ تَحْتَهُ هِمٌّ * لِأَشْفَرِ الْبَرْقِ مِنْ تَحْجِيلِهَا غُرُرُ
لَهَا وَإِنْ أَشْبَهَتْ لُطْفَ النَّسِيمِ سَرَى * مَعْنَى الْعَوَاصِفِ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ
أَوْرَدَتْهَا الْمَرْقَبَ الْعَالَى وَلَيْسَ سَوَى * مَاءِ الْحَجَرَةِ فِي أَرْجَائِهَا نَهْرُ
كَانَهُ وَكَانَتْ الْجَوَّ يَكْنُفُهُ * وَهَمٌّ مُثَمِّلُهُ فِي طَيْبِ الْفِكْرِ
يُخَالِ كَالْفَادَةِ الْعَدْرَاءِ قَدْ نُظِمَتْ * مِنْهُ مَكَانَ الْآلَى الْأَنْجُمُ الزُّهَرُ
لَهُ الْهَلَالُ سَوَارٌ وَالشَّهَاءُ شَنْفٌ * وَالْقَلْبُ قَلْبٌ وَمَسَوْدُ الدَّجَى طُرُرُ
تَعْلُو الرِّيحُ إِلَيْهِ كَيْ يُحِيطَ بِهِ ^(١) * [خُبْرًا] وَتَدْنُو وَمَا فِي ضَمْنِهَا خَبْرُ
وَيُؤَمِّضُ الْبَرْقُ يَهْفُو نَحْوَهُ لِيَرَى * أَذَى رُبَاهُ وَيَأْتِي وَهُوَ مَعْتَذِرُ
وَلَيْسَ يَرَوِي بِمَاءِ السُّحْبِ مُضْمِدَةً * إِلَيْهِ مَنْ فِيهِ إِلَّا وَهُوَ مُنْعَذِرُ

ومنها : ١٠

وَأَضْرَمَتْ حَوْلَهُ نَارًا لَهَا لَهَبٌ * مِنَ السِّیُوفِ وَمِنْ نَبْلِ الْوَعَى شَرُّ

ومنها :

كَاتَهَا وَجَانِيقُ الْفَرْنَجِ لَهَا * فَرَانِسُ الْأُسَيْدِ فِي أَظْفَارِهَا الظُّفُرُ
وَكَمْ شَكَا الْحَصْنَ مَا يَلْقَى فَمَا أَكْثَرَتْ * يَا قَلْبَهَا أَحَدِيدُ أَنْتَ أَمْ حَجَرُ
وَلِلنَّقُوبِ ذَيْبٌ فِي مَفَاصِلِهِ * تُسِيرُ سُقْمًا وَلَا يَبْدُ لَهُ أَثَرُ
أَضْحَى بِهِ مِثْلَ صَبٍّ لَا تَبِينُ بِهِ * نَارُ الْهَوَى وَهِيَ فِي الْأَحْشَاءِ تَسْتَعِرُ ^(٢)

١٥

ومنها :

رَكِبْتَ فِي جُنْدِكَ الْأَوَّلَى إِلَيْهِ حُمَا * وَالنَّصْرُ يَتْلُوكَ مِنْهُ جُنْدُكَ الْآخِرُ
قَدْ زَالَ يُجَلِّي قُوَاهُ عَنْ قَوَاعِدِهِ * وَنَحْرُ أَعْلَاهُ نَحْوَ الْأَرْضِ يَتَبَدَّرُ

(١) المراد قلب القرب : منزلة من منازل القصر، وهو كوكب نير و بجانبه كوكبان .

٢٥

(٢) في الأصلين : « كَيْ يُحِيطَ بِهِ » * « وَتَدْنُو... » . والفتحة عن ذيل مرآة الزمان والمهل الصافي .

(٣) في الأصلين : « وهو » . وما أثبتناه عن ذيل مرآة الزمان .

وساخَ وأنكشفت أقبأؤه وبدَا * لديك من مُضمرات النصر ما سَتَرُوا
فقال يهوى إليهم كلُّ ليثٍ وعَي * له من البيض نابٌ والقنَاطُفُرُ
ومنها بعد أبيات كثيرة براعة المقطع :

إن لم يُوفِّ الوري بالشكر ما قَتَحَتْ * يدك فأنه والأملك قد شكروا

- ثم سار الملك المنصور قلاوون من المرقب إلى دِمَشق وأقام بها أياماً، ثم خرج
منها عائداً إلى نحو الديار المصرية في بُكرة الاثنين ثاني عشر جمادى الأولى؛ فدخل
الديار المصرية في أوائل شهر رجب .

- ولما دخل القاهرة وأقام بها أخذ في عمل أخذ الكرك من الملك المسعود
نجم الدين خِضر ابن السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري حتى
أخذت، وورد عليه الخبر بأخذها في ليلة الجمعة سابع صفر [سنة خمس وثمانين
وستمائة] ودقت البشائر بالديار المصرية ثلاثة أيام .

- ثم في سنة ست وثمانين وستمائة جهز السلطان طائفة من العسكر بالديار المصرية
صحبة الأمير حُسام الدين طُرُتَاي إلى الشام لحصار صِهْيُون وبرزية وآتراءهما من
يد سُتُقر الأشقر، فسار حُسام الدين المذكور بمن معه حتى وصل دِمَشق في أثناء
المحرم، واستصحب معه الأمير حُسام الدين لاجين نائب الشام، وتوجه الجميع إلى
صِهْيُون بالجانب فوصلوها وشرعوا في حصارها؛ وكان سُتُقر الأشقر قد استعد لهم
وجمع إلى القلعة خلقاً كثيراً؛ فحاصروه أياماً، ثم بعد ذلك توجه الأمير حُسام الدين
إلى بَرْزِيَه وحصرها وأستولى عليها، وهي مما يُضْرَب المثلُ بمحصاتها . ولما فتحها
وجد فيها خيولاً لِسُتُقر الأشقر . ولما فتحت بَرْزِيَه لانت عريكة سُتُقر الأشقر،

(١) زيادة يقتضها سياق كلام المؤلف والذيل على مرآة الزمان وعيون التواريخ .

وأجاب إلى تسليم صهيون على شروط أشرطها ، فأجاب طرُنطاي إليها ، وحلف له بما وُقِّع به من الإيمان ، ونزل من قلعة صهيون بعد حصرها شهراً واحداً ، وأعين على نقل أنقاله بحال كثيرة وحضر بنفسه وأولاده وأنقاله وأتباعه إلى دمشق . ثم توجه إلى الديار المصرية صحبة طرُنطاي المذكور ووقَّ له بجميع ما حلف عليه ؛ ولم يزل يذبُّ عنه أيام حياته أشدَّ ذبِّ . وأعطى السلطان لِسُقْرَ الأشقر بالديار المصرية خُزْمَانَة فارس ، وبقِيَ وافر الحرمة إلى آخر أيام الملك المنصور قلاوون . وانتظمت صهيون وبرزيه في سلك الممالك المنصورية .

ثم خرج الملك المنصور من الديار المصرية قاصداً الشام في يوم سابع عشرين شهر رجب سنة ست وثمانين وسار حتى وصل غزّة أقام بتلَّ المعجول^(١) أياماً إلى شوال ، ثم رجع إلى الديار المصرية فدخلها يوم الاثنين ثالث عشرين شوال ، ولم يعلم أحد ما كان غرضه في هذه السفرة . وفي شوال هذا سَلَطَن الملك المنصور ولده الملك الأشرف صلاح الدين خليلاً وجعله مكان أخيه الملك الصالح علاء الدين على بعد موته ، ودقَّت البشائر لذلك سبعة أيام بالديار المصرية وغيرها ، وحلَّف الناس له والعساكر ، وخُطِب له بولاية العهد .

ثم في سنة ثمان وثمانين وستمئة فُتِحَتْ طَرَابُلُس ، وهو أن صاحب طرابلس كان وقع بينه وبين سير تلميه الفرنجي^(٢) ، وكان من أصحاب صاحب

(١) راجع الحاشية رقم ٥ ص ٢٧١ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

(٢) ورد هكذا في الأصلين . وفي المراجع الأفرنجية : « سير بارثولميو » (Bartholomew) وهو صاحب جبيل . كان قائداً لجيش لوسيا أخت بيوند السابع صاحب طرابلس الذي مات في سنة ٦٨٦ هـ = ١٢٨٧ م . وم يعقب فورثه لوسيا المذكورة . وكان بارثولميو قائداً للخيالة في طرابلس بعد موت بيوند ، وهو نجح سير جي الفارس التيلاري صاحب جبيل المذكور في الحاشية رقم ٢ ص ٣١٦ من هذا الجزء ، وقد سأل بارثولميو السلطان أن يساعده على تملك طرابلس على أن تكون ناسيةً عنها كما تـ .

- (١) الحصن الذي أحرقه صاحب طرابلس رضا الملك المنصور قلاوون حسب ما تقدم ذكره .
فصلت بينه وبين صاحب طرابلس وحشة بسبب ذلك ، وأتفق موت صاحب
الحصن ، وسأل سير تلميه من السلطان الملك المنصور المساعدة ، وأن يتقدم للأمر بلبان
الطبايحى السعداء أن يساعده على تملك طرابلس ، على أن تكون مناصفة ، وبذل في ذلك
بذولا كثيرة ، فسويعد إلى أن تم له مراده ، ورأى أن الذى بذله للسلطان لا يوافقه
الفرنج عليه ، فشرع في باب التسوية والمغالطة ومدافعة الأوقات ، فلما علم السلطان
باطن أمره عزم على قتاله قبل استحكام أمره ، فتجهز وخرج من الديار المصرية
بعساكره لحصار طرابلس ، وسار حتى وصل دمشق وأقام بها ، ثم تها وخرج منها ،
ونازل طرابلس في مستهل شهر ربيع الأول ، ونصب عليها المجانيق وضائقها مضائق
شديدة إلى أن ملكها بالسيف في الرابعة من نهار الثلاثاء رابع شهر ربيع الآخر ،
وشمل القتل والأسر لسائر من كان بها ، وغرق منهم في الماء جماعة كثيرة ، ونهب
من الأموال والذخائر والمتاجر وغير ذلك ما لا يوصف ، ثم أحرقت ونحبت سورها ،
وكان من أعظم الأسوار وأمنعها . ثم تسلم حصن أنفة^(٢) وكان أيضا لصاحب طرابلس

- = فصل آخر من قبل ، فلما تم له ما أراد رأى أن الفرنج لا يوافقونه على ذلك فشرع في باب التسوية
والمغالطة كما في الأصل مما دعا السلطان إلى حصار طرابلس والاستيلاء عليها . وفي ابن القرات قلاوون
اليوناني أن السلطان بعد أن ملك طرابلس أبى على أخت البرنس صاحب طرابلس فريتين من قراها . قال :
وحضر إلى السلطان بظاهر طرابلس ولد سركى صاحب جبيل وكان صاحب طرابلس قتل أباه سنة ٥٦٨١ .
نخلع عليه السلطان وأقره على جبيل على سبيل الإنقطاع وأخذ منه معظم أموالها . وفي المقرئى وأقر
جبيل على صاحبها على مال أخذه منه . (انظر تاريخ الصليبيين في المشرق لاستغفون ص ٣٥٠ ، وانظر
ابن القرات ج ١٥ ص ٢٦١ والسلوك للقرئى ترجمة كثر مير عدد ٢ ج ١ ص ١٠٣) .

(١) يقصد بالحصن هنا حصن مرقية السابق ذكره . وكانت مرقية وجبيل كلتاهما من
حصون التبلار . (٢) هو الأمير بلان بن عبد الله الطبايحى المنصورى سيف الدين . سيذكره
المؤلف في حوادث سنة ٥٧٠٠ . (٣) أنفة : بلدة على ساحل بحر الشام شرق جبيل
صينون بينها ثمانية فراسخ (من معجم البلدان لياقوت) .

فامر السلطان بتخريبه ، ثم تسلّم السلطان البُتْرُون وجميع ما هناك من الحصون .
وكان لطرابُلس مدة طويلة بأيدي الفرنج من سنة ثلاث وخمسمائة إلى الآن .

قلت : وكان فتح طرابُلس الأول في زمن معاوية بن أبي سفيان ، رضى الله عنه ، وتقلت في أيدي الملوك ، وعُظمت في زمن بنى عَمَّار قضاة طرابُلس وحُكَّامها . فلما كان في آخر المائة الخامسة ظهرت طوائف الفرنج في الشام واستولوا على البلاد فأمتنعت عليهم طرابُلس مدةً حتى ملكوها بعد أمور في سنة ثلاث وخمسمائة ، وآسَمَت في أيديهم إلى أن فتحها الملك المنصور قلاوون في هذه السنة .

وقال شرف الدين محمد بن موسى المَقْدِسِيّ الكاتب في «السيرة المنصورية» :

١٠ إن طرابُلس كانت عبارةً عن ثلاثة حصون مجتمعة باللسان الرومي ، وكان فتحها على يد سُفْيَان بن مُجِيب الأَزْدِيّ^(١) ، بعنه لحصارها معاوية بن أبي سفيان في خلافة عثمان بن عفّان ، رضى الله عنه ، انتهى كلام شرف الدين باختصار .

قلت : وأما طرابُلس القديمة كانت من أحسن المُدُن وأطيبها ، ثم بعد ذلك آتخذوا مكانا على ميل من البلدة وبنّوه مدينةً صغيرة بلا سُور ، فجاء مكانا ردىء الهوى والمزاج من الوحْم . انتهى . ١٥

ولما فُتِحَت طرابُلس كُتِبَت الدُشائر إلى الآفاق بهذا النصر العظيم ، ودُقَّت البُشائر والتهاني وزُيِّنَت المُدُن وعُمِلَت القِلاع في الشوارع وسُرَّ الناس بهذا النصر غاية السُرور . وأنشأ في هذا المعنى القاضي تاج الدين آبن الأثير كتابا إلى صاحب اليمن بأمر الملك المنصور يُعرفه بهذا الفتح العظيم وبالبشارة به . وأوله :

٢٠ (١) في الأصلين «ابن نجيب» . وما أثبتناه عن ابن الأثير (ج ٢ ص ٢٣١) . وقد اجماع القوم في حوادث سنة ٦٨٨ هـ .

- (١) [بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَمَرَ اللَّهُ] نَصَرَ المَقَامَ العَالِيَّ السُّلْطَانِيَّ الْمَلِكِيَّ الْمُظْفَرِيَّ الشَّمْسِيَّ . ثم استطرد وحكى أمر الفتح وغيره إلى أن قال فأحسن فيما قال : وكانت الخلفاء والملوك في ذلك الوقت ما فيهم إلا مَنْ هو مشغول بنفسه ، مُكَبِّ حَلٍ بِمَجْلِسِ أَنَسِهِ ؛ يرى السلامة غنيمة ، وإذا عَنَّ لَهُ وَصَفُ الْحَرْبِ لَمْ يَسْأَلْ [مِنْهَا إِلَّا] (٢) عَنْ طُرُقِ الْهَزِيمَةِ ؛ قَدْ بَلَغَ أَمَلُهُ مِنَ الرِّبَةِ ، وَقَنِعَ [مَنْ مَلِكُهُ كَمَا يُقَالُ بَا] لِسَكَّةٍ وَالْخَطْبَةِ ؛ أُمُورًا تُنْهَبُ ، وَمَمَالِكُ تَذْهَبُ ؛ لَا يُبَالُونَ بِمَا سَلَبُوا ، وَهُمْ كَمَا قِيلَ :
- إِنْ قَاتَلُوا قُتِلُوا أَوْ طَارَدُوا طُرِدُوا * أَوْ حَارَبُوا حُرِبُوا أَوْ غَالَبُوا غُلِبُوا
- إِلَى أَنْ أَوْجَدَ اللَّهُ مَنْ نَصَرَ دِينَهُ ، وَأَذَلَ الْكُفْرَ وَشِيطَانِيَّتَهُ . اِنْتَهَى (٣)
- قلت : وَالْكِتَابُ هَذَا خُلَاصَتُهُ وَالَّذِي أَعْجَبَنِي مِنْهُ .

- ١٠ وَعَمِلَ الشُّعْرَاءُ فِي هَذَا الْفَتْحِ عِدَّةَ قَصَائِدَ ، فَمِنْ ذَلِكَ مَا قَالَهُ الْعَلَمَةُ شَهَابُ الدِّينِ أَبُو الْإِسْمَاعِيلِ مُحَمَّدُ كَاتِبُ الدَّرَجِ الْمَقْدَمِ ذَكَرَهُ يَمْدَحُ الْمَلِكَ الْمَنْصُورَ قَلَاوُونَ وَيَذَكُرُ فَتْحَهُ طَرَابُؤُسَ ، وَالْفَصِيدَةَ أُولَهَا :
- طَيْنَا لِمَنْ أَوْلَاكَ نِعْمَتَهُ الشُّكْرُ * لَأَنْتَ لِلْإِسْلَامِ يَا سَيْفَهُ دُنُورُ
- وَمِثْلُكَ الْإِخْلَاصُ فِي صَالِحِ الدُّمَاءِ * إِلَى مَنْ لَهُ فِي أَمْرِ نَصْرَتِكَ الْأَمْرُ
- وَبِاللهِ فِي إِعْلَاءِ مُلْكِكَ فِي الْوَرَى * مُرَادُّ وَفِي التَّائِيدِ يَوْمَ الْوَعَى سِرٌّ
- ١٥ أَلَا هَكُنَا يَا وَارِثَ الْمُلْكِ فَلْيَكُنْ * جِهَادُ الْعِيدَا لَا مَا تَوَالَى بِهِ الدَّهْرُ

(١) في الأصلين : « وأوله نصرة المقام ... الخ » . والصحيح والتكلمة عن تراجمان للقيوم .

(٢) زيادة عن تراجمان . (٣) تكلمة عن تراجمان . (٤) في الأصلين :

« لا يسألون » . وما أئتمناه عن تراجمان . (٥) راجع بقية هذا الكتاب ؛ إن شئت ،

في تراجمان للقيوم في حوادث سنة ٦٨٨ هـ .

ومنها :

- نهضت إلى عليا طرابلس التي * أقل عناها أن خندقها البحر^(١)
والقصيدة طويلة كلها على هذا المنوال ، أضربت عنها خوف الإطالة . انتهى .
- ثم عاد الملك المنصور إلى الديار المصرية في جمادى الآخرة من السنة ، واستمر
بالقاهرة إلى أول سنة تسع وثمانين وستمائة ، جهز الأمير حسام الدين طرطاي
كافل الممالك الشامية إلى بلاد الصعيد ، ومعه عسكر جيد من الأمراء والجنود ، فسكن
تلك النواحي وأباد المفسدين وأخذ خلقا عظيما من أعيانهم رهائن ، وأخذ جميع
أسلحتهم وخيولهم ، وكانت معظم سلاحهم السيوف والمجف^(٢) والرماح ، وأحضروا
إلى السلطان من ذلك عتة أحمال ، ففرق السلطان من الخيول والسلاح فيمن أراد
من الأمراء والجنود وأودع الرهائن الحبوس .

وفي هذه السنة أيضا عاد الأمير عز الدين أيبك الأقرم من غزو بلاد السودان
بمغانم كثيرة ورقيق كثير من النساء والرجال وفيل صغير .

- ثم في هذه السنة أيضا رسم السلطان ألا يستخدم أحد من الأمراء وغيرهم
في دواوينهم أحدا من النصارى واليهود وحرّض على ذلك ، فأمتثل ذلك الأمراء
جميعهم .

وفي هذه السنة عزّم السلطان الملك المنصور على الحج فبلغه خبر فرنج عكا ، فقرّر
عزمه وتبّيا للخروج إلى البلاد الشامية ، ورأى أن يُقدّم غزوهم والانتقام على الحج ،
وأخذ في تجهيز العساكر والبعوث ، وضرب دِهْلِيْزَه خارج القاهرة ، وباب الدهليز إلى

(١) راجع بقية هذه القصيدة في نثر الجمان وميون التواريخ .

(٢) المجف : التروس من جلود بلا خشب ولا عقب .

- جهة عكا . وخرج من القاهرة إلى مُجَيْمِه وهو متوَعَك لأيام خلت من شَوَّال ، ولا زال متمتضا بِمُجَيْمِه عند مسجد التبن خارج القاهرة إلى أن تُوفِّي به في يوم السبت ^(١) سادس ذى القعدة من سنة تسع وثمانين وستمائة ، وحُمل إلى القلعة ليلة الأحد . وتسلمن من بعده ولده الملك الأشرف صلاح الدين خليل الذى كان عهده بالسلطنة قبل تاريخه حسب ما ذكرناه . وكثر أسفُ الناس عليه .

- قال الحافظ أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي في « تاريخ الإسلام » بعد ما سماه ولقبه قال : اشترى بالف دينار ، ولهذا كان في حال إمْرته يُسَمَّى بالأنفى ، وكان من أحسن الناس صورةً في صِبَاه ، وأباهم وأهيبهم في رجولته ، كان تام الشكل مستدير الحية قد وخطه الشيب ، على وجهه هيبَةُ الملك وعلى أكتافه حِشْمَةُ السلطنة ، وعليه سِكِينَةٌ وَوَقَار ، رأيته مرات آنحرا مُنْصَرَفَه من فتح طرابلس . وكان من أبناء الستين . ثم قال : وحدثني أبي أنه كان مُعْجَمَ اللسان لا يكاد يُفْصَح بالعربية ، وذلك لأنه أتى به من بلاد التُّرك وهو كبير . ثم قال بعد كلام آخر : وعمل بالقاهرة بين القصرين تربةً عظيمةً ومدرسة كبيرة ، قال : ويُمَارِسُنا نَالْمَرْضَى .

(١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٩٦ من هذا الجزء .

- (٢) تكلم المقرئ في (ص ٣٧٩ و ٣٨٠ و ٤٠٦ من الجزء الثاني) من خطه على هذه الأماكن الثلاثة فقال : إنها داخل باب المارستان الكبير المنصوري بخط بين القصرين بالقاهرة ، أنشأها الملك المنصور قلاوون ولم يذكر المقرئ تاريخ إنشاء التربة والمدرسة ، ولكنه ذكر فقط تاريخ الشروع في بناء المارستان . وقد تبين لي من النكبات المنقوشة على مباني هذه الأماكن الثلاثة أن المارستان بديء في عمارته في شهر ربيع الآخر سنة ٦٨٣ هـ . وأتت في شَوَّال من تلك السنة ، وأن القبة بديء في عمارتها في شَوَّال سنة ٦٨٣ هـ ، وأتت في صفر سنة ٦٨٤ هـ . وأن المدرسة بديء في عمارتها في صفر سنة ٦٨٤ هـ . وأتت في جمادى الأولى من السنة المذكورة ، ويجمع هذه التواريخ الثلاثة تاريخ واحد كتب على الباب الرئيس لهذه العمارة ذكر فيه تاريخ البدء في البناء وهو شهر ربيع الآخر سنة ٦٨٣ هـ وتاريخ الفراغ منه وهو شهر جمادى الأولى سنة ٦٨٤ هـ .

قلت : ومن عمارته البيارستان المذكور وعظم أوقافه تُعرف هُتته ، ونذكر
عمارة البيارستان إن شاء الله تعالى بعد ذلك . انتهى .

وقال غيره : وكان يُعرف أيضا قلاوون الآقستقري الكاملي الصالح النجفي ،
لأن الأمير آق سقز الكاملي كان اشتراه من تاجره بألف دينار ، ثم مات الأمير
آق سقز المذكور بعد مدة يسيرة ، فأرتجع هو وخشداشيتيه إلى الملك الصالح نجم الدين
أيوب في سنة سبع وأربعين وستائة ، وهى السنة التى مات فيها الملك الصالح أيوب ،
وهذا القول هو الصحيح في أصل مشتراه .

قلت : ولما طلع الملك المنصور قلاوون إلى قلعة الجبل ميتاً ، أخذوا في تجهيزه
وغسله وتكفينه إلى أن تم أمره ، وحمّلوه وأنزلوه إلى تربته بين القصرين فدُفِنَ
بها . وكانت مدة مُلكه إحدى عشرة سنة وثلاثة أشهر ، رحمه الله تعالى ، وكان
سلطاناً كريماً حليماً شجاعاً مقداماً عادلاً عفيفاً عن سفك الدماء مائلاً إلى فعل الخير
والأمر بالمعروف ، وله مآثر كثيرة :

منها البيارستان الذى أنشأه بين القصرين ، وتمَّ عمارته في مدة يسيرة ، وكان
مُشيد عمارته الأمير عَلم الدين سَنَجَر الشُّجَاعِي المنصوري وزير الديار المصرية ومُشيد

= وهذه الأماكن راقية بشارع المزلدين الله (شارع بين القصرين سابقاً) بالقاهرة ، ووجهها الشرقية
المشرفة على الشارع تتكوّن من قسمين : البحرى منها وهو الواقع على يمين الداخل من الباب الرئيسى هو
وجهة التربة وتعلوها القبة ، والقبلى منها وهو الخارج هو وجهة المدرسة المزخّرة بالحنايا المحمولة على عمد
من الرخام يتوسطها شباك على أشكال جميلة ، وبين القبة والمدرسة دهليز طويل فيه أبوابها ، وكان
يوصل قديماً إلى المارستان . وأما القبة من الداخل فشكلها من أبداع وأجل القباب المزخّرة بالقسفساء
والخشب المذهب ، يحلها أربعة أعمدة أسطوانية سمكة وطويلة من الجرانيت الأحمر . والجدران مكسوة
بالرخام وتحت هذه القبة القبر المدفون به الملك المنصور قلاوون وأبنته الملك الناصر محمد .

وأما المدرسة فيوجد الآن من مبانيها القديمة الإيوان الشرق وما فيه من الزخارف الجميلة ثم محرابها
البدیع . وأما المارستان فقد خربت مبانيه القديمة ولم يبق منها إلا أجزاء من بعض قاعاته . وفي سنة ١٩١٥ م
أنشأت وزارة الأوقاف مستشفى للرمذ بباب خاص على جزء كبير من أرض المارستان المذكور

(١) هو الأمير علم الدين سنجري عبد الله الشجاعى المنصوري . سيذكر المؤلف وفاته سنة ٦٩٣ هـ .

دواوينها ، ثم ولى نيابة دِمَشْق ونَهَض بهذا العمل العظيم وفرغ منه فى أيام قلائل ،
ولما كمل عمارة الجميع أَمْتَدَحَهُ مُعِينُ الدِّينِ بْنِ تُوْلُوكَ بِقَصِيدَةٍ أَوَّلُهَا :

أَنْشَأْتَ مَدْرَسَةً وَمَارِسْتَنَا * لَتُصَحِّحَ الْأَدْيَانَ وَالْأَبْسَدَانَا

قلت : وهذا الْبِيَارِيسْتَانُ وَأَوْقَافُهُ وَمَا شَرَطَهُ فِيهِ لَمْ يَسْبِقْهُ إِلَى ذَلِكَ أَحَدٌ قَدِيمًا

وَلَا حَدِيثًا شَرْقًا وَلَا غَرْبًا . وَجَدَدَ عِمَارَةَ قَلْعَةِ حَلَبٍ وَقَلْعَةَ كَرْكَرٍ وَغَيْرَ مَوَاضِعَ .

وَأَمَّا غَزَاوَاتُهُ فَقَدْ ذَكَرْنَاهَا فِي وَقْتِهَا . وَجَمَعَ مِنَ الْمَمَالِكِ خَلْقًا عَظِيمًا لَمْ يَجْمَعْهُمْ أَحَدٌ
قَبْلَهُ ، فَبَلَغَتْ عِدَّتُهُمْ اثْنَى عَشَرَ أَلْفًا ، وَصَارَ مِنْهُمْ الْأَمْرَاءُ الْكِبَارُ وَالنُّوَابُ ، وَمِنْهُمْ
مَنْ تَسَلَطْنَ مِنْ بَعْدِهِ عَلَى مَا يَأْتِي ذِكْرُهُ . وَتَسَلَطْنَ أَيْضًا مِنْ ذُرِّيَّتِهِ سُلَاطِينَ كَثِيرَةً
آخَرَهُمُ الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ حَاجَتِي الَّذِي خَلَعَهُ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ بَرْقُوقَ . وَأَعْظَمُ مِنْ هَذَا أَنَّهُ
مَنْ تَسَلَطْنَ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ يَوْمِ مَاتَ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا ، إِمَّا مِنْ ذُرِّيَّتِهِ ، وَإِمَّا مِنْ
مَمَالِكِهِ أَوْ مَمَالِكِ مَمَالِكِ أَوْلَادِهِ وَذُرِّيَّتِهِ ، لِأَنَّهُ يَلْبَقَا مَمْلُوكَ السُّلْطَانِ حَسَنًا ، وَحَسَنُ
أَبْنِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ ، وَبَرْقُوقُ مَمْلُوكُ يَلْبَقَا ، وَالسُّلَاطِينَ بِأَجْمَعِهِمْ مَمَالِكُ بَرْقُوقَ
وَأَوْلَادِهِ . وَاتَّهَى . وَكَانَ مِنْ مَحَاسِنِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ قَلَاوُونَ أَنَّهُ لَا يَمِيلُ إِلَى جَنْسِ
بَعِيْنِهِ بَلْ كَانَ مَيْلُهُ لِمَنْ يَتَّخِذُ فِيهِ النِّجَابَةَ كَأَنَّهُ مِنْ كَانَ .

قلت : وَلِهَذَا طَالَتْ مَدَّةُ مَمَالِكِهِ وَذُرِّيَّتِهِ بِأَخْتِلَافِ أَجْنَاسِ مَمَالِكِهِ ، وَكَانَتْ
حَرَمَتُهُ عَظِيمَةً عَلَى مَمَالِكِهِ لَا يَسْتَطِيعُ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ أَنْ يَنْهَرَ غَلَامَهُ وَلَا خَادِمَهُ خَوْفًا

(١) هُوَ عَمَّانُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَحَدِ بْنِ تُوْلُوكَ الْفَهْرِيُّ الْمَصْرِيُّ التَّنِيسِيُّ مُعِينُ الدِّينِ الشَّاعِرُ
الْأَدِيبُ . سَبَّحَهُ الْمَوْلُفُ سَنَةَ ٦٨٥ هـ . وَقَدْ ضَبَطَهُ الصَّفْدَى فِي الرِّوَايَاتِ بِالْوَقَايَاتِ بِالْبَابَةِ فَقَالَ (يَضُمُّ
الْأَاءَ ثَلَاثَةَ الْحُرُوفِ وَسَكُونُ الْوَاوِ الْأَوَّلَى وَضَمُّ اللَّامِ وَفَتْحُ الْوَاوِ الثَّانِيَةِ وَبَعْدَهَا أَلِفٌ) .

(٢) كَرْكَرَ : قَلْعَةٌ حَصِيَّةٌ شَاهِقَةٌ جَدَا ، عَلَى جَانِبِ الْفُرَاتِ الْغَرْبِيِّ ، وَهِيَ مِنْ أَعْظَمِ ثَغُورِ الشَّامِ
(عَنْ تَقْوِيمِ الْبُلْدَانِ لِأَبِي الْقَدَا إِسْمَاعِيلَ) .

منه، ولا يتجاهر أحد منهم بفاحشة، ولا يترجح إلا إن زوجه هو بعض جَوَّاريه؛ هذا مع كثرة عددهم.

قلت رحمه الله تعالى : لو لم يكن من محاسنه إلا تربية ممالكه وكف شرهم عن الناس لكفاه ذلك عند الله تعالى، فإنه كان بهم منفعة للمسلمين، ومضرة للشركين وقيامهم في الغزوات معروف، وشرهم عن الرعية مكفوف؛ بخلاف زماننا هذا، فإنه مع قلتهم وضعف بنيتهم وعدم شجاعتهم، شرهم في الرعية معروف، وتقمعهم عن الناس مكفوف؛ هذا مع عدم التجاريد والتقاء الخوارج وقلة الغزوات، فإنه لم يقع في هذا القرن، وهو القرن التاسع، لقاء مع خارجي غير وقعة تيمور، وأنتصحو منه غاية الفضيحة، وسلموا البلاد والعباد وتسحب أكثرهم من غير قتال.

وأما الغزوات فأعظم ما وقع في هذا القرن فتح قبرس^(١)، وكان النصر فيها من الله سبحانه وتعالى، إنكسر صاحبها وأخذ من جماعة يسيرة، تلقاهم بعض

(١) يريد القرن التاسع، وهو الذي فُتحت فيه قبرس، كما ذكره المؤلف وسيذكره أيضا في هذا الكتاب.

(٢) قبرس : جزيرة كبيرة في الزاوية الشمالية الشرقية للبحر الأبيض المتوسط على مسافة قريبة من آسيا الصغرى وسوريا، حيوانها ونباتها كنبات وحيوان سوريا. أما جوها فيشبه جو آسيا الصغرى. اعتاد أهلها الحياة البحرية الساذجة، واشتهرت بغاباتها العظيمة التي كانت تمد الملاحة القديمة بأحسن الأخشاب، لذا كان تاريخها مشاعا بين آسيا الصغرى وسوريا ومصر وبلاد اليونان، تنافس الكل في امتلاكها، وصار أهلها خليطا من اليونان والترك والعرب وانتشرت فيها المسيحية والإسلام.

احتلها معاوية سنة ٥٢٨ = ٦٤٨ م. وأدخل فيها الإسلام هارون الرشيد ثم احتلها اليونان إلى آخر القرن الثاني عشر الميلادي إلى أن سقطت عكا في يد المسلمين سنة ٦٩٠ = ١٢٩١ م. ثم تملكها ملوك أورشليم فتعاقب عليها ١٨ أميرا من أسرة لوزينيان إلى أن فتنها الأشرف بارسبای سنة ٨٢٩ = ١٤٢٦ م، وأسر ملكها وفرض عليه الجزية كل عام. وكانت عمارة التجارة بين أوروبا وآسيا ثم أسنولى عليها الأتراك سنة ٩٧٩ = ١٥٧١ م. وفي سنة ١٨٣٢ م احتلها جيوش محمد علي الكبير. وفي سنة ١٨٧٨ م تنازلت عنها الدولة العلية لانتحلتها في مقابل دفاعها عن شواطئ تركيا الآسيوية، وهي الآن تابعة لها، وإدارتها منوطة بمندوب سام تعينه لندن يساعده مجلس تشريعي من أهل الجزيرة (ملخص عن دائرة المعارف الإسلامية).

عسا كره . يخذلان من الله تعالى ! وقع ذلك كله قبل وصول غالب عسكر المسلمين .

- وأما غير ذلك من الغزوات فسفر في البحر ذهاباً وإياباً ، فكيف لو كان هؤلاء أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب عندما غزا الساحل ، وغاب عن الديار المصرية نحو العشر سنين ، لا يفارق فيها الحميم والتشتت عن الأوطان واتصال الغزوة بالغزوة ! أو لو كانوا أيام الملك الكامل محمداً قاتل الفرنج على ديباط نحو الثلاث سنين لم يدخل فيها مصر إلى أن فتح الله عليه ، أو لو كانوا أيام الملك الظاهر بيبرس وهو يجهز ويغزو في السنة الواحدة المرة والمرة والمرة والثلاث وعلم جراً ! إلى أيام الملك الأشرف شعبان بن حسين لما أخذت الإسكندرية . وهذا شيء معروف لا يسأح فيه أحد . وأعجب من هذا كله أن أولئك كانوا على حظ وافر من الأدب والحشمة والتواضع مع الأكابر ، وإظهار الناموس وعدم الأزدراء بمن هو دونهم ، وهؤلاء أسئت في الماء وأنف في السماء ، لا يهتدى أحدهم لمسك لحام الفرس ، وإن تكلم تكلم بنفس ؛ ليس لهم صناعة ، إلا نهب البضاعة ؛ يتقوون على الضعيف ، ويشترهون حتى في الرغيف ؛ جهأهم الإحراق بالرئيس ، وغزؤهم في التبن والدريس ؛ وحفظهم منقام ، ولا مروءة لهم والسلام . انتهى .

١٥

قال ابن كثير في حق الملك المنصور قلاوون المذكور : اشتراه الملك الصالح نجم الدين أيوب من الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب بالف دينار ، فلذلك سُمي بالألفي .

٢٠

قلت : وهذا بخلاف ما نقله الشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي في أن الذي اشتراه بالف دينار إنما هو الأمير آق سُتُرُ الكاميلى ، والأرجح عندي ما قاله الصفدي في أن الذي اشتراه بالف دينار إنما هو الأمير آق سُتُرُ من وجوه عديدة .

قال ابن كثير أيضاً : وكان الملك المنصور قد أقرّد من ممالك ثلاثة آلاف وسبعائة مملوك من الأمراء والبحرّاء كسّة وجعلهم بالقلعة ، وممّا هم « البرّجية » ، وأقام نوابه في البلدان من ممالكه ، وهم الذين غيروا ملابس الدولة الماضية .

قال الصلاح الصّفيّ : وليسوا أحسن الملابس ، لأنّ في الدولة الماضية الصّلاحية كان الجميع يلبسون كلّوات صُفّر مُضربة بكلّينات بغير شاشات ،

(١) الكلّوات : جمع كلوة بتشديد اللام وهي فارسية ، معناها الطاقية الصغيرة من الصوف المضربة بالقطن ، كانت غطاء الرأس في الدولتين : الأيوبية والمماليك ، وكانت شارة الأمراء يلبسونها بغير عمامة فوقها ، ولها كلاليب تعقد تحت الذقن هي الكلّينات الآتية ذكرها في الحاشية التالية ، وكانت لهم ذوايب شعر يرسولونها خلفهم وكانت صفراء . فلما كانت دولة الأشرف خليل بن قلاوون غير لونها من الصفرة إلى الحمرة وأمر بالعمائم فوقها وبقيت كذلك حتى حج الناصر محمد بن قلاوون في أوائل دولته فخلق رأسه فخلق الجميع ردومهم . وكانت عمامتهم صفيرة فريد في قدرها في دولة الأشرف شعبان بن حسين فحسنت حينها . قال المقرئ : كانت في أيام الناصر تسمى الناصرية وفي أيام الأشرف شعبان تسمى الطرخانية وفي زمن الظاهر برقوق تسمى الجركمية واستمر الحال على ذلك إلى زمنه . (كزيمير أول ص ١٢٧ وصحيح الأعشى رابع ص ٤٩ وخطوط علي باشا مبارك ج ١٢ ص ٢٦ وخطوط المقرئ ج ٢ ص ٤٩٨ ، ٢١٧ ودوزي الملابس عند العرب ص ٣٧٨ والقاموس الفارسي الانجليزي لاستنجاس ص ١٠٩٦) .

(٢) الكلّينات : جمع كلّينة وهي فارسية ، معناها لباس الرقبة أركوفية الرقبة يلبسها النساء على ردومهن وترتبط تحت الذقن لحفظ ما فوق ردومهن من اللباس حتى لا يتزجج ما على الشعر وتطلق أيضاً على نوع من حل الذهب تلبس حول الرقبة . والذي في المقرئ أن السلطان والأمراء والعساكر إنما يلبسون على ردومهم كلوة صفراء مضربة تضرباً عرضياً ولها كلاليب بغير عمامة ، والكلّاليب هنا هي الكلّينات الآتية الذكر (انظر خطوط المقرئ ج ٢ ص ٩٨ والسلوك ج ١ ص ٩٤ طبع دار الكتب المصرية وانظر استنجاس ص ١٠٩٦) .

(٣) الشاشات : جمع شاش لا توجد في القاموس وهي قطعة من قاش كانت ثلاث على الكلوة . جاء في النوري : تميم شاش دخاني عتيق . وفي السلوك فأكرمه السلطان وأحسن إليه وأنعم عليه بفنّ ريف أطلّس معدني بطرز زركش وكلوة زركش وشاش رنم وحياصة ذهب مجوهرمة على عادة أكابر نواب السلطنة الشريفة . وفي موضع آخر ركب في الموكب بالأفنية الإسلامية والكلوة والشاش على عادة العساكر الشريفة . وفي ابن إياس في حوادث سنة ٥٧٨٧ هـ : « جرت عادة وهي أن امرأة حالحة رأت النبي صلى الله عليه وسلم في منام وهو يقول لها : قولي للنساء يتهنّ عن لباس الشاش وكان شيئاً قد اقترحه النساء يلبسه على ردومهن مثل ستام الجمل ، طوله نحو ذراع وارتفاعه ربع ذراع ويزن حقه بالذهب والفضة ويالن في ذلك وكان بدعة سيئة من السيئات » . وشاع لبس الشاش في القرون الوسطى حول الكلوة في بلاد العرب وسور يا ومصر وفارس وما وراء النهر . (انظر الملابس العربية لدوزي ص ٢٣٦ — ٢٤٠) .

- وشعورهم مضمفورة^(١) ديايسق في أيجاس حرير ملؤنة ، وكان في خواصرهم موضع^(٢)
 الحوائص بنود ملؤنة أو بلبكية^(٣) ، وأكام^(٤) أقيتهم^(٥) ضيقة على زي ملابس الفرنج ،
 وأخفافهم^(٦) برغالي أو سقامين ومن فوق قماشهم كترات^(٧) يسلق وإيزيم ، وصوالقهم^(٨)
 يكار يسع كل صولق نصف وية أو أكثر ، ومنديلهم كبير طوله ثلاث أذرع ،
 فأبطل المنصور ذلك كله بأحسن منه ، وكانت الخلع للأمرءاء المقدمين المروزي^(٩) ،

- (١) يقصد أن شعورهم كانت مضمفورة مدلاة بدبوقة كما في خطط المقرزي (ج ٢ ص ٩٨) .
 والديايسق : نوع من الحرير المنسوب الى ديق بلد قديم من أعمال تنيس بمصر راجع الحاشية رقم ٣
 ص ٨٢ من الجزء الرابع من هذه الطبعة . (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٧٣ من هذا الجزء .
 (٣) الأقية جمع قباء ، وهو ثوب يلبس فوق الثياب ويقصد بالقباء هنا البغطاق وهي فارسية معناها
 المصطف . والبغطاق : قباء صغير ، قال المقرزي في الكلام على الأسواق : استجد الأمير سلا رايا^(١٠) الملك
 الناصر محمد القباء الذي يعرف بالسلارى ، وكان قبل ذلك يعرف بالبغطاق . وكانت هذه البغالق إما يضا
 أو مشجرة أحمر وأزرق مرصعة بالجواهر وهي ضيقة الأكام على هيئة ملابس الفرنج اليوم . ولم يزل هذا
 زيهم الى أيام الملك المنصور فلما ورد في هذا الزي بأحسن منه وأبطلوا الحكم الضيق . فلما ملك الأصف
 ظلى جمع خاصيته ومعالكة وتغير لهم الأقية الأطلس المدنى . راجع خطط المقرزي (ص ٩٩ ج ٢)
 وخطط على باشا مبارك (ج ١ ص ٣٤) و(دوزى الملابس عند العرب من ٣٥٢ - ٣٦٢ وكتومير
 مجلد ١ ج ٢ ص ٧٥ - ٧٦) .

- (٤) الخلف البرغالي : ذكر ابن بطوطة في رحلته في كلامه حين انصرف عن القسطنطينية ما يلي :
 وكنت ألبس ثلاث فروات وسروالين أحدهما مبطن ، وفي رجل خف من صوف وفوقه خف مبطن بثوب
 كنان وفوقه خف من البرغالي وهو جلد الفرس مبطن بجلد ذئب . وابن بطوطة (ج ٢ ص ٤٤٥) .
 (٥) السقامين : جمع سقام وهو خف ثان يلبس فوق خف آخر كان يستعمل في دولة المماليك يلبسه
 الحريم والجنود والأمرءاء والسلاطين نفسه . وقد ورد في المقرزي : «وفي أوجله من فوق الخلف سقام وهو
 خف ثان» . (المقرزي خطط ج ٢ ص ٩٨) .

- (٦) كترات : جمع كتر ، فارسية معناها الحزام المفرغ من وسطه لحشو النقود وبحوها ، شائع الاستعمال
 في مصر الآن ، وقد ورد في المقرزي : «ومن فوق القباء كراتان يسلق وإيزيم» (المقرزي خطط ج ٢ ص ٩٨) .
 (٧) الإيزيم كما ورد في اللسان : حديدة تكون في طرف الحزام يدخل فيها الطرف الآخر . والخلق^(٨)
 معروف . (٨) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٧٨ من هذا الجزء .

نقصص الملك المنصور من الأمراء بلبس الطرد وحش^(١) أربعة من خُشْدَاشِيَّتِهِ ،
 وهم : سقر الأشقر الذي كان تسلطن ولُقب بالملك الكامل واليَمِيرى والأَيْدَمِيرى
 والأفرم . وباقي الأمراء والخاصيكة والبرانية تلبس المروزي والطبلخانات بالملقون ،
 والعشرات بالعتابي^(٢) .

قلت : وهذا أيضا بخلاف زماننا فإنه ليس فيه أوباش الناس الخلع السنية ،
 وأعجب من هذا أنه لما ليس هؤلاء الخلع السنية زالت تلك الآبهة والحشمة
 عن الخلع المذكورة وصلت كن دونها من الخلع في أعين الناس لمعرفتهم بمقام
 اللابس . انتهى .

قلت : والآن نذكر ما وعدنا بذكره في أوائل ترجمة الملك المنصور قلاوون من
 أمر كتاب السر ، لأنه هو الذي أحدث هذه الوظيفة وسمى صاحبها بكتاب السر على ما
 نبينه من أقوال كثيرة :

منها أنه لما كان أيام الملك الظاهر بيبرس كان الدوادار يوم ذاك بلبان بن
 عبد الله الرومي . قال الشيخ صلاح الدين خليل الصفدي : كان من أعيان الأمراء
 (يعنى عن بلبان المذكور) ومن مُجَبَّاهِم ، وكان الملك الظاهر بيبرس يَتَمَيَّدُ عليه ويُحْمَلُه
 أسراره إلى القصاد . ولم يؤمِّره إلا الملك السعيد ابن الملك الظاهر بيبرس .

(١) الطرد وحش ، كلمة مركبة تطلق على ضرب من الثياب تصنع على هيئة جلد الوحش .
 ذكر المقرئ في باب الخلع ومراتبها الطرد وحش فقال : إنه ثاني الأطلسين : الأطلس الأول لأكابر
 أمراء الخلق . والطرد وحش لمن دونهم في المرتبة ، وكان يعمل بدار الطراز بالإسكندرية ومصر ودشق ،
 وهو مجوهر بجواهر ألوان متميزة بقصب مذهب يفصل بين هذه الجواهر نقوش وطراز من هذا القصب .
 وربما كره بعضهم فركب عليه طراز امرزكشا بالذهب وعليه فرو سنجاب وسندس (خطط المقرئ ج ٢
 ص ٢٢٧ وكرمه ج ٤ ص ٧٠ — ٧١) .

(٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٦٧ من هذا الجزء .

وَأَسْتَشْهِدُ بِمَصَافٍ حِصصَ سَنَةِ ثَمَانِينَ وَسِتِّائَةٍ ، وَكَانَ يَبَاشِرُ وُظُفَةَ الدَّوَادَارِيَّةِ وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ كَاتِبٌ سِرٌّ ، فَاتَّفَقَ أَنَّهُ قَالَ يَوْمًا لِمُحْيِي الدِّينِ بْنِ عَبْدِ الظَّاهِرِ : أَكْتُبْ لِي فَلَانٍ مَرْسُومًا أَنْ يُطْلَقَ لَهُ مِنَ الْخِزَانَةِ الْعَالِيَةِ بِدَمَشَقَ عَشْرَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ ، نَصْفُهَا عَشْرُونَ أَلْفًا ، فَكُتِبَ الْمَرْسُومُ كَمَا قَالَ لَهُ وَجَهَّزَهُ إِلَى دِمَشَقَ ، فَأَنْكَرُوهُ وَأَعَادُوهُ إِلَى السُّلْطَانِ ، وَقَالُوا : مَا نَعْلَمُ ! هَلْ هَذَا الْمَرْسُومُ بِعَشْرِينَ نَصْفُهَا عَشْرَةُ أَوْ بِعَشْرَةِ نَصْفُهَا خَمْسَةٌ ؟ فَطَلَبَ السُّلْطَانُ مُحْيِي الدِّينَ وَأَنْكَرَ عَلَيْهِ ذَلِكَ ، فَقَالَ : يَا خَوْنَدُ ، هَكَذَا قَالَ لِي الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ بَلْبَانَ الدَّوَادَارِ ، فَقَالَ السُّلْطَانُ : يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ لِلْمَلِكِ كَاتِبٌ سِرٌّ يَتَلَقَّى الْمَرْسُومَ مِنْهُ شِفَاهًا . وَكَانَ الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ قَلَاوُونَ حَاضِرًا مِنْ جَمَلَةِ الْأَمْرَاءِ فَسَمِعَ هَذَا الْكَلَامَ . وَخَرَجَ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ عَقِيبَ ذَلِكَ إِلَى نُوبَةِ الْبُلُستَيْنِ ، فَلَمَّا تَوَقَّى الْمَلِكُ الظَّاهِرُ وَمَلَكَ الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ قَلَاوُونَ أَخَذَ كَاتِبُ سِرِّهِ . اِنْتَهَى .

١٠ . كَلَامُ الصَّفْدِيِّ بِإِخْتِصَارٍ .

قلت : وفي هذه الحكاية دلالة على أن وظيفة كتابة السِّرِّ لم تكن قبل ذلك أبدًا ، لقوله : يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يَكُونَ لَهُ كَاتِبٌ سِرٌّ يَتَلَقَّى الْمَرْسُومَ مِنْهُ شِفَاهًا . وَأَيْضًا تَحْقِيقُ مَا قُلْنَا : أَنَّ وُظُفَةَ كِتَابَةِ السَّرِّ لَمْ تَكُنْ قَدِيمًا ، وَإِنَّمَا كَانَتْ الْمُلُوكَ لَا يَتَلَقَّى الْأُمُورَ عَنْهُمْ إِلَّا الْوُزَرَاءُ .

١٥ .

قضية نغرا الدين بن لُقْمَانَ مع القاضي فتح الدين محمد بن عبد الظاهر في الدولة الأشرفية خليل بن قلاوون ، وهو أنه لما تَوَزَّرَ نغرا الدين بن لُقْمَانَ قَالَ لَهُ الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ : مَنْ يَكُونُ عِوَضُكَ فِي الْإِنْشَاءِ ؟ قَالَ : فَتَحَ الدِّينُ بْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ ، فَوَلَّى فَتَحَ الدِّينَ وَتَمَكَّنَ عِنْدَ السُّلْطَانِ وَحَظِيَ عِنْدَهُ ، وَفَتَحَ الدِّينُ هَذَا هُوَ الَّذِي قُلْنَا عَنْهُ فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ إِنَّهُ أَوَّلُ كَاتِبِ سِرِّ كَانَ ، وَظَهَرَ اسْمُ هَذِهِ الْوُظُفَةِ مِنْ تَمِّمٍ . اِنْتَهَى . وَحَظِيَ فَتَحُ الدِّينَ

٢٠ .

عند السلطان إلى الغاية . فلما كان بعض الأيام دخل نحر الدين بن لقمان على السلطان فأعطاه السلطان كتاباً يقرؤه ، فلما دخل فتح الدين أخذ السلطان الكتاب منه وأعطاه لفتح الدين ، وقال لفخر الدين : تأخر ! فمظم ذلك على نحر الدين بن لقمان .

قلت : ولولا أن هذه الواقعة حرق العادة ما غضب ابن لقمان من ذلك ، لأن العادة كانت يوم ذلك لا يقرأ أحدٌ على السلطان كتاباً بحضرة الوزير . انتهى .

ومنها واقعة القاضي فتح الدين المذكور مع شمس الدين ابن السلوس لما ولى الوزارة للوك الأشرف خليل بن قلاوون ، فإنه قال لفتح الدين : أعرض على كل ما تكتبه عن السلطان كما هي العادة ، فقال فتح الدين : لا سبيل إلى ذلك ، فلما بلغ الملك الأشرف هذا الخبر من الوزير المذكور ، قال : صدق فتح الدين ، فعُضِب من ذلك الوزير ابن السلوس .

قلت : وعندى دليل آخر أقوى من جميع ما ذكرته ، أنه لم أفد على ترجمة رجل في الإسلام شرقاً ولا غرباً نعت بكتاب السر قبل فتح الدين هذا ، وفي هذا كفاية . وما ذكره صاحب صبح الأعشى وغيره ممن كتبوا للنبي صلى الله عليه وسلم ومن بعده ليس في ذلك دليل على أنهم كُتِبَ السر ؛ بل ذلك دليل لكل كاتب كتب عن مخدومه كائناً من كان . ونحن أيضاً نذكر الذين ذكروا صاحب صبح الأعشى وغيره من الكتاب ، ونذكر أيضاً من ألحقناه بهم من كتاب السر إلى يومنا هذا ، ليعلم بذلك صدق مقالتي بذكركم وألقابهم وزمانهم . انتهى . قال : اعلم أن كتاب النبي ، صلى الله عليه وسلم ، كانوا يتقوا على ستة وثلاثين كاتباً ، لكن المشهور منهم : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ومعاوية بن أبي سفيان ومروان بن الحكم .

(١) هو الوزير صاحب شمس الدين محمد بن عثمان بن أبي الرجا التونسي الدمشقي المعروف

بأبي السلوس . سيذكر المؤلف وفاته سنة ٦٩٣ هـ .

- قلت : وفي مَرْوَانَ خلاف ، لأنَّ الحافظ أبا عبد الله الذهبي قال في ترجمة مَرْوَانَ بن الحَكَم : له رُؤية إن شاء الله ، ولم يَعُدْهُ من الصحابة ، فكيف يكون من الكُتَّاب ! وأيضاً حَذَفَ جماعة من كبار الصحابة كُتَّابَ النبي صَلَّى الله عليه وسلم وأثبت مروان هذا ، وفي صحبته خلاف . ولولا خشية الإطالة لذكرنا مَنْ ذكره الحافظ العلامة مُغلطاي ^(١) مَنْ كتب للنبي صَلَّى الله عليه وسلم لِيُعْلَمَ بِذلك غَلَطَ مَنْ عَدَّ مَرْوَانَ من الكُتَّاب . انتهى . قال : ولَمَّا تَوَقَّى النبي ، صَلَّى الله عليه وسلم وصارت الخلافة إلى أبي بكر كتب عنه عمر بن الخطاب وعثمان وعلي رضي الله عنهم . فلَمَّا استخلف عمر كَتَبَ عنه عثمان وعلي ومعاوية وعبد الله بن خَلَف الخُزَاعِي ، وكان زيد بن ثابت وزيد بن أَرْقَم يكتبان على بيت المال . فلَمَّا استخلف عثمان كتب عنه مَرْوَانَ بن الحَكَم . فلَمَّا استخلف علي كتب عنه عبد الله بن رافع مَوْلَى النبي صَلَّى الله عليه وسلم وسعيد بن نِمْرَان . فلَمَّا استخلف الحسن كَتَبَ عنه كُتَّابُ أبيه . فلَمَّا بَايعوا معاوية كَتَبَ عنه عبد الله بن أَوْس ، وكتب عبد الله المذكور عن أبنه زيد أيضاً ، وابن أبيه معاوية بن يزيد . فلَمَّا خَلَعَ معاوية ابن يزيد نفسه وتولى مَرْوَانُ بن الحَكَم كتب عنه سُفْيَانُ الأَحْوَلُ وقيل عُبَيْدُ اللَّهِ بن أَوْس .
- فلَمَّا استخلف عبدُ الملك بن مَرْوَانَ كَتَبَ عنه رَوْحُ بن زَيْنَاع الجُدَامِي . فلما استخلف الوليدُ كتب عنه قُرَّةُ بن شريك ، ثم قَيْصَةُ بن دُؤَيْب ، ثم الضحَّاك ابن زَيْل ^(٧) . فلما استخلف سليمانُ كتب عنه يزيد بن المُهَلَّب ، ثم عبد العزيز بن

(١) هو مُغلطاي بن قليج بن عبد الله البكري الحنفى الحافظ . سبَّحُ المؤلف وفاته سنة ٥٧٦٢ .

(٢) كان من كُتَّاب عمر رضي الله عنه ، قتل في يوم الجمل وكان مع عائشة رضي الله عنها سنة ٥٣٦ .

(٣) تَقَدَّمت وفاته سنة ٥٤٥ . (٤) تَقَدَّمت وفاته سنة ٦٧ أوسنة ٥٦٨ .

(٥) في الأصلين : « سعد بن نمر » . والتصحيح عن طبقات ابن سعد وأسد الغابة والاستيعاب في معرفة

الأشخاص والطبرى . (٦) في حسن المحاضرة ، للسيوطي : « شعبان الأحول » .

(٧) في الأصلين : « ابن زمل » . وتصحيحه عن أسد الغابة وشرح القاموس .

الحارث . فلما استخلف الإمام عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه كتب عنه رجاء بن حيوة الكِنْدِيّ ، ثم ابن أبي رُقِيّة^(١) ؛ فلما استخلف يزيد بن عبد الملك كتب عنه سعيد بن الوليد الأبرش ، ثم محمد بن عبد الله بن حارثة الأنصارى . فلما استخلف هشام بن عبد الملك أبقاهما على عادتتهما ، وأستكتب معهما سالمًا مولاه . فلما استخلف الوليد بن يزيد كتب عنه العباس بن مسلم . فلما استخلف يزيد بن الوليد كتب عنه ثابت بن سليمان . فلما استخلف إبراهيم بن الوليد كتب عنه أيضا ثابت على عادته . فلما صارت الخلافة إلى مروان بن محمد بن مروان كتب عنه عبد الحميد بن يحيى مولى بني عامر إلى حين أنقراض الدول الأموية . ثم صارت الخلافة لبني العباس فأتخذوا كتّابهم وزراء ، وكان أول خلفاء بني العباس أبو العباس عبد الله ابن محمد السفاح فأتخذ أبا سلمة [حفص بن سليمان] الخلال^(٢) ، وهو أول وزير وزر في الإسلام ؛ ثم أستوزر معه [خالد بن برمك وسليمان بن مخلد والربيع بن يونس ، قراكت عليهم الأشغال ، وأتسمت عليهم الأمور ، فأفردوا للكتابات ديوانًا ، وكانوا يُعبرون عنه تارة بصاحب ديوان الرسائل ، وتارة بصاحب ديوان المكاتبات ، وتفرقت دواوين الإنشاء في الأقطار ، فكان بكل مملكة ديوان إنشاء ؛ وكانت الديار المصرية من حين الفتح الإسلامى وإلى الدولة الطولونية إمارة ، ولم يكن لديوان الإنشاء فيها كبير أمر . فلما أستولى أحمد بن طولون عظمت مملكتها وقوى أمرها فكتب عنه أبو جعفر محمد بن أحمد بن مودود . وكتب لولده نحمارويه إسحاق بن نصر

(١) هو الليث ابن أبي رقية ، كما في حسن المحاضرة والطبرى . (٢) لم يتم لإبراهيم بن الوليد بن عبد الملك هذا أمر الخلافة ، فقد كان يسلم عليه جمعة بالخلافة وجمعة بالإمرة وجمعة لا يسلمون عليه بالخلافة ولا بالإمرة فكان على ذلك حتى قدم مروان بن محمد فخلعه . (راجع الطبرى ٢ ص ١٨٧٥) . (٣) في الأصلين : « أبو مسلم الخلال » . والتصحيح والزيادة عن التنبية والإشراف للسعودى والطبرى والفخرى في الآداب السلطانية . (٤) تكملة عن المصادر المتقدمة .

- العبادى . وتوالت دواوين الإنشاء بذلك إلى حين أنقراض الدولة الإخشيدية .
- ثم كانت الدولة الفاطمية فعظم ديوان الإنشاء بها ، ووقع الاعتناء به واختيار بُلغَاء الكُتَّاب مابين ^(١١) مُسلم وذِيئى ، فكتب للعزير بن المعز فى الدولة الفاطمية أبو المنصور بن جورس ^(١٢) النصرائى ، ثم كتب لابنه الحاكم ومات فى أيامه ، وكتب للحاكم بعده القاضى أبو الطاهر النهريكى . ثم تولى الطاهر بن الحاكم فكتب عنه أبو الطاهر المذكور . ثم تولى المسنصر فكتب عنه القاضى ولى الدين بن خيران ، وولى الدولة موسى بن الحسن بعد أنتقاله إلى الوزارة ، وأبو سعيد العميدى . ثم تولى الأمر والحافظ فكتب عنهما الشيخ أبو الحسن على بن أبى أسامة ^(١٣) الحلبي إلى أن توفى فى أيام الحافظ ، فكتب بعده ولده أبو المكارم إلى أن توفى ، ومعه الشيخ أمين الدين تاج الرئاسة أبو القاسم على بن سليمان بن منجب المعروف بأبن الصيرفى ، والقاضى كافى الكُفَّاء محمود أبن القاضى الموفق أسعد بن قادوس ، وأبن أبى الدم الیهودى ، ثم كتب بعد أبى المكارم القاضى الموفق بن الخلال بقية أيام الحافظ إلى آخر أيام العاضد آخر خلفائهم ، وبه تخرج القاضى الفاضل عبد الرحيم الیسمانى . ثم أشرك العاضد مع الموفق بن الخلال فى ديوان الإنشاء القاضى جلال الدين محموداً

- ١٥ (١) كذا فى الأصلين وحسن المحاضرة . وفى صبح الأعشى (ج ١ ص ٩٦) : « أبو المنصور ابن سورد بن النصرائى » . (٢) كذا فى الأصلين . وفى حسن المحاضرة : « أبو الطاهر الهولى » . وفى صبح الأعشى « أبو الطاهر البهزكى » . وقد بحثنا فى المصادر التى تحت أيدينا عن هذه النسب الثلاث فلم نثر على واحدة منها . (٣) هو ولى الدين أبو محمد أحمد بن على المعروف بأبن خيران الكاتب الشاعر (عن ابن خلكان فى ترجمة على بن أحمد بن نوبخت) . (٤) فى صبح الأعشى : « قبل أنتقاله إلى الوزارة ... » . (٥) فى حسن المحاضرة : « أبو سعيد العبدى » . (٦) فى الأصلين : « بعده » . وهو خطأ والتصويب عن حسن المحاضرة وصبح الأعشى . (٧) فى الأصلين : « منجد » وتصحيحه عن الإشارة فىسن نال الوزارة ، وهى من مؤلفاته . (٨) فى الأصلين وحسن المحاضرة : « بعد أبن أبى المكارم » . والتصحيح عن صبح الأعشى . وما تقدم ذكره لؤلؤف قريباً . (٩) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٩٤ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

الأنصارى . ثم كتب القاضي الفاضل بين يدي الموفق بن الخلال في وزارة صلاح الدين يوسف بن أيوب . ثم كانت الدولة الأيوبية ، فكتب للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب القاضي الفاضل المذكور ، ثم أضيفت إليه الوزارة . ثم كتب بعد الناصر لأبنيه العزيز ولأخيه العادل أبي بكر ، ثم مات العادل والفاضل .

قلت : هنا مجازفة لم يكتب القاضي الفاضل للعادل وكان بينهما مشاحنة ، ومات الفاضل قبل وصول العادل إلى مصر ، وقيل وقت دخول العادل من باب النصر إلى القاهرة كانت جنازة القاضي الفاضل خارجة . وقد ذكرنا ذلك كله في هذا الكتاب^(١) ، وإنما كتب الفاضل للعزيز عثمان ولولده الملك المنصور محمد ، فأكتبس المنصور على الناقل بالعادل . انتهى .

قال : ثم تولى الكامل بن العادل فكتب له أمين الدين سليمان المعروف بكاتب الدَّرج إلى أن توفى ، فكتب له بعده الشيخ أمين الدين عبد المحسن [بن حمود] الحلبي مدة قليلة ، ثم كتب للصالح نجم الدين أيوب ، ثم ولى ديوان الإنشاء صاحب بهاء الدين زهير ، ثم صُرف وولى بعده صاحب نحر الدين إبراهيم بن لقمان الإسعدي ، فبقي إلى أنقراض الدولة الأيوبية . فلما كانت الدولة التركية كتب للعزيز أيبك صاحب نحر الدين المذكور ، ثم بعده للظفر قُطُر ، ثم للظاهر بيبرس ، ثم للمنصور قلاوون ، ثم نقله قلاوون من ديوان الإنشاء للوزارة ، وولى ديوان الإنشاء مكانه القاضي فتح الدين بن عبد الظاهر فكتب عنه بقية أيامه ، ثم كتب لأبنيه الأشرف خليل إلى أن توفى ، فولّى مكانه القاضي تاج الدين [أحمد]^(٢) بن الأثير فكتب إلى أن

(٢) الزيادة عما تقدم ذكره للوف في حوادث

(١) راجع حوادث سنة ٥٩٦ هـ .

(٣) الزيادة عن صبح الأمل .

سنة ٦٤٣ هـ وصن المحاضرة .

- تُوفِّي ؛ فكتب بعده القاضي شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله فكتب بقية أيام الأشرف . فلما تولى أخوه الناصر محمد كتب عنه القاضي شرف الدين المذكور في سلطته الأولى ثم في أيام العادل كتباً ثم أيام المنصور لاحقين ثم في أيام سلطنة الناصر محمد الثانية ؛ ثم نقله إلى كُتَّاب السَّرِّ بدمشق عَوَّضًا عن أخيه القاضي مُحمَّد بن الدين ، وتولى مكانه بمصر القاضي علاء الدين [بن تاج الدين] بن الأثير فبقي حتى مَرِضَ بالفالج . فاستدعى الملك الناصر مُحمَّد بن فضل الله من دِمَشْق وولده شهاب الدين [أحمد] وولَّاهما ديوان الإنشاء بمصر . ثم ولى بعدهما القاضي شمس الدين ابن الشهاب محمود فَبَقِيَ إلى عَوْدِ السلطان من الحج فأعاد القاضي محي الدين وولده القاضي شهاب الدين إلى ديوان الإنشاء بمصر فَبَقِيَ مَدَّةً . ثم تَغَيَّرَ السلطان على القاضي شهاب الدين وصرفه عن المباشرة ، وأقام أخاه القاضي علاء الدين وكلاهما معين لوالده لِكِبَرِ سِنِهِ ، ثم سأل القاضي مُحمَّد بن الدين السلطان في العَوْدِ إلى دِمَشْق فأعاده وصحبته ولده شهاب الدين ؛ واستمر ولده القاضي علاء الدين بالديار المصرية فبأشر بقية أيام الناصر ، ثم أيام ولده الملك المنصور ، ثم أيام الأشرف بكك ، ثم أيام الناصر أحمد إلى أن خَلَعَ نفسه وتوجه إلى الكَرَك توجه معه القاضي علاء الدين ؛ فلما تولى الملك الصالح إسماعيل السلطنة

- ١٥ (١) هو عبد الوهاب بن فضل الله بن المجمل بن دجمان بن خلف القاضي شرف الدين القرشي المصري . توفي سنة ٥٧١٧ هـ . (عن المنهل الصافي وشذرات الذهب) .
 (٢) هو يحيى بن فضل بن المجمل بن دجمان القاضي الكبير الرئيس محي الدين أبو المعالي القرشي العدوي المصري . توفي سنة ٥٧٣٨ هـ . (عن الدرر الكامنة) . (٣) تكله عن حسن المحاضرة .
 (٤) زيادة عن الدرر الكامنة والمنهل الصافي . توفي سنة ٥٧٤٩ هـ . (٥) في الأصلين : « وولاه » .
 والسياق يقتضى ما أثبتناه . (٦) في الأصلين وصحح الأعشى : « شرف الدين » . وما أثبتناه عن المنهل الصافي وشذرات الذهب والدرر الكامنة . وهو محمد بن محمود بن سليمان بن فهد . توفي سنة ٥٧٢٧ هـ .
 (٧) هو علاء الدين علي بن يحيى بن فضل الله . توفي سنة ٥٧٦٩ هـ . كما سيذكر المؤلف بعد قليل .
 (٨) هو السلطان الملك المنصور سيف الدين أبو بكر ابن السلطان الملك الناصر أبي المعالي بن المنصور فلادون الذي تُلُطِن بعد وفاة أبيه سنة ٥٧٤١ هـ .

بمصر بعد أخيه الناصر أحمد قزرقا القاضى بدر الدين محمد ابن القاضى محيى الدين بن فضل الله عوضاً عن أخيه علاء الدين .

قلت : لم يل بدر الدين محمد بعد أخيه علاء الدين الوظيفة استقلالاً وإنما ناب عنه إلى حين حضوره . انتهى .

قال : ثم أعيد علاء الدين أيام الصالح إسماعيل وأيام الكامل شعبان ، ثم أيام المظفر حاجى ثم أيام الناصر حسن فى سلطته الأولى ، ثم فى أيام الصالح صالح ، ثم فى أيام الناصر حسن فى سلطته الثانية ، ثم أيام المنصور محمد ابن المظفر حاجى ، ثم فى أيام الأشرف شعبان وتوفى فى أيامه .

قلت : وكانت وفاته فى شهر رمضان سنة تسع وميتين وسبعائة بعد أن باشر كتابة السرى نيفاً وثلاثين سنة لأحد عشر سلطاناً .

قال : ثم ولى الوظيفة بعده ولده بدر الدين محمد ابن القاضى علاء الدين ، فباشر بقية أيام الأشرف شعبان ، ثم ولده المنصور على ، ثم أخيه الملك الصالح حاجى بن شعبان إلى أن خلع بالظاهر برقوق ، فاستقر برقوق بالقاضى أوحى الدين عبدالواحد ابن إسماعيل التركمانى إلى أن توفى .

قلت : وكانت وفاته فى ذى الحجة سنة ست وثمانين وسبعائة .

(١) توفى سنة ٧٤٦ هـ عن المنهل الصافى والدرر الكامنة وما سيذكره المؤلف .

(٢) هو الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون . تولى السلطة سنة ٧٦٤ هـ وتوفى سنة ٧٧٨ هـ وهو غير الكامل شعبان بن محمد بن قلاوون الذى ولى السلطة فى سنة ٧٤٦ هـ وتوفى سنة ٧٤٧ هـ كما سيأتى ذكره للمؤلف . (٣) سيذكر المؤلف سنة وفاته بعد قليل . (٤) هو أوحى الدين عبد الواحد بن إسماعيل بن يس بن أبى حسن الإفريقى ثم المصرى الحنفى سبط القاضى كمال الدين بن التركمانى . (عن شذرات الذهب والمنهل الصافى) .

قال : ثم أُعيد بدر الدين فباشر حتى خُلِع الظاهر برقوق بالمنصور حَاجٌّ ،
فاستمر بدر الدين إلى أن عاد برقوق إلى سلطته الثانية ، صرفه بالقاضي علاء الدين
علي بن عيسى الكركي ، ثم صرف الكركي .

قلت : ومات معزولا في شهر ربيع الأول في سنة أربع وتسعين وسبعمائة .

قال : ثم أُعيد القاضي بدر الدين من بعد عزل القاضي علاء الدين فاستمر
بدر الدين إلى أن عاد برقوق فتوفى بدمشق .

قلت : ووفاته في شوال سنة ست وتسعين وسبعمائة .

قال : وولي بعده القاضي بدر الدين محمود الكُتُتَانِي فباشر إلى أن توفى .

قلت : وكانت وفاته في عاشر جمادى الأولى سنة إحدى وثمانمائة .

قال : فتولى بعده القاضي فتح الدين فتح الله [التَّبْرِيزِي^(١)] فباشر بقية أيام
الظاهر ، ومدة من أيام الناصر إلى أن صرفه الناصر فرج بالقاضي سعد الدين بن
غُرَاب مائة يسيرة ، ثم صرف ابن غُرَاب وأُعيد القاضي فتح الله ثانيا ، فباشر
إلى أن صرف بالقاضي نحر الدين بن المزوق^(٢) ، فباشر مدة يسيرة ، ثم صرف وأُعيد
فتح الله فباشر إلى أن صرفه الملك المؤيد شيخ وقبض عليه وصادره .

قلت : ومات تحت العقوبة خُنْفًا في ليلة الأحد خامس عشر شهر ربيع الأول
سنة ست عشرة وثمانمائة ، وهو فتح الله بن مستعصم بن نَفِيس التَّبْرِيزِي الحنفي
الدَّوُودِي ، يأتي ذكره هو وغيره من كُتَاب السَّرِّ في محلهم من هذا الكتاب إن شاء
الله تعالى .

(١) زيادة عن حسن المحاضرة وما سيذكره المؤلف بعد قليل . (٢) هو سعد الدين إبراهيم

ابن عبد الرزاق بن غُرَاب . سيذكر المؤلف وفاته سنة ٨٠٨ هـ . (٣) هو نحر الدين ماجد ، ويدعى
عبد الله ، بن السيد أبي الفضائل بن سناء الملك المعروف بابن المزوق . سيذكره المؤلف سنة ٨٣٣ هـ .

- قال : وتَوَلَّى بعده القاضي ناصر الدين محمد البارزي^(١) فباشر إلى أن تُوُفِّي .
- قلت : وكانت وفاته يوم الأربعاء ثامن شوال سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة ، ومولده بَحْمَاة في يوم الاثنين رابع شوال سنة تسع وستين وسبعائة . وتولى بعده ولده القاضي كمال الدين محمد بن البارزي ، فباشر إلى أن صرفه الملك الظاهر ططر وولَّى علم الدين داود [بن عبد الرحمن] بن الكُوَيْزِ ، فباشر إلى أن تُوُفِّي سنة ست وعشرين وثمانمائة في دولة الملك الأشرف برسبَإى . وولَّى بعده جمال الدين يوسف بن الصَّغِيّ الكركي فباشر قليلاً إلى أن صُرف بقاضي القضاة شمس الدين محمد الهروي ، ودام الكركي بعد ذلك وباشر عدة وظائف بالبلاد الشامية إلى أن تُوُفِّي في حدود سنة خمس وخمسين وثمانمائة ، وباشر الهروي إلى أن عُزِل بقاضي القضاة نجم الدين عمر ابن حُجِّي ، فباشر ابن حُجِّي إلى أن عُزِل وتوجّه إلى دِمَشْق على قضائها ، ودام إلى أن قُتِل بها في ذى القعدة سنة ثلاثين وثمانمائة ، وولَّى بعده القاضي بدر الدين محمد [ابن محمد بن أحمد] بن مُزَهِر ، واستمر إلى أن مات في ليلة الأحد سابع عشرين بُمَهادي الآخرة من سنة آئتين وثلاثين وثمانمائة . وولى بعده ابنه جلال الدين ؛ وقيل بدر الدين محمد مدة يسيرة . وصُرف بالشريف شهاب الدين أحمد [بن علي بن إبراهيم ابن عدنان] الحُسَيْنِي الدمشقي ، فباشر مدة يسيرة وتُوُفِّي بالطاعون في سنة ثلاث وثلاثين ،
- (١) هو ناصر الدين أبو المعالي محمد ابن القاضي كمال الدين محمد بن عز الدين محمد بن عثمان الجهمي الحموي الشافعي المعروف بابن البارزي كاتب السر الشريف . (٢) في الأصلين هنا : «سنة سبع وستين وسبعائة» . وما أثبتناه عما سيذكره المؤلف في سنة وفاته . (٣) سيذكر المؤلف وفاته بعد قليل في ولايته الثالثة . (٤) زيادة عما سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٨٣١ هـ والمنهل الصافي . (٥) سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٨٥٦ هـ . (٦) هو شمس الدين محمد بن عطاء الله بن محمد بن محمود بن أحمد بن فضل الله بن محمد الرازي الحموي الشافعي . سيذكر المؤلف وفاته سنة ٨٢٩ هـ . (٧) التكلة عن المنهل الصافي وما سيذكره المؤلف في سنة وفاته . (٨) سيذكر المؤلف وفاته سنة ٨٣٣ هـ . (٩) زيادة عن المنهل الصافي وما سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٨٣٣ هـ .

- وولى بعده أخوه نحو الجمعة بغير خَلْعَةٍ وتُوُفِّي بالطاعون أيضا . وولى بعدهما شهاب الدين أحمد [بن صالح بن أحمد بن عمر المعروف بـ^(١)] بن السَّفَّاح الحَلْبِي فباشر إلى أن مات في سنة خمس وثلاثين . وولى بعده الوزير كريم الدين عبد الكريم ابن كاتب المناخ مضافا للوزارة ، فباشر أشهراً وصُرف ؛ وأُعيد القاضي كمال الدين محمد بن البارِزِي في يوم السبت العشرين من شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين ، فباشر إلى أن صُرف يوم الخميس سابع شهر رجب سنة تسع وثلاثين ؛ وولى مكانه الشيخ مُحِبُّ الدين محمد ابن الأشقر فباشر إلى أن صرف ، وولى صلاح الدين محمد ابن الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله ، فباشر إلى أن تُوُفِّي بالطاعون في سنة إحدى وأربعين ، وولى مكانه والده الصاحب بدر الدين حسن فباشر إلى أن صُرف ، وأُعيد القاضي كمال الدين بن البارِزِي في يوم الثلاثاء سابع عشر شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة ، وهي ولايته الثالثة ؛ فباشر إلى أن تُوُفِّي بكرة يوم الأحد سادس عشرين صفر سنة ست وخمسين وثمانمائة . ولم يُخَلَفْ بعده مثله ، وولى بعده القاضي محب الدين محمد بن الأشقر المقدم ذكره ، وباشر إلى أن صَرَفَه الملك الأشرف إينال بالقاضي مُحِبُّ الدين محمد بن الشَّحْنَة الحَلْبِي ، فباشر ابن الشَّحْنَة أشهراً ثم صُرف ، وأُعيد القاضي محب الدين محمد بن الأشقر وهي ولايته الثالثة . انتهى . ١٥

قلت : وغالب مَنْ ذكرناه من هؤلاء الكُتَّاب قد تقدّم ذكر أكثرهم ، ويأتى ذكر باقيهم في محلهم من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى . وقد استطردنا من ترجمة الملك المنصور إلى غيرها ، ولكن لا بأس بالتطويل في تحصيل الفوائد . انتهى .

(١) التكلة من المنهل الصافي وما سيذكره المؤلف في سنة وفاته . (٢) هو الوزير الصاحب

كريم الدين عبد الكريم ابن الوزير الصاحب تاج الدين عبد الرزاق ابن شمس الدين عبد الله المعروف بابن كاتب المناخ ، سيذكر المؤلف وفاته سنة ٨٥٢ هـ . ٢٠



السنة الأولى من سلطنة الملك المنصور قلاوون على مصر وقد تقدم ذكرها
في ترجمة الملك السعيد ، والملك العادل سَلامش ولَدَى الملك الظاهر بيبرس ، وهي
سنة ثمان وسبعين وستمائة ، فإنه حَكَمَ فيها من شهر رجب إلى آخرها .



وهذه السنة الثانية من ولاية الملك المنصور قلاوون المذكور ، وهي سنة
تسع وسبعين وستمائة .

فيها تُوُفِيَ الشيخ مُحيي الدين أبو العباس أحمد [بن علي^(١) بن عبد الواحد بن السابق
الحلبي العدل الكبير ، كان من أكابر بيوت حلب ، وكان عنده فضيلة ورياسة
ومات بدمشق في ذى الحجة .

وفيها تُوُفِيَ الأمير سيف الدين ، وقيل صارم الدين ، أَرْزَبَك بن عبد الله الحلبي
الصلب الكبير ، كان من أعيان أمراء دِمَشْق ، وهو منسوب إلى أستاذه الأمير
عز الدين أيوب الحلبي ، وكان قد تجرد إلى بَطْلِكَ فتمرض بها ، فحُمِلَ في حِفَّةٍ إلى
دِمَشْق ، فمات بها في شوال .

وفيها تُوُفِيَ الأمير جمال الدين آقوش بن عبد الله الشَّمْسِي ، كان من أعيان
الأمراء وأماثلهم وشجعانهم ، وهو الذي أمسك الأمير عز الدين أيدمر الظاهري ،
وهو الذي باشر قتل كَتَبًا نُويُنَ مقدّم التار يوم عَيْن جالوت ، وكان ولي نيابة
حلب في السنة الخالصة ، ومات بها في يوم الاثنين خامس المحرم ودُفِنَ بحلب ، وهو
في عشر الخمسين .

(١) النكتة عن تاريخ الإسلام .

وفيهما تُوفِّي الشيخ الإمام كمال الدين أبو محمد عبد الرحمن بن محمد الحنفى - الفقيه العَدْلُ، كان من أعيان الفقهاء العدول، وكان كثير الديانة والتعبّد، وهو أخو قاضى القضاة شمس الدين الحنفى^(١).

وفيهما تُوفِّي الشيخ شمس الدين أبو عبد الله محمد [بن أبوب بن أبى رحلة]^(٢) الحنصى المولد والدار البعلبكي الوفاة، كان فاضلاً ظريفاً أديباً شاعراً، ومما ينسب إليه من الشعر قوله :

والدهرُ كالطيفِ بؤساء وأنعمه * عن غير قصيدٍ فلا تمجد ولا تلم
لا تسأل الدهرَ في البأساء يكشفها * فلو سالت دوام البؤس لم يدم

وفيهما تُوفِّي الأديب الفاضل الشاعر المُفْتَن جمال الدين أبو الحسين يحيى ابن عبد العظيم بن يحيى بن محمد بن علي - المصرى - المولد والوفاة، المعروف بالجزّار، الشاعر المشهور أحد فحول الشعراء في زمانه . مولده سنة إحدى وستائة^(٣) . ومات يوم الثلاثاء ثاني عشر شوال ومُؤَيَّن بالقرافة، وكان من محاسن الدنيا، وله نوادر مُستظرفة ومُداعبات ومُفاوضات مع شعراء عصره، وله ديوانٌ شعر كبير .

قال الشيخ صلاح الدين الصَّفْدِي : لم يكن في عصره من يُقاربه في جَوْدَةِ النظم غير السَّراج الوراق، وهو كان فارس تلك الحَلْبَةِ، ومنه أخذوا، [و] على نَمَطِهِ نسجوا، ومن مادته استمدوا . انتهى كلام الصَّفْدِي .

(١) هو شمس الدين عبد الله بن محمد بن عطاء الأذرى الحنفى قاضى القضاة أبو محمد . تقدّمت وقافته فيمن تقل المؤلف وقافتهم عن الدهى سنة ٦٧٣ هـ . (٢) زيادة عن عيون التواريخ والمذيل على مرآة الزمان وعقد الجمان . (٣) كذا في الأصلين وذيل مرآة الزمان وعيون التواريخ في إحدى روايته . وروايته الثانية وتاريخ الإسلام والميل الصافي أن مولده سنة ٦٠٣ هـ . (٤) في الذيل على مرآة الزمان : « ومكاتبات » . (٥) هو أبو حفص عمر بن محمد السراج الوراق . سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٩٥ هـ .

قلت : ونذكر قطعة من شعره فن ذلك قوله :

أَكْلَفَ نَفْسِي كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ * هُمُومًا عَلَى مَنْ لَا أَفُوزُ بِخَيْرِهِ
كَأَسْوَدِ الْقَصَارِ بِالشَّمْسِ وَجْهَهُ * لِيَجْهَدَ فِي تَبْيِضِ أَثْوَابٍ غَيْرِهِ

وقيل : إنه بات ليلة في رمضان عند صاحب بهاء الدين بن حنا، فصلى عنده

التراويح وقرأ الإمام في تلك الليلة سورة الأنعام في ركعة واحدة؛ فقال أبو الحسين :

مَالِي عَلَى الْأَنْعَامِ مِنْ قُدْرَةٍ * لَا سِيَّامًا فِي رَكْعَةٍ وَاحِدَةٍ
فَلَا تُسْومُونِي حُضُورًا سِوَى * فِي لَيْلَةِ الْأَنْفَالِ وَالْمَائِدَةِ

ومن شعره :

طَرَفَ الْمُحِبِّ فَمُ يُذَاعُ بِهِ الْجَوَى * وَالْدمْعُ إِنْ صَمَتَ اللِّسَانُ لِسَانُ
تَبْكِي الْجَفُونُ عَلَى الْكَرَى فَأَعْجَبَ لَمَنْ * تَبْكِي عَلَيْهِ إِذَا نَأَى الْأَوْطَانُ

وفيها تُوفِّيَ الشيخ الإمام عماد الدين أبو بكر بن هلال بن عباد الحلي^(٣) الحنفي

مُعِيدُ الْمَدْرَسَةِ الشَّيْئَةِ . كَانَ إِمَامًا عَالِمًا صَالِحًا مُنْقَطِعًا عَنِ النَّاسِ مُشْتَغَلًا بِنَفْسِهِ ،

وَكَانَ مَعْدُودًا مِنَ الْعُلَمَاءِ ، أَفْتَى وَأَعَادَ وَدَرَسَ وَأَنْتَفَعَ بِهِ النَّاسُ وَمَاتَ فِي تَامِعِ عَشْرِ

شَهْرِ رَجَبٍ ، وَقَدْ كَمَلَ لَهُ مِائَةٌ سَنَةٍ وَأَرْبَعٌ سِنِينَ . وَرَوَى عَنْهُ أَبُو الزَّيْدِ^(٤) ؛ وَرَوَى

بِالْإِجَازَةِ الْعَامَّةِ عَنِ السَّلَفِ .

(١) فِي الْأَصْلَيْنِ : « شُرُورًا » . وَمَا أَثْبَتَاهُ عَنْ عِيُونِ التَّوَارِيخِ وَالْمَنْهَلِ الصَّافِي .

(٢) قَبْلَ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ ، كَمَا فِي عِيُونِ التَّوَارِيخِ وَذَيْلِ مِرْآةِ الزَّمَانِ ، هَذَا الْبَيْتُ :

مَرَّ الْقُلُوبُ تَذِيهِهِ الْأَجْفَانُ * هِيَاثُ يَنْقُصُ مَقْرَمًا كَمَا

(٣) كَذَا فِي الْأَصْلَيْنِ . وَفِي تَارِيخِ الْإِسْلَامِ لِلذَّهَبِيِّ : « أَبُو عِيَادِ الْحَلِيِّ » . وَفِي تَرَاجُمِ الْجَمَانِ لِلْفَيْوِي

وَالذَّيْلُ عَلَى مِرْآةِ الزَّمَانِ : « الْمَعْرُوفُ بِالْحَلِيِّ » .

(٤) هُوَ سَرَاجُ الدِّينِ الْحُسَيْنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الْمُبَارَكِ بْنِ مُحَمَّدِ الزَّيْدِيِّ . تَخَلَّصَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ ٦٣١ هـ .

فِيمَنْ قُتِلَ الْقَوْلُ فَاتَهُمُ مِنَ الذَّهَبِيِّ .

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال : وفيها تُوُفِّيَ الفقيه شمس الدين محمد بن عبد الله [بن محمد بن عمر بن مسعود] بن النُّنَّ . والأديب البارع أبو الحسين يحيى بن عبد العظيم الجزار بمصر . وشيخ الرافضة العجيب أبو القانم بن الحسين ابن العود الحليّ بجزيّ في شعبان . والشيخ الزاهد يوسف [بن نجّاح بن موهوب] الفُقاعيّ بزاويته بقاسيون .

§ أمر في هذه السنة — الماء القديم ثلاث أذرع ونحس أصابع . مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وثلاث وعشرون إصبعا .



السنة الثالثة من ولاية السلطان الملك المنصور قلاوون على مصر، وهى

سنة ثمانين وسبعمائة .

١٠

فبها تَرَبَّتْ جزيرة كبيرة ببحر النيل تجاه قرية بُولاق واللُّوق^(٤)، وأقطع بسببها تجرى البحر ما بين قلعة المقس وساحل باب البحر والرملة^(٥) وبين جزيرة الفيل^(٦)؛ ولم يهد هذا فيما تقدّم، وحصل لأهل القاهرة مشقة يسيرة من نقل الماء لبعُد البحر عنهم؛ وأراد السلطان حفره فنعه، وقالوا له : هذا نَشَف إلى الأبد .

قلت : وكذا وقع، وغالب أملاك باب البحر والبساتين خارج باب البحر وداخله هى مكان البحر الذى نَشَف، وألتصقت المباني والبساتين بجزيرة الفيل وصارت غير جزيرة، فسبحان القادر على كل شيء !

(١) تكملة من تاريخ الإسلام . (٢) زيادة عن تاريخ الإسلام وشفرات الذهب .
(٣) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٠٧ من هذا الجزء . (٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٠٨ من هذا الجزء . (٥) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٠٨ من هذا الجزء . (٦) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٠٩ من هذا الجزء .
٢٠ (٧) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٠٩ من هذا الجزء .

وفيهما تُوِّفَى الشيخ الصالح المولاهُ الْمُعْتَقِدُ إبراهيم بن سعيد الشَّاعُورِيُّ المعروف بِجَيْعَانَةَ في يوم الأحد سابع جمادى الأولى بدمشق ، ودُفِنَ بِمَقْبَرَةِ الْمُؤْمِنِينَ بِسَفْحِ قَاسِيُون ، وله من العُمُر نحو سبعين سنة ، وكانت له جنازةٌ عظيمةٌ ، وكان له أحوالٌ ومكاشفاتٌ ، رحمه الله .

٥ وفيها تُوِّفَى ملك التَّار أَبْنَا بن هُولاكو بن تُولى خان بن چِنْكُزُ خان ملك التَّار وطاغِيَتُهُمْ ، كان مَلِكًا جَلِيلَ الْقَدْرِ عَالِي الْهِمَّةِ شَجَاعًا مِقْدَامًا خَبِيرًا بِالْحَرْبِ ، لم يكن بعد والده مثله ، وكان على مذهب التَّار واعتقادهم ، ومملكته مُتَسِّعَةٌ جَدًّا وَعَسَاكِرُهُ كَثِيرَةٌ ، وكان مع ذلك كلمته مسموعةً في جنده مع كَثْرَتِهِمْ . ولَمَّا تَوَجَّهَ أَخُوهُ مَنْكُوتْمُرُ بِالسَّامِكِرِ إِلَى جِهَةِ الشَّامِ لم يكن ذلك عن رأيه بل أُشِيرَ عَلَيْهِ فَوَافَقَ ، وَنَزَلَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ الرَّحْبَةَ ، أَوْ بِالْقُرْبِ مِنْهَا ، فَلَمَّا بَلَغَ أَبْنَا كَسْرَةً مَنْكُوتْمُرُ رَجَعَ إِلَى هَمْدَانَ فَاتَتْ غَمًّا وَكُذًّا وَمَاتَ مَنْكُوتْمُرُ بَعْدَ أَخِيهِ أَبْنَا بِمَدَّةٍ يَسِيرَةٍ بَيْنَ الْعِيدَيْنِ ، وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ نَحْوَ خَمْسِينَ سَنَةً ، وَقِيلَ : ثَلَاثِينَ سَنَةً وَالثَّانِي أَرْبَعٌ . وَمَاتَ بَعْدَهُ بِيَوْمَيْنِ أَخُوهُ أَبْنَا عَلَى مَا يَأْتِي ذَكَرَ مَنْكُوتْمُرُ فِي الْقَابِلَةِ .

١٥ وفيها تُوِّفَى التَّاجِرُ نَجْمُ الدِّينِ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْمُظْفَرِ بْنِ الْحَلِيِّ ، كَانَ ذَا نِعْمَةٍ مَخْضَمَةٍ وَثَرْوَةٍ ظَاهِرَةٍ ، وَأُمُولٍ جَمَّةٍ ، وَلَهُ التَّقَدُّمُ فِي الدَّوْلَةِ .

٢٠ وفيها تُوِّفَى الشَّيْخُ مَوْفِقُ الدِّينِ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ يَوْسُفَ الْمَعْرُوفُ بِالْكَوَاشِيِّ الْإِمَامُ الْعَالِمُ الْمُفَسِّرُ صَاحِبُ التَّفْسِيرِ الْكَبِيرِ وَالتَّفْسِيرِ الصَّغِيرِ وَهُمَا مِنْ أَحْسَنِ التَّفَاسِيرِ ، وَكَانَتْ لَهُ الْيَدُ الطُّوْلَى فِي الْقُرْآنِ وَمِشَارَكَةٌ فِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْعُلُومِ ، وَكَانَ مَقِيًّا

(١) فِي الْأَصْلَيْنِ : « فَلَمَّا بَلَغَ مَنْكُوتْمُرُ الْكُسْرَةَ رَجَعَ إِلَى هَمْدَانَ فَاتَتْ غَمًّا وَكُذًّا بَعْدَ أَخِيهِ أَبْنَا ... الخ » .

وَتَصَحَّحَ هَذِهِ الْعِبَارَةَ عَنْ هَيُونَ التَّوَارِيخِ وَالْمَثَلِ الصَّافِي وَالذَّبِيلِ عَلَى مَرَأَةِ الزَّمَانِ وَتَرَابِجَانِ .

(٢) الْكَوَاشِيُّ (بِالْفَتْحِ وَالتَّخْفِيفِ) : نَسَبُهُ إِلَى كَوَاخِشَةَ ، قَلْعَةٍ بِالْمَوْصِلِ (عَنْ لُبِّ الْبَابِ وَشَذَرَاتِ

الذَّهَبِ وَذَبِيلُ مَرَأَةِ الزَّمَانِ) .

بالجامع العتيق بالموصل متقطعاً عن الناس مجتهداً في العبادة لا يقبل لأحد شيئاً، وكان يزوره الملك ومن دونه فلا يقوم لهم ولا يجيبهم، وكان له مجاهدات وكشوف وكرامات، ولأهل تلك البلاد فيه عقيدة. ومات وله تسعون سنة تقريباً، وكانت وفاته في سابع عشر جمادى الآخرة بالموصل ودُفن بها.

- وفيها توفى الأمير عز الدين المعروف بالحاج أزدمر بن عبد الله الجندار، كان من أعيان الأمراء، وكان ممن أنضاف إلى سقر الأشقر لما تسلم، وكان مستقر جملة نائباً بدمشق، ووقع له أمورٌ ذكرنا بعضها في أول ترجمة الملك المنصور قلاوون إلى أن استشهد في واقعة التار مع المنصور قلاوون بظاهرٍ يخص مقبلاً غير مدبر رحمه الله وتقبل منه.

- ١٠ وفيها توفى الأمير عز الدين أبيك بن عبد الله الشجاعى الصالحى الميادى والى الولاية بالجهات القبلية، كان ديناً خيراً لين الجانب شديداً على أهل الرب وجيهاً عند الملوك، وكان الملك الظاهر يبرس يعتمد عليه في أموره؛ ثم إنه ترك الأمر باختياره ولزم داره إلى أن مات بدمشق في جمادى الآخرة، وقد بلغ خمسا وعشرين سنة.

وفيها توفى الأمير بدر الدين بكتوت بن عبد الله الحارثى نزار، استشهد أيضاً في واقعة التار بمحمص وكان أميراً جليلاً.

١٠

وفيها توفى الأمير سيف الدين بلبان الرومى النوادر المقتسم ذكره في فضية كتاب السر، كان الملك الظاهر يبرس يعتمد عليه وولاه دواً داراً، وكان المطلق

(١) في أحد الأصلين : « في سابع رجب » . وفي الأصل الآخر : « في سابع عشر رجب » .
والتصحیح عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب وغاية النهاية . (٢) كذا في الأصلين والقبيل

٢٠

على امرأة الزمان . وفي تاريخ الإسلام للذهبي : « والى إقليم حوران والسواد » .
(٣) في تاريخ الإسلام : « بلبان الرومى » بالبدال .

على أسرارِهِ ، وتديرُ أمورَ القُصَّادِ والجواسيسِ والمكاتباتِ لا يُشَارِكُهُ في ذلكَ وزيرٌ ولا نائبُ سلطنة ، بل كان هو والأميرُ حُسامُ الدين لاجين الأيْذُمريُّ المعروف بالذُرْفيل ، فلما تُوُفِّيَ لاجين المذكورُ انفردَ بِلَيَّانَ بذلكَ وحده ، وكان مع هذه الخصوصية عند الملك الظاهر أميرَ عشرة ، وقيل جندياً .

قال الصَّفْدِيُّ : لم يُؤمِّرْهُ طبلخاناهُ إلى أن مات الملك الظاهر أنعم عليه ولده الملك السعيد بِإمرة ستين فارساً بالشام ، وبقِيَ بعد ذلك إلى أن استشهد بظاهر ^(١) خمسِ رحمه الله وقد نيفَ على ستين سنة .

وفيهما تُوُفِّيَ الأميرُ شمس الدين سُتْقُرُ بن عبد الله الأتقي ، كان من أعيان الأمراء الظاهرية ، وولى نيابة السلطنة بمصر للـك السعيد بعد موت الأمير بدر الدين بيليك الخازندار ، وباشر النيابة أحسن مباشرة إلى أن استعفى فأعني ، وولى النيابة عوضه الأمير كُونْدَك ، فكان ذهبُ الدولة على يده . ثم قبضَ الملك المنصور على سُتْقُرَ هذا وأعتقله بالإسكندرية ، وقيل بقلعة الجبل ، إلى أن مات ، وله من العمر نحو أربعين سنة .

وفيهما تُوُفِّيَ الشيخ علاء الدين أبو الحسن علي بن محمود بن الحسن بن نَبَّانَ البشْكَري ثم الربيعي ، كان له اليدُ الطولى في علم الفلك ، وتفردَ بِجَلِّ الأزياجِ وعَمَلِ التقاويم ، وغلبَ ذلكَ عليه مع فضلية تامة في علم الأدب وجودة النظم . ومن شعره :

ولما أتاني الماذلون عديتهم * وما منهم إلا ليقي قارضُ
وقد يهتوا لما رأوني شاحباً * وقالوا به عينٌ فقلت وعارضُ

وله :

إني أغار من النسيم إذا سرى * بأريج عَرْفِكَ خيفةً من ناشقِ

(١) في ذيل مرآة الزمان : « وقد نيفَ على خمسين سنة » .

(١) وأود لو سهرت لا من علة * حذراً عليك من الخيال الطارق

قلت : وأجاد الصاحب جمال الدين يحيى بن مطروح في هذا المعنى حيث قال :

فلو أمتى على قلبي مصراً * لقلت معذبي بالله زدني

ولا تسمع بوصلك لي فإني * أغار عليك منك فكيف مني

ومثل هذا أيضاً قول حفصة المغربية ، رحمه الله :

(٢) أغار عليك من غيري ومني * ومنك ومن مكانك والزمان

ولو أني خبأتك في جفوني * إلى يوم القيامة ما كفاني

وفيهما توفي الشيخ الإمام الأديب البارع بدر الدين يوسف بن لؤلؤ بن عبد الله

الذهبي الشاعر المشهور ، كان أبوه لؤلؤ عتيق الأمير بدر الدين صاحب تلّ باشر . ١٠

وكان بدر الدين هذا فاضلاً شاعراً ماهراً . ومن شعره مما كتبه للشيخ نجم الدين

[محمد] بن إسرائيل وله صاحب يميل إليه يسمى بالجارح :

قلبك اليوم طائر * عنك في الجوائح

كيف يربى خلاصة * وهو في كف جارح

(١) رواية هذا المصراع في ذيل مرآة الزمان :

١٥

* وأود لو مهدت جفوني في الكرى *

(٢) هي حفصة بنت الحاج الركونية الشاعرة الأدبية المشهورة بالجمال والحسب والمال . (عن

فتح الطيب ج ٢ ص ٥٣٩) . (٣) رواية هذين البيتين في فتح الطيب :

أغار عليك من عيني وقيب * ومنك ومن زمانك والمكان

٢٠

ولو أني خبأتك في عيوني * إلى يوم القيامة ما كفاني

(٤) زيادة عما تقدم ذكره للأولف ص ٢٨٢ من هذا الجزء .

ومن شعره في دولاب :

ورَوْضَةٍ دُولَابُهَا * إِلَى الْفُصُونِ قَدْ شَكَا
من حين ضَاعَ زَهْرُهَا * دار عليه وبَكَى
وله :

يَا عَاذِلِي فِيهِ قُلُوبِي * إِذَا بَدَأَ كَيْفَ أَسْلُو^(١)
يَمُزُّبِي كُلَّ حِينٍ * وَكَلِمَا مَرَّ يَحْلُو
وله :

حَلَا نَبَاتُ الشَّعْرِ يَا عَاذِلِي * لَمَّا بَدَأَ فِي خَذِهِ الْأَحْمَرِ
فَشَاقَنِي ذَاكَ الْعِذَارُ الَّذِي * نَبَاتُهُ أَحْلَى مِنَ السُّكَّرِ
وله في غلام على وجهه حَبَّ شَبَابٍ :

تَعَشَّقْتُهُ لَدُنَّ الْقَوَامِ مُهْفَهَقًا * تَنَبَّهْتُ إِلَيْهِ أَحْوَى الْمَرَاشِفِ أَشْنَبًا
وَقَالُوا بَدَأَ حَبَّ الشَّبَابِ بِوَجْهِهِ * فَمَا حُسْنُهُ وَجْهًا إِلَى مُجِيبَا
وله :

رَفَقًا بِصَبِّ مُغْرَمٍ * أَبْلَيْتَهُ صَدًّا وَهَجْرًا
وَأَفَاكَ سَائِلُ دَمْعِهِ * فَرَدَدَتْهُ فِي الْحَالِ نَهْرًا

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها تُوُفِّيَ العلامة الزاهد موفق الدين أحمد بن يوسف الكَوَاشِي^(٢) المفسر بالموصل في مجامد الآخرة ، وقد جاوز التسعين . والقاضي نجم الدين محمد ابن القاضي صدر الدين بن سَنِيّ الدولة بدمشق

(١) رواية هذا المصراع في ذيل مرآة الزمان وتاريخ الإسلام :

* عن حبه كيف أسلو *

(٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٤٨ من هذا الجزء . (٣) هو محمد بن أحمد بن

يحيى بن هبة الله بن الحسن بن سَنِيّ الدولة ، قاضي القضاة نجم الدين أبو بكر ابن قاضي القضاة صدر الدين أبي العباس ابن قاضي القضاة شمس الدين أبي البركات الدمشقي الشافعي (عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب والمنهل الصافي) .

في المحزم . والعلامة قاضي القضاة تقي الدين محمد بن الحسين بن رزين العامري^(١) بالقاهرة في رجب ، وله سبع وسبعون سنة . والحافظ المسند جمال الدين أبو حامد محمد بن علي بن محمود بن الصابوني في ذي القعدة . والمسند شمس الدين أبو الغنائم المسلم بن محمد بن المسلم بن علان في ذي الحجة ، وله سبع وثمانون سنة . والعدل أمين الدين القاسم بن أبي بكر بن القاسم الإربلي^(٢) في جمادى الأولى . والعارف الزاهد ولي الدين علي بن أحمد بن بدر الجزيري^(٣) المقيم بجامع بيت لهيا في شوال . وأبقا بن هولاكو ملك التتار ببلاد همذان . والحاج أزدمر الأمير بمصافٍ خص شهيذاً .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم خمسة أذرع وثلاث أصابع . يبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعاً وأربع أصابع .



السنة الرابعة من ولاية الملك المنصور قلاوون على مصر ، وهى سنة إحدى وثمانين وستمائة .

فيها توفى قاضي القضاة شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان بن باول بن عبد الله بن شاكل بن الحسين بن مالك بن جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك البرمكي^(٤) الإربلي^(٥) الشافعي قاضي قضاة دمشق وعالمها ومؤرخها .

- (١) في الذيل على مرآة الزمان : « أبو عبد الله » . (٢) في الأصلين : « الخزرجي » .
وتصححه عن تاريخ الإسلام والذيل على مرآة الزمان . (٣) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٨٦
من الجزء الثاني من هذه الطبعة . (٤) في الأصلين : « ابن نازل » . وفي عيون التواريخ :
« ابن ناول » . وفي ذيل مرآة الزمان : « ابن ناول » . وما أثبتناه عن المنهل الصافي ، وقد ضبطه
بالعبارة فقال : « بفتح الواو » . (٥) ضبطه المؤلف بالعبارة في المنهل الصافي (فتح الكاف) .

مولده في ليلة الأحد حادى عشر جمادى الآخرة سنة ثمان وستمائة بإربل وبها نشأ .
 ذكره ابن العديم في تاريخه فقال : من بيت معروف بالفقه والمناصب الدينية . وقال
 غيره : كان إماماً عالماً فقيهاً أدبياً شاعراً مُفْتَنّاً بمجموع الفضائل معدوم النظر في علوم
 شتى ، حُجَّةٌ فيما ينقله مُحَقِّقاً لما يُورده منفرداً في علم الأدب والتاريخ ، وكانت
 وفاته في شهر رجب وله ثلاث وسبعون سنة .

قلت : وهو صاحبُ التاريخ المشهور ، وقد استوعبنا من حاله نبذةً جيدةً
 في تاريخنا « المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي » . انتهى .

وكان ولي قضاء دمشق مرتين : الأولى في حدود الستين وستمائة وعُزِلَ
 وقَدِمَ القاهرة ، وناب في الحُكْمِ بها عن قاضى القضاة بدر الدين السنجارى ، وأُفْتِىَ بها
 ودرّس ودام بها نحو سبع سنين ؛ ثم أُعيد إلى قضاء دمشق بعد عز الدين بن الصائغ ،
 ومُتَّـ الناس بعَوْدِهِ . ومدحته الشعراء بعدة قصائد ؛ من ذلك ما أنشده الشيخ رشيد
 الدين عمر بن إسماعيل [بن مسعود بن سعد بن سعيد] الفارقي فقال :^(١)

أنت في الشام مثل يوسف في مصر * وير وعندي أن الكرام جناس
 ولكل سبعٍ شدادٌ وبعد السبع * عامٌ فيه يغاثُ الناسُ

وقال فيه أيضاً نور الدين على بن مُصعب .

رأيت أهل الشام طُراً * ما فيهم قطُّ غيرُ راضٍ

(١) كذا في الأصلين وذيل امرأة الزمان . وفي المنهل الصافي وترجمة ابن خلكان التي بآثار الخزانة
 الثاني من كتابه وفيات الأعيان طبع بولاق : « ومولده بإربل في يوم الخميس حادى عشر شهر ربيع الآخر
 سنة ثمان وستمائة » . (٢) هو قاضى قضاة دمشق عز الدين أبو المفاخر محمد بن عبد القادر
 ابن عبد الخالق الأنصارى المعروف بابن الصائغ . سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٨٣ هـ فيمن قتل
 وفاتهم عن الذهبي . (٣) زيادة عن تاريخ الإسلام للذهبي . وكانت وفاته سنة ٦٨٩ هـ
 كما في عيون التواريخ وشذرات الذهب وتاريخ الإسلام والمنهل الصافي .

أَتَاهُمُ الْخَيْرُ بَعْدَ شَرٍّ * فَالَوْ قُتُّ بَسَطْتُ بِلَا أَتْقَابِضَ
وَعُوضُوا فَرَحَةً بِحُزْنٍ * قَدْ أَنْصَفَ الدَّهْرُ فِي التَّقَاضِي
وَسَرَّهْمُ بَعْدَ طُولِ غَمٍّ * قَدُومُ قَاضٍ وَعَزْلُ قَاضٍ
فَكُلُّهُمْ شَاكِرٌ وَشَاكٍ * لِحَالِ مُسْتَقْبَلٍ وَمَاضٍ

ومن شعر ابن خلّكان المذكور قوله :

تَمَثَّلْتُ لِي وَالْبِلَادُ بَعِيدَةٌ * نَحْيَلُ لِي أَنَّ الْفَوَادَ لَكُمْ مَعْنَى
وَبَاجَا كَمْ قَلْبِي عَلَى الْبُعْدِ وَالنَّوَى * فَأَنْتُمْ لَفَطًا وَأَوْحَشْتُمْ مَعْنَى

وله دوبيت :

قَاسُوكَ بِيَدِ التَّمِّ قَوْمٌ ظَلَمُوا * لَا ذَنْبَ لَهُمْ لِأَنَّهُمْ مَا عَلِمُوا
مَنْ أَيْنَ لَبَدِ التَّمِّ يَا وَيْحَهُمْ * جَيِّدٌ وَعَيُونٌ وَقَوَامٌ وَفَمٌ

وله :

يَا رَبِّ إِنَّ الْعَبْدَ يُعْنِي عَيْنُهُ * فَاسْتَرْجَلْكَ مَا بَدَا مِنْ عَيْنِهِ
وَلَقَدْ أَتَاكَ وَمَا لَهُ مِنْ شَافِعٍ * لَذُنُوبِهِ فَأَقْبَلْ شَفَاعَةَ شَيْبِهِ

قلت ويعجبني في هذا المعنى قولُ القائل :

إِنْ كَانَتْ الْأَعْضَاءُ خَالِفَتِ الدِّي * أُمِرْتُ بِهِ فِي سَالِفِ الْأَزْمَانِ
فَسَلُوا الْفَوَادَ عَنِ الذِّى أَوْدَعْتُمْ * فِيهِ مِنَ التَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ
تَجِدُوهُ قَدْ أَدَّى الْأَمَانَةَ فِيهِمَا * فَهَبُّوا لَهُ مَا خَلَّ فِي الْأَرْكَانِ

وفيهما تُوفِّي ملك التتار منكوتمر بن هولاكو خان بن تولى خان بن جينكو خان،

هو أخو أبنا ملك التتار؛ ومنكوتمر هذا هو الذى ضرب المصافق مع السلطان الملك

المنصور قلاوون على حصص حسب ما تقدم ذكره وأنكسرت عساكره ، فلما وقع

ذلك عَظُمَ عليه وحصل عنده غَمٌ شديدٌ وَكَدٌ زائدٌ ، وحدثته نفسه بجمع العساكر من سائر ممالك بَيْتِ هولاكو ، واستنجد بأخيه أَبَا على غَزَوِ الشام ، فغَدَّرَ الله سبحانه وتعالى موتَ أَبَا ، ثم مات هو بعده في محرم هذه السنة ، وأراح الله المسلمين من شرهما . وكان مَنكُوتُمر شجاعاً مقداماً وعنده بَطْشٌ ^(١) وجبروتٌ وسَفْكٌ للذمَاء ، وكان نصرانياً ، وكان جُرح يوم مَصَافٍ حِصْصَ ، والذي بَرَّحه الأمير علم الدين سَنَجَرُ اللُّؤْيَدَارِي .

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها تُوُفِّيَ الإمام زين الدين عبد السلام بن علي الزَّوَاوِي المَالِكِي شيخ القراء في رجب ، عن اثنتين وتسعين سنة . وقاضى القضاة شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان الإربلي في رجب ، وله ثلاث وسبعون سنة . ونجيب الدين المِقْدَاد بن ^(٢) هبة الله القَيْسِي العدل في شعبان . وأبو الطاهر إسماعيل بن هبة الله المِلْجِي آخر من قرأ القرآن على أبي الجُود ^(٣) في رمضان بالقرافة . والبرهان إبراهيم بن إسماعيل [بن إبراهيم بن يحيى بن علوي المعروف بـ] آبن الدَّرَجِي إمام المدرسة المِعْزِيَّة في صفر ، وله اثنتان وثمانون سنة . والعماد إسماعيل بن إسماعيل بن جوسلين البعلبكي . والسلامة برهان الدين محمود ابن عبد الله المَرَاغِي في شهر ربيع الآخر ، وله ست وسبعون سنة . والإمام أمين الدين

(١) في الأصلين : « طيش » . وما أتيته عن ذيل مرآة الزمان . (٢) ضبطه صاحب غاية النهاية بالعبارة فقال : (بنح الميم و ياء ساكنة بعد اللام المكسورة و جيم) . والمليجي : نسبة إلى مليج ، قرية واقعة على شاطئ بحر شين من الجهة الغربية وهي تابعة لمركز شين الكوم بمديرية المنوفية .

(٣) هو أبو الجسود غياث بن فارس الغني مقرئ الديار المصرية . تقدمت وفاته سنة ٦٠٥ هـ . فيمن قل المؤلف وفاتهم عن الذهبي . وفي الأصلين : « ابن أبي الجود » . والصحيح عما تقدم ذكره لكونه غاية النهاية وشذرات الذهب وتاريخ الإسلام . (٤) زيادة عن تاريخ الإسلام الجواهر الحضية في طبقات الحنفية وشذرات الذهب والمثل الصافي

أحمد بن عبد الله [بن محمد بن عبد الجبار^(١) بن الأشتر^(٢) الشافعي في شهر ربيع الأول .
والشيخ الزاهد عبد الله [بن أبي بكر بن أبي البدر^(٣) البغدادى ويعرف] بكنية ببغداد .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم نحس أذرع . مبلغ الزيادة
سبع عشرة ذراعا وثمانى عشرة إصبعا .



السنة الخامسة من ولاية الملك المنصور قلاوون على مصر، وهى سنة
أثنين وثمانين وستمائة .

- فيها توفى الأمير شهاب الدين أحمد بن حمى^(٤) بن بريد البرمكى أمير آل مرمى ،
كان من فرسان العرب المشهورين ، كانت سراياه تُغير إلى أقصى نجد وبلاد الحجاز
ويؤدون له الخفر ، وكذلك صاحب المدينة الشريفة ، وكانت له المنزلة العالية عند
الظاهر والمنصور قلاوون وغيرهما من الملوك ، كانوا يُدارونه ويتقنون شره ، وكان
يزعم أنه من نسل الوزير جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك^(٥) من أخت الخليفة
هارون الرشيد الذى أمتحن جعفر بسببها وقتل . وكان بين شهاب الدين هذا وبين
عيسى بن مهنا أمير آل فضل منافسة ، فكتب إليه شهاب الدين هذا مرة كتابا
وأغظ فيه ، وكان عند عيسى الشيخ شهاب الدين أحمد بن غانم^(٥) فسأله عيسى بن مهنا
المجاوبة ، فكتب عنه يقول :

(١) زيادة عن المنهل الصافي وذيل مرآة الزمان وشذرات الذهب . (٢) فى الأصلين : « ابن
الأشترى » . ونصحه من المصادر المتقدمة . (٣) الزيادة عن تاريخ الإسلام وعيون التواريخ .

(٤) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٩٥ من هذا الجزء .

(٥) كان من أمراء شعراء مكة فى عصره . توفى سنة ٧٤١ هـ كما فى المنهل الصافي .

زَعَمُوا أَنَا هَجَوْنَا * جَمَعَهُم بِالْإِفْتِرَاءِ
كَذَّبُوا فِيمَا أَدَّعَوْهُ * وَأَفْتَرَوْا بِالْإِدْعَاءِ
إِنَّمَا قُلْنَا مَقَالًا * لَا كَقَوْلِ السُّفَهَاءِ
أَلْ فَضِيلُ آلِ فَضِيلٍ * وَأَنْتُمْ آلُ مِرَاءِ

وفيها تُوفِّيَ شرف بن مَرَى بن حسن بن حسين بن محمد النَّوَاوِي والد الشيخ
محبي الدين النَّوَاوِي ، كان مقتنِعاً بالحلال يزرع أرضاً يقاتُ منها هو وأهله ، وكان
يُحِبُّ ولده الشيخ محبي الدين منها ، ومات في صفر .

وفيها تُوفِّيَ الشيخ الإمام شمس الدين أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن أحمد
أبن محمد بن قُدَّامَةَ الحَنْبَلِيِّ المَقْدِسِيِّ ، كان إماماً فقيهاً ورعاً زاهداً كبير القدر
جَمَّ الفضائل ، انتهت إليه رئاسة مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، رضى الله عنه ،
في زمانه ، وشرح كتاب « المَقْنِيع » في الفقه تأليف عمه شيخ الإسلام موفق الدين ،
رحمه الله :

وفيها تُوفِّيَ الأمير علاء الدين كُشْتُغْدِي بن عبد الله الشَّرْقِيُّ الظَّاهِرِيُّ المعروف
بأمير مجلس ، كان من أعيان الأمراء وأكابرهم بالديار المصرية وكان بطلاً شجاعاً
وله مواقف مشهورة ونكايات في العدو المخدول . ومات بقلعة الجبل وقد نيف
على خمسين سنة ، وحضر الملك المنصور قلاوون جنازته .

(١) رواية هذه الأبيات في أحد الأصلين وذيل مرآة الزمان تحذف عن هذه الرواية .
(٢) هو محبي الدين محبي بن شرف بن مَرَى بن حسن بن حسين بن محمد النَّوَاوِي . تقدّمت وفاته
سنة ٦٧٦ هـ . (٣) في تاريخ الإسلام : « أبو محمد وأبو القرج » . (٤) هو موفق الدين
عبد الله بن أحمد بن محمد بن قُدَّامَةَ بن مقدم بن نصر الله أبو محمد . تقدّمت وفاته سنة ٦٢٠ هـ .
(٥) في الأصلين : « كش دغدي » . وما أجتاه عن تاريخ الإسلام والتذييل على مرآة الزمان
والمثل الصافي . (٦) في ذيل مرآة الزمان : « الشرقي » .

- وفيهما توفى الكاتب المجرّد عماد الدين أبو عبد الله، وقيل أبو الفضل، محمد
 ابن محمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله الشيرازي^(١) -الدمشقي- صاحب الخط
 المنسوب . انتهت إليه الرئاسة في براعة الخط لاسيما في [القلم]^(٢) المحقق و[قلم]^(٣) النسخ .
 سمع الكثير وروى عنه الحافظ جمال الدين المزي^(٤) وغيره ، وتصدى للكتابة وأنفع به
 الناس . وقدم القاهرة وأتفق أنه ركب النيل مرة مع صاحب بهاء الدين بن حنا ،
 وكان معه جماعة من أصحابه وفيهم شخص معروف بأبن الفقاعى من له عناية بالكتابة ،
 فسأل صاحب بهاء الدين ، وقال : عندى لمولانا صاحب وهؤلاء الجماعة يوم
 كامل الدعوة ، ومولانا يدعو المولى عماد الدين يفيدنى قطة القلم ، فقال صاحب :
 والله ما فى هذا شيء ، مولانا يتفضل عليه بذلك ، فأطرق عماد الدين مغضبا ، ثم رفع
 رأسه وقال : أو خير لك من ذلك ؟ قال : وما هو ؟ قال : أحمل إليك ربعة بخطى ،
 ويعفينى من هذا ، فقال صاحب : لا والله ، الربعة بخط مولانا تساوى ألفى درهم ،
 وأنا ما آكل من هذه الضيافة شيئا يساوى عشرة دراهم .

- وفيهما توفى الشيخ أبو محمد ، وقيل أبو المحاسن ، عبد الحليم بن عبد السلام
 ابن تيمية الحراني أحد علماء الحنابلة ووالد الشيخ تقي الدين بن تيمية . مولده بحران
 فى ثمانى عشر شوال سنة سبع وعشرين وستمائة ، وسمع الكثير وتفقه وبرع فى الفقه
 وتميز فى عدة فنون ، ودرس ببلده وأقضى وخطب وعظ وفسر ، ولّى هذه الوظائف

(١) زيادة عن تاريخ الإسلام وعيون التواريخ . والقلم المحقق ، هو قلم استحدثت كتابته فى طفرات
 كتب القانات فى زمن الفلقشدى مؤلف صبح الأعشى (صبح الأعشى ج ٣ ص ٥٢) .

(٢) هو الشيخ جمال الدين أبو الحاج يوسف بن الزكى عبد الرحمن بن يوسف الفضاى توفى سنة ٨٧٤٢
 عن الدرر الكامنة وشذرات الذهب وتذكرة الحفاظ . والمزي : نسبة إلى المرة ، وراجع الحاشية رقم ١ ص ٧٧
 من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٣) هو شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن
 عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحراني الحنبلي . سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٨٧٢٨ .

عَقِيب موت والده تَجَدَّ الدين، وعمره خمس وعشرون سنة، وكان أبوه أيضا من العلماء. ومات في سَلَخِ ذِي الْحِجَّةِ وَدُفِنَ بِمَقَابِرِ الصَّوْفِيَّةِ بِدِمَشْقَ .

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها تُوُفِيَ الإمام عماد الدين علي بن يعقوب [بن شُجَاعِ بن علي بن إبراهيم بن محمد] بن أبي زَهْرَانَ المَوْصِلِي الشافعي شيخ القراء بِدِمَشْقَ في صفر، وقد قارب الستين. وشيخ الإسلام الشيخ شمس الدين عبد الرحمن بن أبي عُمر المَقْدِسِي [محمد بن أحمد بن محمد بن قُدَّامَةَ] في شهر ربيع الآخر، وله خمس وثمانون سنة. والإمام شهاب الدين عبد الحلِيم بن عبد السلام بن تَيْمِيَّةَ الحَرَّاتِي والد شيخنا في سَلَخِ السنة، وله ست وخمسون سنة. والشيخ محي الدين عمر بن محمد بن أبي سعد [عبد الله بن محمد بن هبة الله بن علي بن المطهر] بن أبي عصرون التَّيْمِي في ذِي القعدة عن ثلاث وثمانين سنة. والإمام شمس الدين محمد ابن أحمد بن نِعْمَةِ المَقْدِسِي مدرِّس الشافعية في ذِي القعدة. وخطيب دمشق محي الدين محمد بن الخطيب عماد الدين عبد الكريم [ابن القاضي أبي القاسم عبد الصمد] ابن الحَرَسَاتِي في جُمَادَى الآخِرَةِ، وله ثمان وستون سنة. والحافظ شمس الدين محمد بن محمد بن عَبَّاس [بن أبي بكر] بن جَعْوَانَ الأديب في جُمَادَى الأولى.

(١) زيادة عن تاريخ الإسلام وعيون التواريخ وغاية النهاية. (٢) زيادة عما تقدم ذكره المؤلف قريبا. (٣) زيادة عن تاريخ الإسلام وذيل مرآة الزمان. (٤) يزيد بها الشافية البرانية كما صرح بذلك في ذيل مرآة الزمان وشذرات الذهب، وهي من مدارس الشافعية بدمشق بحلة القبية. إنشاء ست الشام بنت نجم الدين أيوب بن شاذي والدة الملك إسماعيل المتوفاة سنة ٥٦١٦ هـ. وتعرف هذه المدرسة بالحسامة لأن أبنتها حسام الدين دفن فيها كما أنها هي أيضا دفنت فيها. وهي اليوم مدرسة ابتدائية لا يُتِمُّ تقوم بها جمعية الإصطاف الخيري. وكان دوس بها من المشاهير فن الدين بن الصلاح، وعبد العزيز بن أبي عصرون، ومحيي الدين بن الزكي، والفاروق، والشرطي، وابن الوكيل، وابن قاضي شعبة وغيرهم. (عن خطط الشام ج ٦ ص ٨١ لكرد حل). (٥) تكملة عن شذرات الذهب وعيون التواريخ وتاريخ الإسلام. (٦) تكملة عن عيون التواريخ وشذرات الذهب وتاريخ الإسلام والذيل على مرآة الزمان.

والرئيس مُحيي الدين يحيى بن علي بن القلانسي في شوال . والرئيس عماد الدين أبو الفضل محمد [بن محمد ^(١١)] ابن القاضي شمس الدين هبة الله بن الشيرازي في صفر . وشرف الدين محمد بن عبد المنعم بن القواس في شهر ربيع الآخر . والمحدث جمال الدين عبد الله بن يحيى الجزارى في شوال . والرشيد محمد بن أبي بكر بن محمد العامري في ذي الحجة .

§ أمر النيل في هذه السنة - الماء القديم أربع أذرع وخمس أصابع .
مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وثمانى أصابع .



السنة السادسة من ولاية الملك المنصور قلاوون على مصر، وهي سنة ثلاث وثمانين وستمائة .

١٠

فيها توفى قاضي القضاة ناصر الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن منصور الجذامي المالكي المعروف بابن المنير قاضي الإسكندرية، مولده في ذي القعدة سنة عشرين وستمائة، ومات بالإسكندرية ليلة الخميس مستهل شهر ربيع الأول، ودُفن عند تربة والده عند الجامع المغربي^(٣)، وكان إماماً فاضلاً متبحراً في العلوم وله اليد الطولى في علم الأدب والنظم والنثر . ومن شعره ما كتبه لقاضي القضاة شمس الدين ابن خلكان في صدر كتاب :

١٠

(١) التكلة عن تاريخ الإسلام ونذرات الذهب وعيون التواريخ وما ذكره المؤلف في وفيات هذه السنة . (٢) كذا في الأصلين ونذرات الذهب وعيون التواريخ وذيلاً لمرآة الزمان . وفي تاريخ الإسلام : « أحمد بن منصور بن القاسم بن مختار » . (٣) لا يزال هذا الجامع موجوداً ، ويعرف اليوم بجامع المنيرة فيه . وكان مسجداً صغيراً . وفي سنة ١٣٠٥ هـ هدمه إبراهيم بك الناصري من أعيان الإسكندرية ووسع مساحته وجدهه بمئذنة ، وهو عامر بإقامة الشعائر الدينية . ولا يزال قبر المنير في المكان الذي دفن فيه من يوم وفاته داخل الجامع الذي يقع على رأس تقاطع شارع المنير بشارع الباب الأخضر بالإسكندرية .

٢٠

ليس شمسُ الضُّحَا كأوصافِ شمسِ الدِّينِ قاضِي القضاةِ حاشا وكَلَّا
تلكَ مهما عَلَتْ مَحَلًّا ثَنَتْ ظِلًّا وهذا مهما عَلَا مَذْظِلًّا

وله يهجو القاضي زَيْن الدِّين بن أَبِي الفَرَج لما نازعه في الحكم :

قل لمن يَدَّعي المناصبَ بالجهْدِ * ملَّ تَنَعُّعُهَا مَنْ هو أَعْلَمُ
إن تكن في ربيعٍ وَلَّيتَ يَوْمًا * فعليك القضاءُ أَمسى محترَمُ

وله في صدر كتاب كتبه إلى الفائز يسأله رفع التصديق عن ثغر الإسكندرية :

إذا أَعْتَلَّ الزَّمَانُ فَنَكَرَ يَرْجُو * بنو الأيام عاقبةَ الشِّفاءِ
وإن يَنْزِلْ بِساحتهم قَضَاءٌ * فانت اللُّطْفُ في ذاك القَضَاءِ

وفيها تُؤَفِّي ملك التتار أحمد بن هولاً كوقان بن تولى قان بن جِنْكِرْ قان، كان مَلِكًا
شَهْمًا خبيرًا بأمور الرعية سالكا أحسن المسالك، أسلم وحسن إسلامه وبني بمالكة
الجوامع والمساجد، وكان مُتَّبِعًا دِينَ الإسلام لا يصدر عنه إلّا ما يوافق الشريعة،
وكان لما حَسُنَ إسلامه صالح السلطان الملك المنصور قلاوون، وفرح السلطان
بذلك، فمات أحمد بعد مُدَّة يسيرة، ومَلَكَ بعده أرغون بن أَيْغَا .

وفيها تُؤَفِّي القاضي نجم الدين أبو محمد عبد الرحيم بن إبراهيم بن هبة الله بن المُسْلِمِ
ابن هبة الله بن حَسَّان بن محمد بن منصور بن أحمد الجُحَيفِي الشافعي المعروف بآبن
البارزِي، وُلِدَ بِحِمَاة سنة ثمانٍ وستمائة، وروى الحديث وبرع في الفقه والحديث
والنحو والأدب والكلام والحكمة، وصنّف في كثير من العلوم، وتولّى القضاء بِحِمَاة
نيابةً عن والده، ثم استقلَّ بعده ولم يأخذ على القضاء رزقًا، وصُرف قبل موته بستين .
ومن شعره تَضَمِينًا لِأَوَّل قصيدة البهاء زهير البائية :

(١) يريد الوزير الفائز، وداجع الحاشية رقم ١ ص ٣٧٦ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

(٢) في تاريخ الإسلام : « المسلم عبد الله » .

وكان الرضا منى إليه ولم يكن * رسول فاختشى أن يتم ويتكذبا
وناديت أهلا بالحبیب ولم أقبل * رسول الرضا أهلا وسهلا ومرحبا
وفيها توفى الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا أمير آل فضل ومليك العرب
في وقته؛ وكان له منزلة عظيمة عند الملوك لا سيما عند الملك الظاهر بيبرس
البندقداری، ثم تضاغت عند الملك المنصور قلاوون، وكان كريم الأخلاق حسن
الحوار مكفوف الشرب مذول الخیر، لم يكن في العرب وملوكها من يضاهيه، وكان
عنده ديانته وصدق . ولما مات ولي الملك المنصور قلاوون ولده مهنا عوضه،
وكان بين وفاته ووفاته عدوه الأمير أحمد بن حمي أمير آل مری دون السنة .

وفيها توفى الشيخ الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن موسى بن النعمان
التليساني، سمع الكثير بعدة بلاد وحدث، ومولده يتلمسان في سنة ست أو سبع
وستمئة، ومات بمصر ودفن بالقرافة الكبرى، وهو غير شمس الدين محمد بن العفيف
التليساني .

وفيها توفى الملك المنصور ناصر الدين أبو المعالي محمد ابن الملك المظفر محمود
ابن الملك المنصور محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب صاحب حماة والمعزة
وآبن صاحبهما، ملكهما بعد وفاة أبيه سنة اثنتين وأربعين وستمئة، ووالدته الصاحبة
غازية خاتون بنت الملك الكامل محمد صاحب مصر ابن الملك العادل أبي بكر
ابن أيوب . وكان مولده سنة اثنتين وثلاثين وستمئة، وولي الملك المنصور قلاوون
أبنه بعد وفاته .

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال : وفيها توفى القاضي ناصر الدين
أبو العباس أحمد بن محمد بن منصور الجذامي ابن المنير بالإسكندرية في شهر

(١) هو شمس الدين محمد بن عفيف الدين سليمان بن علي التليساني الكاتب الأديب، سيذكره المؤلف

في حوادث سنة ٦٨٨ هـ . (٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٦١ من هذا الجزء .

ربيع الأول^(١)، وله ثلاث وستون سنة . والملك أحمد بن هولاء ملك التّار .
 وقاضى حمّاة نجم الدين عبد الرحيم بن إبراهيم بن البارزى الشافعى فى ذى القعدة ،
 وحمل ودّين بالبيق . وله خمس وسبعون سنة . وقاضى دمشق عز الدين أبو المفاخر
 محمد بن عبد القادر بن عبد الخالق الأنصارى بن الصائغ فى شهر ربيع الآخر
 فى آخر الكهولة . وصاحب حمّاة الملك المنصور ناصر الدين محمد آبن المظفر محمود
 عن إحدى وخمسين سنة . والشيخ العارف أبو عبد الله محمد بن موسى بن النّعمان
 التّيسانى بمصر فى رمضان ، وله سبع وسبعون سنة . ومليك العرب عيسى بن مهنا
 فى شهر ربيع الأول .

§ أمر النيل فى هذه السنة - الماء القديم أربع أذرع وعدة أصابع . مبلغ
 الزيادة سبع عشرة ذراعا وثلاث أصابع .



السنة السابعة من ولاية الملك المنصور قلاوون على مصر ، وهى سنة أربع
 وثمانين وستمائة .

ففىها كان فتوح المرقب وغيره من القلاع بالساحل حسب ما ذكرناه فى أول الترجمة .
 وفىها ولد الملك الناصر محمد بن قلاوون ، ووالده على حصار المرقب ، وقد تقدّم
 ذكر ذلك أيضا .

وفىها توفى الشيخ زين الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد الأندلسى
 الإشبلى الأصل المعروف بكتاكت المصرى الواعظ المقرئ الأديب الشاعر ، مولده
 سنة خمس وستمائة ، وقيل غير ذلك ، ومات بالقاهرة فى شهر ربيع الأول . وكان
 إماما فى الوعظ ولديه فضيلة ومشاركة . وله شعر جيد . من ذلك قوله .

(١) فى الأسفل هنا وتاريخ الإسلام : « ربيع الآخر » . وتصحيحه عما تقدّم ذكره لؤلؤف
 فى وفيات هذه السّنة وشذرات الذهب وعيون التاريخ وتراجم الجان للفيومى .

مَنْ أَنْتَ مُحِبُّوهُ مَاذَا يُغَيِّرُهُ * وَمَنْ صَفَوْتَ لَهُ مَاذَا يُكَدِّرُهُ
هِيَا تَعْنِكَ مَلَا حُ الْكَوْنُ تَسْغَلْنِي * وَالْكُلَّ أَعْرَاضُ حُسْنٍ أَنْتَ جَوْهَرُهُ
وله القصيدة المشهورة عند الفقراء التي أولها :

حَضَرُوا هُنْدَ نَظَرُوا بِحَالِكَ غَابُوا * وَالْكُلَّ مَذْ سَمِعُوا خِطَابَكَ طَابُوا

- وفيها تُؤَقِّ الأَمِير علاء الدين أَيْدِيْن بن عبد الله البندقداري الصالح النجومي
أستاذ الملك الظاهر بيبرس البندقداري ، كان أصل أَيْدِيْن هذا من ممالك الأمير
جمال الدين موسى بن يَغْمُور ، ثم آتَنَقَلَ عَنْهُ لَلْمَلِك الصالح نجم الدين أَيْوُب
وجعله بِنْدُقْدَارَهُ وَأَمْرَهُ ثُمَّ نَكَبَهُ ، وَأَخَذَ مِنْهُ الْمَلِك الظاهر بيبرس ثم أعاده . ثم تَرَقَّى
بعد موت أستاذه وولى نيابة الشام من قِبَل مملوكه الملك الظاهر بيبرس ، وكان
الملك الظاهر بيبرس يُعَظِّمُهُ ويقول له : أَنْتَ أَسْتَاذِي وَيَعْرِفُ لَهُ حَقُّ التَّزْيِيَةِ !
وكان هو أَيْضًا يَبَالِغُ فِي خِدْمَةِ الْمَلِك الظاهر والنصح له ؛ وهو الذي آتَرَ عَ لَهُ دِمَشْقُ
من يد الأمير سَنَجَر الحَلَبِي كما تَقَدَّمَ ذَكَرَهُ . وعاش أَيْدِيْن إِلَى دَوْلَةِ الْمَلِك المنصور
قلاوون ، وهو من أَكْبَرِ الْأَمْرَاءِ وَأَعْيَانِهِمْ إِلَى أَنْ مَاتَ فِي الْقَاهِرَةِ فِي شَهْرِ
رَبِيعِ الْآخِرِ^(١) ، وَدُفِنَ بِقَرْبَتِهِ قَرِيبَ بَرْكَةِ الْفِيلِ^(٢) وَقَدْ نَاحَرَ السَّبْعِينَ .

- (١) كَذَلِكَ فِي الْأَمَلِينَ وَذَيْلِ مَرَاةِ الزَّمَانِ : وَفِي تَارِيخِ الْإِسْلَامِ : « تَوَفَّى فِي جُمَادَى الْأُولَى بِالْقَاهِرَةِ » .
(٢) تَرْبَةُ علاء الدين أَيْدِيْن البندقداري ، ذَكَرَهَا الْمُقْرِزِيُّ فِي (ص ٤٢٠ ج ٢) مِنْ خَطِّطِهِ
بِأَمْرِ الْخَلِيفَةِ الْبَنْدُقْدَارِيَّةِ ، وَقَالَ : إِنِّهَا بِالْقَرْبِ مِنَ الصَّلَيبَةِ بِمَجَاهِدِ الْمَدْرَسَةِ الْفَارَقَانِيَّةِ . كَانَ مَوْضِعُهَا يَعْرِفُ قَدِيمًا
بِدَوْرَةِ سَمُودَ . أُنْشِأَهَا الْأَمِير علاء الدين أَيْدِيْن الْبَنْدُقْدَارِي الصَّالِحِي النُّجُومِي وَجَعَلَهَا مَسْجِدًا لِلَّهِ تَعَالَى
وَحَقَائِقَهُ ، وَرَتَّبَ فِيهَا صُوفِيَةً وَقَرَاءَةً فِي سَنَةِ ٦٨٣ هـ وَلَمَّا مَاتَ فِي رَبِيعِ الْآخِرَةِ ٦٨٤ هـ دُفِنَ فِيهِ هَذِهِ الْخَلِيفَةُ .
وَأَقُولُ : إِنَّ هَذِهِ الْخَلِيفَةَ لَا تَزَلُ مَوْجُودَةً إِلَى الْيَوْمِ وَتَعْرِفُ بِزَاوِيَةِ الْأَبَارِ بِشَارِعِ السُّيُوفِيَّةِ بِقَسَمِ الْخَلِيفَةِ
بِالْقَاهِرَةِ . وَقَدْ جَدَّدَهَا دِيْوَانُ الْأَوْقَافِ فِي سَنَةِ ١٣٠٠ هـ وَعَلَى بَسَارِ الدَّخْلِ مِنْ بَابِ الزَّاوِيَةِ قُبَّةٌ أَثَرِيَّةٌ
نُفْعَةٌ تَشْرَفُ عَلَى الشَّارِعِ تَحْتَهَا قَبْرُ الْأَمِير علاء الدين أَيْدِيْن مِنْشَأُهَا وَأَهَمُّ مَا يَلْقَى النَّظَرَ فِي هَذِهِ الْقُبَّةِ تَابُوتُ
مِنَ الْخَشَبِ الْأَثَرِي مَوْضُوعٌ فَوْقَ قَبْرِ أَيْدِيْن مِنْ تَارِيخِ وَفَاتِهِ وَالْخَارِافِ الْحَصِيَّةِ الَّتِي حَوْلَ مَحْرَابِ الْقُبَّةِ .
وَفِي دَاخِلِ الزَّاوِيَةِ قُبَّةٌ أُخْرَى أَثَرِيَّةٌ نُفْعَةٌ مِنْ عَصْرِ أَيْدِيْن يَرِجَحُ أَنَّهُ أُنْشِأَهَا تَرْبَةُ لِوَجْهِهِ ، وَمَا يَلْقَى النَّظَرَ
فِي هَذِهِ الْقُبَّةِ الشَّابِيكُ وَالْخَارِافِ الَّتِي بِرَبْقَةِ الْقُبَّةِ ، فَهِيَ مِنْ أَدْقِ النَّمَازِجِ الْمَوْجُودَةِ فِي الْخَارِافِ الْحَصِيَّةِ .
(٣) بَرْكَةُ الْفِيلِ ، يَسْتَفَادُ مَا ذَكَرَهُ أَبْنُ دِقَاقٍ فِي كِتَابِ الْإِنْصَارِ عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى بَرْكَةِ الْفِيلِ (ص ٥٥) =

قلت : وما العجب أن أيدكين هذا كان من جملة أمراء مملوكه الملك الظاهر بيبرس ، والعجب أن أستاذ أيدكين هذا الأمير جمال الدين بن يغمور كان أيضا من جملة أمراء الظاهر بيبرس فكان الظاهر أستاذ أستاذه في خدمته ومن جملة أمرائه فانظر إلى تقلبات الدهر بالملوك وغيرها !

وفيها توفى الشيخ الإمام رشيد الدين أبو محمد سعيد بن علي بن سعيد البصري الحنفي مدرس الشبليّة ، كان إماما عالمًا فاضلاً مدرّسا كثير الدّيانة والورع ، عُرض عليه القضاء غير مرّة فأمتنع ، وكانت له اليد الطولى في العربيّة والنظم ، وكانت وفاته في شعبان ودُفن بقاسيون . ومن شعره :

(ج ٥) ، وعما ذكره المقرري في خطه عند الكلام على هذه البركة (ص ١٦١ ج ٢) أنها بركة كبيرة ظاهرة ١٠
القاهرة تمتد من بستان الحبابية إلى بستان سيف الإسلام إلى تحت الكباش إلى الجسر الأعظم الفاصل بينها وبين بركة قارون ، ومناظر الكباش مطلة عليها ، وأنه لما أنشأ جوهر القائد مدينة القاهرة كانت البركة تحجها خارج باب زويلة فيا بين القاهرة ومصر ولم يكن عليها مبان ثم عمر الناس حولها بعد سنة ٥٦٠ هـ .
وأقول : إن بركة الفيل لم تكن بركة عقيقة فيها ماء راكد بالمعنى المفهوم الآن من لفظ بركة ، وإنما كانت تطلق على أرض زراعية يفسرها ماء النيل سنويا وقت الفيضان ، وكانت تروى من الخليج المصرى ، وبعد نزول الماء تزرع أصنافا شتوية ، وكان أشهر محصولاتها القرط المعروف بالبرسيم حيث كان يستهلك في تغذية دواب ١٥
القاهرة . وكانت بركة الفيل معتبرة في دفاتر المساحة من النواحي المربوط على أراضيها الخراج ولم يحذف اسمها من جداول أسماء النواحي إلا بعد أن تحول معظم أراضيها إلى مساكن . وقد تحولت أراضيها تدريجيا من الزراعة إلى السكن من سنة ٥٦٢ هـ ولم يبق من أرض البركة بغير بناء إلى سنة ١٢١٥ هـ = ١٨٠٠ م التي رسمت فيها الحملة الفرنسية خريطة القاهرة إلا قطعة أقيم عليها فيما بعد سراى عباس حلى باشا الأول ٢٠
والى مصر المروقة بسراى الحلبية وحديقها الكبيرة . وفي سنة ١٨٩٤ م قسمت أراضي الحديقة .
وفي سنة ١٩٠٢ م هدمت السراى وقسمت أراضيها أيضا وبيعت جميع القطع وأقيم عليها عمارات حديثة تعرف بين أخطاط القاهرة بالحلبة الجديدة .

وكانت بركة الفيل تشغل من القاهرة الحالية المنطقة التي تحده اليوم من الشمال بسكة الحبابية ، ومن الغرب بشوارع درب الجماميز واللبدية والخليج المصرى ، ومن الجنوب شارع مراسينا ، ثم يميل الحد إلى الشمال الشرق حتى يتقابل مع أول شارع نور الظلام ويسير فيه إلى أول شارع الألفى ، ومن الشرق كالة شارع نور الظلام ٢٥
فشارع مهذب الدين الحكيم فسكة عبدالرحمن بك وما فى امتدادها إلى الشمال حتى تقابل الحد البحرى . =

أَرَىٰ عَنَّا صَرَّ طَيْبِ الْعَيْشِ أَرْبَعَةٌ * مازال منها فطِيبُ الْعَيْشِ قَدْ زَالَا
أَمَّا وَصِحَّةُ جِسْمٍ لَا يُخَالِطُهَا * مُغَايِرُ الشَّبَابِ الْقَصُّ وَالْمَالَا
وله مواليا :

كَيْفَ اعْتَمَدْتَ عَلَى الدُّنْيَا وَتَجَرَّيْتُ * أَرَاكَ فُلْكَ تَرَاهَا كَيْفَ تَجْرَىٰ بِكَ
مَا زَالَتْ الْخَالِدَةُ تَدْنُو فَتَغْرَىٰ بِكَ * حَتَّى رَمَتْكَ بِإِبْعَادِكَ وَتَغْرِي بِكَ

وفيها تُوفِّي الأديب البارِعُ مُجِير الدِّين أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ عَلِيٍّ
المعروف بِأَبْنِ تَيْمٍ الشَّاعِرُ المشهور، وَهُوَ سِبْطُ أَبِي تَيْمٍ، كَانَ أَصْلُهُ دِمَشْقِيًّا وَانْتَقَلَ
إِلَى حِمَاةٍ وَخَدَّمَ صَاحِبَهَا الْمَلِكَ الْمَنْصُورَ جُنْدِيًّا، وَكَانَ لَهُ بِهِ اخْتِصَاصٌ، وَكَانَ
فَاضِلًا شَجَاعًا عَاقِلًا، وَكَانَ مِنَ الشُّعْرَاءِ الْمَعْدُودِينَ. وَمِنْ شِعْرِهِ فِي الشَّجَاعَةِ
وَالْإِقْدَامِ قَوْلُهُ :

دَعْنِي أَخَاطِرِي فِي الْحُرُوبِ بِمُهْجَتِي * إِمَّا أَمُوتُ بِهَا وَإِمَّا أُرْزَقُ
فَسَوَادُ عَيْشِي لَا أَرَاهُ أَبْيَضًا * إِلَّا إِذَا أَحْمَرَّ السَّنَانُ الْأَزْرَقُ

== ومن هذا التحديد يتبين أن بركة الفيل لم تكن على شكل فيل وأن اسمها أتى من شكلها كما يقول العامة،
وإنما كانت على شكل بيضاوي مفرطح من جهتيه الغربية وقد وصفها ابن سعيد صاحب كتاب المغرب
فقال : إنها كانت دائرة كاليد والمناظر حولها كالنجوم .

وأما سبب تسميتها بركة الفيل فهو لأن الأمير نحارويه بن أحمد بن طولون كان مقرما باقتناء الحيوانات
من السباع والنور والفيلة والزرافات وغيرها ، وأنشأ لكل نوع منها دارا خاصة له وكانت دار الفيلة واقعة
على حافة البركة من الجهة الغربية الشرقية حيث شائع نور الفلام ، وكان الناس يقصدون البركة للزخعة والفرجة
على الفيلة فاشتهرت بينهم بركة الفيل من وقتها إلى اليوم .

٢٠ ودار الفيلة هذه هي غير دار الفيل التي كانت على بركة فارون وأشرأها كافور الإخشيدي أمير مصر من
حبس بن مسكين ، فهذه الدار كانت واقعة على سكة المذبح من الجهة الشمالية منها جنوبي خط البناة
بقسم السيدة زينب .

(١) في أحد الأصول والذيل على مرآة الزمان : « لا يخالطها معاترف ... الخ » . وفي الأصل
الآخر : « ولا يخالطها ترف » . ونظم البيت يقتضى ما أشتباه .

وله :

لم لا أَهيمُ إلى الرِّياض وزَهرِها * وأقيمُ منها تحت ظِلِّ ضَافِي
والفصنُ يلقاني بِشَعْرِ بِاسِم * والماءُ يلقاني بقلبِ صَافِي

وله :

عَايَنْتُ وَرَدَ الرُّوضُ يَلْعُمُ حَدَّهُ * ويقول وهو على البَنَفَسِجِ مُنْحَقُ
لا تَقْرَبُوهُ وَإِنْ تَضَوَّعَ نَشْرُهُ * ما بينكم فهو العدوُّ الأَزْرَقُ^(١)

قلت : وقريب من هذا قولُ القائل :

بَنَفَسِجُ الرُّوضِ تاهَ مُجَبَّأ * وقال طيبي للجَوْضِجِ
فأقبل الزهرُ في آحتفالٍ * والبان من غيظه تَنَفَّخَ

- الذين ذكر الذهب وفاتهم في هذه السنة، قال : وفيها تُوفيت أم الخير بنت العرب
١ بنت يحيى بن قيس الكندي في المحرم . والمحدث أبو القاسم علي بن بلبان الناصري
في رمضان . وأبو بكر محمد بن إسماعيل بن عبد الله الأتباعي في ذي الحجة . والقُدوة
الشيخ محمد بن الحسن الإخميمي بقاسيون في جمادى الأولى . والشيخ الزاهد
شرف الدين محمد بن الشيخ عثمان [بن علي] الرومي . والإمام الرشيد سعيد بن علي
١٥ [أبن سعيد] الحنفي في رمضان . والعلامة رضى الدين محمد بن علي بن يوسف
الشاطبي اللغوي بمصر، وله نيف وثمانون سنة .

§ أمر النيل في هذه السنة - الماء القديم لم يحترق . مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا
وعشرون إصبعا .

- (١) في الأصلين : « من بينكم » . وما أثبتناه عن ذيل مرآة الزمان وعيون التواريخ وشذوات
الذهب والمثلن الصافي وثر الجمان للقيوي . (٢) زيادة عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب
٢٠ وذيل مرآة الزمان . (٣) زيادة عما تقدم ذكره في ص ٣٦٦ من هذا الجزء .



السنة الثامنة من ولاية الملك المنصور قلاوون على مصر، وهي سنة خمس وثمانين وستمائة .

فيها استولى الملك المنصور قلاوون على الكرك وأتزعها من يد الملك المسعود خضر ابن الملك الظاهر بيبرس .

وفيها توفى الشيخ معين الدين أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عبد الرحمن بن أحمد ابن تولوا الفهرى^(٢)، مولده يتنيس سنة خمس وستمائة، ومات بمصر في شهر ربيع الأول، ودُفن بالقرافة الصغرى، وسمع الحديث وتفقه وكان له معرفة بالأدب وله يدٌ طولى في النظم، وشعره في غاية الجودة . ومن شعره وقد أمر قاضي مصر بقطع أرزاق الشعراء من الصدقات سوى أبي الحسين الجزار . فقال :

تقدم القاضي لنوايه * بقطع رزق البر والفاجر
ووفر الجزار من بينهم * فأعجب للطف التيس بالجار

وفيها توفى الشيخ شهاب الدين أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم بن محمد الأنصارى الصوفى الفقيه الشافعى، الشاعر المشهور المعروف بأبن الحليمى، كان إمام عصره في الأدب ونظم الشعر مع مشاركة في كثير من العلوم . ومولده سنة اثنتين وستمائة، وتوفى بمشهد الحسين بالقاهرة في شهر رجب، وقد أوصحنأ أمره مع نجم الدين ابن إسرائيل لما تداعيا القصيدة التى أولها :

(١) فى الأصلين : «ابن عبد الرحيم بن أحمد بن تولو» . وتصحيحه عن تاريخ الإسلام وعيون النوارىج .
وشذرات الذهب ، وراجع الحاشية رقم ١ ص ٣٢٧ من هذا الجزء .
(٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣١٢ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .
(٣) راجع حوادث سنة ٦٧٢ .

ياملطاً ليس لي في غيره أرب * إليك آل التقصى وأتتهى الطلبُ

في تاريخنا « المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي » وذكرنا أمرهما لما أمرهما
أبنُ الفارض بنظم قصيدتين في الروى والقافية وذكرنا القصيدتين أيضاً بكاملها،
ثم حكم أبنُ الفارض بالقصيدة لشهاب الدين هذا، والقصيدة التي نظمها شهاب الدين
أبنُ الحيمى هذا لما أمره أبنُ الفارض بالنظم أولها :

لله قومٌ يجرءاء الحى غيب * جنوا على ولنا أن جنوا عتبوا

والتي نظمها أبنُ إسرائيل .

لم يقص من حُكم بعض الذى يجب * قلب متى ما جرى تذكركم يجب

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال : وفيها توفى المسند أبو العباس

أحمد بن شيبان الصالحى في صفر، وقد قارب التسعين . والعلامة جمال الدين محمد ١٠

ابن أحمد بن محمد البكرى . والشهاب محمد بن عبد المنعم بن محمد الأنصارى

أبنُ الحيمى الشاعر في رجب، وله ثلاث وثمانون سنة . والشيخ عبد الرحيم بن محمد

ابن أحمد بن فارس العلى بن الزجاج في المحرم . وأمة الحلق شامية ابنة صدر الدين

الحسن بن محمد بن محمد البكرى في رمضان . والإمام صفى الدين خليل بن أبى بكر

أبنُ محمد المرائى في ذى القعدة . وقاضى القضاة بهاء الدين يوسف أبنُ القاضى محيى ١٥

الدين [يحيى] بن الزكى في ذى الحجة، وله ست وأربعون سنة . والمقرئ برهان الدين

إبراهيم بن إسحاق بن المظفر الوريرى في ذى الحجة قافلاً من الحج . وخطيب كفر بطنا

(١) في أحد الأصلين : « العلى » . وفي الأصل الآخر : « العلى » . وما أثبتناه عن تاريخ الإسلام .

والملئى : نسبة إلى ملت قرية بين عكبا وسامرا (عن لب الباب) . (٢) زيادة عن تاريخ الإسلام

وشذرات الذهب . (٣) في تاريخ الإسلام وغاية النهاية وشذرات الذهب أن وفاته كانت

في سنة ٦٨٤ هـ . (٤) كفر بطنا : من قرى غوطة دمشق (عن معجم البلدان لياقوت) . ٢٠

جمال الدين محمد بن عمر الدِّيَنَوِيّ في رجب، وله اثنتان وسبعون سنة .
والمقرئ الشيخ حسن بن عبد الله بن وَيْحِيَانُ الرَّاشِدِيّ في صفر .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع، وقيل خمس، وست أصابع . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وأربع أصابع .



السنة التاسعة من ولاية الملك المنصور قلاوون على مصر، وهي سنة ست وثمانين وستمائة .

فيها تُوِّفِيَ الشيخ الإمام العارف بالله تعالى قطب زمانه شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عمر المُرْمِيّ الأنصاري الإسكندري المالكي الصالح المشهور، كان علامة زمانه في العلوم الإسلامية، وله القَدَمُ الرَّاسِخَةُ في علم التحقيق، وله الكَرَامَاتُ البَاهِرَةُ،
وكان يقول : شَارَكَا الفقهَاءَ فيما هم فيه ، ولم يشاركونا فيما نحن فيه . وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي : أبو العباس بَطَّرَقَ السماءَ أعلم منه بَطَّرَقَ الأرضَ . انتهى .

قلت : وكان لديه فضيلة ومشاركة، وله كرامات وأحوال مشهورة عنه، وللناس فيه اعتقاد كبير لا سيما أهل الإسكندرية ، وقد شاع ذكره وبعُدَ صيته بالصلاح والزهد، وكان من جملة الشهود بالتغر، وبها تُوِّفِيَ ودُفِنَ وقبره يُقصد للزيارة .

(١) ضبطه صاحب غابة النهاية بالعبارة فقال : (فتح الواو وسكون آخر الحروف وحاء مهملة مكسورة بعدها آخر الحروف . (٢) الراشدي : نسبة إلى بني راشد ، قبيلة من البربر لا إلى الراشدية التي هي من قرى ديار مصر (عن تاريخ الإسلام للذهبي) . وقرية الراشدية المذكورة هي التي تعرف اليوم باسم الرجدية إحدى قرى مركز طنطا .

(٣) هذا القبر لا يزال موجودا وفي مكانه الذي دفن فيه أبو العباس ، وهو اليوم تحت القبة التي على عيمن الداخل من الباب الغربي لجامعه . وكان هذا القبر قائما بذاته في جبانة قديمة تعرف بجبانة سيدي المرسى عند الميناء الشرق بالإسكندرية ، وكان يزوره المغاربة الذين يقصدون الحج ، =

وفيهما تُوِّفَى الشيخ شرف الدين أبو الربيع سليمان بن بُلَيْمان بن أبي الجليش
 ابن عبد الجبار بن بُلَيْمان الهمداني الأصل الرعباني المولد، الإزبيلي المنشأ، الشاعر
 المشهور صاحب النوادر، كان من شعراء الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن محمد
 صاحب الشام، وكان أبوه صائغاً وتَعَانَى هو أيضاً الصَّياغة، قيل إنَّه جاء إليه مملوك
 • مَلِيحٌ من ممالك الملك الأشرف موسى، وقال له: عندك خاتمٌ لِإِصْبَعِي؟ فقال له: لا،
 إلا عندى إصبع مَلِيحٍ لخاتمك. ومات بدمشق في ليلة عاشور صفر. ومن شعره:
 وما زالتِ الرُّبُكُانُ تُخْبِرُ عَنْكُمْ * أَحَادِيثُ كَالْمِسْكِ الدَّيْكِ بِلَامَيْنِ
 إلى أن تلاقينا فكان الذي وَعَتْ * من القول أَدْنَى دُونَ ما أَبْصَرْتُ عَيْنِي
 وَلَمَّا قَامَ التَّلْعَفْرِيُّ بَنِيَابَهُ وَأَخْفَاهُ قَالَ فِيهِ شَرَفُ الدِّينِ هَذَا قَصِيدَةٌ وَأَنَشَدَهَا
 ١٠ لِلْمَلِكِ النَّاصِرِ بِمَحْضَرَةِ التَّلْعَفْرِيِّ. فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ إِنْشَادِهَا قَالَ لَهُ التَّلْعَفْرِيُّ: مَا أَنَا جُنْدِيٌّ

== وقد قام بعضهم بإنشاء مسجد يشمل هذا القبر للحفاظ عليه من الأندثار. وفي سنة ١١٨٩ هـ، لاحظ
 بعض المغاربة النازلون بالإسكندرية أن المسجد صغير فوسعوه وجددوه، ثم قام بعد ذلك بعض نظاره
 في توسعة مساحته من أرض الجبانة المجاورة له حتى أصبح من الجوامع الشهيرة بالإسكندرية.

ولما رأى المغفور له جلالته الملك فؤاد الأول أن مدينة الإسكندرية خالية من الجوامع الكبيرة ذات البناء
 ١٥ الفخم الذي يتفق مع عظيمة هذه المدينة أمر — رحمه الله — بهدم هذا الجامع وإعادة تجديده على مساحة
 كبيرة بشكل أجمل وأغرم مما كان عليه. وقد نفذت وزارة الأوقاف إرادة جلالته السامية وأضيف
 إلى مساحة المسجد ضعفها من الأرض المجاورة له من الجهة الشرقية فأصبح مساحته ٢٥٠٠ متر مربع،
 والعمارة جارية به الآن، وقد رأيت عند زيارتي له أنه من أكبر جوامع الإسكندرية بل أجملها وأغنىها،
 وهو مبني على أساس من الشكل وسقفه محمول على ستة عشر عموداً سميكاً من الجرانيت المضلم والمكففت
 ٢٠ بالنحاس. والجامع مثانة مرتفعة من الأسمنت المسلح مزخرفة بقوش عربية جعلتها من أجمل المآذن في مصر.

وقد روى في بناء الجامع أن يكون من الداخل على طراز المباني الأندلسية لأن أبا العباس المرسى
 أصله من مدينة مرسية إحدى مدن بلاد الأندلس، وأن تكون المثانة على طراز مباني النصر الأيوبي،
 وهو النصر الذي جاء فيه أبو العباس إلى مصر. (١) الرعابي، نسبة إلى رعبان: مدينة بالقرنوس
 حلب وسمي سبط قرب القران معدودة في العواصم (عن معجم البلدان لياقوت). وفي ذيل مرآة الزمان:
 «الرغابي» بالغين المعجمة. (٢) في الأصلين: «رعت». وما أثبتناه عن ذيل مرآة الزمان
 وعيون التواريخ وثر الجمان للقبوي. (٣) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٢٥٥ من هذا الجزء.

حتى أقامَ بأخفاني . فقال له شرف الدين : يخفاف أمرأتك . فقال : مالى امرأة ، فقال له : لك مقامرةٌ من بين المجمرين إما بالخفاف أو بالنعال^(١) . انتهى .
قلت : وأنا مساح التلقيرى على القهار، لحسن مقاله من رائق الأشعار :
فمن كان ذا عذرٍ قِلتُ اعتذاره * ومن لاله عذرُ فنعسدى له عذرٌ

- وفيها توفى الشيخ الإمام المحدث قطب الدين أبو بكر محمد بن أحمد بن علي بن محمد بن الحسن بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القيسي الشاطبي المحدث الإمام العلامة، كان شيخ الكاملية بالقاهرة المعروف بابن القسطلاني^(٢) التوزري الأصل المصري المولد المكّي المنشأ الشافعي المذهب، مولده سنة أربع عشرة وستمائة، ومات يوم السبت ثامن عشر المحرم، ودُفِن بالقرافة الصغرى، وكان مجموع الفضائل، رحمه الله .
- الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها توفى الإمام النحوي^(٣) بدر الدين محمد بن محمد بن علي^(٤) الشّخ جمال الدين بن مالك في المحرم . والإمام قطب الدين أبو بكر محمد بن أحمد بن علي^(٥) القسطلاني بالقاهرة في المحرم . وقاضى القضاة برهان الدين الحضر بن الحسن بن علي^(٦) السنجاري بمصر في صفر . والحكيم عماد الدين محمد بن عباس الرّنيّ^(٧) الدّيسريّ، وله إحدى وثمانون سنة . وشرف الدين سليمان ابن بليمان الإربليّ الشاعر . والمحدث وجيه الدين عبد الرحمن بن حسن السبتيّ^(٨) في جمادى الأولى . والمُسند عمر الدين أبو العزّ عبد العزيز بن عبد المنعم [بن علي] ابن الصّيقل الحرّانيّ في شهر رجب .

(١) في عيون التواريخ : « إما بالخفاف وإما بالنعال » . (٢) في تاريخ الإسلام والمنهل الصافي وثر الجمان : « محمد بن الحسن بن عبد الله بن أحمد » . (٣) في الأملين : « التبرزي » . والتصحيح عن تاريخ الإسلام وثر الجمان . والتوزري : نسبة إلى توزر : مدينة بإفريقية عن لب الباب ومعجم البلدان لياقوت) . (٤) راجع حوادث سنة ٦٧٢ هـ . (٥) تكله عن تاريخ الإسلام وثر الجمان وذيل مرآة الزمان .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وأصابع . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وعشر أصابع .



السنة العاشرة من ولاية الملك المنصور قلاوون على مصر، وهي سنة سبع وثمانين وستمائة .

فيها توفى الشيخ المعتقد الصالح برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن معضاد بن شذاد الجعبري الأصل والمولد المصري الدار والوفاة، الصالح المشهور، نشأ يجتهد ثم أنتقل إلى الديار المصرية وأستوطنها ولزم مسجده، وكان يعظ به ويجمع عنده خلق كثير، ولأصحابه فيه عقيدة حسنة، وله مقالات كثيرة، وكان زاهدا طابداً، سمع الحديث وروى عن السخاوي وغيره، وكان غزير الفضيلة حلوا العبارة . ١٠

قال الصلاح الصفدي: أخبرني الشيخ الإمام العلامة أنير الدين أبو حيان من لفظه قال: رأيت المذكور بالقاهرة، وحضرت مجلسه أنا والشيخ نجم الدين بن مكي، وبحث لنا معه حكاية، وكان يجلس للعوام يذكّرهم ولهم فيه اعتقاد، وكان يدرى شيئاً من الحديث، وله مشاركة في أشياء من العلوم وفي الطب، وله شعر جيد. وأنشد له قصيدة أذكر منها القليل : ١٥

عشقوا الجمال مجزداً مجزداً * وح الزكية عشق من زكاهما
منجّرين عن الطباع ولؤمها * متلبسين عفافها وتقامها
انتهى كلام الصفدي .

(١) هو علم الدين علي بن محمد بن عبد الصمد أبو الحسن السخاوي . تقدمت وفاته سنة ٦٤٣ هـ

(٢) هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان القرطبي أنير الدين أبو حيان الأندلسي الجبلي . توفي سنة ٧٤٥ هـ (عن الدرر الكامنة وشذرات الذهب والمنهل الصافي وحسن المحاضرة للسيوطي) .

وقال القُطْبُ البُونِيّ : وأظنّه نَيَّفَ على الثمانين من العمر ، ولَمَّا مَرِضَ مَرَضَ الموت أَمَرَ أن يُخْرَجَ به إلى مكان مَدْفَنه ، فلما رآه قال له : « قُبْرُ جاك دَيْر » . ومات بعد ذلك بيوم في يوم السبت رابع عشرين المحرم بالقاهرة ودُفِنَ من يومه بالحُسَيْنِيَّةِ خارج باب النَصْر ، وقبره معروف هناك يُقصد للزيارة .

- قلت : ويُجِبُنِي في هذا المعنى المقالة السابعة الزهديّة من مقالات الشيخ العارف الرّبّانيّ شرف الدين عبد المؤمن بن هبة الله الأصفهانيّ المعروف بِشَوْرُوَة من كتابه « أطباق الذهب » وهي :

طُوبَى لِلتَّقِيّ الخامل ، الذي سَلِمَ عن إشارة الأنامل ؛ وتَسَامَن قَعْد في الصوامع ،^(٣)
لِيُعْرَفَ بالأصابع ؛ خَزَائِنُ الأماناء مكتومة ، وكنوز الأولياء مخومة ؛ والكامل كامُنٌ
بتضاميل ، والناقص قصير يتطاوَلُ ؛ والماعل قُبْعَةٌ^(٤) ، والجاهل طُلْعَةٌ ؛ فاقْبَعْ قُبُوعَ
الحَيَاتِ ، وَأَكْمُنْ في الظُّلُمَاتِ ، كُؤُونُ ماء الحياة ؛ وَصُنْ كَتْرَكَ في التُّرابِ ، وسيَفُكُ
في القِرَابِ ؛ وَحَفِّ آثَارَكَ بالذَّيْلِ المسحوب ، وَأَسْتَرْ رِوَاءَكَ بِسَفْعَةِ الشُّحُوبِ ؛
فَالْبَاهَةُ فِتْنَةٌ ، وَالْوَجَاهَةُ مِحْنَةٌ ؛ فَكُنْ كَتَرًا مَسْتُورًا ، وَلَا تَكُنْ سَيِّفًا مشهورًا ؛ إِنْ
الظُّلَامُ جَدِيرٌ أَنْ يُقْبَرَ وَلَا يُحْشَرَ ، وَالبَالَى خَلِيقٌ أَنْ يُطَوَّى وَلَا يُنْشَرَ ؛ وَلَوْ عَرَفَ

- ١٥ (١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٤٥ من الجزء الرابع من هذه الطبعة . (٢) قبر برهان الدين أبي إسحاق الجعبري ، يستفاد مما ذكره المقرئ (في ص ٤٣٤ ج ٢) من خطه عند الكلام على زاوية الجعبري أن الشيخ برهان الدين إبراهيم أبا إسحاق الجعبري مات يوم السبت ٢٤ المحرم سنة ٦٨٧ هـ ودُفِنَ في زاويته الواقعة خارج باب النصر من القاهرة . وبالبحث عن مكان قبره تبين لي أن الزاوية قد اندثرت وأما القبر فلا يزال باقيا وهو ظاهر يزاور عليه مقصورة من الخشب داخل قاعة بصحرا . أبي قلاوة بجبانة باب النصر ، ويتوصل إليه من شارع نجم الدين تجاه حوش الحاج دسوق القوانيسي من الجهة الغربية قرب المساكن . (٣) في أطباق الذهب : « والكامل طائل يتطامن » . (٤) القُبْعَةُ : من يدخل رأسه في قبضه . (٥) في الأصلين : « وأَكْمُنْ في الظُّلُمَاتِ بِماء الحياة » . وما أثبتناه عن أطباق الذهب طبع بيروت . (٦) السَفْعَةُ : تغيير لون البشرة بلفح النار والسوم .

(١) الْجَذَلُ صَوْلَةُ النَّجَارِ، وَعَصَّةُ الْمِنشَارِ؛ لَمَّا تَطَاوَلَ شَبْرًا، وَلَا تَحَايَلُ كِبَرًا، وَسَيَقُولُ
الْبَلْبَلُ الْمُعْتَقَلُ : يَا لَيْتَنِي كُنْتُ غُرَابًا، وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا . « إِنْتَهَى .
وَفِيهَا تُوفَّى الشَّيْخُ نَاصِرُ الدِّينِ أَبُو مُحَمَّدٍ حَسَنُ بْنُ شَاوَرِ بْنِ طَرْخَانَ الْيَكْنَانِيِّ وَيَعْرِفُ
بِأَبْنِ الْفُقَيْسِيِّ وَبِأَبْنِ النُّقَيْبِ الشَّاعِرِ الْمَشْهُورِ ، كَانَ مِنَ الْفَضْلَاءِ الْأَدْبَاءِ ، وَمَاتَ
لَيْلَةَ الْأَحَدِ مِتِّصِفَ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ وَدُفِنَ بِسَفْحِ الْمَقْعَمِ ، وَلَهُ تِسْعٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً ؛
وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعَلَامَةِ شَهَابُ الدِّينِ مُحَمَّدٌ صَحْبَةٌ وَمَجَالَسَةٌ وَمَذَاكِرَةٌ فِي الْقَرِيضِ .
وَمِنْ شِعْرِهِ :

نَهْنَاهُ عَنْ فِعْلِ الْقَبِيحِ فَمَا آتَيْتَنِي * وَلَا رَدُّهُ رَدُّعٍ وَمَادَّ وَعَادَى
وَقُلْنَا لَهُ دِنْ بِالْصَّلَاحِ فَقَلَّمَا * رَأَيْنَا قَتَى عَانَى الْقَسَادَ فَسَادَا

وله :

١٠

وَجُرِّدْتُ مَعَ فَقْرِي وَشَيْخَوْحَتِي الَّتِي * تَرَاهَا فَتَوْنُمِي عَنْ جُفُونِي مُشَرَّدُ
فَلَا يَدْعِي غَيْرِي مَقَامِي فَإِنِّي * أَنَا ذَلِكَ الشَّيْخُ الْفَقِيرُ الْمَجْرَدُ
وله :

حَدَّثْتَ عَنْ تَقَرُّهِ الْمُحَلِّي * فَلِإِلَى خَدِّهِ الْمُوَرَّدُ
خَذُّ وَتَقَرُّ بِفَلِّ رَبِّ * بِمُبْدِعِ الْحَسَنِ قَدْ تَفَرَّدُ

١٥

وله :

يَا مَنْ أَدَارُ سُلَافَةً مِنْ رِيْقِهِ * وَحَبَابُهَا التَّنْفَرُ الشَّيْبُ الْأَشْنَبُ
تُقَاحُ خَدَّكَ بِالْمِذَازِ مُمَسَّكُ * لَكِنَّهُ بَدَمُ الْقُلُوبِ مُحْضَبُ

(١) والجذل : ما عظم من الخطب ويس . (٢) في عيون التواريخ : « وقد جاوز

الثمانين سنة من العمر » (٣) رواية فوات الوفيات : * فلا يدعى غيري ثيابي فاني * .

(٤) رواية هذا البيت في عيون التواريخ وفوات الوفيات :

يامن أدار بريقه مشمولة * وحبا بها التنفر لنق الأشنب

وله :

أنا العُدَيْرِيُّ فاعِذْني وَسَاحِجٌ * وَجُرَّ عَلَى الْإِحْسَانِ ذَيْلًا
وَلَمَّا صِرْتُ كَالْمُجْنُونِ عِشْقًا * كَتَمْتُ زِيَارَتِي وَأَتَيْتُ لَيْلًا

وفيهما تُوفِّيَ الملك الصالح على ابن السلطان الملك المنصور قلاوون ، كان والده المنصور قلاوون قد جمعه ولَّى عَهْدَهُ وسلطنه في حياته حسب ما تقدم ذكره .
في سنة تسع وسبعين وستائة ، فدام في ولاية العَهْدِ إلى هذه السنة مَرِيضٌ ومات بعد أيام في رابع شعبان بقلعة الجبل ، ووجد عليه أبوه الملك المنصور قلاوون كثيرًا ، فإنه كان نجيبًا عاقلًا خليقًا للملك .

- وفيهما تُوفِّيَ الشيخ الطبيب علاء الدين علي بن أبي الحرم القرشي الدمشقي المعروف بأبن التَّيْسِ الحكيم الفاضل العلامة في فنه ، لم يكن في عصره من يُضاهيه في الطب .
والعلاج والعلم ، أَشْتَغَلَ على المَهْدَبِ الدَّخْوَارِ حتى برَع ، وَأَتَتْهُ إليه رياسة فنه في زمانه ، وهو صاحب التصانيف المفيدة ، منها : « الشامل في الطب » ، و « المَهْدَبُ في الكُفْل » ، و « الموجز » ، و « شرح القانون لابن سينا » . ومات في ذى القعدة بعد أن أوقف داره وأملاكه وجميع ما يتعلق به على البيمارستان المنصوري بالقاهرة .

- الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها تُوفِّيَ الشيخ إبراهيم بن مَعْصَدِ الجَعْفَرِيِّ بالقاهرة في المحرم عن نيف وثمانين سنة . والإمام أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله [بن أحمد بن محمد بن قُدَّامَةَ] المَقْدِسِيَّ القَرَضِيَّ . وخطيب (١) في أحد الأصلين وحسن المحاضرة للبطي : « ابن أبي الحزم » . وما أئْتِناه عن الأصل الآخر ويعون التواريخ وتاريخ الإسلام وشذرات الذهب وشتر الجمان للقيومي . (٢) . نحو عبد الرحيم ابن علي مهذب الدين رئيس الأطباء . تقدمت وفاته سنة ٥٦٢٨ . (٣) هو موجز القانون في الطب ، كما في كشف الظنون . (٤) زيادة عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب .

القُدس قُطْب الدين أبو الزُّكَّاء عبد المنعم بن يحيى الزُّهْرِيّ^(١) في رمضان . والجمال
أحمد بن أبي بكر بن سليمان بن الحَمَوِيّ . والشيخ الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن
عبد العزيز اللُّوْرِيّ شيخ المالكية في صفر .^(٢)

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وأربع أصابع .
بلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وأربع أصابع .



السنة الحادية عشرة من ولاية الملك المنصور قلاوون على مصر، وهى سنة
ثمانٍ وثمانين وستمائة .

فيها فُتِحَتْ طرَابُلُس وما أُضيف إليها بعد أمور ووقائع حسب ما ذكرناه
في أصل هذه الترجمة مُفَصَّلًا .

١٠

وفيها تُوُفِّيَ الشيخ علم الدين أحمد ابن الصاحب صَفِيّ الدين يوسف بن عبد الله
ابن شكر المعروف بابن الصاحب ، كان نادرة زمانه في المَجُونِ والهلل وإنشاد
الأشعار واللبقات وكان بقي في آخر عمره فقيرا مجزداً، وكان أشتغل في صباه وحصل
ودرس، وكان لديه فضيلةٌ وذكاء وحسنُ تصور، إلّا أنه تَمَقَّقَر في آخر عمره وأطلق
طباعه على التَّكْدِي وصار يُجَارِدُ الرؤساء ، ويركب في قفص [على رأس]^(٣) حَمَال
ويتضارب الحمالون على حمله، لأنّه كان مهما فُتِحَ له من الرؤساء كان للذى يحمله،
ويقتضرب الحمالون على حمله، لأنّه كان مهما فُتِحَ له من الرؤساء كان للذى يحمله،

١٥

(١) في أحد الأصلين : « أبو البركات » . وتصحيحه عن الأصل الثانى وتاريخ الإسلام وعيون
التواريخ وشذرات الذهب وتاريخ الدول والملوك لابن القرات . (٢) اللورى : نسبة إلى لورة :
قلعة من أعمال إشبيلية بالأندلس (عن تاريخ الإسلام وقر الجمان) . (٣) في قر الجمان :
« أبو العباس أحمد ابن الصاحب تاج الدين يوسف ابن الصاحب صفى الدين عبد الله » .

٢٠

(٤) اللبقات : نوع من التواشيح العامة كانت شائعة في بلاد الشام . (٥) في لسان العرب :
« جرد القوم جردا : سألهم فنعوه أو أعطوه كارهين » . (٦) زيادة عن عيون التواريخ .

فكان يستمر راجبا في القفص والجمال يدور به في أماكن الفرج والتزه، وكان يتعم بشروط طویل جدا رقيق العرض ويعاشر الحرافيش، وكان له أولاد رؤساء، ويقال: إنَّ الصاحب بهاء الدين بن حنا هو الذي أحوجه إلى أن ظهر بذلك المظهر، وأتمله وجنته لكونه كان من بيت وزارة، فكان ابن الصاحب هذا إذا رأى الصاحب بهاء الدين بن حنا يُنشد :

اشرب وكل وتهنا * لا بد أن تتغنى

محمد وعلى * من أين لك يا بن حنا

- قال الشيخ صلاح الدين الصفدي: «أخبرني من لفظه الحافظ نجم الدين أبو محمد الحسن خطيب صفد، قال: رأيته (يعني ابن الصاحب) أشقر أزرق العينين عليه قميص أزرق، وبه عكاز حديد. قال: وأخبرني من لفظه الحافظ فتح الدين ابن سيد الناس، قال: كان ابن الصاحب يعاشر الفارس أقطاي فاتفق أنهم كانوا يوما على ظهر النيل في شغور، وكان الملك الظاهر يبرس مع الفارس أقطاي وجرى بينهم أمر، ثم ضرب الدهر ضربا نه حتى تسلمن الملك الظاهر يبرس وركب يوما إلى الميدان، ولم يكن عمر قنطرة السباع، وكان التوجه إلى الميدان من على باب زويلة على باب الخرق، وكان ابن الصاحب هذا نائما على قفص صيرفي»

(١) شرطوط (شرموط): الخرق (عن قاموس دوزي).

(٢) هذه رواية الأصلين والمنهل الصافي والوافي بالوفيات للصفدي. ورواية عيون التواريخ وابن كثير:

افسد بها وتهنا * لا بد أن تتغنى

يكتب على بن محمد * من أين لك يا بن حنا

- (٣) هو الحسن بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن الحسن بن مفرج، خطيب صفد وعالمها. توفي سنة ٧٢٣هـ (عن شذرات الذهب والدرر الكامنة). (٤) هو فتح الدين أبو الفتح محمد ابن محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن يحيى بن سيد الناس. سيذكره المؤلف سنة ٧٢٤هـ. (٥) الشغور: المركب الصغيرة للتزه (عن قاموس دوزي). (٦) راجع الحاشية رقم ٥ ص ١٩١ من هذا الجزء. (٧) راجع الحاشية رقم ٥ ص ٩٣ من الجزء الرابع من هذه الطبعة.

من تلك الصياف برّاً باب زويلة، ولم يكن أحدٌ يتعرّض لأبن صاحب، فزبه الملك الظاهر فلم يشعُر إلا وأبن صاحب يضرب بمفتاح في يده على خشب الصيرفي قوياً، فألقت الظاهر فراه فقال : هاه ! علم الدين ؟ فقال : إيش علم الدين أنا جيعان ! فقال : أعطوه ثلاثة آلاف درهم . وكان ابن صاحب أشار بتلك الدقة إلى دقة مثلها يوم المَرَكَب » . انتهى [كلام الصّفى] .

قلت : ومن نوادره اللطيفة أنه كان بالقاهرة إنساناً ^(١) كثيراً ما [يُجرّد الناس فسمّوه زُحَل ، فلما كان في بعض الأيام وقّف ابن صاحب على دُكَّان حلوى يزِن دراهم يشتري بها حلوى ، وإذا بزُحَل قد أقبل من بعيد ، فقال ابن صاحب للحلوى : أعطنى الدراهم ، ما بَقِيَ لى حاجةٌ بالحلوى ، فقال : لم ؟ قال : أما ترى زُحَل قارن المشتري في الميزان ! وله من هذا أشياء كثيرة ذكرنا منها نبذة في ترجمته في تاريخنا « المنهل الصافى » . ومن شعره :

يانفسُ ميل إلى التّصايبِ * فاللهو منه الفنى يعيشُ
ولا تَمَلِّ من سُكْرِ يومٍ * إن أعوز الخمرُ فالخشيشُ

وله في المعنى :

في ثَمَار الخشيش معنى مَرَامِي * يا أهبل العقول والأفهام
حرّموها من غير عَقْلٍ وَثَقِيلٍ * وحرّم تحريم غير الحَرَامِ

قلت : وأحسن ما قيل في هذا المعنى قول القائل ولم أدر لمن هو :
وخضراء ما الحمراء تفعل فعلها * لها وثباتٌ في الخشى وثباتُ
تُوجِّعُ ناراً في الخشى وهى جَنَّةٌ * وتُروى مَرِيرَ الطَّعم وهى نَبَاتُ

(١) زيادة عن المنهل الصافى والوافى بالوفيات . (٢) يريد بائع الحلوى .

وفيهما توفى الشيخ الأديب البارع المفتن شمس الدين محمد بن عفيف الدين سليمان
ابن علي التليسماني الشاعر المشهور، كان شاباً فاضلاً ظريفاً، وشعره في غاية الحسن
والجودة . وديوان شعره مشهورٌ بأيدي الناس، ومن شعره :

ياساً تكا قلبي المُنْعَى * وليس فيه يسواك ثاني

لائى معنى كمرت قلبي * وما ألتقى فيه سا كان

وله في ذم الحشيش :

ما للحشيشة فضلٌ عند آكلها * لكنه غير مصروفٍ إلى رَشَدِه
صفراءُ في وجهه خضرأُ في قَمِيهِ * حمراءُ في عينه سوداءُ في كَيْدِه

وله أيضاً :

- ١٠ لى من هواك بعيدُ وقريبُ * وَلَكَ الجمالُ بديعُ وغريبُ
يَا مَنْ أُعِيدُ جماله يجلاله * حَدَرًا عليه من العيون تُصِيبُهُ
إن لم تكن عني فإنيك نُورُها * أو لم تكن قلبي فإني حبيبُهُ
هل رحمةٌ أو حرمةٌ لِمَنِي * قد قلَّ منك نصيره ونَصِيْبُهُ
ألف الفصائد في هواك تَفْزِلُ * حَتَّى كَانَتْ بك النسيبَ نَسِيْبُهُ
١٥ لم تُبقِ لى سراً أقولُ تَذِيْعُهُ * عَنِّي ولا قلبٌ أقولُ تَنْيِيْعُهُ^(١)
كم ليلةٌ قضيتها مُتَسَهِّداً * والدمع يمحِجُ مُقَلِّي مَسْكُوبُهُ
والنجم أقربُ من لِقَاكَ مَنَالُهُ * عندى وأبعدُ من رضاك مَغِيْبُهُ
والجو قد رَقَّتْ على شِمَالِهِ^(٢) * وجُفُونُهُ وشِمَالُهُ وجَنُوبُهُ

(١) في أحد الأصلين : « تزيه » . (٢) هذه رواية الديوان : وفي الأصلين :

هِيَ مَقْلَةٌ سَهْمُ الْفِرَاقِ يُصِيبُهَا * وَيَسُحُّ وَأَبْلُ دَمْعُهَا فَيَصُوبُهُ
وَجَوَى تَضَرَّمْ جَمْرُهُ لَوْلَا نَدَى * قَاضِي الْقَضَاةِ قَضَى عَلَى لَمْبِهِ
وله :

أَنْجَلَتْ بِالنَّفَرِ شَايَا الْأَقَاحِ * بِأُطْرَةِ اللَّيْلِ وَوَجْهَ الصَّبَاحِ
وَأَعْجَمْتُ أَصْنُكَ السَّحَرُ مُذْ * أَعْرَبْتُ مِنْهُمْ صِفَاحًا فِصَاحُ
فِيهَا سُودًا مِرَاضًا غَدَتْ * نَسَلُ لِلْعَاشِقِ يَصِفًا يَحْصَا
يَا لَلْهَوَى مَنْ مُسْعِدٌ مُفَرَّمَا * رَأَى حَمَامَ الْأَيْكِ غَيَّ فَنَاحُ
يَا بَانَةً مَالَتْ بِأَعْطَافِهِ * عَلِمْتَنِي كَيْفَ تُهْزِلُ الرِّمَاحُ
وَأَنْتِ يَا أَسْمَمَ الْحَاظِلِ * أَنْخَنِي وَاللَّهِ فَوَادِي جِرَاحُ

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها تُوُفِّيَ كَمَالُ الدِّينِ أَحْمَدُ
أَبْنُ يَوْسُفَ بْنِ نَصْرِ الْفَاضِلِ . والمفتي نَصْرُ الدِّينِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَوْسُفَ الْبَلْبَكِيِّ
الْحَنْبَلِيِّ فِي رَجَب . ورئيس الشُّهُودِ زَيْنُ الدِّينِ الْمُهَذَّبِ أَبْنُ أَبِي الْغَنَائِمِ التُّونُجِيِّ .
وَالْعَلَّامَةُ شَمْسُ الدِّينِ الْأَصْبَهَانِيِّ الْأَصُولِيُّ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بِالْقَاهِرَةِ فِي رَجَب . والمقرئ
تَقِيُّ الدِّينِ يَعْقُوبُ بْنُ بَدْرَانَ الْجَرَّائِدِيِّ بِالْقَاهِرَةِ فِي شَعْبَانَ . والمُسْنِدَةُ الْعَابِدَةُ زَيْنَبُ
بِنْتُ مَكِّيٍّ فِي شَوَّالٍ ، وَلَهَا أَرْبَعٌ وَتِسْعُونَ سَنَةً . وَالْمَعَادُ أَحْمَدُ بْنُ الشَّيْخِ الْإِمَادِ إِبْرَاهِيمُ
ابْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْمُقَدِّسِيِّ . وَالْإِمَامُ شَمْسُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْكَمَالِ عَبْدِ الرَّحِيمِ
ابْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْمُقَدِّسِيِّ فِي جُمَادَى الْأُولَى .

(١) رَوَاةُ الْأَصْلَيْنِ : * أَعْرَبْتُ مِنْهُمْ صِفَاحًا فِصَاحُ *
وَمَا أَثْنَاهُ عَنْ دِيَوَانِهِ . (٢) فِي الْأَصْلِ : « ... غَيَّ فَنَاحُ » . وَمَا أَثْنَاهُ عَنْ دِيَوَانِهِ .
(٣) لَمْ يَذْكُرْ أَحَدُ الْأَصْلَيْنِ هَذَا الْأِسْمَ ، وَذَكَرَهُ الْأَصْلُ الْآخَرُ بِاسْمِ : « مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ
بَدْرَانَ » . وَهُوَ خَطَأٌ . وَصَوَابُهُ عَنْ تَارِيخِ الْإِسْلَامِ وَشَذَرَاتِ الذَّهَبِ وَغَايَةِ الْهَيْئَةِ وَحَسَنِ الْمَخَاضَةِ
لِلْسَيُوطِيِّ وَالْوَاقِي بِالْوُفَيَّاتِ لِلصَّفْدِيِّ . (٤) فِي الْأَصْلَيْنِ : « بَنُ عَبْدِ اللَّهِ » . وَالتَّصْحِيحُ عَنْ
شَذَرَاتِ الذَّهَبِ وَتَارِيخِ الْإِسْلَامِ وَالْمُهَلِّ الصَّافِي وَالْوَاقِي بِالْوُفَيَّاتِ .

§ أمر النيل في هذه السنة - الماء القديم أربع أذرع وعشر أصابع . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وعشر أصابع .



السنة الثانية عشرة من ولاية السلطان الملك المنصور قلاوون على مصر،
وهي سنة تسع وثمانين وستمائة .

فيها كانت وفاة صاحب الترجمة الملك المنصور قلاوون في ذى القعدة حسب ما تقدم ذكره، وتسلطن بعده ابنه الملك الأشرف خليل .

وفيها توفى الشيخ الإمام أبو المعالي برهان الدين أحمد بن ناصر بن طاهر الحسيني الحنفى إمام المقصورة الحنفية الشمالية بجامع دمشق، كان إماما عالما فاضلا زاهدا صالحا متعبدا مفتتا مشتغلا بما هو فيه من الاشتغال بالعلم والأوراد والقراءة إلى أن مات في يوم السبت ثاني عشرين شوال ، وتولى بعده الإمامة الشيخ نجم الدين يعقوب البروكارى الحنفى^(١)، وملك مملكته .

وفيها توفى الأمير حسام الدين أبو سعيد طرططاي بن عبد الله المنصورى الأمير الكبير، كان أوحد أهل عصره، كان عظيم دولة أستاذه الملك المنصور قلاوون، وكان المنصور قد جعله نائبه بسائر الممالك، وكان هو المتصرف في مملكته .
فلما مات الملك المنصور قلاوون وتسلطن ولده الملك الأشرف خليل أستتابه أياما إلى أن رتب أموره ودبره ودبر أحواله، وكان عظيم التنفيذ سديد الرأى، مفرط الذكاء غزير العقل، فلما ربحته قدم الأشرف في السلطنة أمسكه، وكان في نفسه

(١) كذا في أحد الأصلين . وفي الأصل الآخر هكذا : « البروكارى » وقد أطلنا البحث عن كلنا

منه أيام والده ، وبَسَطَ عليه العذاب إلى أن مات شهيداً وصَبَرَ على العذاب صَبْرًا لم يمهّد مثله عصر إلى أن هَلَكَ ، ولَمَّا غَسَلُوهُ وجدوه قد تَهَرَّأَ لحمُهُ وتَزَالَت أَعْضَاؤُهُ ، وَأَنَّ جَوْفَهُ كَانَ مَشْقُوقًا ، كُلَّ ذَلِكَ وَلَمْ يُسْمَعْ مِنْهُ كَلِمَةٌ . وكان بينه وبين الأمير علم الدين سَنَجَر الشُّجَاعِيّ عداوةٌ على الرُّبَّةِ ، فسَلَّمَهُ الْأَشْرَفُ إِلَى الشُّجَاعِيّ وأمره بتعذيبه ، فَبَسَطَ الشُّجَاعِيّ عليه العذاب أنواعًا إلى أن مات ، فحُمِلَ إلى زاوية الشيخ عمر السُّعُودِيّ ، فغَسَلُوهُ وكَفَّنُوهُ ودفنوه بظاهر الزاوية . وكان له مواقف مع العدو ، وَغَزَوَات مشهورة وفتوحات . وبني مدرسةً حسنةً بقرب داره بخط البُنْدُقَانِيّين (٢) بالقاهرة ، وَقَبَّةَ برسم الدفن ، وله أوقاف على الْأَسْرَى وغيرها . وكان فيه محاسن لولا نُجْحُهُ وبذاءةُ لسانه لكان أَوْحَدَ أَهْلِ زمانه ، وخَلَفَ أموالًا جَمَّةً .

- ١٠ (١) زاوية الشيخ عمر السُّعُودِيّ ، لما تكلم المقرئ على المدرسة الحسبية في (ص ٣٨٦ ج ٢) من خطبته ، قال في ترجمة الأمير خُسام الدين طرُنْطَاي المصوري : إن الملك الْأَشْرَفَ خَلِيلَ بْنِ قُلاوُونَ أمر بقتله فقتل يوم الخميس ٢٤ ذى القعدة سنة ٦٨٩ هـ ، ثم أُنْجِزَتْ جِثَّتُهُ مِنْ قَلْعَةِ الْجبل حيث لَقِيتُ فِي حَصِيرٍ وَحُمِلَتْ إِلَى زَاوِيَةِ شَيْخِ أَبِي السُّعُودِ بْنِ أَبِي الْعِشَارِ بِالْقِرَاقَةِ ففلسه الشيخ عمر السُّعُودِيّ شيخ الزاوية وكفنه ودفنه خارج الزاوية ، وبقيت جثته هناك إلى سلطنة العادل كتبغا ، فأمر بنقل جثة طرُنْطَاي إلى تربته التي أنشأها بمدرسته الحسبية بخط المسطاح من حارة الوزيرية من القاهرة .
- ١٥ وأقول : تكلم ابن الزيات في كتابه الكواكب السَّيَّارَةِ (ص ٣١٦) وما بعدها على زاوية الشيخ أبي السُّعُودِ بْنِ أَبِي الْعِشَارِ وَعَلَى قَبْرِ الشَّيْخِ سَلَامَةِ الْمَعْرُوفِ بِأَبِي طَرُطُورٍ وَعَلَى زَاوِيَةِ الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ الْمَعْرُوفِ بِوَفَا الشَّاذَلِيّ . ويستفاد مما ذكره ابن الزيات أن هذه الأماكن الثلاثة قريب بعضها من بعض ويجمعها اليوم جبانة سيدى على أبي الوفا الواقعة تحت الجبل شرق جبانة الإمام الليث وبالبحت والمعاينة تبين أن زاوية الشيخ أبي السُّعُودِ التي دُفِنَ بِجِوَارِهَا الْأَمِيرُ طَرُنْطَاي قد اندثرت . ومكانها اليوم مقابر واقعة غربي طريق الجبانة المذكورة في الشمال الغربي لمقام الشيخ سلامة أبي طرطور وعلى بعد سبعين مترًا منه . وأما المدرسة الحسبية التي أنشأها الْأَمِيرُ طَرُنْطَاي المذكور في سنة ٦٨٤ هـ فكانها اليوم المسجد المعروف بجامع أبي الفضل بحارة الصاوي من درب سمادة بالقاهرة ، ولا يزال يوجد بجوار هذا الجامع قبعة أثرية تحتها قبر الْأَمِيرِ طَرُنْطَاي الذي دُفِنَ فِيهِ بَعْدَ نَقْلِ جِثَّتِهِ مِنَ الْقِرَاقَةِ . (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٥٢ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .
- ٢٥

- قال الشيخ قُطْب الدين اليُونِنِيّ ^(١) قال الشيخ تاج الدين الفَزَارِيّ : حدثني تاج الدين بن الشَّيرَازِيّ المحتسب : أنهم وجدوا في خزانة طُرُنْطَاي من الذهب العَيْن ^(٢) ألفي ألف دينار وأربعمائة ألف دينار وألفي حياصة ذهب وألف وسبعمائة كلوته مُزْرَكشة، ومن الدراهم ما لا يُحصى؛ فأستولى الأشرف خليل على ذلك كله، وفرقه على الأمراء والمالِك في أيسر مدّة؛ وأحتاج أولاد طُرُنْطَاي هذا وعياله من بعده إلى الطلب من الناس من الفقر .

وقال غيره : وُجِدَ لَطُرُنْطَاي ألف ألف دينار وستمئة ألف دينار . ثم ذكر أنواع الأقمشة والخيل والجمال والبغال والمتاجر ما يُستَحى من ذكره كثرة . ومات طُرُنْطَاي المذكور ولم يتلغ خمسين سنة من العمر .

- وفيها تُوُفِّيَ الأمير علاء الدين طَيْبَرَس بن عبد الله الصالحى المعروف بالوزيرى ،
كان أحد الأمراء المشهورين بالشجاعة والإقدام ، وكان من المبرزين وله التقدّم في الدول والوجاهة ، ولم يزل على ذلك إلى أن مات ، رحمه الله تعالى .

- الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها تُوُفِّيَ العلامة رشيد الدين عمر بن إسماعيل الفَارِقِ خُنِقَ في المحترم وقد كمل التسعين . والإمام نور الدين على ابن ظهير بن شهاب بن الكفتى المقرئ الزاهد في شهر ربيع الآخر . وقاضى الحنابلة
نجم الدين أحمد ابن الشيخ شمس الدين عبد الرحمن بن أبى عمر في مجامد الأولى ،

(١) هو تاج الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع بن ضياء الفزاري الإمام العلامة فقيه الشام
سنة ٦٩٠ هـ . (٢) هو تاج الدين أحمد بن العباد بن الشيرازي توفى سنة ٧١٢ هـ
كما في شذرات الذهب ولم نثر على ترجمة له في بقية المصادر التي تحت يدينا . (٣) عبارة عيون التواريخ :
« إن جملة ما أخذ من الذهب العين ستمة ألف دينار مصرية ومن الفضة النقرة مائة وواحد وسبعون قطارا
بالمصري ، وأخذوا له من اللحد والسلاح والقماش والأواني الصني والفضيات شئ كثير وحوائص
بمروج وبلغم ما لا يوجد عند ملك » .

وله ثمان وثلاثون سنة . وخطيب دمشق جمال الدين عبد الكافي بن عبد الملك
ابن عبد الكافي الربيعي في سَلَخ^(١) جمادى الأولى . والزاهد نضر الدين أبو طاهر إسماعيل
عزّ القضاة بن علي بن محمد الصوفي في رمضان . والشيخ شمس الدين عبد الرحمن
أبن الزّين أحمد بن عبد الملك المقدسي في ذى القعدة . والسلطان الملك المنصور
سيف الدين قلاوون الأتقي الصالحى في ذى القعدة .

§ أضر النيل في هذه السنة — الماء القديم ثلاث أذرع وإصبعان . مبلغ
الزيادة خمس عشرة ذراعا وسبع عشرة إصبعاً ، ولم يوف في هذه السنة .



اتهى الجزء السابع من النجوم الزاهرة ويليّه الجزء الثامن ،

وأوله : ذكر ولاية الملك الأشرف خليل على مصر

(١) في الأصلين : « ابن محمود » . وتصحيحه عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب والنيل الصافي

استدراكات على بعض تعليقات وردت في الجزأين الرابع والخامس
من هذا الكتاب ، لحضرة الأستاذ محمد رمزي بك

قنطرة عبد العزيز بن مروان

بما أن الشرح الخاص بتعيين موقع هذه القنطرة المدرج في صفحة ٤٤ بالجزء
الرابع من هذه الطبعة جاء غير وافي فيستبدل به الشرح الآتي :

لما تكلم المقرئ على ظواهر القاهرة المعزية (ص ١٠٨ ج ٢) قال : كان
أول الخليج الكبير عند وضع القاهرة بجانب خط السبع سقايات وكان ما بين هذا
الخط وبين المعاريح بمدينة مصر (مصر القديمة) غامرا بماء النيل .

ولما تكلم على قناطر الخليج الكبير (ص ١٤٦ ج ٢) قال : انب قنطرة
ابن مروان كانت في طرف الفسطاط بالجرء القصوى بناها عبد العزيز بن مروان
والى مصر في سنة ٦٩ هـ . وموضعها خلف السبع سقايات على فم الخليج الكبير
وكان المرور على هذه القنطرة بين الجرء القصوى وجنان الزهرى .

ولما تكلم على حكر أقبقا (ص ١١٦ ج ٢) قال : وفى هذا الحكر تقع قنطرة
عبد العزيز بن مروان .

وقد تبين لى من البحث : (أولا) أن خط السبع سقايات هو الذى عرف
فيما بعد بحكر أقبقا أى أن مكانهما واحد . وفقط اختلفت التسمية باختلاف الزمن
والمناسبات . (ثانيا) أن حكر أقبقا مكانه اليوم المنطقة التى فيها حارة السيدة
زينب وفروعها وجنينة لاظ وشوارعها . (ثالثا) أن النيل كان يجرى وقت
فتح العرب لمصر فى الجهة الغربية من جنينة لاظ حيث الطريق المسماة شارع
بنى الأزرق وما فى امتداده جنوبا وشمالا . (رابعا) أن فم الخليج المصرى كان
فى ذاك الوقت واقعا حذاء مدخل الشارع المذكور من جهة شارع الخليج .

ومما ذكر يتضح أن قنطرة عبد العزيز بن مروان التي كانت على فم الخليج الكبير مكانها اليوم النقطة الواقعة بشارع الخليج المصرى تجاه مدخل حارة حكر أقبقا بأرض جنيئة لاظ التي هي جزء من حكر أقبقا . وهذا الخط هو الجزء الشمالى من الحمراء القصوى ويقابله على الشاطئ الأيسر للخليج أرض جنات الزهرى حيث خط الناصرية الآن وما في امتداده إلى شارع غيط العدة .

بستان الخشاب

بما أن الشرح الخاص بتحديد هذا البستان المدرج في صفحة ٤٤ بالجزء الرابع من هذه الطبعة جاء غير وافي فيستبدل به الشرح الآتى :

تكلم المقرئ على هذا البستان في جملة مواضع بالجزء الثانى من خطه فذكره عند الكلام على ظواهر القاهرة المعزية (ص ١٠٨) وعلى بر الخليج الغربى (ص ١١٣) وعلى الخليج الناصرى (ص ١٤٥) وعلى قنطرة السد (ص ١٤٦) وعلى قنطرة الفخر (ص ١٤٨) وعلى الميدان الناصرى (ص ٢٠٠) وعلى حكر الست حدق (ص ١١٦) ويستفاد مما ذكر في المواضع المذكورة البيان الآتى :

(أولا) أن بستان الخشاب كان واقعا في المنطقة التي تحد اليوم من الشمال بشوارع المتديان ومضرب النشاب والبرجاس والجزء الغربى من شارع إسماعيل باشا إلى النيل . ومن الغرب نهر النيل . ومن الجنوب مستشفى قصر العيني وشارع بستان الفاضل وما في امتداده من الجهة الشرقية إلى شارع الخليج المصرى . ومن الشرق شارع الخليج المصرى وشارع سعد الدين إلى أن يتقابل مع الحد البحرى .

(ثانيا) أن هذا البستان كان منقسما إلى قسمين الشرق منهما وهو الواقع بين شارع المنيرة وشارع الخليج المصرى وكان يعرف بالمريس حيث كان يسكنه طائفة من السودان وبه يتخذون المزر وهو نوع من البوطة يسميه أهل السودان المريسة، والقسم الغربى وهو الواقع بين شارع المنيرة وشارع النيل كان يعرف

بالميدان الناصرى . ومكانه اليوم خط القصر العالى المسمى « جاردن سى » وكان بالجهة الجنوبية من هذا الميدان على شاطئ سيالة جزيرة الروضة عند كوبرى محمد على يوجد مواقع فم الخليج الناصرى وقنطرة الفخر وموردة الحبس وموردة البلاط .

أرض الطبالة

- ٥ بما أن الشرح الخاص بتحديد هذه الأرض المدرج فى صفحة ١٢ بالجزء الخامس من هذه الطبعة جاء غير واف بالنسبة للحد الغربى للأرض المذكورة فيستبدل به الشرح الآتى :

- يستفاد مما ذكره المقرئى فى خططه عند الكلام على جزيرة الفيل (ص ١٨٥ ج ٢) أن أرض الطبالة كانت ممتدة إلى شاطئ النيل القديم تجاه جزيرة الفيل التى كانت وسط النيل . ومكانها اليوم منطقة شبرا بالقاهرة . ومن هذا يتضح أن أرض الطبالة كانت واقعة فى المنطقة التى تحد اليوم من الشرق بشارع الخليج المصرى . ومن الشمال بشارع الظاهر فشارع وقف الخربوطلى وما فى امتداده حتى يتقابل بشارع مهمشة . ومن الغرب بشارع غمرة إلى محطة كوبرى الليمون فيدان محطة مصر إلى ميدان باب الحديد حيث كان النيل يجرى قديما . ومن الجنوب بشارع الفجالة وسكة الفجالة ويدخل فيها الآن محطة كوبرى الليمون والفجالة ١٥ وبركة الرطلى . وباقى الشرح الوارد بالجزء الخامس صحيح .



- تنبيه : التعليقات الخاصة بالأماكن الأثرية على اختلاف أنواعها، والمدن والقرى القديمة وغيرها مع تعيين وتحديد مواضعها من وضع حضرة الأستاذ محمد رمزى بك المقتش بوزارة المالية سابقا . فنسدى إليه جزيل الشكر ونسأل الله ٢٠ جلت قدرته أن يحزيه خيرا الجزاء عن خدمته للعلم وأهله .

استدراكات على الجزء السادس من النجوم الزاهرة

نبهنا إليها الأستاذ الشيخ محمد أحمد دهمان من علماء دمشق فنسدى إليه جزيل الشكر

(١) ورد في ص ٣٥ س ١٥ : « تسلم أصحابه مدينة غزة وبيت جبريل والماطرون » وذكرنا في الحاشية رقم ٣ أن تصويبه الماطرون عن شرح القاموس ومعجم البلدان لياقوت . والصواب أنه النطرون بالنون ، لأن الماطرون اسم موضعين بالقرب من دمشق ، وفتوحات صلاح الدين كانت في فلسطين ، كما في سيرة صلاح الدين والروضتين وتاريخ أبي الفدا وتاريخ ابن الوردي في حوادث سنة ٥٨٣ هـ .

(٢) ورد في ص ٩٩ س ١١ و ١٢ : « وبنت تربة بقاسيون على نهر بردى » . وعلقنا عليه في الحاشية رقم ٥ أن « بردى نهر بدمشق » . وصوابه : « وبنت تربة بقاسيون على نهر يزيد » ، لأن نهر بردى لا يميز بقاسيون ، وإنما يميز به نهر يزيد . ولا تزال هذه التربة حتى اليوم على حافة نهر يزيد (راجع شذرات الذهب في حوادث سنة ٥٨١ هـ) .

(٣) ورد في ص ١٢١ س ٩ : « بمرج عدواء » . وعلقنا عليها في الحاشية رقم ٩ نقلاً عن ابن الأثير رواية أخرى : « أنه بمرج الريحان » . وصوابه : « بمرج عدراء » وهو مرج مشهور خارج دمشق قرب قرية يقال لها عدراء ، كما في شرح القاموس مادة « مرج » .

(٤) ورد في ص ١٥٠ س ٥ : « وأما الأفضل فإنه سار إلى مصر فأرسل العادل وراه أبا محمد نجيب الدين إليه بالزبداني » . وعلقنا عليه في الحاشية رقم ٢ بأن الزبداني : نهر بدمشق . وصوابه : الزبداني : كورة مشهورة معروفة بين دمشق وبعبك (راجع تقويم البلدان لأبي الفدا لإسماعيل ومعجم البلدان لياقوت) .

(٥) ورد في ص ٢١٨ س ١١ : «ودفن بقاسيون» . وعلقنا عليه في الحاشية رقم ٣ بأن رواية الأصلين : « مات بقاسيون » وما أثبتناه عن شذرات الذهب وعقد الجمان . وتعتبر قاسيون مقبرة دمشق . والصواب في ذلك أن قاسيون : جبل شمال دمشق يطل عليها . وفي عصر نور الدين الأتابكي هاجرت طائفة من المقدسة هربا من إرهاب الصليبيين لهم فسكنوا هذا الجبل وبنوا فيه دورا ومساجد . فاصبح إحدى ضواحي دمشق التي لها مقبرة لا أنه مقبرة فقط فعليه تكون عبارة الأصلين صحيحة .

(٦) ورد في ص ٢٤٠ س ١٦ : « فلما كان الغد أقبلت الأطلاب » وذكنا في الحاشية رقم ٦ أن الأطلاب : المساكر . ونزيد عليه أن الأطلاب لفظة استعملت في كتب التاريخ من عصر نور الدين الأتابكي إلى آخر أيام دولة المماليك الشراكسة، ويراد بها فرق الجيش وكثابه، والظاهر أنه مشتق من طلب الشيء إذا حاول أخذه فهو طالب وجمعه طلب وجمع الطلب أطلاب ، ويدل على ذلك ما جاء في ص ٢٩٣ من هذا الجزء : «قطع التار دجلة في مائة طلب، كل طلب في خمسمائة فارس» .

(٧) ورد في ص ٢٦٦ ص ٤ : «ودُفِنَ بقرب الصليجية» . وذكنا في الحاشية رقم ١ رواية أخرى نقلنا عن شذرات الذهب : « بقرب القليجية » . وصوابه ما ورد في شذرات الذهب . والقليجية : مدرسة بدمشق معروفة، تنسب إلى قليج أرسلان .

(٨) ورد في ص ٢٦٨ س ٤ في الكلام على ترجمة الملك المعظم عيسى : «ودفن مع والدته في القبة عند الباب» وعلقنا على ذلك في الحاشية رقم ١ نقلنا عن ابن خلكان بأنه : قفل إلى تربته في مدرسته التي أنشأها بظاهر دمشق على الشرف الأعلى مطلة على الميدان الأخضر الكبير . وعلقنا أيضا في الحاشية رقم ٢ نقلنا عن ابن خلكان وشذرات الذهب أنه : «دفن خارج باب النصر أحد

أبواب دمشق في مدرسة شمس الدولة » . وكلا التعليقين خطأ . وصوابه أن الملك المعظم عيسى دفن في مدرسته التي أنشأها بصالحية دمشق . وبالرجوع إلى تاريخ ابن خلكان وجدناه بعد أن انتهى من ترجمة الملك المعظم عيسى يقول : « وتوفي عز الدين أيك صاحب صرخد، إلى أن قال : ودفن خارج باب النصر في مدرسة شمس الدولة وحضرت الصلاة عليه ودفنه ثم نقل إلى تربته في مدرسته التي أنشأها بظاهر دمشق على الشرف الأعلى مطلة على الميدان الأخضر الكبير » . ولا يخفى أن هذا الكلام الذي أدججه ابن خلكان في ترجمة الملك المعظم عيسى على عز الدين أيك (راجع ابن خلكان في ترجمة الملك المعظم عيسى وشذرات الذهب في حوادث سنة ٦٢٤ هـ) .

(٩) ورد في ص ٣١٧ س ٣ « وإمام الربوة » وعلقنا على ذلك في الحاشية رقم ٣ : « يريد ربوة دمشق وهي مغارة لطيفة الخ » . وصوابه : « وبالربوة مغارة لطيفة... الخ » راجع زهرة الأنام في محاسن الشام، نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٦٤٢ تاريخ) .

(١٠) ورد في ص ٣٢٩ س ٧ : « ودام الحصار إلى أن قدم البادراني للصلح » وذكرنا في الحاشية رقم ١ أن البادراني، نسبة إلى بادران: قرية بأصهبان. وهو عز الدين رسول الخليفة، قدم للصلح بين الملك الصالح نجم الدين والحليين . وصوابه : « البادراني » بالهمزة . وهو نجم الدين أبو محمد عبد الله بن أبي الوفا الشافعي الفرضي الذي قدم من عند المستنصر للصلح . وقال السيوطي في لب اللباب في تحرير الأنساب : « البادراني » : نسبة إلى بادرايا، : قرية من عمل واسط » . وراجع شذرات الذهب ج ٥ ص ٢٦٩ في حوادث سنة ٦٥٥ هـ وتنبيه الطالب للعلمي .